

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بمكتب إحياء التراث الإسلامي

اتِّعَاضُ الْخُنْفَا بِأَخْبَارِ الْأَئِمَّةِ الْفَاطِمِيِّينَ الْخُلَفَاءِ

لِلنَّبِيِّ الدِّينِ حَمْدُ بْنُ عَلِيِّ الْمَقْرِزِيِّ

تَحْقِيقُ

الدكتور جمال الدين الهشمتي

أستاذ التاريخ الإسلامي

وعيد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الأول

الطبعة الثانية

القاهرة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



اهداءات ٢٠٠٠
المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية - وزارة الأوقاف



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

جمهورية مصر العربية
وزارة الثقافة
الجلسة الأعلى للشئون الإسلامية
مركز أبحاث التراث الإسلامي

اتِّعَظْ بِالْخَفَا بِإِخْبَارِ الْأَمَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الْخُلَفَا لِلْفَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْرِيَزِيِّ

مُخَوِّفِي
الدكتور جمال الدين إريش
أستاذ التاريخ الإسلامي
ومعهد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الأول
الطبعة الثانية

رقم التسجيل: ١٠٥٤/٢
رقم الأمانة: ١٠٥٤/٢
رقم الأمانة: ١٠٥٤/٢

القاهرة
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

أصدر

بقلم الأستاذ : محمد أبو الفضل إبراهيم

رئيس لجنة احياء التراث

في سنة عشرين من تاريخ الهجرة ، تمّ للقائد العربي ، والصحافي الجليل ، عمرو ابن العاص ، فتح مصر ، ومن ذلك الحين دخل هذا الإقليم في الدولة الإسلامية وتلونّ بالصيغة العربية ، وأخذ يتوافد إليه أعيان الصحابة والتابعين ، وأعلام الفقهاء والمحدثين ، حيث وجئوا الظلّ الوارف ، والمورد العذب السائغ ، والمقام المحمود ، ولم يلبث أن دخلت الجُمهرة من المصريين في دين الإسلام أفواجا ، وانتشر في كلّ النواحي من أقصى الصعيد إلى بلاد الشمال ، حتى أصبحت مصر بمآلها وحضارتها ووفرة مواردها من أهمّ الأقطار الإسلامية ، بل إنها حملت لواء الزعامة في كثير من عصورها التاريخية ، مما دوّنه المؤرخون كابن عبد الحكم والقضاعيّ والمسبحيّ وأبو عمر الكنديّ وابن ميسر وغيرهم .

وكانت الدولة الفاطمية من أعظم الدول التي عاشت في مصر أكثر من قرنين من الزمان ، وكان لها تاريخٌ حافل ، ولخلفاتها في الحضارة الإسلامية أثرٌ بعيد ، فهمّ الذين أسسوا القاهرة المُعزّيّة ، فكانت قبة الإسلام ، وحاضرة الأنام ، وغرّة جبين الزمان ، وأنشأوا الجامع الأزهر ، فكان منبعاً للعلوم الإسلامية ومنازة للمعارف والآداب على مر الزمان ، كما أقاموا دور الكتب والخزائن ، وجلبوا إليها الكتب والأسفار ، وأرصدوا لها الأموال ، وأعدوا لطلاب المعرفة القوَّامَ والتَّناسُخَ ، وهوت إليها أفئدة العلماء من شتى الجهات ، ينهلون العلم من أعليّ نُوُودٍ وأصفاء ، هذا إلى ما كان لهم من أثر في بناء المساجد والقصور والبياتين في جنبات القاهرة وعلى ضفاف النيل ، وما تجردت له هِمَّتُهم من إعداد الجيوش وإنشاء

الأساطيل لجوب المياه ، فضلاً عما كان لهم من عادات في المواسم والأعياد ، تميزت بها دولتهم ، وما زالت تتصل بحياتنا الاجتماعية إلى اليوم .

وقد كان تاريخ هذه الدولة مؤزعا في كتب التاريخ والأدب والعقائد ، متمزجا بغيره من تاريخ الدول ، إلى أن جاء الإمام تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، فجمع أشتاته ، وضم ما تفرق منه ، وأضاف إليه ما اجتمع إليه من ثمرات مطالعته ، وما نبأ له من المناصب التي تولاه ، ووضع هذا الكتاب الذي أمياه « أتمناظ الحنفا ، بآخيار الأئمة الفاطميين الخلفاء » أداره على تاريخ من ملك القاهرة من الخلفاء وعلى جملة أخبارهم وسيرهم ، وجعله حلقة من سلسلة كتبه التي وضعا في تاريخ مصر والقاهرة .

والمقرئ شيخ مؤرخ الإسلام غير مدافع ، وفارس هذه الحلبة غير معارض في كل ما ألّف وصنّف ، وفي جميع ما نقل وروى ، مما جعل كتبه المصدر الأصيل في تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها وخططها وآثارها ومعارفها وفنونها وآدابها وعلمائها وأعيانها .

هذا وقد سبق للمستشرق هوجو برونز أن قام بنشر هذا الكتاب سنة ١٩٠٩ م على نسخة مخطوطة ناقصة محفوظة بمكتبة جوتا بألمانيا ، وهي النسخة الوحيدة التي كانت معروفة في ذلك الحين ، وفي سنة ١٩٤٥ قام الدكتور جمال الدين الشيال بإعادة نشره عن هذه النسخة أيضاً بعد أن رجع إلى الأصول التي أخذ المقرئ عنها كتابه . ومع مضي الأيام وتتابع البحث ، وُجد من هذا الكتاب نسخة أخرى كاملة محفوظة بمكتبة سراي أحمد الثالث باستانبول ، فجدد معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في تصويرها ، ثم قام الدكتور جمال الدين الشيال بإعادة تحقيق الكتاب عليها مرة ثانية ، بعد أن أضاف إلى جهده السابق مزيدا من التحرير والتحقيق ، وشرح المصطلحات ، والتعريف بالأعلام ، ما شاعت له معارفه التاريخية وأمانته العلمية وإطلاعه الغزير الوافر .

× والدكتور جمال الدين الشيال يُعدُّ في الرُّعيل الأول من أساتذة التاريخ الإسلامي في العصر الحاضر ، وأعظمهم إخلاصاً ونشاطاً ، وأكثرهم خصباً وإنتاجاً ، فيما حقَّق وصنَّف ، وألَّي من محاضرات ، وشهد من مؤتمرات ، ونشر من بحوث ومقالات ، وكانت له عناية خاصة بتراث المقرئزي ، فحقَّق منها كتاب «اللَّهب المسبوك بذكر مَنْ حجَّ من الخلفاء والملوك» ، وكتاب «نُحْل عبر النُحْل» ، وكتاب «إغاثة الأمة بكشف الغمة» ، كما حقَّق كتاب «مفرج الكرب في دول بني أيوب» لابن واصل ، وألَّف كتاباً في أعلام الاسكندرية ، وآخر في تاريخ دمياط فضلاً عن بحوثه المتنوعة في نواحي التاريخ الإسلامي ..

وتقديراً للجهد الذي بذله في تحقيق هذا الكتاب ، ورغبة في إحياء آثار المقرئزي ، رأت لجنة إحياء التراث أن تقوم بنشره ، وتيسير الانتفاع به .

ولأنه لمن كمال التوفيق ، وجميل الصُّنع أن يظهر هذا الكتاب ، والقاهرة توشك أن تحتفل بعيدها الأثني منذ أنشأها الفاطميون ... إنها تحية طيبة لهذه الذكرى الكريمة .
ومن الله العون والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

الإهداء

إلى عاصمتنا العظيمة الخالدة
إلى مدينتنا الزاهرة الساحرة
إلى المعزية القاهرة

في عيدها الأثني
أهلى هذا الجهد المتواضع
الذي بذلته في إحياء أكبر وأوثق مؤلف
وضع للتأريخ للدولة التي أنشأتها - الدولة الفاطمية -
بقلم كبير مؤرخي مصر الإسلامية تقي الدين أحمد بن علي المقرئ
جمال الدين الشيباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

- ١ -

ولد تقي الدين أحمد بن علي المقرئ في حارة بروجوان بالقاهرة في سنة ٨٧٦٦ (١٣٦٤-١٣٦٥)، وتنتمي أسرته أصلاً إلى مدينة بعلبك - إحدى مدن لبنان الحالية - وكانت تسكن حارة بها تسمى «حارة المقارزة»، وليس من المعروف هل سميت الحارة باسم الأسرة، أم أن الأسرة حملت اسم الحارة لسكنها بها، كما أن المراجع التي ترجمت للمقرئ تخلو جميعاً من أي تفسير لمعنى كلمة «مقرئ» أو «مقارزة».

وقد كفل أحمد في طفولته وشبابه الأول جدُّه لأمه ابنُ الصالح وكان حنقاً للمذهب، فنشأ السُّبُطُ على هذا المذهب، وظل من أتباعه إلى أن توفي أبوه في سنة ٧٨٦ هـ. (١٣٨٤) فانقلب شافعيًا.

وقد درس المقرئ على كبار شيوخ عصره وعلمائه في الفقه والحديث والتاريخ، واشتغل كثيراً - كما يقول السخاوي - وطاق على الشيوخ ولقى الكبار، وجالس الأئمة فأخذ عنهم (١) وتأثر أكثر ما تأثر بأستاذ المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون أثناء إقامته بالقاهرة وتوليه قضاء المالكية بها (٢).

والحق المقرئ في شبابه يحدد من الوظائف الحكومية، فعمل أول ما عمل في سنة ٧٨٨ (١٣٨٦) وهو في الثانية والعشرين من عمره موقفاً بديوان الإنشاء، ثم تنقل في وظائف أخرى،

(١) السخاوي : التبر المسبوبة في ذيل السلوك ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) انظر : مقدمتنا لكتاب الغلاة الأمة بكشف الفعة للمقرئ، ومحمد عبد الله صفوان : ابن خلدون وتراثه الفكري .

فُيِّنَ نائباً من نواب الحكم عن قاضى القضاة الشافعى - أى قاضياً - ، ثم خطيباً بجامع عمرو وبمدرسة السلطان حسن ، وإماماً بجامع الحاكم ، ومدرساً للحديث بالمدرسة المؤيدية .
وفى سنة ٧٩١ (١٣٨٩) اختاره السلطان بركات - وكان حقيقياً به - محتسباً للقاهرة والوجه البحرى ، وقد ولى هذه الوظيفة وعُزل عنها أكثر من مرة ، يقول السخاوى : « وحملت سيرته فى مباشرته » .

وفى سنة ٨١٦ (١٤١٣) سافر إلى دمشق صحبة السلطان الناصر فرج بن بركات ، وعاد معه ، وعقدت أواخر الصداقة بينه وبين الأمير يشبك الدوادار « وقالته منه دنيا » - على حد قول السخاوى فى ترجمته له - .

وكان السلطان بركات قد عرض عليه مراراً أن يوليه قضاء دمشق ولكنه أبى ، وفى عهد ابنه ولى النظر على أوقاف القلايتى والبیارستان النورى بمدينة دمشق . وقام فى نفس الوقت بالتدريس فى عدد من مدارسها ، وبخاصة فى الموصيتين الأشرفية والإقبالية ، وقضى بمدينة دمشق عشر سنوات عاد بعدها إلى القاهرة ، فعزف عن الوظائف الحكومية منذ ذلك الوقت ، ولزم داره حيث توفّر على القراءة والدرس والتأليف .

وفى سنة ٨٣٤ (١٨٣٠) تخرج - وفى صحبته أسرته - إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وجاور هناك نحو خمس سنوات شغل فيها بالتدريس والتأليف كذلك ، ثم عاد إلى داره بحارة برجوان فلزمها إلى آخر حياته يكتب ويؤلف فى علوم مختلفة ، ويوجه خاص فى علم التاريخ ، حتى نبع فيه ويز أقرانه ومعاصريه من مؤرخى القرن التاسع الهجرى^(١) (١٠٥٠) .

(١) انظر ترجمة المقرئى فى : (السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، ص ٢١-٢٤) و (السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ٢١-٢٥) و (الزركلى : الأعلام) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية) و (محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر) و (الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ج ١ ، ص ٧٩ - ٨١) و (ابن تفرى بردى : المنهل الصمسافى والمستوفى بعمد الوافى - والكتاب لأزال مخطوطاً - وقد نقل ترجمة المقرئى عنه على مبارك فى كتابه الخطط التوفيقية الجديدة ، ج ٩ ، ص ٧٠) .

وتوفي المقرئى إلى رحمة الله عصر يوم الخميس سادس عشرى رمضان بالقاهرة ، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية .

- ٢ -

ويعتبر المقرئى كبير مورخى مصر الإسلامية وزعيمهم دون منازع ، وقد أهله لهذه الزعامة لإنتاجه الضخم الخصب .

ومؤلفات المقرئى نوعان :

- كتب أو كتيبات صغيرة .

- وكتب موسوعية كبيرة .

وكتبه الصغيرة ذات أهمية خاصة ، وهى لا تقتصر على التاريخ ، بل تمثل أنواعا مختلفة من العلوم ، ويمكننا أن نصنفها إلى أصناف أربعة :

١ - صنف عنى فيه المقرئى بمناقشة بعض مشكلات أو نواحى التاريخ الإسلامى العام ، ومنها :

- كتاب « النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم » .

- وكتاب « ذكر ما ورد فى بنيان الكعبة المعظمة »^(١) .

- وكتاب « ضوء السارى فى معرفة أخبار نجم الدارى »^(٢) .

(١) يبدو أن المقرئى وضع أول الأمر كتابا كبيرا فى تاريخ الكعبة ، ثم اختصره فى مؤلف صغير يحمل هذا العنوان المذكور فى المتن هنا ، بدليل قول السخاوى وهو يحصى مؤلفات المقرئى : « الإشارة والإعلام ببهاء الكعبة والبيت الحرام ، ومختصره » .
(٢) توجد من هذا الكتاب نسخ خطية فى :

- المتحف البريطانى

- لايدن ضمن مجموعة رسائل المقرئى تحت رقم ٢٤٠٨

- باريس ، المكتبة الأهلية ، ضمن مجموعة رسائل المقرئى تحت رقم ٤٦٥٧ ، وقد نشره ماتيو فى سنة ١٩٤١ ، انظر :

Charles D. Matthews. The Journal of the Palestine Oriental Society 1941. vol. XIX.

١٩٤١ - 179 and Introd. PP. 147 - 149.

ب- وصنف عني فيه المقرئى بذلك عرض موجز لتاريخ بعض أطراف العالم الإسلامى

بما لم يُقَنَّ به مؤرخون آخرون ، ومنها :

- كتاب «الانام بآخبار من بآرض الحيشة من ملوك الإسلام» .

- وكتاب «الطرفة الغربية من أخبار حضر موت العجيبة» .

(وقد ألف هذين الكتابين أثناء مجاورته فى مكة فى سنة ٨٣٩ وسنة ٨٤١) .

ج- صنف عني فيه المقرئى بالترجمة المختصرة لمجموعة من الملوك ، ومنه :

- كتاب «تراجم ملوك الغرب» .

- وكتاب «الذهب المسبوك يذكر من حجج من خلفاء والملوك»^(١) .

د - وصنف عني فيه المقرئى بدراسة بعض النواحي العلمية البحتة ، أو بالتاريخ لبعض

النواحي الاجتماعية والاقتصادية فى العالم الإسلامى عامة ، أو فى مصر الإسلامية خاصة ،

ويمثل هذا الصنف كتب كثيرة ، منها :

- كتاب «المقاصد السنية لمعرفة الأجسام العلنية» .

- وكتاب «شذور العنود فى ذكر النقود» .

- وكتاب «الأمكيات والأوزان الشرعية» .

- وكتاب «تَحْلِيلُ حَبَرِ النَّحْلِ»^(٢) .

- وكتاب «البيان والإعراب فيمن نزل أرض مصر من الأعراب» .

- وكتاب «إغاثة الأمة بكشف الغمة»^(٣) .

(١) قام المحقق بنشر هذا الكتاب لأول مرة فى سنة ١٩٥٤

(٢) قام المحقق بنشر هذا الكتاب لأول مرة فى سنة ١٩٤٦

(٣) قام المحقق بنشر هذا الكتاب لأول مرة بالاشتراك مع الدكتور محمد مصطفى زيادة فى سنة ١٩٤٠ ، وطبع طبعة ثانية فى سنة ١٩٥٧

- وكتاب «إزالة التعب والعناء في معرفة جبل الفناء» (١) الخ .

• • •

وهناك ظاهرتان تلفتان النظر عند دراسة مؤلفات المقرئى الصغيرة :

أولاهما : أن المقرئى كان علماً بكل ما تحمله كلمة عالم من معنى ، يحب المعرفة لذاتها ، ويجد المتعة فى البحث والدراسة والاستقصاء ، فهو ينص فى مقدمات معظم هذه المؤلفات الصغرى على أنه لم يقدم على كتابتها استجابة لطلب أمير أو عظيم ، وإنما ألّفها لإشباعا للاثه المتطلعة إلى الامتزاد من العلم والمعرفة ، ولن يريد أن يشاركه هذا النزوع نحو العلم والمعرفة ، أو على حد قوله هو فى مقلة رسالته «المقاصد السنية لمعرفة الأجسام العلنية» :

«وبعد ، فهذه مقالة وجيزة فى ذكر المعادن ، قلدتها تذكرة لى ولن شاء الله تعالى من عباده .

وكرر نفس المعنى فى مقلمته لكتاب «البيان والإعراب فىمن نزل أرض مصر من الأعراب» ،

فقال :

«وبعد ، فهذه مقالة وجيزة فى ذكر من هأرض مصر من طوائف الأعراب قلدتها لنفسى ،

ولن شاء الله من أهناه جنسى» .

وثانيتهما : أن المقرئى ألف معظم هذه الكتب الصغيرة فى أخرىات حياته ، وبعد أن

تم نضجه الفكرى ، واتسعت قراءاته ، وعمقت معرفته - ، ويصفه خاصة فى سنة ٨٣٩هـ .

أثناء مجاورته فى مكة ، أو فى سنة ٨٤١هـ . بعد عودته إلى مصر- ، والأمثلة على ذلك كثيرة ،

فهو يقول فى حرد كتابه «الطرفة الغربية من أخبار حضرموت العجبية» .

«وبعد ، فهذه جملة من أخبار وادى حضرموت ، علقنها بمكة - شرقها الله تعالى - أيام

مجاورتى بها فى عام ٨٣٩ ، حدثنى بها ثقات من قدم مكة من أهل حضرموت» .

(١) للمقرئى مؤلفات صغيرة أخرى لاتدخل تحت المجموعات التى ذكرناها ، ومنها : (تجريد التوحيد ، وهو مطبوع) و (معرفة ما يجب لأهل البيت من الحق على من عداهم) و (حصول الانعام والمير فى سؤال خاتمة الخير ، و (الاختيار عن الاعتذار) و « قرض سيرة المؤيد لابن ناهض)

ويقول في مقدمة كتابه «الإلام بأختبار من بآرض الحبشة من ملوك الإسلام» :
«ويعود ، فهذه جملة من أخبار الطائفة القائمة بالملّة الإسلامية ببلاد الحبشة ، المجاهدين
في سبيل الله من كفره وصدّ عن سبيله ، تلقيتها بمكة - شرقها الله تعالى - أيام مجاورتي بها
في سنة ٨٣٩ من العارفين بأخبارهم» .

ويبدو أنه جمع مادة هذا الكتيب في تلك السنة ، ولكنه لم ينسق بينها ويخرجها في شكل
رسالة إلا في سنة ٨٤١ هـ ، فقد قال في نهاية الرسالة :

«حرره جامعه ومولفه أحمد بن علي المقرئ في ذي القعدة سنة ٨٤١ هـ» .

ومن الكتب التي ألّفها في سنة ٨٤١ هـ كتاب «تجريد التوحيد المفيد» ، فقد جاء في حُرْد
مخطوطة باريس من هذا الكتاب :

«قال مؤلفه - رحمه الله - إنه صححه جهد الطاقة ومبلغ القدرة في سنة ٨٤١ هـ» .

ومنها كذلك كتابه «المقاصد السننية لمعرفة الأجسام المعنوية» ، فقد قال في ختامه :
«وحررته في شوال سنة ٨٤١ هـ» .

ومنها كتابه «نبذة على عظم قدر أهل البيت» ، فقد نصّ في نهايته على أنه ألّفه في ذي القعدة
سنة ٨٤١ هـ .

ومنها كتابه «الذهب المسبوك بذكر من حجّ من الخلفاء والملوك»^(١) فقد قال ناسخ
مخطوطة الاسكوريال من هذا الكتاب :

«كُتِب من أصلي بخطّ مصنفه ، قال مؤلفه - رحمه الله - حررته جهد القدرة فصّح ،
مؤلفه أحمد بن علي المقرئ» ، في ذي القعدة سنة ٨٤١ هـ .

وكُتِب الصنف الرابع التي ذكرنا آنفا تعتبر - فيما نرى - أهم كتب المقرئ الصغرى
وأكثرها قيمة ، وأطرفها موضوعا ، لأنه عالّج فيها موضوعات قلما عالّجها غيره من المؤرخين

(١) قام المحقق بنشر هذا الكتاب لأول مرة في سنة ١٩٥٤

المسلمين ، وبعُدَ فيها قليلا عن تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء ، وعنى فيها حيناً بالموضوعات العلمية البحتة ، وحيناً آخر بالشعب ومشكلاته الاجتماعية والاقتصادية ، ونلاحظ كذلك أن المقرئ في هذا الصنف من الكتب لم يكن مؤرخاً راوية وحسب ، بل هو مؤرخ مبدع أيضاً ، جرؤ فنناقش - أحيانا - الأحداث والموضوعات ، وأدلى بآرائه الخاصة ، وعُِّلِل الأسباب ، واقترح العلاج^(١) .

ومعلوماته في هذه الكتابات وثيقة أكيدة تدل على قراءة واسعة ومعرفة متشعبة ، وفكر واضح منظم ، ومنهج علمي سليم ، وساعده على ذلك أمور كثيرة ، منها :

١ - أنه كان يملك مكتبة كبيرة ضخمة تضم العديد من الكتب في مختلف أنواع العلم والمعرفة المتداولة في عصره ، والدليل واضح في الكثرة الكثيرة من المراجع التي أشار في مؤلفاته إلى أنه رجع إليها وأخذ عنها .

٢ - أنه ولى وظائف كثيرة مختلفة مكنته من التعرف على دولاب الحكومة وكيف يُدار ، وعلى مختلف النظم الإدارية والمالية ، وعلى أحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية ، فقد بدأ حياته الوظيفية موقفاً - أى كاتباً - بديوان الإنشاء بالقاهرة ، ثم كان مدرسا وقاضيا وناظرا للأوقاف ، ثم ولى الحسبة غير مرة ، ولم يكن للمحتسب - فيما نعلم - من عمل غير الإشراف على شؤون الشعب الاجتماعية والاقتصادية .

٣ - اشتغاله بعلمى الحديث والتاريخ ، وهما علمان يعتمدان أصلا على الجرح والتعديل ، والنقد والتحليل ، والتثبت من صحة كل قول أو رواية أو حقيقة علمية .

(١) انظر مقدمائنا لكتب المقرئ الصغيرى التى نشرناها من قبل ، وهى (إغاثة الأمة بكشف الغمة) و (نحل عبر النحل) و (الذهب المسبوك يذكر من حج من الخلفاء والملوك) .

- ٣ -

أما مؤلفات المقرئى الكبيرة فيمكن تصنيفها كذلك إلى أنواع :

- فمنها ما عنى فيه بتاريخ العالم : ككتاب «الخبر عن البشر» .

- ومنها ما عنى فيه بتاريخ الإسلامى العام :

ككتاب «متاع الأسباع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع» .

وكتاب «الدرر المضيئة في تاريخ الدولة الإسلامية» .

- وأكثرها ما عنى فيه بتاريخ مصر الإسلامية ، فقد وضع لنفسه خطة واضحة تهدف للتأريخ

لمصر في العصر الإسلامى من جميع نواحيها : العمرانية والسياسية والبشرية :

• • •

ففي تاريخها العمرانى وضع موسوعته الكبيرة «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» .
وقد قدّم المقرئى لكتابه هذا مقدمة ممتازة رائعة ، لم يشبهه أو يدانيه فيها مورخ آخر
من المؤرخين الإسلاميين المعاصرين أو السابقين ، فهي تدل على أصالة فى الرأى ، وتجديد
فى الزكرة ، وتحليل للفرض الذى يهدف إليه من تأليف الكتاب ، وشعور مبكر بالوطنية المصرية ،
وإحساس منه عميق بحبه لوطنه مصر .

فهو لم يؤلف كتابه هذا - كما كان يفعل المؤلفون الآخرون - ليقدم به خزانة ملك من
الملوك ، أو ليجعله قرين يتقرب بها إلى أمير من الأمراء أو ثرى من الأثرياء ، وإنما هو قد ألفه
ليشبع عاطفته الوطنية ، فهو يقول فى مقدمته :

«.... وكانت مصر هى مسقط رأسى ، وملعب أترابى ومجمع نامى ، ومغنى عشيرتى^١
وحامى ، وموطن خاصتى وعامتى ، وجوؤى الذى رُبّى جناحى فى وكرة ، وعش مأربى فلا تهوى
الأندلس غير ذكره ، ولا زلتُ مذ شلوث العلم ، وأتأتى ربى القطانة والفهم ، أرغب فى معرفة

أخبارها ، وأحب الإشراف على الاعتراف من آبارها ، وأهوى مساعلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدتُ بخطى فى الأعوام الكثيرة ، وجمعت فى ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب ، أو يحويها لغزتها وغرابتها إهاب ، إلا أنها ليست بمرتبة على مثال ، ولا مهذبة بطريقة ما نسيج على منوال ، فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية ، عن الأمم الماضية ، والقرون الخالية الخ .

هذا الشعور الوطنى القوى الممتاز كان شعورا مبكرا سبق به المقريزى عصره ، فنحن لانجد له شبيها حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى حين يبدأ الشيخ رفاعه رافع الطوطاوى بشيد بذكر الوطن والوطنية فى كتابه القيم «مناهج الألباب المصرية» ، وفى أناشيده الشعرية الكثيرة . وقد أَرْضَى مؤرخنا المقريزى شعوره الوطنى حين أَرَّخَ فى كتابه «المواعظ والاعتبار» للمدن المصرية الهامة ، وما كان يكتنفها من غطط . وحارات ودروب وأزقة وأسواق ، وما كان يتناثر فيها من دواوين ودور وقصور ، وما كان يزيناها من مساجد وكنائس وبيع ، وما كان يتخللها من مدارس ومكتبات ودور للحكمة والعلم .

وقد تعرَّض . وهو يؤرخ لهذا كله لبعض الشخصيات التى ساهمت فى عمران هذه المدن أو إقامة هذه المنشآت ، فترجم لها ترجمات مفصلة حيناً ، وموجزة فى معظم الأحيان .

• • •

ويبدو أن هذا التأريخ العمرانى لمصر لم يشبع عاطفة مؤرخنا ، فأراد أن يؤرخ لمصر تأريخا سياسيا كاملا منذ الفتح العربى إلى عصره الذى عاش فيه (القرن التاسع الهجرى = الخامس عشر الميلادى) .

وقد اتخذ المقريزى لنفسه منهجا علميا سليما حين أراد أن يكتب هذا التاريخ السياسى ، فقسَّم تاريخ مصر الإسلامية عصوراً ثلاثة ، وخصَّ كلَّ عصر منها بكتاب :

أما العصر الأول فكانت مصر فيه ولاية تابعة للخلافة ، وإن كانت قد بدأت المحاولات الأولى للانفصال والاستقلال في عهدى الطولونيين والإخشيديين ، وقد أُرُخ له المقرئى فى كتابه : «عقد جواهر الأسفاط . فى أخبار مدينة القسفاط »

وأما العصر الثانى فقد استقلت فيه عصر دولة شيعية ، وقامت فيه خلافة فاطمية تنافس الخلافتين السنييتين القائمتين حينذاك فى المشرق والأندلس (العباسية والأموية) ، وقد أُرُخ له المقرئى فى كتابه هذا الذى نقدم له :

«اتعاظ. الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء»

وأما العصر الثالث فقد قضى فيه على دولة الفاطميين وعلى نفوذ المذهب الشيعى معا ، وقامت فيه دولة بنى أيوب التى دانت بالولاء ثانية للخلافة العباسية ، ثم دولة المماليك التى احتضنت هذه الخلافة بعد استيلاء التتار على بغداد ، وقد أُرُخ المقرئى لهذا العصر فى موسوعته الكبيرة :

« السلوك لمعرفة دول الملوك »

أما الكتاب الأول فمفقود أو فى حكم المفقود ، فقد كان المعروف حتى قبيل الحرب العالمية الثانية أنه توجد منه نسخة وجيدة فريدة فى مكتبة الدولة ببرلين ضمن مجموعة خطية تحت رقم ٩٨٤٥ ، ولستأ نعرف ماذا كان أثر الحرب الممرة فى مكتبة الدولة وفيما كان بها من مخطوطات وأما الكتاب الثالث فيعمل على نشره نشرأ علميا دقيقا منذ ثيف وثلاثين عاما أستاذنا الجليل الدكتور محمد مصطفى زيادة ، وقد أخرج منه حتى الآن جزئين فى ستة مجلدات تنتهى بنهاية عصر الناصر محمد بن قلاوون وأولاده .

وأما الكتاب الثانى فهو هذا الذى نقله اليوم للقارئ العربى بعد تحقيقه تحقيقا علميا دقيقا ، ومقارنته بأصوله ، وشرح غريبه ومصطلحاته ، والتعليق عليه ، معتمدين على النسخة الكاملة الوحيدة الموجودة من الكتاب فى مكتبة سراى أحمد الثالث باستانبول .

وقد بقي أخيراً الصنف الثالث من مؤلفات المقرئى التاريخية الكبرى عن مصر الإسلامية ، وهو الخاص بالتاريخ البشرى ، وقد ألف المقرئى فى هذا النوع كتابين كبيرين أفردهما للترجمة لرجال مصر :

١ - الأول هو « كتاب المفتى الكبير فى تراجم أهل مصر والوافدين عليها » ، وهو كما يتضح من عنوانه مخصص للترجمة للبارزين من أبناء مصر ، أو ممن وفدوا عليها أو أقاموا بها خلال العصر الإسلامى ، وكان يقدر له أن يخرج فى ثمانين مجلداً ، ولكنه لم ينجز منه إلا منتهى عشر مجلداً ، وتولى قبل أن يتمه ، ومع هذا لم تصلنا كل الأجزاء التى أتمها ، وإنما وصلنا بعضها وضاع البعض الآخر .

٢ - والثانى هو « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ^(١) » ، وقد خصصه لتراجم الأعلام البارزين من معاصريه .

(١) لا يوجد من هذا الكتاب الهام فى العالم كله إلا نسخة وحيدة فى مكتبة خاصة هى مكتبة أسرة الجليل بمدينة الموصل ، وقد نشر الدكتور محمود الجليل أخيراً مقالين عن هذا الكتاب فى المجلد الثالث عشر من مجلة المجمع العلمى العراقى (ص ٢٠١ - ٢٤٦) الصادر فى سنة ١٩٦٥ ، قدم فى المقالة الأولى وصفاً للكتاب وتعليقاً به ، ونشر فى المقالة الثانية ترجمة حياة عبد الرحمن ابن خلدون كما كتبها تلميذه المقرئى فى كتابه هذا « درر العقود » ويتبين من المقالة الأولى المنسوبة « درر العقود الفريدة من تراجم الأعيان المفيدة للمقرئى » أن الكتاب يقع فى مجلدين ، يتكون الأول منهما من ٣٨٨ صفحة ، فى كل صفحة ٢٩ سطراً ، وفى كل سطر ١٤ كلمة ، ومقياس الصفحة ٢٧ × ١٩ سم . والمكتوب منها ١٨٥ × ١٢ سم ، ونسخ هذا المجلد على بن محمد بن عبد الله الفيومى فى ١٩ شعبان ٨٧٨ هـ (١٤٧٤/١/١١) أما المجلد الثانى فيقع فى ٥٨٤ صفحة ، فى كل صفحة ١٩ سطراً ، وفى كل سطر ١٣ كلمة ومقياس الصفحة ٢٧ × ١٩ سم والمكتوب منها ٢٠ × ١٢ سم ، ونسخ هذا المجلد أحمد بن محمد التلوانى الأزهري فى ١٧ شوال ٨٧٨ هـ (١٤٧٤/٣/٧) ، فالكتاب بجزئيه قد نسخ بعد وفاة المؤلف بثلاث وثلاثين سنة ، وعن نسخة بخط المؤلف كما ذكر فى إحدى حواشى المخطوطة والكتاب بجزئيه يشتمل على ٥٥٦ ترجمة ، مائتان وست تراجم فى المجلد الأول وثلاثمائة وخمسون ترجمة فى الجزء الثانى .

ولقد نشر الدكتور الجليل فى مقاله هذه نص المقدمة التى قدم بها المقرئى لكتابه ولبتنا بأسماء بعض الشخصيات الهامة التى ترجم لها المقرئى فى كتابه هذا ، وعدد صفحات كل ترجمة . =

ولهذه الكتب الكبيرة^(١) جميعا أهمية خاصة ، لأن المقرئ انفراد فيها بإيراد كثير من الوثائق والحقائق التاريخية التي لا نجد لها ذكرا عند غيره من المؤرخين ، ولأنه نقل فيها كذلك عن كتب كثيرة أخرى فقدت ولم تصل إلينا نسخ منها ، أو عن كتب أخرى ما زالت مخطوطة ، وهو إلى هذا كله مؤرخ ثقة ثبت يمتاز بالدقة فيما يروى ، والعناية بما يكتب .

- ٤ -

وعنوان الكتاب الذى نقدم له اليوم فيه خلاص :

- فهو عند جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن ثغرئى بردى^(٢) : «اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا» .

- وهو عند السخاوى^(٣) ، وعند السيوطى^(٤) : «اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» .

== وفى المقالة الثانية نشر الدكتور الجليل ترجمة ابن خلدون بقلم تلميذه المقرئ ، وهى أول صفحات تنشر من هذا الكتاب القيم ، وأنا لتتقدم بالرجاء إلى الصديق العزيز الدكتور محمود الجليل أن يعمل على نشر الكتاب مكملا خدمة للطلاب والدارسين والمشتغلين بعلم التاريخ وقد ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفات المقرئ : (السخاوى فى الضوء اللامع والتبر المسبوك)

و (حاجى خليفة فى كشف الظنون) و (بروكلمان فى تاريخ الآداب العربية) .

(١) للمقرئ كتابان كبيران آخران لا يقلان أهمية عن هذه الكتب التى ذكرناها ، غير أنهما مفقودان للأسف الشديد ، وقد احصاهما السخاوى ضمن مؤلفات المقرئ فى ترجمته له فى كتابه : الضوء اللامع والتبر المسبوك أما الأول فهو كتاب «مجمع الفرائد ومنبع الفوائد» ، وقد وصفه السخاوى بقوله : «يشتمل على علمى العقل والنقل ، المحتوى على فننى الجد والهزل ، بلغت مجلداته نحو المائة ، وما شاهده وسمعه معا لم ينقل فى كتاب» والثانى هو كتاب «شسارع النجاة» ، ووصفه السخاوى بقوله : «يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها مع بيان أدلتها وتوجيه الحق منها»

(٢) فى ترجمته لاستاذ المقرئ فى : (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) وقد نقل هذه الترجمة على مبارك فى خطه ، ج ٩ ، ص ٧٠

(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ٢٢

(٤) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

- وهو عند حاجي خليفة^(١) : « اتعاض. الحنفا بأخبار الفاطميين الخاقما » ، ثم فسّر اللفظ. الأخير من العنوان بقوله : « الخُلُفا - بالتحاقف - من خُلُق الألفك » .

أما العنوان عند المقرئى نفسه فهو تارة « اتعاض. الحنفا بأخبار الخلفا »^(٢) ، وهو تارة ثانية « اتعاض. الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا »^(٣) ، وهو تارة ثالثة « اتعاض. الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا »^(٤) ، ويبدو أن المقرئى سمى كتابه حين بدأ تأليفه « اتعاض. الحنفا بأخبار الخلفا » ، ثم عاد وأضاف لفظ : « الأئمة » قبل لفظ. « الخلفا » تأكيداً للمعنى الذى كان يهدف الفاطميون إلى إيضاحه من أنهم أئمة وورثة للامامة عن جدهم الأعلى الإمام على بن أبى طالب ، ثم عاد مرة أخرى فأضاف كلمة « الفاطميين » قبل كلمة « الخلفا » لإيضاحاً وتخصيصاً ، ولهذا أثّرنا اختيار هذا العنوان الأخير لطبعه على خلاف الكتاب لأنه أوضح العناوين جميعاً وأدلها على محتويات الكتاب ، ولأنه هو الذى نصّ عليه المؤلف فى مقدمة وخاتمة النسخة الكاملة من الكتاب التى نقلناها اليوم للقراء .

أما العنوان الذى ذكره حاجي خليفة فواضح فيه التحريف ، وهذا التحريف صدى للكره الشديد الذى أشاعته الدول السنية اللاحقة للمصر الفاطمى ، ومن الغريب أن هذا الكره ظال يتداول فى النفوس حتى العصر العثمانى ، وهو المصر الذى عاش فيه حاجي خليفة .

(١) كشف الظنون

(٢) هكذا سماه فى مقدمة كتابه : (المملوك)

(٣) هكذا سماه فى مقدمة نسخة « جوتا » من كتاب الاتعاض ، وفى صفحة العنوان من نسخة

استانبول الكاملة

(٤) هكذا سماه فى مقدمة وخاتمة نسخة سراى أحمد الثالث الكاملة



وكان المعروف حتى الأربعينات من هذا القرن أنه لا توجد من هذا الكتاب فى مكتبات العالم إلا نسخة وحيدة ناقصة فى مكتبة جوتا بألمانيا تحت رقم ١٦٥٢ ، وعن هذه النسخة نشر المستشرق «هوجو بونز Hago Buz» الكتاب فى سنة ١٩٠٩ ، فطبع النص العربى فى «مطبعة دار الأيتام السورية فى القلص الشريف» ، وقدم له بمقدمة ألمانية طبعها فى «ليبزج Leipzig» وفى هذه المقدمة وصف للمخطوطة ملخصه :

أنها تتكون من ٥٠ ورقة - أى مائة صفحة - ، وطول كل صفحة ٢٤ر٥ سم ، وعرضها ١٦ سم ، وعدد سطور الصفحة الواحدة ٢٧ سطرا ، ويتخلل النسخة ثمانى ورقات أخرى أقل حجما من سابقتها ، وقد وضعت فى غير مواضعها الصحيحة ، وهى الصفحات : ١٢٨ر٤ ، ١٣ و ١٣٢ و ١٣٤ و ٥٠ .

والصفحة الأولى من المخطوطة ، وهى التى تحمل عنوان الكتاب أصابها تلف كبير ، ومع هذا فقد ملأ المؤلف كل فراغها بهوامش كثيرة دقيقة الخط . فهى تحتوى - عدا عنوان الكتاب واسم المؤلف - على نصوص كثيرة لأصلها لها بموضوع الكتاب ، منها نص يتضمن أسماء حكام بغداد البويهيين ومدد حكمهم ، ونص آخر عنوانه : «فصل فى قوانين دولة الترك السلاجقة» ، وفى أعلى الصفحة هامش ثالث يشتمل على قائمة ببعض ولادة الاسكندرية ، وتحت عنوان الكتاب سطران يفيضان ملكية من يدعى «محمد المظفرى» لهذه النسخة ، ونصهما :

«ملكه محمد المظفرى وطالعه أجمع

عفا الله عنه آمين»

وعناوين الفصول مكتوبة بالحبر الأحمر ، وكذلك وضعت على بدايات بعض الفقرات وعلى بعض أسماء الأعلام علامات حمراء ، أما النص كله فقد كتب بالحبر الأسود ، وهو خال من النقط . فى معظمه .

وبعض صفحات الكتاب تحمل هوامش وتعليقات ، غير أن الكتاب عند جميع ورقاته قصت أطرافه ، فأضاع هذا القص أجزاء من هذه الهوامش حتى غدت عسيرة القراءة ، وهناك ثلاث صفحات قد أصابها التلف والمحو الشليدان حتى أصبح من العسير قراءة محتوياتها ، وهي الصفحات (١١ ، ١٧ ، ٥٣ ب) .

وقد برهن « بونز » في مقدمته على أن هذه النسخة كانت نسخة المؤلف الخاصة ، وقد كتبت بخط يده ، وذلك بعد المقارنة بين خط هذه النسخة وخطوط المقرئ في كتب أخرى مختلفة (١) .

وفي سنة ١٩٤٥ فكرتُ في إعادة نشر هذا الكتاب لأسباب كثيرة ، منها أن طبعة بونز كانت قد نفذت تماماً من السوق ، وأنها قد أصبحت ناقصة لا يحسن الاعتماد عليها - إذا قورنت بالطبعات الحديثة للمخطوطات العربية - وأن بونز لم يفعل - حين نشر الكتاب - أكثر من أن نسخ النص وقدمه للطبعة ، دون أن يرجع إلى الأصول التي أخذ عنها المؤلف للمقارنة ، ولضبط نص المقرئ وتحقيقه ، يضاف إلى هذا كله أن الناشر لم يحسن قراءة النص في كثير من مواضعه (٢) ، كما أن نشرته خرجت مليئة بالأخطاء المطبعية التي أثبت بعضها في نهاية الكتاب ، وترك البعض الآخر دون إشارة .

وأردت بنشرتي الجديدة للكتاب أن أتلاف كل هذه الأخطاء وكل هذا النقص ، فاتخذت نسخة جوتا أصلاً ، ثم رجعت إلى كل الأصول التي أخذ عنها المقرئ ، واتخذت منها نسخة أخرى ، وقارنت بين نصه ونصوص هذه الأصول مقارنة بطيئة دقيقة ، وأثبت في الهوامش

(١) انظر مقدمة بونز الالمانية ، ص ٤٥ ، واللوحة الملحقه بنشرته .

(٢) انظر تصحيحائنا لهذه الأخطاء في طبعتنا لهذا الكتاب التي ظهرت في سنة ١٩٤٨ (ص ١٠٦ ، هوامش ٦٥٤ ، ص ١٠٧ ، هوامش ٤٣٠ ، ص ١٢٨ ، هوامش ٤٠٣ ، ص ٣٠ ، هامش ٢ ، ص ١٥٠ ، هامش ٣٢ ، ص ١٥٦ ، هامش ٢٠٠ ، الخ) وفي ص ١٠٦ أبيات شعرية أخطأ بونز فائتها في سطور متصلة كأنها نثر لا شعر ..

نتائج هذه المقارنة ، وبعض المراجع التي أخذ عنها المقرئى موجودة كتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، والفهرست لابن النديم ، والكامل لابن الأثير ، والعبر وديوان البتدا والخير ومقدمته لابن خلدون ، والمواظع . والاعتبار للمقرئى نفسه ؛ والبعض الآخر مفقود ، كسيرة المعز لدين الله للحسن بن زولاى ، والظمن على أنساب الخلفاء الفاطميين لأخى محسن ، وتاريخ إفريقية والمغرب لمعد العزيز بن شداد ، والخطط . لابن عبد الظاهر ... الخ .

وقد كان المقرئى يصرح أحيانا بأخذه عن هذه المراجع ، وينقل عنها - دون الإشارة إليها - فى معظم الأحيان ، ولكننى تتبعته فى المراجع الموجودة ، وأثبت نقوله عنها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، ثم تتبعته مرة أخرى فى المراجع المفقودة بطريق غير مباشر ، فإن الكثير من نصوص هذه المراجع قد نقلها المؤرخون اللاحقون فى كتبهم ، فكنت أقارن بين ما جاء فى اتعاظ . الحنفيا من هذه النصوص وبين ما جاء منها فى كتب هؤلاء المؤرخين المتأخرين كلما عثرت على شيء منها .

وقد لاحظت كذلك أن المقرئى - فى الجزء الذى تضمنته الطبعة الأولى التى ظهرت فى سنة ١٩٤٨ - قد اعتمد اعتمادا كبيرا على كتاب الكامل لابن الأثير ، مما يرجع أنه كان ينقل عنه مع تصرف يسير ، أو أن المؤرخين كانوا ينقلان عن أصل واحد لا نعرفه .

- ٦ -

ظهرت طبعة الأولى لهذا الكتاب - المعتمدة على مخطوطة جوتا الناقصة التى تنتهى بالحديث عن دخول المعز لدين الله إلى مصر - فى سنة ١٩٤٨ ، وسرعان ما وصلنى من المشرق كلود كاهن Claude Cahen أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ستراسبورج خطاب ينبئنى بوجود نسخة كاملة وحيدة من هذا الكتاب فى مكتبة سراى أحمد الثالث بإستانبول ، وكان رجال الجامعة العربية - لحسن الحظ - يعملون فى ذلك الوقت لتصوير المخطوطات العربية الهامة الموجودة فى مكتبات

استأنهول ، فأرسلت أرجزهم الصانية بتصوير هذه المخطوطة النادرة ، فتنفصلوا - مشكورين - بتحقيق الرجاء ، وبعد وصول الفيلم صورت لنفسى نسخة كبيرة من هذه المخطوطة وعكفت منذ ذلك الوقت على قراءتها ودراستها ، فتبين لى أنها تضم بين دفتيها ثروة علمية قيمة نادرة ، لأنها النسخة الوحيدة الكاملة من هذا الكتاب فى العالم كله ، ولأنها تشتمل على التاريخ الحقيق لمصر والشرق الأدنى فى العصر الفاطمى .

ولا يمكن المقارنة - بأية حال من الأحوال - بين النشرتين السابقتين - نشرة بونز ونشرو لهدا الكتاب - وبين نسخته الكاملة المخطوطة لأنكما ولا كيفا ، فإن مخطوطة جوتا التى اعتمدت عليها النشرتان تنتهى بدخول الخليفة الفاطمى الرابع المزم للدين الله مصر ، أى أنها تحوى على الجزء الذى يروخ نشأة الدولة الفاطمية وقيامها فى المغرب فقط ، أما الجزء الكبير والهام الذى يورخ للدولة الفاطمية مدى قرنتين من الزمان منذ انتقالها إلى مصر حتى زوالها فلا وجود له فى هذا الجزء الصغير المشهور .

ومقارنة هذا الجزء بالمخطوطة الكاملة تبين لى أنه يشغل مايقابل ٣١ ورقة منها (أى ٦٢ صفحة) - فى حين أن المخطوطة الكاملة تشتمل على ١٧٢ ورقة (٣٤٤ صفحة) أى أن ما نشر من الكتاب يساوى نحو السلس فقط من النص الكامل

ويضاف إلى هذا أن النص الكامل - الذى لم ينشر يتضمن تاريخا مفصلا والميا وممنعا لخلفاء الفاطميين فى مصر ، ولوزرائهم وقضاةهم وفواد جيشهم ورجال دولتهم ، وبالكتاب كذلك معلومات قيمة نادرة عن الحياة العلمية والأدبية ، وعن نظم الحكم وعلاقات مصر الخارجية فى العصر الفاطمى ، كما أن به تفصيلات وافية عن الحركات الصليبية الأولى وموقف الفاطميين منها . ويكنى للدلالة على قيمة هذه المخطوطة الكاملة وأهميتها أن أذكر أنها أولى ما وصلنا عن تاريخ الدولة الفاطمية ، وتؤيدنى فى رأى هذا مقارنة بسيطة بين نص ابن قفرى بردى فى النجوم

الزاهرة - وهو أوسع نص مطبوع عن تاريخ الدولة الفاطمية - وبين نص المقرئى فى هذه المخطوطة الكاملة :

- فترجمة الخليفة الحاكم بأمر الله - على سبيل المثال - تقع عند ابن تغرى بردى فى ٢٠ صفحة (والصفحة بها ١٦ سطرا فى المتوسط. والسطر به ١٣ كلمة) ، فى حين أن هذه الترجمة تقع فى ٤٦ صفحة من صفحات المخطوطة الكاملة من اتعاظ. الحنفا (والصفحة بها ٣٠ سطرا ، والسطر به ٢١ كلمة) ، أى أن هذه الترجمة تقع فى ما يقابل ١٤٠ صفحة من صفحات كتاب النجوم الزاهرة .

- وكذلك ترجمة ابن تغرى بردى للخليفة المستنصر تقع فى ١٦ صفحة من نفس الحجم ، فى حين أن المقرئى قد ترجم له فى المخطوطة الكاملة للاتعاظ. فى ٥٦ صفحة من نفس الحجم المذكور سابقا ، أى أن هذه الترجمة تقع فى ما يقابل ١٧٥ صفحة من صفحات النجوم الزاهرة .

وزيد فى أهمية هذه المخطوطة الكاملة أن المقرئى قد استوعب فيها خلاصة ما أورده جمهرة المؤرخين اللين أروخوا للدولة الفاطمية فى كتبهم ، بمن عاصروا الدولة ومن أتوا بعدها ، ومعظم هذه الكتب ضاع مع الزمن ولم يصلنا منه شئ للأبواب الشديد ، اللهم إلا هذه الفقرات والانتباسات التى أثبتتها المقرئى فى مؤلفه هذا وفى مؤلفاته الأخرى ، وخاصة كتاب الخطط. ، ويكنى أن نشير هنا إلى عدد من هؤلاء المؤرخين ومؤلفاتهم المفقودة التى نقل عنها المقرئى فى هذا الجزء الأول الذى تقدم له ، وسنشير فى مقومات الأجزاء التالية إلى عدد آخر منهم :

- الحسن بن زولاق = إتمام أخبار أمراء مصر للكتنبى

= سيرة المعز للين الله .

- ابن شداد (الأمير أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس)

= تاريخ إفريقية والمغرب .

- ابن الطوير = تاريخه

- ابن عبد الظاهر = الروضة البهية الزاهرة في خطط المزية القاهرة .
- أخو محسن = الطمن على أنساب الخلفاء الفاطميين .
- ابن حزم = الجماهير في أنساب المشاهير .
- ابن مهذب (ابن العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين) .
- = سيرة الأئمة .

- عبد الجبار بن عبد الجبار البصري

= تثبيت نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم .

الصابي (أبو الحسن هلال بن الحسين بن إبراهيم ، وابنه غرس الدولة)

= كتابها في التاريخ

- عبد الله بن رزام = الرد على الإسماعيلية . الخ ... الخ .

وقد رجع المقرئ في مؤلفه هذا - إلى جانب المراجع المفقودة ساقطة الذكر - إلى عدد كبير من المؤلفات التاريخية وغير التاريخية التي لا تزال موجودة ، ومنها على سبيل المثال كتاب العبر ومقدمته لابن خلدون ، وكتاب المغرب في حلل المغرب لابن سعيد ، وكتاب الفهرست لابن النديم وكتاب الكامل لابن الأثير ... الخ .

ولكننا نحسب أن نلفت الأنظار إلى أن المقرئ لم يكن - ككثيرين من المؤرخين غيره - ناقلاً وحسب ، بل كان مؤرخاً ممتازاً ، يحسن اختيار نصوصه والتنسيق بينها وعرضها ، كما كان يخضع النصوص للمقارنة والتحليل والنقد ، سيما وراء الحقيقة ، ويقدم بين يدي هذا كله المنهج السليم الذي يجب على المؤرخ اتباعه للفرقة بين الخطأ والصواب في أقوال سابقيه ممن يأخذ عنهم ، وعنده أن مؤرخي كل بلد أعرف من غيرهم بتاريخ بلدهم ، فرائهم أولى بالتصديق إذا اختلفت الآراء ، ومن الأمثلة الواضحة على هذا ما أورده في الفصل الخاص بالمؤرخين الذين آمنوا بالله ، فقد نقل عن ابن الأثير نصاً يقول بأن المؤرخ اختفى مدة - قيل وفاته مئة - في سرداب أنشله ،

وأنه استخلف ابنه نزارا (العزیز) قبل اختفائه ، ثم ألحقه برأى آخر فى نفس الموضوع نقله عن كتاب «سيرة المز» للمؤرخ المصرى الحسن بن زولاق ، وخلصه أن المز إنما عهد لابنه العزیز قبل موته بيومين اثنين ، وعقب المقریزى على الرأیین بقوله :

«وإن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير ، خصوصا المز ، فإنه كان حاضرا ذلك ومشاهدا له ، ومن يخل إليه ويسلم مع الفقهاء عليه ، ويروى فى هذه السيرة (سيرة المز) أشياء بالمشاهدة ، وأشياء مدته بها ثقات الدولة وأكابرها ، إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخى العراق والشام فيما نقلوه ، وغير خاف على من تبحر فى علم الأخبار كثرة تحاملهم على الخلفاء الفاطميين وشنيع قولهم فيهم ، ومع ذلك فمعرفة بأحوال مصر قاصرة عن الرتبة العالية ، فكثيرا ما رأيتهم يحكون فى تواريخهم من أخبار مصر مالا يرتضيه جهالة العلماء ، ويرده الحذاق المألون بأخبار مصر ، وأهل كل قطر أعرف بأخباره ، ومؤرخو مصر أدري بما جرياته»^(١) .

- ٧ -

والمخطوطة الكاملة الموجودة فى مكتبة سراى أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ٣٠١٣ هى النسخة الوحيدة من هذا الكتاب فى العالم ، وتقع فى ١٧٢ ورقة (٣٤٤ صفحة) من القلم الكبيرة ، قياسها ٢٧×١٨ سم ، وفى كل صفحة ٣٠ سطرا ، وفى كل سطر ٢١ كلمة فى المتوسط . وقد كتبت بقلم تعلين ، ونقلت عن نسخة المؤلف الخاصة المكتوبة بخطه ، كما نص على ذلك فى أكثر من موضع بالمخطوطة ، وفى نهاية الكتاب ، وقد تم نسخها فى سنة ٨٨٨هـ . (أى بعد وفاة المؤلف بتسعة وثلاثين سنة فقط .) على يد محمد بن أحمد الجيزى الأزهري .

(١) انظر مايل فى هذا الجزء ، ص ٢٣٢

فقد جاء في حرد الكتاب بصفحة الأخيرة :

« هذا آخر ما وجد بخط مؤلفه عفا الله عنه .

آخر كتاب اتعاض. الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقيزي

من كتابة فقير رحمة ربه محمد بن أحمد

الجزيزي الأزهرى الشافعى لطف الله تعالى [به]

وغفر ذنوبه وستر عيوبه والمسلمين أجمعين

في سنة أربع وثمانين وثمانمائة

أما الصفحة الأولى فقد أثبت عليها العنوان على ثلاثة سطور في أعلى الصفحة ، وتحته إلى اليسار خاتم مستدير يحمل نصا مكتوبا بالخط. النسخي على أربعة سطور ، وفي السطر الخامس طغراء غير مقروءة ، ويتوسط أسفل الصفحة بيتان من الشعر من إغارة الكتب ، وتحتهما طغراء أخرى غير مقروءة ، وفي الركن الأيسر من الصفحة في أسفلها تملك لمن يسمى يوسف بن عبد . الشهير بابن الطحان ، ويمكن رسم ما ورد على صفحة العنوان على الوجه الآتي :

كتاب
انعاظ الخفا بأخبار الخلفاء
للعلامة تقي الدين المقرئ
رحمه الله تعالى



٣- يا مستعير الكتب دعني فان إعارتي للكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كئابي فهل أبصرت محبوباً يعار

ملا
موسى بن عبد الوادى الشهير
بإبن الطحان خطا الله عنهما

- ١- طراز غير مرقوم ٥ ج ١
- ٢- طراز آخر غير مرقوم ٥٠ ج ١
- ٣- أيام من غير غير الكتب ٥ ج ٣

وهذه المخطوطة منقولة - كما أسلفنا - عن نسخة المؤلف الأصاية التي كتبها أثناء تأليفه الكتاب قبل أن يتمه ويبيّضه في صورته النهائية ، بدليل :

- الإلحاقات الكثيرة المثبتة على هوامش الكتاب والمتضمنة لمعلومات جديدة عثر عليها المؤلف بعد كتابة الصورة الأولى من الكتاب ، فإفراد أن يثبتها في الهامش ليضيفها إلى المتن عند تببيض مؤلفه ، وقد حرص ناسخ هذه المخطوطة على أن يثبت أن هذه الهوامش للمؤلف نفسه ، فقدم لكل هامش دائما بقوله : « بخطه (١) » .

- كان المؤلف يثبت الإضافة الجديدة إذا كان النص طويلا في ورقة صغيرة منفصلة أو « طيارة » - كما كانت تسمى - ويلصقها بالصفحة التي يريد الحاق الإضافة بها ، وكان ناسخ المخطوطة ينقل هذه الطيارات في أمانة ويقدم لها بقوله : « في ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطه - أي بخط المؤلف - ما قاله (٢) »

- وردت في بعض هوامش المخطوطة إشارات كثيرة نقلها الناسخ كما هي ، تقول : « بياض قدر صفحة » أو « بياض قدر نصف صفحة » أو « بياض نحو نصف صفحة (٣) » . الخ مما يدل على أن المؤلف كان يزعم أن يضيف في هذا المكان معلومات جديدة - لاستيفاء الموضوع - تملأ هذا القدر من البياض .

(١) انظر مثلا : ص ٢٠٦ ، هامش ١

(٢) انظر مثلا : ص ٢٠٣ ، هامش ١ ، حيث ورد على ورقة منفصلة من هذا النوع نص نادر بالغ الأهمية عن « محاريق القرامطة » والقبّة التي كانوا يستعملونها في حروبهم ، وهو نص لم أجد له شبيها في أي مرجع آخر من المراجع التي ارجحت للقرامطة ، وفيه شرح طريف لأسلوب من أساليبهم في الحرب والقتل .

(٣) انظر مثلا مايلي هنا في هذا الجزء ، ص ١٢٧ ، هامش ١ وص ٢٠٧ ، هامش ١

- ٨ -

وقد اتخذنا نسخة استانبول أصلا للنشر - لأنها النسخة الكاملة الوحيدة في العالم - وقارنا - عند النشر - بينها وبين نسخة جوتا الناقصة التي سبق نشرها ، وأثبتنا الفروق بين النسختين في الهوامش ، وإذا كانت مخطوطة جوتا هي نسخة المؤلف المنقول عنها فقد أفادت كثيرا في تصويب النص الذي نشره اليوم ، وساعدت مساعدة واضحة على قراءة كثير من الكلمات المحوكة أو التي تكرر على قراءتها^(١) في نسخة استانبول .

ورغبة منا في ضبط النص وإخراجه لإخراجا علميا لم نقتنع بالمقارنة بين المخطوطتين ، وإنما راجعنا النص كذلك على المصادر التي نقل عنها المقرئ - إن وجدت - ، أو المصادر اللاحقة له التي نقلت عنه . وقد تبين لي أن المؤلف ينقل في هذا الجزء كثيرا عن : الكامل لابن الأثير ، وذييل تاريخ دمشق لابن القلاسي ، وأخبار مصر لابن ميسر ، وإن كان قد نزع أحيانا على النقل عن هذه المراجع ، ونقل دون النص أحيانا أخرى .

ويعينني أن أشير هنا إلى أهمية كتاب « تاريخ مصر لابن ميسر » ، لأنني اعتبرته عند تحقيق هذا الجزء - وسأعتبره عند تحقيق بقية الأجزاء - نسخة ثالثة للكتاب .

وابن ميسر هو أبو عبد الله تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن شاهنشاه - وقيل ابن جلب راغب - مؤرخ مصرى عاش في القرن السابع الهجري (١١٣م) ، وصنف كتاب « قضاة مصر » ، وله تاريخ كبير ذيل به على تاريخ المؤرخ الفاطمي المسبحي ، وقد بقي من هذا الأخير جزء نشره المستشرق الفرنسي ماسيه تحت عنوان « الجزء الثاني من أخبار مصر » ضمن مطبوعات المعهد الفرنسي بالقاهرة ، سنة ١٩١٩

(١) انظر مثلا : ص ١/٤ و ١/٥٩٢ ، ١/٦٠ ، ٤/١٢٤ ، ١/٢٥ ، ٢/١٧٩ ، ٤/١٨٢ ، ٧/١٨٥٢ ، ١/١٨٧ - الخ

(Ibn Muyassar : Annales d'Egypte — Les Khalifes Fatimides — édité par M. Henri Massé. Le Caire, 1919. Publications de l'Institut Français d'Archéologie Orientale).

والمخطوطة التي اعتمد عليها ماسيه عند نشر الكتاب كانت موجودة في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٦٨٨ ، وتشتمل على الجزء الثاني من الكتاب فقط . وبها حوادث السنوات ٤٣٩-٥٥٣ ، وبها خروم كثيرة ، وجاء في ختامها :

« آخر المنتقى من تاريخ مصر لابن ميسر ، وتم على يد أحمد بن علي المقرئ في مساء يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربعة عشر (كلنا) وثمانمائة » .

وقد تبين لي بمقارنة هذا الجزء بمخطوطة اتعاض الحنفا الكاملة هذه والتي ننشرها اليوم لأول مرة ، أن المقرئ اعتمد اعتمادا كبيرا على ابن ميسر^(١) عند التأريخ للفاطميين ، لهذا أستطيع أن أقول إن المخطوطة التي كتبها المقرئ بخطه كانت تحت يده عند تأليف كتابه اتعاض الحنفا ، ولهذا قلت إنني اعتبرتها نسخة ثالثة عند إعداد الكتاب للنشر ، وقد أفادني

- (١) وقد توفي ابن ميسر يوم السبت ثامن عشر المحرم سنة ٦٧٧ هـ ، (انظر ترجمته في :
 — تاريخ ابن الفرات ، نشر قسطنطين زريق ، ج٧ ، ص ١٢٧ ، بيروت ١٩٤٢ .
 — المقرئ : المقلبي ، مخطوطة لينن ، ج٢ .
 — ابن تفرج : بردى : المنهل الصافي ، مخطوطة المكتبة الأهلية ، رقم ٢٠٧٢ . ص ١٦٥ .

١٧٦

— جبال الدين الشيبان : مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١١ .

— سركيس : معجم المطبوعات العربية

— حاجي خليفة : كشف الظنون .

— الصفدي : الوافي بالوفيات ، نشر ديتريش ، ج١ ، ص ٤٩ .

- Emile Amar : Traduction de Khalil Ibn Aibek as Safadi, Prolegomènes à l'Étude des Historiens Arabes. J. A. Mars—Avril, 1912. p. 281.
 — G. Wiet : éd. des Khitât de Maqrizi. t. II. p. 184.
 — Cl. Cahen : Quelques Chroniques des Derniers Fatimides in B.I.F.A.O. 1937. p. 5.
 هذا وقد توفي ابن ميسر يوم السبت الثامن عشر من المحرم سنة ٦٧٧ هـ .

تاريخ ابن ميسر كثيراً في ضبط النص وتصويبه في الصفحات الأخيرة من هذا الجزء المشتبهة على عصرى المعز والعزير .

وهذا الجزء الأول الذى نقله اليدم يقع في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ينتهى نص نسخة جونا - السابق نشره - في الصفحة ٢٠٠ ، أما الصفحات المائة الأخيرة فجديدة كل الجدة وتذكر لأول مرة عن نسخة استانبول ، وتشتمل على : خطاب المعز إلى الحسن الأدهم زعيم القرامطة ، وردده عليه ، وبقية أخبار القرامطة والصراع الحرق بينهم وبين جيووش الناطقين على حدود مصر وفي جنوب الشام ، وبقية أخبار المعز لدين الله في مصر خلال السنوات ٢٦٣ - ٣٦٥ ، ثم أخبار الخليفة الفاطمى الثانى في مصر العزيز بالله ، وأخبار الشام في عهده ، وخاصة نهضته ضد القرامطة وثورة القائل التركى أفتكين .

- ٩ -

وفي مجال ضبط النص عينا عناية كبرى بشخريج الآيات القرآنية وضبطها بالشكل ، وكذلك فعلنا بالآيات الشعرية^(١) فقد قابلناها على دواوين الشعراء المستشهد بشعرهم - إن وجدت - وضبطناها بالشكل كذلك .

وقد ترجمنا في الهوامش للشخصيات التاريخية الهامة المذكورة في النص ، كما شرحنا الألفاظ الغريبة ، وعرفنا بالأماكن والمواقع الجغرافية والجماعات والفرق المذهبية .

والنظام المنهجنا في النشر والتحقيق قدمنا في الهوامش شرحا وافيا لكل الألفاظ والمصطلحات الادارية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية بوجه عام مع ذكر المصادر التى رجعنا إليها ليستزيد القارئ معرفة إن أراد ، ومنها على سبيل المثال : : الشعرة^(٢) ، والنار نجيات^(٣) ، والسكة^(٤) ،

(١) انظر مثلا ص : ٣٢، ٣٣، ٧٣ و ٨٧ و ٢٣٥ الخ .

(٢) ص ١/٣٩ (٣) ص ٢/٣٩

(٤) ص ١/٦٤

والاهراء^(١) ، والمصنعة^(٢) ، والمظلة^(٣) ، والمثقل^(٤) ، واللبجاج^(٥) ، والفنك^(٦) ، وصاحب
الستر^(٧) والمناخ^(٨) ، والشرطة^(٩) ، ودار الضرب^(١٠) ، والبراطيل^(١١) ، والدينار
الأبيض^(١٢) ، والفيار^(١٣) ، والطيلسان^(١٤) ، والجواشن^(١٥) ، والشمسة^(١٦) ، والمودع^(١٧) ،
والرسناق ، والمراعاة^(١٨) ، والبرنس^(١٩) ، الخ . . . الخ .

وقد أوليت المصطلحات الحربية ما تستحقه من عناية فشرحتها شرحا وافيا ، لما لها من
أهمية قصوى لمن يريد التأريخ لنظم الدولة الفاطمية الحربية والبحرية ، ومن بينها في هذا الجزء
على سبيل المثال : الطير^(٢٠) ، ودار الصناعة^(٢١) ، والشينى^(٢٢) ، والدبابة^(٢٣) ، والمنجنيق^(٢٤)
واللت^(٢٥) ، والأحداث^(٢٦) ، والكراع^(٢٧) . . . الخ .

(٢) ص ٢/٧١	(١١) ص ١/٧١
(٤) ص ١/٩٥	(١٣) ص ٢/٨٢
(٦) ص ٣/٩٥	(١٥) ص ٢/٩٥
(٨) ص ١/١٠٦	(١٧) ص ٣/٩٧
(١٠) ص ٢/١١٥	(١٩) ص ١/١١٠
(١٢) ص ٤/١٢٢	(٢١) ص ٣/١١٧
(١٤) ص ٢/١٣٢	(٢٣) ص ١/١٣٢
(١٦) ص ١/٢١٤	(٢٥) ص ١/٢٣٨
(١٨) ص ٤/١٧٢	(٢٧) ص ١/١٤٨
(٢٠) ص ٥/١٢	(٢٩) ص ٥/١٧٢
(٢٢) ص ٢/٧٠	(٣١) ص ١/٧٠
(٢٤) ص ١/٨٢	(٣٣) ص ٣/٨١
(٢٦) ص ١/٢٢٠ و ٣/٢٣٩	(٣٥) ص ١/٢١٩
	(٣٧) ص ١/٢٣٩

- ١٠ -

وكتاب « انماظ الحنفا » يؤرخ للدولة الفاطمية كلها ، فيبدأ بذكر ثبت كامل واف لأولاد علي بن أبي طالب من نسل الحسن والحسين ، وتتبع الأسماء في هذا الفصل أمر شاق عمير ، ولهذا فرغت هذه الأسماء في جدولين أحققتهما بآخر هذا الجزء ، أحدهما يتضمن أولاد علي من نسل الحسن ، والآخر يتضمن أولاده من نسل الحسين ، وأضفت إليهما جدولين آخرين أثبت في أحدهما أولاد علي من زوجاته المختلفات ، مع بيان من أعقب منهم ومن لم يعقب ، وأثبت في الثاني أسماء بنات علي ، وهذه الجداول الأربعة تمتاز بجدتها فهي غير موجودة في أى مرجع آخر .

وعرض المقرئ بعد هذا لمشكلة النسب الفاطمي ، ولهذا الفصل أهميته لأن المقرئ من المؤرخين السنيين القلائل الذين أيدوا النسب الفاطمي ، وإن كان بعض المؤرخين الآخرين يتهمون المقرئ في تأييده للنسب قائلين بأنه فعل هذا لانتمايه إليهم^(١) ، كما اتهم هذا البعض ابن خلدون^(٢) في نفس الموضوع ، فقالوا إنه لم يؤيد النسب الفاطمي تحجيدا للفاطيين ودفاعا عنهم ، وإنما تجريحا لهم وحطاً بغيرهم .

وطريقة المقرئ في الحديث عن هذا الموضوع طريقة علمية صحيحة ، فقد نقل أقوال الطاعنين في النسب ، كأخى محسن وابن النديم ، وأثبت أنهما ينقلان عن ابن رزام^(٣) ، وأنه أول من أشاع قصة انتماهم إلى عبد الله بن ميمون بن ديسان الثنوي القُدّاح ، ثم فُتد أقوال هؤلاء الطاعنين مستعينا بأقوال المؤرخين الآخرين المؤيدين للنسب ، مضيفا إليها براهينه الخاصة .

(١) السخاوى : الفسوة اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٣

(٢) نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٣) أنظر طبعتنا هذه ، ص ٢٢ ، هـش .

ومشكلة النسب مشكلة قديمة حديثة ، شغلت كل من تعرضوا للتأريخ للفاطميين من عرب ومستعربين من قديم حتى اليوم ، ولهذا عرضت وأنا أحقق النص لأراء هؤلاء المؤرخين جميعا ، فلهذا فيها وقارنت بينها في الهوامش ، وخاصة الآراء والمذاهب الحديثة التي عرضها : Ivanow و Bernard Lewis و Mamour في كتبهم^(١) .

وأرخ المقریزی بعد هذا لقيام الدولة الفاطمية في المغرب ، فتحدث عن جهود الدعاة الأوائل كإبي سفيان والحولاني ، وعن رحلة أبي عبد الله الشيعي من اليمن إلى المغرب وجهوده في التمهيد لإقامة الدولة ، ثم انتقال عبيد الله المهدي من سلمية بالشام إلى المغرب .

وفي فصل ثالث أرخ المقریزی للخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا في المغرب ، وفصل الحديث عن الصعوبات التي اعترضتهم - وخاصة ثورة أبي يزيد - ، وعن الجهود التي بذلوها لتدعيم أسس الدولة الجديدة ، كإنشاء المهدية عاصمتهم الجديدة ، ومد فتوحهم غربا إلى المحيط الأطلسي .

وتحدث بعد هذا عن الفتح الفاطمي لمصر وتأسيس مدينة القاهرة وبناء الجامع الأزهر ، وعرض للخطر القرمطي الذي كان يهدد مصر وقتذاك ، فعقد فصلا طويلا أرخ فيه للقرامطة وتحركاتهم وحروبهم على حدود مصر وفي جنوب الشام على عهد الخليفيتين المعز لدين الله والعزيز بالله .

وأفرد المقریزی لكل من الخليفيتين الأولين في مصر - المعز والعزيز - فصلا تحدث فيه عن شخصيته وعصره وأهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهده ، وباتهاء عهد العزيز ينتهي هذا الجزء الأول ، وفي تقديمنا أن تخرج بقية الكتاب في جزئين آخرين من نفس الحجم ، وسبيلاً الجزء الثاني إن شاء الله يعصر الحاكم بأمر الله ثالث الخلفاء الفاطميين في مصر .

(١) انظر مثلاً : ص ٢٢ ، هامش ٥ و ٢٣ ، هامش ١ و ٢ و ٣٥ ، هامش ١ و ص ٣٩ ، هامش ٥ و ٥٠ الخ

- ١١ -

وقد شعن الناسخ صفحات المخطوطة بالنص منتابعا ، فلم يفصل بين خليفة وخليفة ، أو بين معنى ومعنى ، أو بين سنة وسنة ، ولكننا رسمنا للكتاب عند طبعه نظاما يوضح النص ويقرره لفهم القارئ ، فبدلنا عهد كل خليفة ، وكل موضوع فى عنوان ، وكل سنة جديدة بصفحة جديدة ، كما وضعنا خطأ تحت كل تاريخ ، وتحت كل سنة جديدة ، مع طبع كلمات السنة بحروف أكبر حجما من حروف المتن ، ووضعنا كذلك خطأ تحت اسم كل مؤلف وكل كتاب نص المؤلف على نقله عنه .

وقد قدمت بين يدى المتن - وبعد المقدمة - قائمة كاملة بمراجع التحقيق عربية وغير عربية ، وهى فى جملتها عون كبير للدارسين والباحثين فى التاريخ الفاطمى بصفة عامة على استيفاء بحوثهم ودراستهم .

وقد اكتفيت فى هذا الجزء بإضافة فهرس لموضوعات الكتاب ، وأرجأت الفهارس التفصيلية الأبجدية إلى الجزء الثالث والأخير بإذن الله لتكون شاملة للكتاب كله .

وبعد فى سبيل الله والعلم وتاريخ بلننا المزينة وأمتنا العربية بذلت هذا الجهد الشاق المضنى فى تحقيق هذا الكتاب ، نسأل الله أن يمدنا بتوفيق من عنده حتى نتمكن من إخراج بقية الأجزاء ، منه تعالى نستمد العون وبه نستعين .

جمال الدين الشيال

الاسكندرية | ١٥ من ربيع الأول ١٣٨٧
٢٣ يونيو ١٩٦٧

المصنفون المرحلون في الكتاب وفيما مقدمة الورق

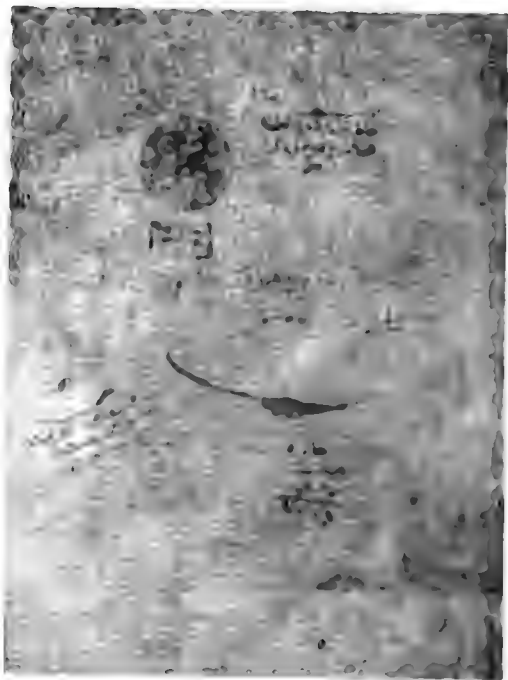


روحه أنور لطيفة أنور

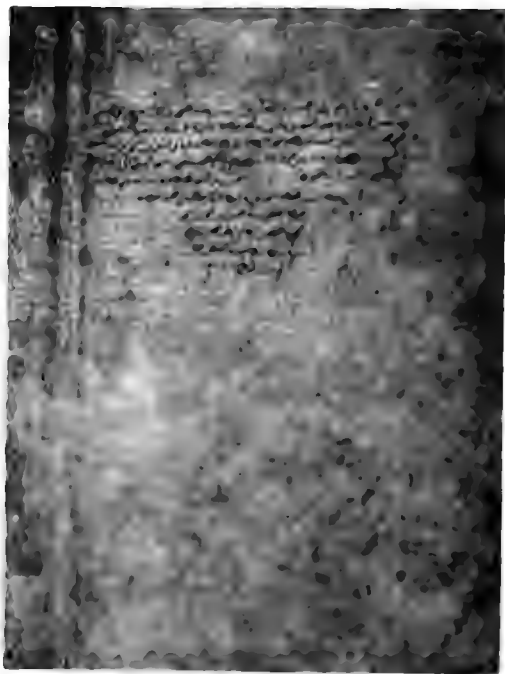


توجه تيسر المطبوعات التي كان يضيفها المؤلف إلى الصفحات لإضافة معلومات جديدة





صفحة الفلاف من النسخة الخطية الوحيدة الكاملة من الكتاب في العالم



بسم الله الرحمن الرحيم في شرح بعض ما في كتابه من الآيات والأحكام التي هي من أسرار الله تعالى

مراجع التحقيق

١ - المراجع العربية

- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على الشيباني) .
- الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء ، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ، ١٣٠١ هـ .
- الباب في تهذيب الأنساب ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٦٩ هـ .
ابن الأكتافى (محمد بن إبراهيم بن مساعد الأنصارى السنجارى) .
- نخب النخائر فى أحوال الجواهر ، نشره الأب أنستاس مارى الكرملى ، القاهرة ، ١٩٣٩ م (ونشره قبل ذلك الأب لويس شيخو فى مجلة المشرق ، السنة ١١) .
أحمد (محمود)
- جامع عمرو بن العاص ، بولاق ، ١٩٣٨ م .
الأزدى (على بن ظافر)
- الدول المنقطعة ، صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم ٨٩٠ .
الأسفراينى (شاهفور بن طاهر بن محمد أبو المظفر)
- التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ .
(١٩٤٠) .
الأصفهاني (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد)
- مقاتل الطالبين ، المطبعة الحيدرية بالنجف ، ١٣٥٣ هـ .
أسارى (ميشيل)
- المكتبة العربية الصقلية ، ليسيبيّا ، ١٨٥٧ - ١٨٨٧ م .
البتانوفى (محمد ليب)
- رحلة الأندلس ، الطبعة الثانية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

البغدادى (أبو منصور عبد القاهر)

— الفرق بين الفرق ، نشره محمد بدر ، القاهرة ، ١٩١٠ م .

البغدادى (عبد اللطيف)

— الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المأينة بأرض مصر ، مطبعة

المجلة الجديدة بالقاهرة (بدون تاريخ) .

البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) .

— المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشره البارون دى سلان ، الجزائر ، ١٩١١

البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد المدنى)

— سيرة أحمد بن طولون ، نشره محمد كرد على ، دمشق ، ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩) .

بجيت (على)

— قاموس الأمكنة والبقاع ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) .

ابن تفرى يردى (جمال الدين أبو الحاسن يوسف)

— النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ظهر منه ١٢ جزءا ، مطبعة دار الكتب

المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٥٦ م .

ثابت (نعمان)

— الجندية فى الدولة العباسية ، بغداد ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) .

تقة الامام علم الاسلام (الداعى)

— المجالس المستنيرة ، نشره محمد كامل حسين ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

الجواليتى (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر)

— المغرب من الكلام الأعجى على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ،

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦١ هـ .

ابن الجيمان (شرف الدين يحيى)

— التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، نشره المستشرق مورتر ، القاهرة ، ١٣١٦ هـ

٠ (١٨٩٨ م)

ابن حجر (شهاب الدين بن على ، العسقلاني)

- رفع الاصر عن قضاة مصر ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، رقم ١٠٥ .
- ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح ، الأندلسي ،
الطاهري)

— الفصل في الملل والنحل ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

حسن (حسن ابراهيم)

- الفاطميون في مصر ، القاهرة ، ١٩٣٢ م .
- (بالاشتراك مع طه محمد شرف) عبيد الله المهدي ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .
- (بالاشتراك مع طه محمد شرف) المعز لدين الله ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

الحسن بن عبد الله

— آثار الأول في ترتيب الدول ، بولاق ، ١٢٩٥ هـ .

حسين (محمد كامل)

— في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .

الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)

- صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المطار في خبر الأقطار) ، نشره
ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ م .

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي)

— المسالك والممالك والمفاوز والمهاالك ، لندن ، ١٨٧٣

الخضري (محمد)

- محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- (١٩٣٠ م) .

الخفاجي (شهاب الدين أحمد)

— شفاه الغليل فيما في كلام العرب من النخيل ، بولاق ، ١٢٨٢ هـ .

ابن خلدون (عبد الرحمن)

— كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، بولاق ، ١٢٨٤ هـ .

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد)

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ .

(.....)

— دائرة المعارف الإسلامية ، مواد : « ادريس » ، و « الادريسية » ، و « ابن

حزم » ، و « أغالبة » ، و « الباقلاني » ، و « أصبهان » ، و « بلكين » ، و « ابن

عبد الظاهر » . الخ

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيمن العسلائي)

— الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزءان ٤ و ٥ ، بولاق ، ١٣٠٩ هـ .

الدوري (عبد العزيز)

— دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، بغداد ، ١٩٤٥ م .

دولندسن

— عقيدة الشيعة ، ترجمه الى العربية ع.م. ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

الرازي (أبو عبد الله بن عمر بن الحسين ، فخر الدين)

— اعتقادات فرق المسلمين ، نشره على النشار ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

الرفاعي (مراج الدين عبدالله محمد بن عبدالله المخزومي)

— صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ .

الزبيدي (السيد المرتضى)

— تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ .

زيدان (جورجى)

— تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣٠ - ١٩٣١ م .

سبط ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأ أوغلى ، المعروف بسبط ابن

الجوزى)

— مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة ،

رقم ٥٥١ تاريخ .

- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)
 - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
 - اثير المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ، ١٨٩٦ م .
 - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزء ، القاهرة ، ١٣٥٣ - ١٣٥٤ هـ .
 مريكس (يوسف اليان)
 - معجم المطبوعات العربية والعربية : القاهرة ، ١٩٤٦ هـ (١٩٢٨) .
 ابن سيرة الجمدى (عمر بن على)
 - طبقات فقهاء اليمن ، نشر فؤاد السيد ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
 السمعاني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور)
 - الأنساب ، نشره مرجليوث ، لايدن ، ١٩١٢ .
 ابن سيدة (أبو الحسن على بن اسماعيل)
 - المختص ، ١٧ جزء ، بولاق ، ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ .
 السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر)
 - تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .
 - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جزآن ، القاهرة ، ١٣٢٧ هـ .
 شرف (طه محمد) - (النظر : حسن ابراهيم حسن)
 الشريف الرضى
 - ديوانه ، مطبعة نخبة الأخيار ، ببائى ، ٣١٠٦ هـ .
 ابن شهر آشوب
 - معالم العلماء ، نشره اقبال ، طهران ، ١٩٣٤ م .
 الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)
 - الملل والنحل ، القاهرة (بدون تاريخ) .
 الشيال (جمال الدين)
 - دراسات في التاريخ الاسلامى ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

- معجم السفن العربية (مخطوطة لم تطبع بعد) :
- تاريخ مصر الاسلامية ، جزءان ، الاسكندرية ١٩٦٧ .
- مجموعة الوثائق الفاطمية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- أبو صالح الأرمني (أبو المكارم جرجس بن مسعود)
- كتاب الديارات ، او كسفورد ، ١٨٩٥ .
- الصيرفي (أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب)
- الاشارة الى من نال الوزارة ، القاهرة ، ١٩٢٤ م .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)
- تاريخ الأمم والملوك ، ١١ جزءا ، القاهرة ، ١٣٣٦ هـ .
- الطوسي (أبو جعفر)
- فهرست كتب الشيعة ، نشره سبرنجر ومولوى عبد الحق ، كلكتة ، ١٨٥٣ م .
- عبد الباقي (محمد فؤاد)
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٦٤ هـ .
- ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، المولى الصاحب)
- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر سامى الدهان ، الجزءان الأول والثانى ، دمشق ، ١٩٥١ و ١٩٥٤ م .
- ابن عذارى (أبو عبد الله محمد)
- البيان المغرب فى أخبار المغرب ، جزءان ، نشر دوزى ، لندن ، ١٨٤٨ - ١٨٤٩
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٠ - ١٣٥٣ هـ .
- العماد الكاتب الأصفهاني (أبو عبد الله محمد بن محمد)
- الفتح القسى فى الفتح القدسى ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ .

عمارة اليمنى (أبو محمد بن أبي الحسن على بن زيدان بن أحمد الحكيم ، الملقب بنجم الدين)

— تاريخ اليمن ، نشره Henri Cassels Kay ، لندن ، ١٣٠٩ هـ (انظر المراجع الأوروبية) .

عنان (محمد عبد الله)

— الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ١٩٣٧ م .

— مصر الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٣١ م .

— ابن خلدون و تراثه الفكرى ، القاهرة ، ١٩٣٣ م .

أبو القدا (عماد الدين اسماعيل ، الملك المؤيد ، صاحب حماة)

— المختصر فى أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية المصرية

بالقاهرة ، ١٣٢٥ .

الفيروز ابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى)

— القاموس المحيط ، ٤ أجزاء ، بولاق ، ١٣٠١ — ١٣٠٢ هـ .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينى)

— المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٥ .

ابن القفطى (جمال الدين أبو الحسن على)

— اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ .

ابن القلاسى (أبو يعلى حمزة)

— ذيل تاريخ دمشق ، نشره مع مقدمة انجليزية آندروز ، بيروت ، ١٩٠٨ م .

الباقشندى (أبو العباس أحمد)

— صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ،

١٩١٣ — ١٩١٩ م .

ابن كثير (عماد الدين أبو القدا اسماعيل بن عمر)

١ — البداية والنهاية ، ١٤ جزء ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ .

كرزويل (الكاتب)

— تأسيس القاهرة ، بحث ترجمه الى العربية السيد محمد رجب ، المقتطف ، نوفمبر
وديسمبر ١٩٣٤ م .

الكرملى (الاب أنستاس مارى) .

— النقود العربية وعلم التعميمات ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .
الكشى (أبو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز)
— معرفة أخبار الرجال ، بمباى ، ١٣١٧ هـ .

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف)

— الولاة والقضاة ، طبعة جيت ، بيروت ، ١٩٠٨ م .

لويس (برنارد)

— أصول الاسماعيلية ، ترجمه الى العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ،
وقدم له تقديم تحليلية وافية عبد العزيز الدورى ، القاهرة ، ١٩٤٨ م . (انظر
الأصل بقائمة المراجع الأجنبية) .

ماسينيون (لويس)

— سلمان الفارسى والبواكير الروحية للاسلام فى ايران (بحث نشر فى باريس سنة
١٩٣٤ م) وترجمه الى العربية عبد الرحمن بدوى فى كتابه : شخصيات قلقة فى
الاسلام ، القاهرة ١٩٤٦ م) — انظر الأصل بقائمة المراجع الأجنبية — .

ابن مالك (محمد بن أبى الفضائل الحصادى الليانى)

— كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، القاهرة ١٩٣٩ م .

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد)

— الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٢٩٨ هـ .

مبارك (على)

— الخطط التوفيقية الجديدة ، ٢٠ جزءا ، القاهرة ، ١٠٣٤ — ١٣٠٦ هـ .

متز (آدم)

— الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، جزءان

القاهرة ، ١٩٤٥ — ١٩٤٩ م .

مختار (اللوا محمد)

— التوقيعات الالهامية ، بولاق ، ١٣١١ هـ .

مرزوق (محمد عبد العزيز)

— الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة القاطمية ، القاهرة ، ١٩٤٢ م .

المسمودى (أبو الحسن على بن الحسين)

— التنبيه والاشراف ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

— مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) .

مسكويه (أبو على أحمد بن محمد)

— تجارب الأمم ، نشره أمدروز ، والذيل عليه للوزير أبى شجاع محمد ، ٣ أجزاء ،

القاهرة ، ١٩١٥ — ١٩١٦ م .

مشرقة (عطية مصطفى)

— نظم الحكم بمصر فى عصر التتالميين ، القاهرة ، ١٩٤٨

مصالحة المساحة المصرية

— فهرس مواقع الأمكنة ، بولاق ، ١٩٣٢ م .

المقرئى (تقى الدين أحمد بن على)

— اغانة الأمة بكشف النمة ، نشر محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ،

القاهرة ١٩٤٥ م و ١٩٥٧

— الأوزان والأكيال الشرعية ، نشره Tychsen ، روستوك ، ١٧٩٧ م .

— جنى الأزهار من الروض المطار ، مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

— الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر جمال الدين الشيال ،

القاهرة ، ١٩٥٤ م .

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره محمد مصطفى زيادة (ظهر منه ٦ مجلدات) ،
القاهرة ، ١٩٣٤ — ١٩٥٨ م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤ أجزاء ، مطبعة النيل بالقاهرة ،
١٣٢٤ — ١٣٢٦ هـ .
- نحل عبر النحل ، نشره جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- النقود الاسلامية ، مطبعة الجوائب ، القسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ .

ابن ممانى (الأسمد بن مليح)

- قوانين الدواوين ، مطبعة الوطن بالقاهرة ، ١٢٩٩ ، ونشرة عزيز سوريال عطية ،
مطبعة مصر بالقاهرة ، ١٩٤٣ م .
- ابن منظور الافريقى المصرى (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الخروجى)
— لسان العرب ، ٢٥ جزءا ، بولاق ، ١٣٠٢ — ١٣٥٧ هـ .
- المؤيد فى الدين داعى الدعاة (هبة الله الشيرازى)
— ديوان شعره ، تحقيق محمد كامل حسين ، من سلسلة مخطوطات الفاطميين ،
القاهرة ، ١٩٤٩
- سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر محمد كامل حسين ، من سلسلة
مخطوطات الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .
- ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن جلب راجب)
— أخبار مصر ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ، ١٩١٩ .
- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن اسحق)
— الفهرست ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ .
- ابن النعمان (أبو حنيفة محمد)
— دعائم الاسلام ، نشر آصف على فيضى ، القاهرة ، ١٩٥١
- أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني)
— حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ١٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٥١ — ١٣٥٧ هـ .

التويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

— نهاية الأرب في فنون الأدب ، ظهر منه الى الآن ١٨ جزءا ، طبع دار الكتب

المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٣ — ١٩٥٦ م .

ابن هاني الأندلسي

— ديوانه ، تحقيق زاهد على ، طبع القاهرة .

(.....)

— الهمة في اتباع آداب الأئمة ، تحقيق محمد كامل حسين ، من سلسلة

مخطوطات الفاطميين ، طبع دار الفكر العربي ، القاهرة (بدون تاريخ)

الواسمي (الشيخ عبد السميع بن يحيى اليماني)

— فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ .

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)

— منرج الكروب ذي أخبار بني أيوب ، ٣ أجزاء ، نشر جمال الدين الشيال ، القاهرة ،

١٩٥٤ و ١٩٥٧ و ١٩٦١ م .

باقوت (شهاب الدين أبو عبد الله العموي)

— معجم الأدياء ، طبعة فريد رفاعي ، ٢٠ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .

— معجم البلدان ، لبيزج ، ١٨٧٠ م .

اليماني (محمد بن محمد)

— سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله الى سجدة ،

(نشرها إيثانوف في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٣٦ م)

ب - المراجع غير العربية

Cahen (C.)

- art : *Ahdâth* in *Enc. Isl.* 2nd edition.

(.....)

- *Cambridge Mideaval History.*

Casanova

- Ibn Abd El-Zahir. (*Mémoires publiés par les Membres de la Mission Archéologique au Caire*, t. VI, pp. 493-505).

Demombynes

- *La Syrie à l'Epoque des Mamlouks*, Paris, 1923.

Dorj (R.Q.A.)

- .. *Dictionnaire des Noms des Vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, Müller, 1846.
- *Supplément Aux Dictionnaires Arabes*, Brill, Leiden, 1881.

Fyzee (A.A.)

- Qadi an-Nu'man, the Fatimid Judge and Author. (*J.R.A.S.* 1934. pp. 1-32).

Inostranzeff (M.)

- *La sortie Solennelle des Khalifes Fatimides* (p. XXIII, S 17, p. XXVIII, S 20).

Ivanow (W.)

- *A Guide to Ismaili Literature*. London, 1933.
- *Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids*. Calcutta, 1943.
- *The Alleged Founder of Ismailism*.

Jomier (J.)

- *Le Mahmal et la Caravane Egyptienne des Pèlerins de la Mecque*, Le Caire, 1953.

Kay (H. Cassels)

- *Yaman, Its Early Mediaeval History*, London, 1892.

- Lane-Poole (St.)
 — Mohammedan Dynasties. Westminster, 1894.
- Lewis (B.)
 — The Origins of Ismā'ilism, Cambridge, 1940.
- Mamour (Prince)
 — Polemics on the Origin of the Fatimid Caliphs. London, 1934.
- Maqrizi
 — Muqaffa (Quatremère. Mémoires Historiques, J.A. 1836).
- Massignon (Louis)
 — Salmān Pāk et les prémices Spirituelles de l'Islam Iranien (Publications de la Société des Etudes Iranienues. N. 7, Paris, 1934).
- Moberg (Axel)
 — wr. Abdallāh b. Abd Az-Zahir's Biografi Over Sultanen Elmalik Al-Ashraf Halil. London, 1902.
- O'Leary (De Lacy)
 — A Short History of the Fatimid Khalifate. London, 1923.
- Tusi
 — List of Shi'a Books. Ed. Sprenger and Mawlawy Abdul-Haqq. Calcutta, 1853.
- Zambaur (E. de)
 — Manuel de Genealogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. Hano-vre, 1927.

اتِّعَظُوا الْخِنْفَا
بِأَخْبَارِ الْأَمَّةِ الْفَاطِمِيَّةِ الْخُلَفَاءِ
لِنَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقَرَّرِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

عوذك اللهم^(١)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون ، وكلما غفل عن ذكره الغافلون^(٢) .

الحمد لله الذى برأ سماواتٍ طياقاً رقيقات ، ولما^(٣) دونها محيطات ، وجعلها فى الأقدار متفاوتات ، وبالحركة متباينات ، وفى التراكيب مختلفات ، ذات بروج معدودة ، وأقسام مقدرة مخلودة ، وكواكب نيرة مואدة ، فى أفلاك بها دوائر ، تتحرك لأنفسها تارة فتردها أفلاكها بقدرته تعالى مقسورة ؛ كل ذلك يجرى على ما قُدِّر له من إسرار وتأثير ، وإبطاء وتدبير ، وإغما وتغيير ، بأمر الحكيم القدير ، وتقدير المليم الخبير ، ودحا^(٤) الأرض فسطحها مهادا ، وأرمى عليها الجبال فصارت أوتادا .

ثم خلق الإنسان من طين ، وأنشأ منه البشر من سلالة من ماء مهين ، واستعمرهم فى الأرض لينظر كيف يعملون ، وسخر لهم ما فى السموات وما فى الأرض لعلهم يشكرون ، ومكنهم من الاقتدار على إظهار العجائب ، فأبدوا ماشاءوا من البدائع والفرائب ، وتخولوا فيما اشتهاوا من النعماء ، وتبسطوا فى فنون الأفضال والآلاء ، وأثاروا الأرض وعمروها ، واتخلوا المداين واستوطنوها ، وقهروا الأعداء من ناوأمهم ، وخضدوا بالقهر شوكة من عاندهم أو شانهم .
حتى إذا كفروا النعم ، ولم يخشوا العقوبة والنقم ، أبادهم الله الذى أيدهم ، وأهلكهم القادر الذى مكنهم ، جزاء بما اكتسبوا من السيئات ، وعقوبة لهم على اجتراح الخطيئات ، وسيعيدهم أجمعين إليه ، ويوقفهم للحساب بين يديه .

(١) مكان هذه الجملة فى (ج) : « رب زدنى علماً » .

(٢) هذه التصلية غير موجودة فى (ج) وإنما يبدأ النص بالحمد له مباشرة .

(٣) (ج) « وبنى » .

(٤) فى النسختين : « دحى » ، ويقال : دحى يدحى أو يدحى ، أى بسط ييسط .

أحمد له حمداً يليق بجلاله ، وينبغي لعظمته وكماله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ظهور ، ولا معاون له فيما يريد . ولا وزير ، شهادة تعبر عن قلب قد عمّر بالإخلاص ، وذخيرة للنجاه من النار والخلاص^(١) .
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ونبيه وخليفه ، الذي أنقذ الله به العباد من الهلاك ، وخلّصهم به من آشراك الإشرار ، حتى قاموا لله سبحانه بما شرع له من طاعته ، وأنزل عليهم من أحكام عبادته^(٢) .
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وأوليائه ومتبعيه وأحبابه ، وشرف وكرم .
وبعد :

فلما أعانني الله جلّت قدرته ، وتعلّت عظمته ، على إكمال كتاب : « عقد جواهر الأسفاط . في أخبار مدينة الفسطاط . »^(٣) ، وضمنته ما وقفت عليه ، وأرشدني الله سبحانه إليه من أحوال مدينة الفسطاط . منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصارت دار إسلام ، إلى أن قدمت جيوش الإمام المعز لدين الله أبي نجم معبد من بلاد المغرب مع عبده وقائده وكتابه أبي الحسين جوهر القائل الصقلي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ونزلت في شالي الفسطاط . بالناخ ، وأسس مدينة القاهرة وحل بها ، أحسبت أن أضع لمن ملك القاهرة من الخلفاء ديواناً يشتمل على جملي خبرهم ، ويعرب عن أكثر سيرهم ، فجمعت هذا الكتاب وسميته كتاب :

« إتمام الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » .

والله تعالى أسأل أن يحفظني فيه ، وفيما خولني من دنيا ودين ، ويجعلني يوم الفزع الأكبر من الأمنين بمنّه وكرمه .

(١) الأصل : « والإخلاص » والتصحيح (ج) .

(٢) هذا اللفظ محو في الأصل ، وقد أثبتناه عن نسخة (ج)

(٣) وضع القريري لنفسه خطة واضحة عندما أراد التاريخ لمصر في العصر الإسلامي ، فبدأ بكتاب « عقد جواهر الأسفاط » وأرخ فيه مصر من الفتح العربي إلى الفتح الفاطمي (٢١ - ٣٥٨ هـ) ، ثم نى بهذا الكتاب « إتمام الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء » مؤرخاً لها في العصر الفاطمي ، ٨٤٥ هـ وهي سنة وفاته ، وتوجد - فيما يقال - من الكتاب الأول نسخة خطية فريدة في مكتبة السدولة ببرلين ضمن مجموعة خطية تحت رقم ٩٨٤٥ ، ويعمل الدكتور محمد مصطفى زيادة منذ سنوات على نشر الكتاب الثالث ، وقد انجز منه جزأين في ستة مجلدات . وقد أشار القريري إلى تتابع هذه المؤلفات الثلاثة في مقدمته للسلك . انظر : (السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص (د و ٩) .

ذكر أولاد أمير المؤمنين

على بن أبي طالب - كرم الله وجهه -

اعلم أن أمير المؤمنين على بن أبي طالب - رضى الله عنه - قُتل ليلة الجمعة لإحدى عشرة ،
وقيل ثلاث عشرة ، وقيل إثني عشرة ليلة خلت^(١) من شهر رمضان سنة أربعين^(٢) من سنى
الهجرة بالكوفة .

وولد له من الأولاد الذكور :

الحسن ، والحسين - أمهما فاطمة^(٣) بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

(١) (ج) : « مضت » .

(٢) ذكر هذه الروايات المختلفة أيضا : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ١٩٦) فقال : « قتل
على في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه ، وقيل لإحدى عشرة ، وقيل لثلاث عشرة بقيت منه ،
وقيل في شهر ربيع الآخر سنة أربعين ، والأول أصح » ، وقال (أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل
الطالبيين ، ص ٢٧) أنه توفي « سنة أربعين في ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر
رمضان » ، وذكر (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٣٣٠) أنه « ضرب يوم الجمعة ، فمكث
يوم الجمعة وليلة السبت ، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين
عن ثلاث وستين سنة » ، وبالرجوع إلى كتب التقاويم يتضح أن التاريخ الصحيح لوفاته هو
ما ذكره ابن كثير ، فالיום الثامن عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ يوافق يوم الأحد ٢٥ يناير
سنة ٦٦١ م ، انظر : (التوقيفات الإلهامية) .

(٣) توفي أولاد الرسول جميعا قبله إلا السيدة فاطمة الزهراء فقد ماتت بعده بستة
أشهر ، وهي أول زوجة تزوجها على ، ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده ، ويقال إنها أنجبت له
- غير الحسن والحسين - ابنا ثالثا يدعى محسنا ، وأنه مات صغيرا ، وبنتين هما : زينب الكبرى ،
وأم كلثوم الكبرى . راجع : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٠١) و (المخزومي : صحاح الأخبار ،
ص ٩) و (أبو نعيم : حلية الأولياء ، ج ٢ ، ص ٤٢ - ٤٣) .

ومحمد الأكبر المعروف بابن الحنفية^(١) - أمه خولة^(٢) بنت قيس بن جعفر الحنفي - .
[والعباس الأكبر]^(٣) ، وعبد الله^(٤) ، وعثمان الأكبر^(٥) وجعفر الأكبر^(٦) - أمهم أم البنين
بنت النحل بن النديان بن حرام الكلبي - ، وقتل (١٢) هؤلاء الأربعة مع الحسين بن علي
- عليه السلام - بالطائف^(٧) .

(١) أبو القاسم محمد - المعروف بابن الحنفية - كان كثير العلم والورع ، شديد
القوة ، حمل راية أبيه يوم الجمل ، ولد لستين بقتيا من خلافة عمر ، وقد اختلف المؤرخون في
تحديد تاريخ ومكان وفاته : فيقال انه توفي أول المحرم سنة ٨١ او سنة ٨٣ ، وقيل سنة ٧٢ او
٧٣ ، وروى انه توفي بالمدينة وصلّى عليه ابيان بن عثمان بن عفان - وكان والي المدينة يومئذ -
دفن بالبقيع ، وقيل انه خرج الى الطائف هاربا من ابن الزبير فمات هناك ، وقيل انه مات ببلاذ
أيلة ، والفرقة الكيسانية تعتقد في امامته ، وانه مقيم بجبل رضوى في شعب منه ولم يمت ، دخل
اليه ومعه اربعون من اصحابه ، ولم يوقف لهم على خبر ، وهم احياء يرزقون * انظر : (ابن
خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢١٨-٢٢١) .

(٢) هناك اختلاف في اسمها ، فقد جاء في : (المخزومي : صاحب الأخبار ، ص ٩) انها :
خولة بنت قيس بن سلمة بن عبد الله بن ثعلبة الوائلي ، وحكى الكلبي انها خولة بنت قيس بن
جعفر بن قيس بن سلمة ، وروى (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢١٨) انها كانت من سبي
اليمامة وصارت الى علي ، وقيل بل كانت سندية سوداء ، وكانت أمة لبني حنيفة ، ولم تكن منهم
وانما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ولم يصلحهم على انفسهم * انظر ايضا : « ابن الاثير :
السيكل ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ، و (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٩١) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) ، وكان يقال للعباس هذا «قر بني هاشم» ، وكان يحمل
لواء الحسين يوم قتل ، وهو آخر من قتل من اخوته ، قتله زيد بن رقاد الجهني ، وفي (ابن
الاثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) : « زيد بن داود الجنبى وحكيم بن الطفيل الطائي انظر : (الاصفهاني :
مقاتل الطالبين ، ص ٥٩ - ٦٠) .

(٤) قتل عبد الله وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولا عقب له ، انظر : (المرجع السابق ،
ص ٥٧) .

(٥) قتل عثمان وهو ابن احدى وعشرين سنة ، رماه خولى بن يزيد بسهم فقتله ، انظر :
(المرجع السابق ، ص ٥٨) و (ابن الاثير ج ٤ ، ص ٤٧) .

(٦) قتل جعفر وهو ابن تسع عشرة سنة ، قتله قاتل اخيه عثمان ، أى خولى بن يزيد .
(مقاتل الطالبين ، ص ٥٨) .

(٧) ذكر (ابن الاثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) هؤلاء الأربعة ضمن من قتلوا مع الحسين
بالطف ، والطف في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق - من اطف على الشيء .
بمعنى اطل - والطف أرض بضاحية الكوفة في طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن علي .
انظر : (ياقوت : معجم البلدان) .

وعمر الأصغر^(١) أمه الصهباء أم حبيبة بنت ربيعة الثقفي .
وعبد الرحمن - الذي يكنى (٢) أبا بكر - ، وعبيد الله . أمهما ليلي بنت مسعود بن خالد التميمي .
ويحيى [و] عون - أمهما أماء^(٣) بنت عميس الخثعمية - ،
ومحمد الأصغر^(٤) - أمه أمانة^(٥) بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس - ،
وأما زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
وجعفر الأصغر - من أم ولد -^(٦) .
[و] محمد الأوسط^(٧) - ، وعباس الأصغر - أمهما أم ولد .
وعمر الأصغر [و] عثمان الأصغر .
فهؤلاء [هم] المذكور^(٨) من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، منهم من مات في حياة
أبيه وهو طفل صغير ، ومنهم من قُتل ولا عقب له .

(١) في النسختين : « الأكبر » ، والتصحيح عن : (صحاح الأخبار ، ص ١٠) ، وفيه أيضا
أنه كان « يقال له الأطرف » ، وأمه الصهباء أم حبيب بنت عباد بن ربيعة الطائي ، اشتراها
أمير المؤمنين ٠٠ من سبي خالد بن الوليد ٠٠ ثم اعتقها وتزوجها ، وولدها أحد الملقبين من بني
الامام ٠٠ ، وفي « ابن الأثير » ج ٢ ، ص ٢٠١) أنها كانت من سبي خالد بعين الثمر ٠٠ وولدت
له عمر بن علي ورقية بنت علي ، فعمر عمر حتى بلغ خمسا وثمانين سنة ، فحاز نصف ميراث
علي ، ومات ببيع ٠٠ » .

(٢) (ج) : « يكنى » ، وهناك من يرى أن أبا بكر هذا قد قتل مع أخيه الحسين بالطف .
(ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) .

(٣) رواية (ابن الأثير ، ج ٢ ، ص ٢٠١) عن أولاد علي من أسماء تختلف عن رواية
المقرئزي ، وهي « وتزوج أسماء بنت عميس فولدت له محمدا الأصغر ، ويحيى ، ولا عقب
لهما ، وقيل إن محمدا لأم ولد ، وقتل مع الحسين ، وقيل إنها ولدت له عونا ٠٠ » .

(٤) في (ابن الأثير) : « الأوسط » .
(٥) جاء في (صحاح الأخبار ، ص ٩) : أن عليا تزوج أمانة بعد السيدة فاطمة ،
وبوصية منها .

(٦) الأصل : « من أول ولد » ، والتصحيح عن (ج) .
(٧) في الأصل : « الأصغر » ، والتصحيح عن (ج) . وفي (مقاتل الطالبين ، ص ٦٠) . أنه
قتل محمد هذا مع أخيه الحسين في وقعة الطف ، وقتله رجل من بني دارم . انظر : « ابن
الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧ » .

(٨) عدة الأولاد السابقين ١٨ ولدا ، وإن كان (ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٢٠٢) يذكر
أن (جميع ولده أربعة عشر ذكرا ، وسبع عشرة امرأة ، ورواية المقرئزي تنفق مع رواية « صحاح
الأخبار ، ص ٩ » حيث يذكر أنه كان لعل خمسة وثلاثون ولدا منهم ثمانية عشر ذكورا .

وولد له أيضا إناث^(١) .

[و] لم يُعقب من أولاده الذكور سوى خمسة ، هم : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس ، وعمر ، وسائرهم لم يُعقب .

فُوُلِدَ للحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام :

زيدٌ من أم ولد .

والحسن بن الحسن من أم ولد .

والقاسم^(٢) ، [و] أبو بكر^(٣) ، [و] عبد الله ، لا عقب لهم . قُتِلُوا مع عمهم الإمام الحسين^(٤) بن علي - عليه السلام - بالطف .

وعمر بن الحسن ، وعبد الرحمن بن الحسن ، والحسين ، ومحمد ، ويعقوب ، وإسماعيل بنو الحسن^(٥) .

فهؤلاء [هم] الذكور^(٦) من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - .

ولم يُعقب - من ولد الحسن بن علي - سوى رجلين : هما الحسن بن الحسن [و] زيد بن الحسن ، وسائر ولد الحسن بن علي لا عقب لهم .

(١) ذكر (ابن الأثير : المرجع السابق) أسماء من ولد لعل من الإناث ، فقال : « وتزوج علي أيضا أم سعد ابنة عروة بن مسعود الثقفية . فولدت له أم الحسن ، وولمة الكبرى ، وأم كلثوم ؛ وكان له بنات من أمهات شتى ، لم يذكرن لنا ، منهن : أم هانئ ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، وولمة الصغرى ، وأم كلثوم الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ؛ وأم الكرام ؛ وأم سلمة ؛ وأم جعفر ، وجمانة ، ونفيسة ، كلهن من أمهات أولاد ؛ وتزوج أيضا مخبئة بنت امرئ القيس بن عدي الكلبي فولدت له جارية حلكت صغيرة ، كانت تخرج إلى المسجد فيقال لها : « من أخوالك ؟ » فتقول : « وه وه وه » . تعني كلبا » . انظر أيضا : (ابن قتيبة : المعارف ، ص ٩١ - ٩٢) .

(٢) ذكر (ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٤٧) أن الذي قتله هو سعد بن عمرو بن نفيل الأزدي ، وفي (مقاتل الطالبين ، ص ٦٢) أن اسمه « عمرو بن سعد بن نفيل » .

(٣) أمه أم ولد ، وقد رماه حرملة بن الكاهن بسهم فقتله ، انظر المرجع السابق .

(٤) الأصل : « الإمام بن الحسين » وهو خطأ واضح .

(٥) الأصل : « بنو الحسين » وهو خطأ واضح .

(٦) عدة هؤلاء ١١ ولدا ، وقد جاء في (المخزومي : صحاح الأخبار ، ص ١١) أن الحسن اعتقب تسعة عشر ولدا ، الذكور منهم سبعة عشر .

فولد الحسن^(١) بن الحسن بن علي بن أبي طالب محمدا ، وبه كان يُكنى ، وعبد الله^(٢) - أعقب - ، وحسباً^(٣) ، [و] إبراهيم^(٤) ، وجعفر ، وداود - وهذه الخمسة قد أعقبوا - ، ولم يعقب محمد بن الحسن بن الحسن [بن علي] ^(٥) بن أبي طالب ولدا ذكرا .

فولد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب محمدا - وهو الذي قُتل بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ، وإبراهيم المقتول بالبصرة - ، قُتلا^(٦) في الحرب أيام الخليفة أبي جعفر المنصور سنة خمس وأربعين ومائة .
وموسى بن عبد الله .

ويحيى^(٧) بن عبد الله - وهو الذي كان بالديلم ، ونزل بالأمان على يد الفضل بن يحيى

(١) ويسمى « الحسن المثنى » ، انظر المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) ويسمى « عبد الله المحض » وكنيته « أبو محمد » ، وكان شيخ بني هاشم في زمنه .
انظر المرجع السابق ص ١٢ - ١٣ .

(٣) ويسمى : « الحسن المثلث » انظر المرجع السابق .

(٤) ويسمى « إبراهيم الفهر » انظر المرجع السابق .

(٥) مابين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

(٦) محمد هذا هو الملقب « بالنفس الزكية » ، وقد خرج في المدينة يطالب بالخلافة لنفسه ، كما خرج أخوه في البصرة ، وقد قتل محمد في المدينة - لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ١٤٥ هـ - أثناء حربه مع جيش العباسيين بقيادة عيسى بن موسى ، وقتل إبراهيم عند باخري في حربه مع نفس القائد العباسي ، وذلك لخمس يقين من ذى القعدة من نفس السنة ، انظر تفاصيل نضالهما وانسلاخهما ومطاردة المنصور لبني الحسن عامة في : (مقاتل الطالبين ، ص ١٦٠ - ٢٠٦) و (الخضرى : الدولة العباسية ، ص ٨٢ - ٩٦) .

(٧) نجبا يحيى بن عبد الله مع من نجا من وقعة فخ - التي كانت في عهد الهادى - ثم سار الى بلاد السديلم ، وزاد بها سلطانه ، وكثر انصاره ، فنسب الرشيد لقتاله الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى في خمسين ألفا ، غير أن الفضل صانعه ولاطفه حتى أجاب الى الصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا ، فكتبه وأشهد عليه الفقهاء والقضاة ومشايخ بني هاشم ، ثم أتى الى بغداد فأقام بمنزل يحيى بن خالد أياما ، ثم دفعه الى جعفر فحبسه ، وأكرمه في حبسه . وينهب بعض المؤرخين الى أن السبب في تكة الرشيد للبرامكة هو اطلاق جعفر صراح يحيى بن عبد الله ، انظر : (الخضرى : الدولة العباسية ص ١٤٠ ، ١٦٥) .

ابن خالد بن برمك ، ثم حبسه الخليفة هرون الرشيد ، ومات في حبسه ، ويُقال إنه قُتل عند سندی بن شاهك - .

وسليمان - الذى قُتل في وقعة فخ^(٢) -

وإدريس الأصغر^(٣) - الذى صار إلى بلاد المغرب ، وبه عقبه وعقب أخيه سليمان -

فولد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - المقتول بالمدينة - عبد الله الأشتر^(٤) - وهو المعقب^(٥) من ولده - ، قُتل بكابل ، وعلياً^(٦) - أخذ بمصر ، وحبس في سجن المهدي حتى مات - ، والحسين بن محمد - قُتل بفخ - ، وطاهر [و] إبراهيم^(٧) - ابنا محمد ، لا عقب لهما - .

وولد إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي - وهو المقتول بالبصرة - حسناً ، فولد حسن بن إبراهيم عبد الله - ومات متغيثاً - ، ومحمداً ، وإبراهيم .
وولد يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي محمداً .

(١) السندى بن شاهك مولى المنصور ، وخدم الرشيد والأمين ، انظر اخباره فى : (الطبرى ، طبعه دى خويه ، القسم الثالث ؛ ص ١٤٥ ، ١٥١ ، ٥٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٧٣٤ ، ٧٦٤ ؛ ٩١٢ ، ٩١٤ ، ٩٧٩ ، ١٠١٦ ؛ ٢٥٠٩) .

(٢) خرج الحسين بن علي بن الحسن المثلث فى عهد الهادى قى سنة ١٦٩ ، فسار لقتاله القانذ العباسى محمد بن سليمان ، وتقاتل الجيشان فى وقعة فخ ، فانتهصر محمد بن سليمان ، وقتل الحسين وجماعة ممن معه ، انظر : (مقاتل الطالبين ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩) و (الخضرى : المرجع السابق ، ص ١٣٢ - ١٣٥) ، وفخ واد بمكة دفن فيه عبد الله بن سمر وجماعة من الصحابة ، انظر : (معجم البلدان) .

(٣) ويقال له أيضاً ادریس الاول ، شهد وقعة فخ ، فلما هزم ابن أخيه الحسن بن علي بن الحسن اختفى هو مدة ، ثم فر الى مصر ومنها الى المغرب حيث استطاع أن ينشئ أول دولة علوية ، وذلك فى سنة ١٧٢ هـ ، وقد ظلت هذه الدولة تحكم المغرب الاقصى قرابة قرنين من الزمن . انظر : (دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ادریس والادريسية ، وما بها من المراجع) .

(٤) انظر اخبار قتله فى : (مقاتل الطالبين ص ٢١١ - ٢١٣) . حيث يروى أن مؤدبه عبد الله بن محمد بن مسعدة كان قد أخرجه - بعد قتل أبيه - الى السند فقتل بها ، ووجه برأسه الى جعفر المنصور .

(٥) الأصل : (الملقب بـ) ، والتصحيح عن (ج) .

(٦) الأصل و (ج) : « على » .

(٧) جاء فى (صحاح الأخبار ، ص ١٣) ، أنه أنجب ولداً آخر غير هؤلاء يسمى محمداً .

وولد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي - المقتول بقم - محمداً ، قرأ إلى المغرب ، وولده هناك .

وَوَلَدَ إِدْرِيسُ الْأَصْغَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - وَهُوَ الَّذِي صَارَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَغَلَبَ عَلَى مَوْضِعٍ مِنْهُ فِي أَيَّامِ الْمَنْصُورِ ، فَلَمَّسَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ بِمِطْطَبٍ فَسَقَاهُ فَقَتَلَهُ - إِدْرِيسُ بْنُ إِدْرِيسٍ ، وَلَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأُمُّهُ بَرْبَرِيَّةٌ : وَعَقِيَهُ بِالْمَغْرِبِ .

وولد الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي أباً جعفر عبد الله ، وعلياً - مات في حبس المنصور مع أبيه - ، وحسناً - درج ولا عقب له - ، والعباس ، وطلحة ابنا الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي - انقرضا - .

وولد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي إسماعيل - أعقب - ، وإسحق - أعقب ثم انقرض - ، ويعقوب - لا عقب له - ، ومحمداً - الذي يسمى (١) الدبج الأصغر ، - لا عقب له - ، وعلياً (٢) أعقب الحسن ، وولد الحسن محمداً وإبراهيم .

وولد إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي حسناً وإبراهيم - أعقباً - .

وولد جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي الحسن ، فولد الحسن بن جعفر عبد الله ، وولد عبد الله عبيد الله - ولّاه المأمون الكوفة ثم مكة - ، وإبراهيم بن جعفر ، فولد إبراهيم عبد الله - كان له بنات - .

وولد داود بن الحسن بن الحسن بن علي سليمان وعبد الله ، كان عبد الله من أهل الفضل والورع ، وقد أعقب سليمان [و] عبد الله ابنا داود .

وولد زيد بن الحسن بن علي الحسن - لا عقب له إلا منه - ، وكان فاضلاً ، ولّاه المنصور للدين .

(٢ ب) فولد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي إسماعيل [و] القاسم ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وزيدا ، وعلياً ، وإسحق .

(١) : يعني «

(٢) الاصل : « وعلى »

فمن بيوت بني الحسن بن علي بن أبي طالب :

بنو طباطبا (١) .

والرسيون (٢) .

وبنو الملقوق .

وبنو تَج - واسمه الحسن - .

وَوَلَدُ الهادي (٣) باليمن الذي له الإمارة .

وبنو الأذرع .

وَوَلَدُ الداعي إلى الحق (٤) بطبرستان (٥) .

(١) نسبة إلى إبراهيم طباطبا بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ، وكان ابنه محمد بن طباطبا أحد أئمة اليمن ، ولد سنة ٧٣ ، وتوفي سنة ١٩٩ ، وله من العمر ١٢٦ سنة ، انظر : (الواسعي : فرجة الهموم الحزن ، ص ١٨) .

(Key : Yaman Its Eoaly Medicval History, P. 302-303)

(٢) نسبة إلى الإمام القاسم الرسي ترجمان الدين ، أحد أئمة اليمن ، ولد سنة ١٦٩ ، وتوفي سنة ٢٤٦ ، وله من العمر ٧٧ سنة ، تولى الإمامة بعد موت أخيه محمد بن طباطبا (انظر الهامش السابق) ، وسمى الرسي لأنه مات في الرس ، وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة ، وهي قرية على بعد ستة أو سبعة أميال من المدينة . انظر أخباره المفصلة في : (الواسعي ، المرجع السابق ، ص ١٨ - ١٩) و (Key : Op. Cit. p.p. 314-316) ثم انظر أسماء من تولى منهم الحكم في صنعاء وصنعاء في :

(Zambeur : Manuel de Gen. etc. p.p. 122-123).

(٣) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ، ولد سنة ٢٤٥ ، وتوفي سنة ٢٩٨ ، خرج في عهد المأمون الخليفة العباسي ، وملك ما بين صنعاء وصعدة ، ووقعت بينه وبين عمال بني العباس باليمن وقائع ، وخطب له بمكة سبع سنين ، وكان عالما جليلا ، وله مؤلفات كثيرة ، انظر أخباره بالتفصيل في : (الواسعي : فرجة الهموم والحزن ، ص ٢١ - ٢٣) و (المرشدي : بلوغ المرام ، ص ٣١ ، ٣٢ - ٣٤ ، ٣٨) و

(Key : Op. Cit. p.p. 142, 143, 186, 186)

(Lane-Poole : Mohammadan Dynasties. p.p. 102-103)

وراجع أيضا :

ففيه بيان كامل بأسماء الأئمة الرسيين الذين حكموا في صنعاء وصنعاء .

(٤) لمعرفة من تولى الإمامة بطبرستان والديلم من أولادها انظر :

(Lane-Poole : Op. Cit. p. 127)

(Key : Op. Cit. p.p. 302-303)

وقائمة النسب بين الصفهتين .

(٥) الطبر في الفارسية ما يشقق به الأخطاب ، و « ستان » الموضع أو الناحية ، فمعنى

طبرستان « ناحية الطبر » ، والنسبة إليها طبري ، قال (ياقوت في معجم البلدان) : =

وَوَلَدَ الحسن بن زيد الذي له الإمارة بالديلم .

وَوَلَدَ الناصر الحسني^(١) الذي كان باليمن .

وغير ذلك من بيوتات ولد الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - .

وأما ولد الحسين بن علي بن أبي طالب فإن الحسين :

ولد علياً الأكبر^(٢) وقُتِلَ بالطُفّ ، ولا عقب له ؛ وعلياً الأصغر - وفيه البقية - ، وجعفر

- لا عقب له - ؛ [و] عبد الله^(٣) - قُتِلَ صغيراً بالطُفّ ، ولا عقب له - .

هؤلاء [هم] المذكور من ولد الحسين بن علي ، وهم لأمهات شتى .

فولد عليّ الأصغر^(٤) بن الحسين حسناً ، وحسيناً - لا عقب لهما - ؛ وأباً جعفر محمداً ؛

وعبد الله ، - أمهما أم ولد - .

وزيداً ، وعمر ؛ وعلياً ، ومحمداً الأوسط - ولا عقب له - ؛ وعبد الرحمن ، وحسيناً الأصغر ؛

وسليمان ؛ والقاسم - ولا عقب له - .

= والذي يظهر لي ، وهو الحق ويضد ما شاهدناه منهم ، أن أهل تلك الجبال كثير من الحروب ، وأكثر أسلحتهم بل كلها الأسيار ، حتى أنك قل أن ترى صعلوكاً أو غنياً إلا وبينه الطبر - صغيرهم وكبيرهم ، فكانها لكثرة ما فيها فيهم سميت بذلك . وقصبة طبرستان أمل ، وقد كانت تحت حكم الفرس ، ثم فتحها سعيد بن العاصي (وقد ولي الكوفة من قبل عثمان سنة ٢٩) ، وفي ولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر على طبرستان خرج عليه الحسن بن زيد ابن محمد بن اسماعيل بن حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب في سنة ٢٤٩ فأخرجه عنها ، وغلب عليها إلى أن مات ، فخلفه أخوه محمد بن زيد (٢٧٠ - ٢٨٧) ، انظر : (Zambaur : Op. Cit. p. 199)

ولمعرفة حدود هذه الولاية في العهد الإسلامي انظر : (ياقوت : معجم البلدان) ، وتبين موقعها في خريطة العالم الإسلامي لأمين بك (واصف) .

(١) ويقال له الناصر الديلمي ، وهو أبو الفتح الإمام الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد ، قام باليمن بعد عودته من ناحية الديلم سنة ٤٢٠ ، وكان غزير العلم ، وله مؤلفات منها تفسير في أربع مجلدات كبار ، قتله الصليحي سنة ٤٤٧ ، انظر (الواسطي : المرجع السابق ، ص ٢٧) و (Zambaur : Op. Cit. p. 123) ، (Kay : Op. Cit. p. 302-303) .

(٢) انظر بعض أخباره في (مقاتل الطالبين) ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣) قتل عبد الله صغيراً ، جاءته تشابة وهو في حجر أبيه فذبحه . انظر (مقاتل الطالبين) ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن الحسين ، المعروف بزين العابدين ، وليس للحسين عقب إلا من ولده هذا ، وظل زين العابدين أحد الأئمة الاثني عشر ، وأمه سلافة بنت يزيد جد آخر ملوك فارس ، ولد سنة ٣٨ هـ ، وتوفي سنة ٩٤ هـ ، وقيل سنة ٩٢ هـ ، ودفن في البقيع بجوار قبر عمه الحسن بن علي ، انظر : (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٧) .

وهؤلاء [هم] المذكور من ولد علي بن الحسين بن علي ؛ وعلمهم ثلاثة عشر^(١) ذكراً ،
أعقب منهم ستة وهم :

محمد المكنى بأبي جعفر .

وعبد الله .

وزيد .

وعمر .

وعلى .

والحسين الأصغر .

[قول] ^(٢) أبو جعفر محمد^(٣) بن علي بن الحسين بن علي جعفر الصادق ؛ وعبد الله

- أمهما أم ولد- ، وإبراهيم ، وعبيد الله - لا بقية لهما ، درجا ، وأمهما أم ولد - ؛ وعلياً
- لا عقب له ، وأمها أم ولد - .

[قول] جعفر بن محمد الصادق^(٤) إسماعيل - أعقب - ؛ وعبد الله - لا عقب له - ، أمهما

فاطمة ابنة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ وموسى^(٥) ، وإسحق ، ومحمد - لأم

(١) الأسماء المذكورة عددها اثنا عشر لا ثلاثة عشر .

(٢) مابين الحاصرتين عن (ج) وبها يستقيم المعنى .

(٣) أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين ، الملقب بالباقر ، أحد الأئمة الاثني عشر - في اعتقاد الإمامية - كان عالماً كبيراً ، وقيل له الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسع فيه ، أمه أم عبد الله بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولد بالمدينة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة ٥٧ ، والأقوال مختلفة في سنة وفاته فهي سنة ١١٣ أو ١١٤ أو ١١٧ أو ١١٨ ، وكانت وفاته في الحبيمة ، ثم نقل إلى المدينة ، فدفن في البقيع في قبر أبيه وعم أبيه الحسن ابن علي ، انظر : (ابن خلكان ، ج ٢ ص ٢٢١) .

(٤) أبو عبد الله جعفر الصادق ، أحد الأئمة الاثني عشر ، لقب بالصادق لصدقه في مقالته ، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، اشتغل بالكيمياء والزجر والفأل ، ويقال أن من تلاميذه أبو موسى جابر بن حيان ، وأنه ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل أساتذه جعفر الصادق وهي خمسين رسالة ، ولد جعفر سنة ٨٠ ، وقيل سنة ٨٣ ، وتوفي في شوال سنة ١٤٨ بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، انظر : (ابن خلكان ، ج ١ ص ١٨٥) .

(٥) هو أبو الحسن موسى الكاظم الإمام السابع في رأى الاثني عشرية ، كان كثير الورع والتقوى ، ولد بالمدينة سنة ١٢٩ أو ١٢٨ ، وأقام بها حتى أقدمه المهدي بفداد وحجسه ، ثم رده إلى المدينة إلى أن ولي هارون الرشيد ، فحمله إلى بفداد سنة ١٧٩ ؛ فحجسه بها إلى أن توفي في محبسه ، وكانت وفاته سنة ١٨٣ أو ١٨٦ ، وكان المسوكل به مدة حبسه السندى بن شاهك جد كشاجم الشاعر المعروف ، انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ص ١٣ - ١٥) د

(Mamour : 'The Origin of the Fetimid Caliphs, p.p. 93-100-)

ولد - ؛ والعباس - لا عقب له ، وأمه أم ولد - [و] علياً - المعروف بالعريضي - [و] أمه
أم ولد - .

• • •

وحيث انتهينا إلى ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب فإنه الغرض ، [و] إليه ينسب الخلفاء الفاطميون بناً القاهرة ، فنقول :
إن إسماعيل بن جعفر الصادق مات في حياة أبيه جعفر سنة ثمانٍ وثلاثين ومائة ، [و]
خلعت من الأولاد محمداً ، وعلياً ، وفاطمة .

فأما محمد بن إسماعيل فإنه الذي إليه الدعوى ؛ وكان له من الولد جعفر ، وإسماعيل فقط ،
- أمهما أم ولد - :

[قولاً] ^(١) جعفر بن محمد بن إسماعيل محمداً ، وأحمد ، أما أحمد فلا عقب له .

وأما محمد فولد جعفر ، وإسماعيل ، وأحمد ، والحسن .

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ^(٢) :

« وولد إسماعيل بن جعفر : علي ، ومحمد فقط ، وإمامة محمد هذا تدعى القراءة والغلاة
بعد أبيه إسماعيل .

[قولاً] ^(١) محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ، منهم بنو جعفر
البيضا بن الحسن بن محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) وبها يستقيم المعنى .

(٢) هو أبو محمد علي بن محمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الظاهري الأندلسي ،
ولد في قرطبة يوم الأربعاء سلخ رمضان سنة ٢٨٤ هـ (٧ نوفمبر ٩٩٤) ، كان أبوه وزيراً
للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ، وقد ثقف ابن حزم ثقافة عالية ، وحصل علوماً كثيرة ،
وآلف فيها ، روى ابنه أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليف نحو أربعمائة مجلد تشتمل على
قريب من ثمانين ألف ورقة ، ويقال أنه كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين ، لا يكاد
يسلم أحد من لسانه ، فاستهدف لفقهاء وقته ، وأقصته الملوك ، فأنتهى إلى البادية حيث مات في
سنة ٤٥٦ هـ ، وأهم مؤلفات ابن حزم كتاب « الفصل في الملل والنحل » طبع في المطبعة
الأدبية بالقاهرة سنة ١٣١٧ ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ، انظر ترجمته بالتفصيل
وبيان مؤلفاته في (ابن خلكان : وفیات الأعيان، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٤) و (القفطي : أخبار
العلماء ، ص ١٥٦) و (دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن حزم ، وما بها من مراجع) .

وادعى عبيدُ الله القائمُ بالمقرب أنه أخو حسن بن محمد هذا ، وشهد له بذلك رجل من بني البيض ، وشهد له أيضا بذلك جعفرُ بن محمد بن الحسين بن أبي الجنّ علي بن محمد الشاعر بن علي بن إسماعيل بن جعفر ، ومرة ادعى أنه ولدُ الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وكل هذه [دعوى] مفتضحة ، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولدٌ اسمه الحسين .

وهذا كلبٌ فاحش ، لأن مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب ، ولا يجهل أهله إلا جاهل .

[قلت] (١) : وأما ما ذكره أبو محمد من انتسابهم إلى الحسين بن محمد بن إسماعيل قولُ افتعله معاديهم ، فقد كان أبو محمد بقرطبة ، وملكها بنو أمية ، وهم أعدى أعاذى القوم ، فنقل ما أشاعه هناك ملوكُ بلده ، حتى اشتهر كما هي عادة الأعداء .

والذى يقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه : أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده ، وأن الإمام بعد إسماعيل بن جعفر [هو] ابنه محمد ، ويلقبونه بالمكتوم (٢) ، ويعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل ، ويلقبون جعفرا هذا « بالمصدق » ، وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق .

قالوا : فَوَلَدَ مُحَمَّدُ الْحَبِيبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ جَعْفَرِ الْمَصْدُقِ بْنَ مُحَمَّدِ الْمَكْتُومِ بْنَ الْإِمَامِ إِسْمَاعِيلَ .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

(٢) أمام اضطهاد المياسيين ، وسعي الانجاح الدعوة اضطرت الأئمة من أبناء إسماعيل إلى التكتف وإخفاء شخصياتهم ، فلقبوا بالأئمة المكتومين ، وأولهم محمد بن إسماعيل ، ويرى (Mamour : Op. Cit. 43-92) أن محمدا المكتوم هو ميمون القداح نفسه ، وأنه في تكتفه انتحل هذا اللقب ، وامتنع مهنة القداحة ليختفى وراءها وليكون أكثر اتصالا بأكبر عدد ممكن من الناس ، ويخالفه في هذا الاستاذان : Bernard Lewis و H.A.R. Gibb انظر :

(Bernard Lewis : The Origins of Ismailism. p. 21-22)

وعبيد الله هذا هو القائم بالمغرب ، الملقب بالمهدي ، المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالمغرب (١٣) وبمصر .

هذا هو الثابت في درج نسبهم .

وقال الشريف محمد [بن] أسعد بن علي الحسيني الجواني النقيب :

« وأما إسماعيل بن جعفر - يعني الصادق - ، فَحَقَّقَهُ من ابنائه : محمد وعلي .

فلما علي فمن ولده أبو الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل بن جعفر وهم يلمسحق ويقال لهم : « بنو أبي الحسن » - بجمع ونون - .

وأما محمد بن إسماعيل فينسب إليه الذين تغلبوا على إفريقية الغرب ، ثم تغلبوا على مصر والشام .

ففي النسابين من أثبتهم ، وفيهم من نفاهم ، وفيهم من أمسك .

سألت الشريف النشابة جمال الدين أبا جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم الإدريسي الحسني بمدينة القاهرة عن هؤلاء ، فقال :

المثبتون لأنساب أهل القصر بالقاهرة [هم] : شيخ الشرف العبيدي ، وابن ملقطة المعري ، وأبو عيد الله البخاري .

والنافون لأنسابهم [هم] : الشريف ابن العابد ، وابن وكيع من أصحاب سحنون ، وابن حزم الأندلس صاحب كتاب « الجماهير في أنساب المشاهير » .

ولتوقفون في أنسابهم [هم] : محمد المبرقع ، وأخوه الحسن الزيداني ، في جماعة كثيرة من النسابين ، كابن خلد ، وشبل بن تكين ، وغيرهم .

والذي قاله شيخ الشرف :

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) ، وهو محمد بن أسعد بن علي بن معمر أبو علي الجواني ، صاحب كتاب « النقط بسجم ما اشكل من الخطط » ، ولم يظهر للآن ما يثبت وجوب هذا الكتاب ، غير أن المؤلفين المتأخرين قد تقلوا عنه كثيرا ، وخاصة المقرئ في خطه حيث يقول عنه انه نيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت ، وقد ولد الشريف سنة ٥٢٥ هـ وتوفي سنة ٨٨ هـ (١١٣١ - ١١٩٢) انظر : (المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٦ - ٧) و (أبو الحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٤٣ ، ج ٦ ، ص ١١٩ ، ٢١٨) و محمد عبدالله عنان : مصر الاسلامية ، ص ٣٩ ، ٥٥ ، ٨٩ .

« وبنو عبد الله بالمغرب في نسب القطع » .

هذا ما أملاه عليّ الإدريسي ، وكان من العلماء بالنسب والتاريخ .

قال : ووجدتُ في كتاب أبي الفنائم عبد الله النسابة الزيدى الحسيني في ذكره ولِدَ محمد بن إسماعيل بن جعفر : المعقب من جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر رجل واحد [هو] محمد ، أمه فاطمة بنت علي بن جعفر بن عمر بن علي بن الحسين بن علي ، وأما أروى ابنة الهيثم ابن العريان بن الهيثم بن الأسود الجُشَبي ، والمعقب من محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل رجل واحد ، وهو الحسن الحبيب (لأم ولد) ، وكان له : جعفر ، وإسماعيل ، وأحمد ، وعبيد الله ، وعلي (اغتربوا فلم يُعلم كيف جرى أمرهم ، وهل اعقبوا أم لا ؟) .

ويقال إن ولدَ عبد الله بالمغرب ، وآخر من ذكره من عقب محمد بن إسماعيل : الحسين ابن أبي طالب ، علي بن الحسين ، أبي القاسم بن الحسين بن الحسن بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (؟) .

وأما غيرهم فيقول : إن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وَلَدَ جعفرًا ، وإسماعيل ، وأحمد ، والحسن .

وَوَلَدَ الحسنُ جعفرًا - توفي بمصر سنة ثلاث وتسعين ومائتين - .

فَوَلَدَ جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق أبا جعفر محمدًا .

فولد محمد أبا عبد الله جعفرًا ، وعليًا ، وأحمد ، والحسن ، ويحيى .

هؤلاء المذكور من وَلَدَ الحسن بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق

- وكانوا بمصر - .

وَوَلَدَ إسماعيلُ بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب أحمدًا ، ويحيى ، ومحمدًا ، وعليًا ، - دَوَجَ ولا عقب له - .

فَوَلَدَ أحمدُ بنُ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إسماعيلَ - توفي بمصر في ذي القعدة سنة أربع وسبعين ومائتين - .

ومحمدًا - لا عقب له - .

وزيدا ، وعليا ، والحسين - لأم ولد - .

وَوَكَّدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ - تَوَفَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَثَلَاثًا مِئَةً بِمِصْرَ - .

وَأَبَا جَعْفَرَ مُحَمَّدًا - تَوَفَّى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثًا مِئَةً بِمِصْرَ - .

وَأَبَا الْقَاسِمِ جَعْفَرَ - تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ بِمِصْرَ - ، وَحَمْزَةً - دَرَجٌ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَلَا عَقَبَ لَهُ - .

وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ (تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ) .

وَأَبَا الْحَسَنِ عَلِيًّا - تَوَفَّى فِي طَرِيقِ مَكَّةَ سَنَةَ الثَّانِيَةِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثًا مِئَةً - .

فَوُلِدَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَبَا مُحَمَّدَ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَبَا الْحَسَنِ عَلِيًّا ، وَأَبَا الْقَاسِمِ جَعْفَرَ ، - وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثًا مِئَةً - ، وَمُوسَى - وَلَا عَقَبَ لَهُ - .

فَوُلِدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيًّا ، وَأَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ ، وَالْحَسَنِ - .

وَوَكَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ يَنْتَأَى - لَمْ يَلِدْ غَيْرَهَا - .

وَوَكَّدَ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ ، وَأَبَا إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَبَا جَعْفَرَ مُحَمَّدًا ، وَأَبَا الْحُسَيْنِ مُحَمَّدًا .

هُؤُلَاءِ هُمُ بَنُو أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ (٣ ب) بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ - وَهُمْ بِمِصْرَ - .

وَوَكَّدَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ [الصَّادِقِ] عَلِيًّا ، وَالْحُسَيْنِ ، وَمُوسَى .

وولد علي بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسن ، - وتوفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ولا عقب له - .

وَوَلَدَ الحسين بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زيدا - ولا عقب له - ، ومحمداً [و] جعفرًا ، وأحمد ، وإسماعيل - وُلد بالمغرب ولا عقب له - .

وولد موسى بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر يحيى ، وجعفرًا ، وعليًا ، وإبراهيم ، وإسماعيل - ولا عقب له - .

فهؤلاء بنو محمد بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر - وهم بمصر - .
وَوَلَدَ الحسين بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق محمداً أبا الحسين ، ومحمداً أبا عبد الله - وهم بمصر - .

وَوَلَدَ جعفر بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر زينباً - ثم يلد غيرها - .

وَوَلَدَ علي بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إسماعيلًا ، ومحمداً ، والحسين ، والحسن ، وجعفرًا .

وَوَلَدَ إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر محمداً - ولا عقب له - ، وعبد الله .

وَوَلَدَ محمد بن علي بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر إبراهيم ، وزينبًا ، وعبد الله ، ومحمداً ، وعليًا .

وَوَلَدَ الحسين بن علي بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق حمزةً وجعفرًا - وهم بمصر - .

وولد زيد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر [الصادق] موسى - ولا عقب له - .

وولد علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر فاطمةً - ماتت بدمشق - .

وَوَلَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ زَيْدًا - مَاتَ بَيْتَنَادَ - ،
 وَمُحَمَّدًا ، وَإِسْمَاعِيلَ - التَّقِيبَ بِلَمَشَقْ - ، وَأَحْمَدَ ، وَالْحَسَنَ ، وَعَلِيًّا ، وَجَعْفَرًا - وَلَا عَقَبَ لَهُ - .
 فَوَلَدَ زَيْدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الْحُسَيْنِ
 - وَلَا عَقَبَ لَهُ - ، وَأُمُّ سَلْمَةَ ، وَخَلِيجَةُ - وَكَانَ لَهَا وَلَدٌ بَيْتَنَادَ - ، وَمُوسَى - لَا عَقَبَ لَهُ - .
 وَوَلَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ فَاطِمَةَ
 - أَلَمْ يَخْلُفْ غَيْرَهَا - .

وَوَلَدَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ
 مُحَمَّدًا ، وَمُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ ، وَالْحُسَيْنَ ، وَطَاهِرًا .

[فَوَلَدَ] مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
 ابْنِ جَعْفَرِ أَحْمَدَ .

وَوَلَدَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ حَمِزَةً ، وَمُحَمَّدًا - وَقَدْ انْقَرَضَا وَلَا عَقَبَ لهُمَا مِنَ الذَّكَوْرِ - .
 وَوَلَدَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ مُحَمَّدًا ، وَعَقِيلًا ، وَإِبْرَاهِيمَ - وَلَا عَقَبَ لَهُ - ،
 وَهَبِيْدَ اللَّهِ ، وَمَحْسَنًا - وَلَا بَقِيَّةَ لَهُمَا - .

وَوَلَدَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَسِّنَ ، وَأَحْمَدَ ، وَمُحَمَّدًا - الْمُرُوفَ بِأَخَى مُحَسِّنَ - ،
 كَانَ سَكَنَ دِمَشْقَ ، وَلَا عَقَبَ لِأَحْمَدَ وَمُحَمَّدَ هَٰذَيْنِ .

وَوَلَدَ يَحْيَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ أَحْمَدَ وَفَاطِمَةَ - دَرَجَا - .

وَوَلَدَ مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلَ ، بَنَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ مُحَمَّدًا .

فَوَلَدَ مُحَمَّدُ هَٰذَا الْحَسَنَ ، وَالْحُسَيْنَ ، وَمُحَمَّدًا .

وَوَلَدَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ الْحُسَيْنِ ، وَأَحْمَدَ - وَهُم بِالْكُوفَةِ - .

فَهَٰؤُلَاءِ جَمِيعُ وَلَدِ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ .

وَأَمَّا بَقِيَّةُ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهِمْ هُنَا .

ذكر ما قيل في انساب خلفاء الفاطميين

قال مؤلفه (١) -رحمة الله تعالى عليه - .

وقد وقفت على مجلد يشتمل على بضع وعشرين كرامة في الطعن على انساب الخلفاء الفاطميين ، تأليف الشريف العابد المعروف بأخي محسن (٢) ، وهو محمد بن علي بن الحسين ابن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق - ويكنى بأبي الحسين - ؛ وهو كتاب مفيد .

وقد عبرت زمانا أظن أنه قائل ما أنا حاكية حتى رأيت محمد بن إسحق النديم (٣) في كتاب « الفهرست » ذكر هذا الكلام بنصه (٤) ، وعزا إلى أبي عبد الله بن رزام (٥) ، وأنه

(١) ج : ه قال كاتبه ، وقد وقعت ٥٠ الخ

(٢) علوى عاش في النصف الثاني من القرن الرابع ، ويرجع انه كان معاصرا للمعز لدين الله ، انظر : (B. Lewis : Op. Cit. p. 7).

(٣) انظر ترجمته في (ابن خلكان : الوفيات) و (معجم الأدباء لياقوت) و (مقدمة الفهرست)

(٤) ورد في الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ نص تحت عنوان والكلام على مذهب الاسماعيليه « يشبه نص المقرئ في المعنى ولكنه يختلف عنه كثيرا في اللفظ ، كذلك أورد المقرئ في الخطوط ، ج ٢ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ فصلا عنوانه « ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناء القاهرة » يتفق مع النص المذكور هنا في المعنى ، ويختلف عنه في اللفظ اختلافا يسيرا جدا ، والأصل الذي ينقل عنه المؤرخان هو ابن رزام .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي ، عاش على الأرجح في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، انظر : (المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٤٣) حيث يذكره ضمن المؤرخين الذين كتبوا قبله عن القرامطة ، والمسعودي توفي سنة ٣٤٥ هـ ، وابن رزام أقدم كاتب - فيما نعلم حتى الآن - أشاع قصة انتماء الفاطميين الى ميمون القداح ، ووصل بينه وبين القرامطة ، وكتاب ابن رزام مفقود حتى الآن ، ولكن هذه الأجزاء التي تشكك في نسب الفاطميين قد نقلها عنه مؤرخون لاحقون كثيرون ، أشار المقرئ هنا الى أن أخا محسن واحد منهم ، ومنهم المقرئ نفسه ، فقد نقل جزءا من هذا النص هنا ، وفي الخطوط ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، وفي المتن ، انظر :

= (Quatremere : Mémoires Historiques J.A. 1836)

ذكره في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية ، قال - وأنا يرى من قوله - :

هؤلاء القوم من ولد ديصان^(١) الثنوي ، الذي يُنسب إليه الثنوية^(٢) - وهو مذهب
يحققون فيه خالفتين ، أحدهما يخلق النور ، والآخر يخلق الظلمة - فوكَّد ديصان هذا ابنًا
يقال له ميمون القداح^(٣) .

= وفي (نهاية الأرب للثوري - في الجزء الخاص بتاريخ الفاطميين ولا يزال مخطوطا -)
قسم كبير من هذا الكتاب ، وكذلك نقل ابن النديم في الفهرست ، ص ٢٦٤ - ٢٦٦ كلام
ابن رزام بلفظه .

وعلى أساس الشكوك الشائعة في هذا النص كتب المحضر العباسي الأول (١٠٢ = ١٠١١)
باتكار النسب الفاطمي الذي ظل المرجع الموثوق به لكثير من المؤرخين الطاعنين في النسب
الفاطمي ، وقد ناقش نص ابن رزام هذا (B. Lewis : Op. Cit. p. 55, 59)
(١) من البراهين القوية التي يتلوع بها مؤيدو النسب الفاطمي أن ديصان هذا عاش
ومات قبل ظهور الدعوة الإسماعيلية بنحو أربعة قرون ، يقول البغدادي مثلا (الفرق بين
الفرق ، ص ٣٣٣) عند كلامه عن الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة : « وقالوا بتكثير كل
متبني سواء كان قبل الاسلام كزرادشت ويوداسف وماني وديسان ومزنيور ومزدك ،
أو بعده كسميلة وسجاح الخ » ، انظر أيضا : (الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ، ص ٨٨)
و (Masmour : Op. Cit. P. 30 - 42) وما به من مراجع ، و

(O' Leary : A Short History of the Fatimid Khalifate. p. 18)

(٢) الثنوية مذهب قديم كان أتباعه يعتقدون أن للمصالح أصليين ، هما النور والظلمة .
والثنوية أربع فرق :

- ١ - المانوية أتباع ماني ، وكانوا يقولون أن النور والظلمة حيان .
- ٢ - والديسانية أتباع ديسان ، ويقولون أن النور حي والظلمة ميتة .
- ٣ - والمروثوية ، وهم يشيئون متوسطا بين النور والظلمة ويسمونه المعدل .
- ٤ - والمزدكية ، أتباع مزدك بن نامدان .

انظر تفصيل الكلام عن هذه الفرق في : (الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ١٤٣ ،

(١٤٧) و (الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٨٨ - ٨٩)

(٣) اختلفت الآراء اختلافا كبيرا عند بيان حقيقة ميمون القداح ، فكتب السنة من مؤرخين
وفقهاء ينكرون انتساب الدولة الفاطمية الى علي وقاطمة ، ويؤكدون نسبتها الى ميمون القداح ،
ويقولون انه كان فارسيا مجوسيا من الأهواز ، وأنه تظاهر بالاسلام والتشيع والدعوة لآل
البيت ، فقبض عليه وأودع سجن الكوفة في أواخر عهد المنصور ، وبعد خروجه من السجن
ادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، إلى أن نجحت دعوته في عهد أولاده
الخلفاء الفاطميين . انظر مثلا :

والإله تُنسب الميمونية^(١) ، وكان له مذهب في الظور ، فولد ليمون هذا ابنُ يقال له
 عبد الله كان أختب من أبيه ، وأعلم بالحيل ، فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على
 بطلان الإسلام ، وكان عارفاً عالماً بجميع الشرائع والسنن ، وجميع علوم المذاهب كلها ،
 فرتب ما جله من المكر في سبع دعوات ، يتدرج الإنسان من واحدة إلى أخرى ، حتى ينتهي
 إلى الأخيرة ، فيبقى مُعراً عن جميع الأديان ، لا يعتقد غير التعطيل والإبادة ، ولا يرجو ثوابا ،
 ولا يخشى عقابا ، ويقول إنه على هدى هو وأهل مذهب ، وغيرهم ضالُّ مغفل .

= (العهادي اليمني : كشف اسرار الباطنية ، ص ١٦ - ٢٠) و (عبد القاهر البغدادي :
 الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨) و (عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٣٣ ،
 ١٧٣) .

اما المراجع الاسماعيليه فتري انه : لما أن لاسماعيل الأجل ٠٠٠ أوصى والده الصادق
 الأمين أن يقيم لولده حجبا ومستودعا ، كما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلا ، فاقام له
 يوشع بن النون سترا عليه وحجبا له ، فسلمه - أعني فولانا محمد بن اسماعيل - الى ميمون
 ابن غيلان بن بيد بن مهران بن سليمان الفارسي - فسلم الله روحه - فرباه وأخفى شخصه ،
 وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح ، وهو كفيلا له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد
 سليمان ، وسلمان من أولاد اسحق بن يعقوب أهل الاستبداد ، والقائمين بالبلاغ والابلاغ ،
 أي أن ميمونا وابنه عبد الله من بعده كانا حاجيين ومستودعين لأسرار أولاد اسماعيل بن
 جعفر الصادق - انظر ص ٤٧ و ٤٩ من كتاب « زهر الماني » الذي نشره أخيرا المستشرق
 Ivanow في كتابه (Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids)
 وقد ناقش Ivanow في كتابه هذا ، ص ١٣٣ و ١٥٣ و ٢٢٣ و ٢٣٦ جميع الآراء
 والأقوال المتصلة بحقيقة ميمون القداح ، وخرج منها برأي يدافع عنه ، خلاصته أن
 قصة انتساب الفاطميين الى ميمون خرافة لا يؤيدها المنطق أو المراجع الاسماعيليه أو
 الحوادث التاريخية .

ويرى (Mamour : Op. Cit. p. 43, 92) أن ميمونا هو محمد بن اسماعيل نفسه ، اما
 (B. Lewis : Op. Cit. p. 44-66) فيرى أن عهد التكم شهد نوعين من الأئمة :
 الأئمة المستودعون وينتسبون ليمون القداح ، والأئمة المستقرون وينتسبون لمحمد بن اسماعيل
 (١) يفهم من النص أن الميمونية فرقة تنتسب ليمون القداح ، غير أن الشهرستاني
 ذكر في (الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٧٣) أن الميمونية هم : « أصحاب ميمون بن خالد ، كان
 من المجاردة إلا أنه تفرد عنهم بإثبات أن القدر - خيره وشره - من العبد ٠٠٠ والقول بأن الله
 تعالى يريد الخير دون الشر ، وليس له مشيئة في معاصي العباد ٠٠ » وأن الميمونية يجيزون نكاح
 بنات البنات وبنات أولاد الأخوة والأخوات ٠٠ الخ ، انظر أيضا : (الرازي : اعتقادات فرق
 المسلمين والمشركين ، ص ٤٨) .

وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا في الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالكر والخديعة ، وأما في الظاهر فإنه يدعو إلى الإمام من آل البيت : محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ليجمع الناس بهذه الحيلة .

وكان عبد الله بن ميمون هذا أراد أن يقتنياً فلم يتم له ، وأصله من موضع بالأهواز^(١) يعرف « بقروج العباس^(٢) » ، ثم نزل « عسكر مكرم^(٣) » ، وسكن « ساباط » أي نوح^(٤) فقال بدعته مالا ، وكان يستتر بالشيع والعلو ، وصار له دعة ، فظهر ما هو عليه من التعطيل والإيالة والكر والخديعة ، فثار به الشيعة والمعتزلة^(٥) ، وكسروا^(٦) داره ، ففر إلى البصرة وسعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازي ، فدعى أنه من ولد عقيل^(٧) بن أبي

(١) يقال إن الأهواز جمع هوز ، وأصله هوز ، والهوز في الأرضين أن يتغلها رجل ويبين حدودها فيستعملها فلا يكون لأحد فيها حق ، ولما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها لأنه ليس في كلامهم حاء مهمل ، فإذا تكللوا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء ، وقد كان اسمها في أيام الفرس خوزستان ، ويقال في رأى آخر انما كان اسمها بالفارسية الأهواز لعربت إلى الأهواز ، والأهواز - كما قال ياقوت في معجمه - مسبع كور بين البصرة وفارس ، وذكر أنها فتحت على يد حرقوص بن زهير بتأثير عتبة بن غزوان إياه ، سيره إليها في أيام تصديره البصرة وولايته عليها ، وقال البلاذري : غزا المفيرة بن شعبة سوق الأهواز في ولايته بسد أن شخص عتبة بن غزوان من البصرة في آخر سنة ١٥ هـ أو أول سنة ١٦ فقاتله البيروان دهقانها ثم صالحه على مال ، ثم نكت لغزاه أبو موسى الأشعري حين ولاه عمر البصرة بسد المفيرة ففتح الأهواز عنوة - انظر : (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) لم أجده في المراجع التي بين يدي تصريفا لموضع هذا البلد .

(٣) عسكر مكرم بلد من نواحي خوزستان ، منسوب إلى مكرم بن معزاد الحارث صاحب العجاج بن يوسف ، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم منهم المسكريان أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم اللقوي ، أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن ابن عبد الله أبو هلال المسكري - انظر : (معجم البلدان لياقوت) .

(٤) صيغة ابن النديم : « فنزل عسكر مكرم فكيس بها ، فهرب منها ، فنقضت له داران في موضع يعرف بساباط أبي نوح ، فبنيت أحدهما مسجداً ، والأخرى خراب إلى الآن » .

(٥) للتصريف بالمعتزلة وفرقها انظر مثلاً : (الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٢٢

.. ١٢٤) ، (الرازي : اعتقادات ، ص ٣٨ - ٤٥) .

(٦) (ج) : « وكبسوا »

(٧) لاحظ هذا النص حيث يقول إن عبد الله بن ميمون ادعى أنه من ولد عقيل ، والمقرزي هنا ينقل عن ابن رزام ، وعن نفس المرجع ينقل ابن النديم في الفهرست ، ولكن صيغة الفهرست ص ٣٦٤ : « وسار إلى البصرة ، فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب » وهي أوفق لأن ابن النديم ينقل نص ابن رزام بلفظه ، وقال النويري نقلاً عن أخيه محسن إن عبد الله بن ميمون فر إلى البصرة عند قبيلة باهلة من أتباع عقيل بن أبي طالب ، وعن عقيل وأخباره انظر : (ابن قتبية : المعارف ، ص ٨٨) .

طالب ، وأنه يدهو إلى محمد بن إسحاق بن جعفر الصادق ، ثم اشتهر خبره ، فطلبه
المسكرون ، فهرب هو والحسين الأهوازي إلى سَلَمِيَةِ ليخفى أمره بها ، فوُكِّلَ له ابن يقال
له أحمد ، ومات عبد الله بن ميمون ، فقام من بعده ابنه أحمد هذا في ترتيب الدعوة ، وبعث
الحسين الأهوازي داعيةً إلى العراق ، فلقى حمدان بن الأشعث قَرْمَطَ (١) بسواد الكوفة .

وَوُلِدَ لأحمد بن عبد الله بن ميمون القُدَّاح ولدان ، هما : الحسين ومحمد - المعروف بلقب
الشاملع (٢) - ، ثم هلك أحمد ، فخلفه ابنه الحسين في الدعوة ، فلما هلك الحسين بن أحمد
غلقه أخوه محمد بن أحمد - المعروف بلقب الشاملع - .

وكان للحسين (٣) ابن اسمه سعيد ، فبقيت الدعوة له حتى كبر ، وكان قد بعث
محمد هذا داعيةً إلى المغرب ، وهما ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد ، وأخوه
أبو الهيثم محمد بن أحمد بن محمد ، فنزلا في قبيلتين من البربر ، وأخذوا على أهلها .

(١) في المراجع تفسيرات كثيرة لهذا اللفظ ، منها أن حمدان سمي بهذا الاسم لأنه
كان يقرط في سيره إذا مشى ، أي يقارب بين خطواته ، ومنها أنه لقب بهذا اللقب لأنه كان
أحمر البشرة تشبيهاً له بالقرمذ وهو الطوب الأحمر (الأجر) ، وأصل هذا اللفظ يوناني
Keramidi انظر : (ابن مالك : المرحع السابق ، ص ١٨) و(متز : الحضارة الإسلامية
ج ٢ ، ص ١٨٥ من الترجمة العربية) و(الجواليقي : المغرب ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥) ويرى
البعض أن هذا اللفظ مأخوذ من « اقرط » أي غضب أو عيس . انظر القاموس ، ومن يأخذ
بهذا الرأي Do lacy و (B. Lewis : Op. Cit. pp. 82-83) وعندهما أسباب للبرهنة على هذا الرأي
ويرى الأب أنستاس ماري الكرمل عند شرحه لهذا اللفظ في (العرشى : بلوغ المرام ،
ص ٣٤٠ - ٣٤١) أن هذه اللفظة « آرامية » (نبطية) من قرمطونا أي المدلس أو الخبيث أو
المكار أو المختال ، أو من (قرمط) وهي التدليس أو الخيث أو المكر أو الاحتيال ، لما اشتهر عنهم
من هذه الأمور ، ولا جرم أن هذه التسمية لم يتخذها الباطنية أو القرامطة أنفسهم ، بل فيهم
بها من لم يكن من تطلعتهم .

ولاحظ أن ابن النديم ، ص ٢٦٥ يثبت اعتناق حمدان للمذهب في عهد عبد الله بن
ميمون ، أما نص التفسير في هذا فيفيد اعتناقه إياه في عهد أحمد بن عبد الله بن ميمون .

(٢) رسم هذا اللفظ في بعض المراجع بالفتن المجمة هكذا « الشلفنخ » ، كذلك اختلف
المؤرخون عند ذكر من خلف ميمون من أولاده ، انظر قوائم النسب الميمونية كما رواها المؤرخون
المختلفون في : (B. Lewis : Op. Cit. p. 72-73) و (Minour : Op. Cit. p. 40-41)

(٣) في (الخطط ، ج ٢ ، ص ١٥٨) : « وكان لأحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد » .

وقد كان اشتهر أمرهم بسلامية ، وأيسروا ، وصار لهم أملاك كثيرة ، فبلغ خبرهم السلطان ، فبعث في طلبهم ، ففرَّ سعيد من سلمية يريد المغرب ، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشري^(١) ، فدخل سعيد على النوشري وناداه ، فبلغ السلطان خبره ، وكان يتقصَّى عنه ، فبعث إلى النوشري بالقبض عليه ، ففرض الكتاب وفي المجلس ابن المدير^(٢) ، وكان مؤاخياً لسعيد ، فبعث إليه يحلّره ، فهرب سعيد ، وكبس النوشري داره فلم يوجد ، وصار إلى الاسكندرية ، فبعث النوشري إلى والي الاسكندرية بالقبض على سعيد ، - وكان رجلاً دليماً يقال له علي بن وهسودان .

وكان سعيد عطاشاً ، فلما قبض عليه ابن وهسودان قال :

« إلى رجل من آل رسول الله » .

فرقَّ له ، وأخذ بعض ما كان معه وغلّاه ، فصار حتى نزل سجنه - وهو زى

(١) عيسى النوشري أول وال على مصر بعد زوال دولة بني طولون ، دخلها بعد ولايته من قبل الخليفة المكتفي في جمادى الآخرة سنة ٢٩٢ هـ ، ولا تولي المكتفي (ذو القعدة ٢٩٥) وتولى الخلافة المنتدر بالله أقر النوشري على ولاية مصر ، وفي عهد عيسى قدم على مصر زيادة الله بن الأغلب أمير افريقية مهزوماً من أبي عبد الله الشيعي في شهر رمضان ٢٩٦ ، ونزل بالجيزة وأراد الدخول إلى مصر فمنعه ، ووقعت بينهما مناوشات إلى أن وقع الصلح بينهما على أن يعير زيادة الله إلى مصر وحده من غير جند ، فدخلها وأقام بها ، وقد مات عيسى بعد قليل في شعبان ٢٩٧ - وهو على امرأة مصر ، ودفن بها (ويقول أبو المحاسن أنه نقل إلى دمشق فدفن بها) ، وكانت مدة ولايته على مصر خمس سنين وشهرين ونصف شهر (٢٩٢ - ٢٩٧ = ٩٥ - ٩١٠) انظر : (الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٥٢٨ - ٢٦٧) و (ابن قسرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٤٥ - ١٥٦) و (المقرئ : المخطوط ، ج ٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥) .

(٢) هذا القول يبعث على الشك ، لأن ابن المدير كان والياً على خراج مصر عندما قدم إليها أحمد بن طولون ، وذلك في سنة ٢٥٤ ، وقد كان بين الرجلين منافسات ومؤامرات كثيرة انتهت بمنزل ابن المدير عن خراج مصر ، وتولية ابن طولون على خراجها وصلاتها ، وقد كان فرار عبيد الله المهدي إلى المغرب ومروءه بمصر في سنة ٢٩٥ هـ ، فليس من المقول أن يكون أحمد بن محمد بن المدير هذا حياً حتى تلك السنة ، ولا يؤيد رواية المقرئ هنا إلا أن يكون هناك في تلك السنة ابن مدير آخر ، إنظر أخبار ابن المدير التفصيلية في : (البدر : سيرة أحمد بن طولون ، الصفحات المذكورة في فهرس الأعلام) و (المقرئ : المخطوط ، ج ٢ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ و ١١٢) و (ابن قسرى بردى : النجوم ، ج ٢ ، ص ٤٣) و (الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢١٤) .

التصغار - فتقرب إلى واليها وعلمه ، وأقام عنده مدة ، فبلغ المختص^(١) خبره ، فبعث في طلبه ، فلم يقبض عليه والي سجلماسة ؛ فورد عليه كتاب آخر ، فقبض عليه وخبسه ؛ وكان خبره قد اتصل ببني عبد الله الداعي - الذي تقدم ذكر خروجه هو وأخوه إلى البربر - ، فصار حينئذ بالبربر إلى سجلماسة ، وقتل واليها ، وأخذ سعيها ، وصار صاحب الأمر ، وتسمى بمعيد الله ، وتكنى ببني محمد ، وتلقب بالمهدي ؛ وصار إماما علويا من ولد محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ؛ ولم يلبث إلا يسيرا حتى قتل أبا عبد الله الداعي ، وتملك البربر ، وقلع بني الأغلب^(٢) ولاية المغرب .

قال :

« لمعيد الله - الملقب بالمهدي - : هو [سعيد]^(٣) بن الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القلاح بن ديصان الثنوي الأهوازي ، وأصلهم من المجوس . »

قال :

أما سعيد هذا الذي استولى على المغرب ، وتسمى بمعيد الله ، فإنه كان بعد أبيه يتيا في

(١) المعروف أن أبا عبد الله الداعي وصل إلى المغرب في سنة ٢٨٨ هـ (انظر مايل) ، فلما تغلب على الفريقية أرسل يستدعي عبيد الله الذي وصل إلى المغرب في سنة ٢٩٥ - ٢٩٦ ؛ فلما وصل إذن أن يكون الخليفة العباسي الذي أرسل في طلبه هو المختص ، لأنه حكم بين سنتي ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢ ، انظر

(Lane-Poole : Op. Cit. p. ٤٥) و (Zambaur : Op. Cit. p. 4) والأرجح أن يكون من أرسل في طلبه هو الخليفة المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ = ٩٠٢ - ٩٠٨) أو الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ = ٩٠٨ - ٩٣٢) .

(٢) في سنة ١٨٤ (٨٠٠ م) ولي إبراهيم بن الأغلب على الفريقية من قبل هارون الرشيد وقد خلف هذا الوالي دولة من أمرته استقلت بالحكم ، وكان لها شأن عظيم ، فقد أنشأت نفسها أمطولا كبيرا نشر نفوذها في شواطئ البحر الأبيض المتوسط الأوربية ، وخاصة شواطئ إيطاليا وفرنسا وقورسيقة وسردينيا ، وافتتح هذا الأسطول جزيرة صقلية سنة ٢١٢ (٨٢٧) ، وضربها إلى ملك الأغالبة ، وظل الأغالبة يحكمون الفريقية نيفا وقرنا (١٨٤) سنة ٢٩٦ هـ = ٨٠٠ - ٩٠٩ حتى ضعف أمرهم ، وحتى مهد ملك الإدارة في المغرب الأقصى وانتشار المذهب الشيعي لنجاح الدعوة الفاطمية في سنة ٢٩٦ - ٢٩٧ . انظر

(Zambaur : Op. Cit. p. 67) و (Lane-Poole: Op. Cit. p. 36-37)

و (دائرة المعارف الإسلامية : مادة أغالبة ، وما بها من مراجع) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (الخطط) ج ٢ ، ص ١٥٨ .

حجر جمه - الملقب بأبي الشلعل - ، وكان على ترتيب الدعوة بعد أخيه ، فرتب أمرها لسعيد ، فلما هلك وكبر سعيد ، وصار على الدعوة ، وترتيب الدعاة والرياسة ، ظهر أمره ، وطلب المتخضد ، فهرب إلى المغرب من سلمية .

ويقال إنه ترسم بالتعليم كى يخفى أمره ، وكان يقول عن محمد أنه ربيب في حجره ، وأنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وذلك لضعف أمره في مبدئه ، ولذلك يقال عن محمد ابن عبيد الله « يتيم المعلم » .

وزعم آخر أن عبيد الله كان ربيباً في حجر بعض الأشراف ، وكان يطلب الإمامة ، فلما مات ادعى عبيد الله أنه ابنه ؛ وقيل بل كان عبيد الله من أبناء السوق صاحب علم .

انتهى ما ذكره الشريف .

قال :

ولم يدع سعيد هذا - المسمى عبيد الله - نسباً إلى علي بن أبي طالب إلا من بعد هربه من سلمية ، وآبائه - من قبله - لم يدعوا هذا النسب ؛ وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم ، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأنه حتى لم يموت .

وهذا القول باطل ، وباطنهم غير ظاهرهم ، وليس يُعرف هذا القول إلا لهم ؛ وهم أهل تعطيل وإباحة ، وإنما جعلوا علاقتهم بآل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باباً للخليعة والكر .

ولم يتم لسعيد أمر بالمغرب إلا أن قال : « أنا من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » . ثم له بذلك الحيلة والخبيلة ، وشاع بين الناس أنه علوى فاطمى من ولد إسماعيل بن جعفر ، فاستبد بهم بهذا القول ، وخفى أمر ملهيه عليهم إلا من كشف له من خاصته ودعائه في تعطيل البارى ، والظن على جميع الأنبياء ، وإباحة أنفس أممهم وأموالهم وحرمتهم ، ومع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسباً على منبر ، ولا في مجمع بين الناس ، سوى ما يشيرون أنهم من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشير نسب ينتسبون به ، مجوياً على الإمامة .

ولم يكن أحد من السلاطين المتقدمين كاشفهم في أمر نسبهم احتقاراً منه بهم
وببلدهم ، ولبعد ما بينهم من المسافة ، فجرى أمرهم على ما ذكرنا - منذ ملك سعيد المسمى
بعميد الله المغرب إلى أن جلس نزار بن معد يعني العريز - بمصر .

ثم ملك فنأ خسرو^(١) بن الحسن الديلمي ببغداد ، فقرّب ما بينهما من المسافة ، فجمع
العويين ببغداد ، وقال لهم :

« هذا الذي يحصر يقول إنه علوى منكم » .

فقالوا :

« ليس هو منا » .

فقال لهم .

« ضعوا خطوطكم » .

فوضعوا خطوطهم أنه ليس بعلوى ، ولا من ولد أبي طالب .

ثم أنفذ إلى نزار بن معد رسولا يقول له :

« نريد نعرف من أنت ؟ » .

(١) في الأصل : فناخسرو ، وهو عهد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي
علي الحسن بن بويه الديلمي ، كانت مدة حكمه (٣٦٧ - ٣٧٢) ، اتسع ملكه حتى شمل ملك
سابقه من البويهيين ، وضم إلى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة ، وهو أول من خوطب بالملك في
الاسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان من التاج تاج الملة ،
فلما صنف له أبو اسحاق الصابي كتاب التاجي في أخبار بني بويه أضافه إلى هذا اللقب ، وكان
عهد الدولة محبا للفنون مكرما لأهلها ، فقصده فحول الشعراء ومدحوه ، وخاصة المتنبي الذي
ودد عليه وهو يشير إلى في جمادى الأولى سنة ٣٥٤ ، ومدحه بقصائد كثيرة كان آخرها
قصيدته الكافية التي ودعه فيها وهي آخر شعر المتنبي ، وقد أنشأ فناخسرو البيمارستان
العضدي ببغداد ، وفرغ من بنائه سنة ٣٦٨ ، وتوفي سنة ٣٧٢ ببغداد ، ودفن بدار الملك ،
ثم نقل إلى السكوفة ، ودفن بمشهد على بن أبي طالب * انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ،
ص ١٥٩ - ١٦٢) و (القريزي : نحل عيسر النحل ، نشر الشيال ، ص ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٤) .

فعظم ذلك عليه ، فذكر أن قاضيہ ابن النعمان^(١) ساس الأمر ، لأنه كان يلى أمر الدعوة والمكتبة في أمرا ، فنسب نزارا إلى آبائه ، وكتب نسبه ، وأمر به أن يقرأ على المنابر ، فقرأ على منبر جامع دمشق صدر الكتاب ، ثم قال :

نزار العزيز بالله بن معد المز لدين الله ، بن إسماعيل المنصور بالله ، بن محمد القائم بأمر الله ، ابن عبيد الله المهدي ، بن الأئمة المستحقين - أو قال المستضعفين - وقطع .

ثم إن رسول فثا خسرو سار راجعا ، فقتل بالسقم في طرابلس ، فلم يأتهم من بعده رسول ، وهلك فثا خسرو .

وذكر^(٢) أبو الحسين^(٣) هلال بن الحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي ، وابنه غرس الدولة .

(١) هو القاضي علي بن النعمان بن حيوث ، ولد في رجب سنة ٣٢٨ بالمغرب ، وقدم مع المعز إلى مصر ، فأمره بالنظر في الحكم ، فكان يحكم هو وأبو الطاهر (القاضي السابق) إلى أن أصابه الإنجليح ، فسوس المزن لابن النعمان الانفراد بالقضاء ، وكان ذلك في سنة ٣٦٦ ، فاتبع في أحكامه المذهب الإسماعيلي ، لا المذهب الشافعي ، وهو أول من لقب بقاضي القضاة في مصر ، توفي في رجب سنة ٣٧٤ هـ ، وقد تولى عدد كبير من أسرته القضاء في مصر الفاطمي - انظر : (الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٤٩٥ - ٤٩٧ ، ٥٨٩ - ٥٩٢ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣ ، ٦١٣) .

(٢) هذه الفقرة الطويلة المنقولة عن تاريخ الصابي ، وردت في المتن بنسخة (ج) ، ولكنها لم ترد بالمتن في نسخة الأصل وإنما كتبت على ورقة صغيرة منفصلة ، وقدم لها بهذه الجيلة « في ورقة ملصوقة مكتوب فيها بخط المصنف في هذا المحل ما نقله » ، ومنها يتضح أن كاتب هذه النسخة نقلها عن نسخة المؤلف التي كانت لا تزال في مرحلة التأليف ، فكان يضيف إليها بين الحين والآخر اضافات من قراءاته يثبتها على بطاقات أو طيارات صغيرة ويشير بعلامة في المتن إلى امكنة هذه الإضافات .

(٣) في الأصل : « أبو الحسن » ، والتصحيح عن تاريخه المطبوع ، وقد ولد هلال سنة ٣٥٩ هـ ، وتوفي سنة ٤٤٨ هـ ، جدّه أبو أيّبه إبراهيم صاحب الرسائل ، انظر ترجمته في (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٠ - ٢١) ، كان صابئا ، وكان أبو الحسن صابئا كذلك ، أما هلال فقد أسلم متأخرا ، انظر قصة إسلامه سنة ٤٠٣ هـ - كما ذكرها سبط بن الجوزي في مرآة الزمان - في أول كتابه المطبوع في تاريخ الوزراء ، ولهلال التاريخ الذي ذيل به على تاريخ ثابت بن سنان ، وفيه يؤرخ للسنوات من ٣٦١ إلى ٤٤٧ ، وذيل عليه ابنه غرس النعمة ، وكتاب الدولة البويهية وكتاب رسوم دار الخلافة ، وكتاب اخبار بغداد ، وكتاب الوزراء ذيل على كتاب الجيشتياري . انظر : (القفطي في ترجمته ثابت بن سنان) وقد طبع لهلال كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، بده بالكلام عن أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات ، وانتهى فيه بالكلام -

محمد - في تاريخهما - أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الحسين^(١).
ابن موسى بن محمد بن^(٢) إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ، وابنه أبا القاسم عليا
المرتضى^(٣) ، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء ، وأبرز إليهم أبيات الشريف الرضى^(٤)
أبي الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين التي أولها :

ما مقامى على الهوانِ وعندى يَقُولُ صَارِمٌ ، وَأَنْفٌ حَيِّى
وإِباءٌ مَحْلَقٌ فِي عَنِّ الشَّيْمِ ، كَمَا رَأَى طَائِرٌ وَحَيِّى
أَيُّ عُلُرٍ لَهُ إِلَى الْمَجْدِ إِنَّ ذَلِكَ غَلَامٌ فِي غَمْدِهِ الْمَشْرِقِ
أَحْمَلُ الشَّيْمِ^(٥) فِي بِلَادِ الْأَعَادَى ، وَمَعَصَرِ الْخَلِيفَةِ الْعُلُوِّ

=ع ابن الحسن بن علي بن موسى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، وطبع معه في مجلد واحد الجزء الثامن
من كتابه التواريخ ، وهو الجزء الوحيد الذى وجد من تاريخه وحواضنه من ٢٩٩ الى ٣٩٩ ،
وقد نشر الكتّابين معا وتقدم لهما المستشرق أمدروز ، هنا ولم أعثر في هذا الجزء من تاريخه
على أثر لهذا الحادث المروى هنا لمقارنة النصين احدهما بالآخر .
(١) راجع : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٣٦٦) و (ابن تفسرى یردى : النجوم
الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٦ و ١٥٧ و ١٦٧ و ٢٢٣) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص
٣٤٢) .

(٢) أبو القاسم علي الشريف المرتضى ، ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ ، تولى نقابة
الطالبيين نيابة عن أبيه مدة حياته ، ثم وليها وحده في سنة ٤٠٦ بمعد وفاة أخيه الشريف
الرضى ، كان شاعرا مجيدا كأكخيه ، وله ديوان ومؤلفات في المذهب الشيعى ، ويقول ابن خلكان:
وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام علي بن أبى طالب ، هل
هو جمعه أم جمع أخيه الرضى ، وقد قيل أنه ليس من كلام علي وإنما الذى جمعه ونسبه اليه
هو الذى وضعه ، انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٧) و (النجوم الزاهرة ،
ج ٣ و ٤ الصفحات المذكورة في الفهرس) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص
٥٣) انظر أيضا بيان مؤلفاته التي طبعت في (معجم سركيس) .

(٣) أبو الحسن محمد الشريف الرضى ، ولد سنة ٣٥٩ وتوفى سنة ٤٠٦ ببغداد ، ولى نقابة
الطالبيين والنظر في المظالم والحج بالناس نيابة عن أبيه ، ثم وليها وحده سنة ٣٨٨ وأبوه حي ،
وكان شاعرا ممتازا ، وله ديوان كبير طبع مرتين في بيروت ، وفي بمبای ، وقد راجعنا
شعره الوارد هنا على الطبعة الثانية . انظر ترجمته بالتفصيل في (ابن خلكان : الوفيات ،
ج ٢ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٧) و (النجوم الزاهرة ، ج ٣ و ٤ ، الصفحات المذكورة بالفهرس)
و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣ و ٤) .
(٤) في الديوان : « ألبس النمل »

مَنْ أبوه أبى ، ومولاه مولا ى ، إذا ضامنى البعيدُ القصى
لَتَّ عِرْقُ بعرقه سيدا لنا يس جيمى : محمدٌ وعلى
إنْ جوعى بذلك الربيعُ شَيْعُ وأوامى بذلك الظلُّ رى
مِثْلُ مَنْ يركبُ الظلامَ وقد أَس رى ومن خلقه جلالٌ مُضى^(١)

وقال الحاجب للنقيب أبى أحمد :

« قل لولئك محمد : أى هوانٍ قد أقام فيه عندنا ؟ وأى ضيمٍ لقى من جهتنا ؟ وأى ذلٍّ أصابه فى بملكنا ؟ وما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه ؟ أكان يصنع إليه أكثر من صنيعنا ؟ [ألم نوله النقابة ؟] ^(٢) ألم نوله المظالم ؟ ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أمير الحجيج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا ؟ ما نظنه كان يكون - لو حصل عنده - إلا واحدا من أبنائه الطالبين بمصر » .

فقال النقيب أبو أحمد :

« أما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ، ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه ، وعزاه إليه » .

فقال القادر :

« إن كان كذلك فليكتب الآن محضر يتضمن القدر فى أنساب ولاية مصر ، ويكتب محمد خطه فيه » .

فكتب محضرٌ بذلك ، شهد فيه جميعٌ من حضر المجلس . منهم : النقيب أبو أحمد ، وابنه المرتضى .

وحمل المحضر إلى الرضوخ ليكتب فيه خطه ، حمله أبوه وأخوه ، فامتنع ، وقال :
« لا أكتب ، وأخاف دعة صاحب مصر » .

(١) توجد للنصيدة نسخة فى المايون لم يذكرها المقرئى هنا .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن ج .

ذكر الشعر ، وكتب بخطه أنه ليس بشعره ، ولا يعرفه ، فأجبره أبوه على أن يسطر خطه في المحضر ، فلم يفعل ، وقال :

« أخاف دعاة المصريين وغلبتهم^(١) ، فإنهم معروفون بذلك » .

فقال أبوه :

« يا عجباً ! أتخاف من بينك وبينه ستائة فرسخ ، ولاتخاف من بينك وبينه مائة ذراع ؟ »

وحلف أن لا يكلمه ، وكذلك المرتضى ، فعلا ذلك تقية وخوفا من القادر ، وتسكينا له .

فلما انتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضمره له ، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة ، وولاه محمد بن عمر النهرسابي^(٢) .

(١) ج : « وغلبتهم »

(٢) عند هذا اللفظ تنتهي الفقرة الملحقة بالورقة الإضافية .

وقال الإمام علي بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري في كتاب «الكامل في التاريخ» :

ذكر

ابتداء الدولة العلوية بافرقية

هذه الدولة اتسعت أكناف مملكتها ، وطالت ملتها ، فحتاج نستقصي ذكرها ، فنقول :
أول من ولي منهم : أبو محمد عبيد الله ، فقبل هو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد
ابن إساعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ ومن ينسبه
هذا النسب يجعله : عبد الله بن ميمون القداح - الذي ينسب إليه القداحية - .
وقيل هو عبيد الله بن أحمد بن إساعيل الثاني بن محمد بن إساعيل بن جعفر - يعني
الصادق - ، وقد اختلف العلماء في صحة نسبه (١) .

فقال : - هو وأصحابه القائلون بإمامته - إن نسبه صحيح ، ولم يرتابوا فيه . وذهب
كثير من العلماء بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً ، وشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف
الرضي (٢) .

ما مُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ ؟ وَعِنْدِي يَقُولُ صَارُمٌ ، وَأَنْفٌ حَوِيٌّ
أَلْبَسُ الدُّلَّ فِي بِلَادِ الْأَعَادِي ! وَبَصَرُ الْخَلِيفَةِ الْعَلَوِيِّ ؟
مَنْ أَبَوهُ أَبِي ، وَمَوْلَاهُ مَوْلَا يَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيُّ
(١٥) لَفَّ عَرَقٌ بِعَرَقِهِ سَيْدَا النَّاسِ بِسَ جَمِيعاً : مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ
إِنَّ دُلِّيَ بِلَدِّكَ الْخِيَّ عَزَّ ، وَأَوَامِي بِلَدِّكَ الرَّيُّعِ رِيٌّ

(١) ناقش موضوع النسب الفاطمي عدد كبير من المؤرخين القدماء والمحدثين ، راجع
أحدث ماكتبه في هذا الموضوع B. Lewis "The Origins of Ismailism"

(٢) يوجد في هامش نسخة الأصل تعريف بالشريف الرضي ، هذا نصه :
« بخطه : الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد حسين بن موسى بن محمد بن
موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب ، ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، ومات في المحرم سنة أربع
وأربعمائة » .

قال (أى ابن الأثير) :

إنما لم يودعها ديوانه خوفاً ، ولا حجة فيما كتبه في المحضر المتضمن القُدْح في أنسابهم ، فإن الخوف يحمله على أكثر من هذا ، على أنه قد ورد ما يصدّق ما ذكرته ، وهو أن القادر بالله لما بلغته هذه الآبيات أحضر القاضي أبا بكر الباقلائي^(١) ، وأرسله إلى الشريف أبي أحمد الموسوى - والد الشريف الرضى - يقول له :

« قد عرفت منزلك منا ، وما لا نزال عليه من صدق الموالاتة ، وما تقدم لك في الدولة من مواقف محمودّة ، ولا يجوز أن تكون أنت على خليقة نرضاه ، ويكون ولك على ما يضادها ، ولقد بلغنا أنه قال شعرا ، وهو كذا وكذا ، فياليت شعري على أى مقام ذلّ أقام ؟ وهو ناظر في النقابة والحج - وهما من أشرف الأعمال - ولو كان في مصر لكان كبحض الرعايا » .
وأطال القول .

فحلف أبو أحمد أنه ما علم بذلك ، وأحضر ولده ، فقال له في المنى ، فأنكر الشعر ، فقال له :

« اكتب خطك إلى الخليفة بالاحتذار ، واذكر فيه أن نسب المصبرى مدخول ، وأنه مدع في نسبه » .

فقال : « لا أفعل » .

فقال أبوه : « أتكتبني في قولى ؟ »

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصرى ، كان اشعري المذهب ومن أئمة علماء الكلام في وقته ، وله تصانيف كثيرة ، (انظر بيانها في : البداية والنهاية ، وبروكلمان) ، لم يطبع منها الا كتاب « اعجاز القرآن » ، ومن أهم كتبه التي لم تصلنا كتاب يتصل بموضوع هذا الكتاب وضعه للرد على الباطنية وعنوانه : (كشف الامرار وهتك الاستار) ، وقد نقل عنه ابن تقي بردى في (النجوم ، ج ٤ ، ص ٧٥) فقرات تتضمن الطعن في نسب الفاطميين ، وقد كان الباقلائي مؤفّر الذكاء ، ويرى ابن كثير أن عضد الدولة بعث في رسالة الى ملك الروم ، وقد بدرت منه اثناء رسالته بوادر عرف منها ملك الروم وفور حمته وعلو عزمته ، توفي سنة ٤٠٣ هـ . انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١) و (ابن تقي بردى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٣٤) و « دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الباقلائي ومآبها من مراجع » .

فقال : « ما أكذبك ، ولكن أخاف الدليم ، وأخاف من المضرى ، ومن الدعاة التى له فى البلاد » .

فقال أبوه : « أتخاف من هو بعيد منك وتراقبه ، وتسخط من أنت بمرأى منه ومسمع ، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك ؟ » .

وتردد القول بينهما ، ولم يكتب الرضى خطه ، فحرد عليه أبوه وغضب ، وحلف أن لا يقيم معه فى بلد ، فآل الأمر إلى أن حلف الرضى أنه ما قال هذا الشر . وانلحقت القصة على هذا .

ففى (١) امتناع الرضى من الاعتذار ، ومن أن يكتب طعناً فى نسبهم دليل قوى على صحة نسبهم .

وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين عن نسبة فلم يرتابوا فى صحته . وذهب غيرهم إلى أن نسبة مدخول ليس بصحيح ، وغلا طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبه يهودياً .

وقد كتب فى الأيام القادرية محضر يتضمن القدر فى نسبه ونسب أولاده ، وكتب فيه جماعة من العلويين (٢) وغيرهم : أن نسبه إلى أمير المؤمنين على - كرم الله وجهه - غير صحيح . وزعم القاتلون بصحة نسبه أن العلماء ممن كتب فى المحضر إنما كتبوا خوفاً وتقياً ، ومن لا علم عنده بالأنساب فلا احتجاج بقوله .

وزعم الأمير عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس - صاحب تاريخ إفريقيا والغرب - أن نسبه معرق فى اليهودية ، ونقل فيه عن جماعة من العلماء ، وقد استقصى ذلك فى ابتداء دولتهم وبالح .

(١) الأصل « فبقى » ، والتصحيح عن ابن الأثير ، وبه يستقيم المعنى
(٢) ذكر (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٠) أسماء العلويين الذين وقعوا على المحضر ، فراجعها هناك وراجع كذلك (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٤٦) و (ابن تفرى بردى : النجوم ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ - ٢٣١) .

وأنا أذكر معنى ما قاله مع البراءة من عهدة طعنه في نسبه ، وما عذاه فقد أحسن فيما ذكر ، قال :

« لما بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - عظم ذلك على اليهود والنصارى والروم والفرس وسائر العرب ، لأنه سقاه أعلامهم ، وعاب أديانهم ، فاجتمعوا يداً واحدة عليه ، فكفاه الله كيدهم ، وأسلم منهم مَنْ هداه الله ، فلما قُبِضَ - صلى الله عليه وسلم - نَجَمَ النفاقُ ، وارتدَّتْ العربُ ، وظنوا أن أصحابه يضعفون بعده ، فجاهد أبو بكر - رضى الله عنه - في سبيل الله ، فقتل مسيلمة وأهل الردة ، ووطأ جزيرة العرب ، وغزا فارس والروم ، فلما حضرته الوفاة ظنوا أن يوفاته ينتقض الإسلام ، فاستخلف عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأذل فارس والروم ، وغلب على ممالكهما ، فدس عليه المنافقون أبا لؤلؤة فقتله ، ظناً منهم أن يقتله ينطق نور الإسلام ، قولى عثمان - رضى الله عنه - ، فزاد في الفتوح ، فلما قُتِلَ وبلى على - رضى الله عنه - قام بالأمر أحسن قيام ، فلما يش أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخلوا في وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضَعْفِ العقول في دينهم ، بأمور قد ضبطها المحذون ، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطنعن عليه .

وكان أول مَنْ فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب - مولى بنى أسيد^(١) ، وأبو شاكِر ، ميمون بن ديصان ، وغيرهما ، فآلقوا إلى كل من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطناً ، وأن الله لم يوجب على أوليائه وَمَنْ عُرِفَ [من] الأئمة والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، ولا حرَّم عليهم شيئاً ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات ، وقالوا : هذه قيود للعامة ، وهى ساقطة عن الخاصة ، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي - صلى الله عليه وسلم - ليستروا أمرهم ، ويستميلوا العامة .

(١) كذا في الأصل . وعند ابن الأثير : « بنى أسيد » ، انظر تفصيل الحديث عن ابن الخطاب وعن الخطابية في : (الكفى : معرفة الرجال ، ص ١٨٧ - ١٩٩) و (السراي : اعتقادات المسلمين ، ص ٥٨) و (النوبختي : فرق الشيعة ، ص ٤٢ و ٤٤ و ٦٩) .
(B. Lewis : Op. Cit. p. 32-43) و (الاسفراييني : التبصير في الدين ، ص ٧٣ - ٧٤) .
و (المقرئى : الخطط ، ج ٤ ص ١٧٤ - ١٧٥) .

وتفرق أصحابهم في البلاد ، وأظهروا الزهد والعبادة ، يغرون الناس بذلك وهم على خلافه ، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة ، وكان أصحابه قالوا له : « إنا نخاف الجند » فقال لهم : « إن أسلحتهم لاتعمل فيكم » .

فلما ابتدأوا في ضرب أعناقهم ، قال له أصحابه :

« ألم تقل إن سيوفهم لاتعمل فينا ؟ »

فقال : « إذا كان قد بدا لله فما خيلتي ؟ »

وتفرقت هذه الطائفة في البلاد ، وتعلموا الشَّعْبَةَ^(١) ، والنَّارَنْجِيَّاتِ^(٢) ، والنجوم ، والكيمياء ، فهم يحتالون على كل قوم بما ينفق عليهم ، وعلى العامة بإظهار الزهد .

ونشأ لابن دَيْصَانَ ابنٌ يقال له « أبو عبد الله القداح »^(٣) ، علمه الحيل ، وأطلعه على أسرار هذه النحلة ، فحلّق وتقدم .

وكان يتواخى أصبهان^(٤) رجلٌ يُعرف بمحمد بن الحسين ، ويلقب بلندان^(٥) ، يتولى

(١) يقال شعوذ وشعيد ، والشعوذة أو الشعينة خفة في اليد ، واخذ كالسحر ، يرى الشيء فيغير ما عليه أصله في رأى العين ، وهو مشعوذ ومشعوذ ، والشعوذي رسول الأمراء على البريد (القاموس) .

(٢) النارنجيات أو النيسرنجيات عرفها (Dozy : Supp. Dict. Arab) بأنها الرقى أو الطلاسم أو السحر (enchantements) ، وجاء في القاموس أن النيرنج اخذ كالسحر وليس به ، انظر الفصل الذي عقده (ابن النديم في الفهرست ، ص ٤٢٩ - ٤٣٥) عن أخبار المعزمين والمشعبين والسحرة ، وأصحاب النارنجيات والحيل والطلاسم .

(٣) كذا في الأصل وفي ج ، وعند ابن الأثير « عبد الله القداح » .
(٤) جاء في (معجم البلدان لياقوت) نقلا عن حمزة بن الحسن أن أصبهان اسم مشتق من الجندية لانه اذا رد الى أصله بالفارسية كان « أسباهان » ، وهي جمع أسباه أى الجند ، ويقال لها أيضا أصفهان ، وقد اختلفت الروايات عند ذكر السنة التي فتحها فيها المسلمون ، فهي سنة ١٩ أو ٢١ أو ٢٣ ، انظر أخبارها بالتفصيل في : (أبو نعيم : أخبار أصفهان ، جزء ١) و (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أصفهان وما بها من مراجع) .

(٥) في الأصل : « ديدان » ، وقد اختلفت المراجع في رسم اسم هذا الاسم ، فهو زيدان ، وزندان ، وذيذان . الخ ، كذلك اختلفت المراجع السنية والشمسية عند التعريف به ، فهو في المراجع السنية : محمد بن الحسين الملقب بدندان أو ذيدان ، كان رجلا ثريا يعيش يتواخى كرخ أصفهان ، كما كان فارسيا شعويا ، كاره للمرب ، اجتمع وعبد الله بن ميمون في سجن .

تلك المواضع ، وكان يبغض العرب ، ويجمع مساوئهم ، فسار إليه القداح ، وعرفه من ذلك ما زاد به محله ، وأشار إليه أن لا يُظهر ما في نفسه ويكتمه ، ويظهر التشيع والطنن على الصحابة ، فاستحسن قوله ، وأعطاه مالا ينفقه على الدعاة إلى هذا المذهب ، فسير دعاته إلى كُور الأهواز ، والبصرة ، والكوفة ، والطالقان^(١) ، وخراسان ، وسَلَمِيَّة من أرض حِمص .

وتوفى القَدَّاح وَدَنْدَان ، فقام من بعد القَدَّاح ابنه أحمد ، وصحبه انسان يقال له أبو القاسم رسم بن الحسين بن فرج^(٢) بن حوشب بن زاذان التجار ، من أهل الكوفة ، وأتقن إليه مذهبه فقبله ، وسيره إلى اليمن ، وأمره بلزوم العبادة والزهد ، ودعا الناس إلى المهدي ، وأنه خارج

= وإلى العراق حيث أسس مذهب الباطنية ، ثم قدم دندان لعبد الله ألف دينار ليصرف منها على نشر الدعوة ، ثم بدأ دندان ينشر دعوته في منطقة الجبل ، فبعثه جماعة من الأكراد ، انظر (الفهرست لابن النديم ، ص ٢٦٧) و (البفدادي: الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٠) و (الاسفراييني: التبصير في الدين ، ص ٨٣) ، ٠٠ الخ

وهو في المراجع الشيعية أبو جعفر أحمد بن الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران من الأهواز ، وكان من الفلاة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان أبوه الحسين من الثقات ، روى الكثير عن علي الرضا (٢٠٢ = ٨١٧) ومحمد الجواد (٢٤٠ = ٨٣٥) وعلى الهادي (٢٤٥ = ٨٦٨) ، وهو أصلا من الكوفة ، ثم رحل إلى الأهواز حيث ولد له أحمد ، ثم ارتحل إلى قم حيث مات بها . انظر مثلا : (الفهرست للطوسي ، ص ٢٦ ، ١٠٤) و (ابن شهر آشوب: معالم العلماء ، ص ١٠ ، ٣٥) ، ولتوضيح حقيقة دندان انظر :

(Lewis : Op. Cit. p. 12, 66-68, 69-71) :

(١) الطالقان بلدتان احدهما بين قزوین وأبهر ، والثانية بخراسان بين مرو الروز وبلخ ، ولعل الثانية هي التي يقصدها النص هنا . انظر (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) في ابن الأثير : « ابن الحسين بن حوشب بن دادان » ، وهناك اختلافات كبيرة عند ذكر اسمه في المراجع المختلفة ، كما يتبين عند مقارنة نصي الأصل وابن الأثير ، وهو في الخط للمقريزي : « أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي ، ويسمى أيضا منصور اليمن ، ويرى (Key: Op. Cit. P. 323) أن هذه الكنية ليست جزءا من اسمه الحقيقي ، وإنما هي صفة يقصد بها أنه الرجل الذي انتصر على يده المذهب في اليمن ، وقد ذكر (البهاء الجندی : تاريخ القرامطة الملحق بتاريخ اليمن لمعاذ ، ص ١٤١) - نقلا عن ابن الجوزي - أن ابن حوشب وصل مع علي بن الفضل إلى اليمن في سنة ٢٧٩ ، وقد قسارن (Key: P. 225) نصوص المراجع المختلفة وأثبت أنها وصلا إلى اليمن سنة ٢٦٨ ، وقد روى (الجنسني ، ص ١٥٠) أن ابن حوشب توفي سنة ٣٠٢ بعد وصوله بأربع وثلاثين سنة ، انظر أيضا : (ابن مالك : كشف أسرار الباطنية ، ص ٢٢ - ٢٨) و (Key : Op. Cit. P. 191, 282 etc.)

في هذا الزمان ، فنزل بعدن بقرب قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى ، فأظهر أمره ، وقرب أمر المهدي ، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح .

واتصلت أخباره بالشيعة الذين بالعراق ، فساروا إليه ، وكثر جمعهم ، وعظم بأسهم ، وأغاروا على مَنْ جاورهم ، وسبوا ، وجبوا الأموال ، وأرسل إلى من بالكوفة من ولد القداح هدايا عظيمة .

وأوفدوا إلى المغرب رجلين : أحدهما الحلواني ، والآخر أبو سفيان^(١) ، وقالوا لهما :

« إن المغرب أرض بور ، فاذهبوا فتحراثا حتى يجيء صاحب البلد » .

فسارا ، ونزل أحدهما بأرض كتامة ، فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما ، وحملوا إليهما الأموال والتحف ، فأقاما سنين كثيرة وماتا ، وكان من إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب ما كان .

فلما توفي عبد الله بن ميمون القداح ادعى ولده أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترون أمرهم ، ويخفون أشخاصهم .

وكان ولده أحمد هو المشار إليه منهم ، فتوفى وخلف ولده محمداً ، ثم توفي محمد وخلف أحمد والحسين ، فسار الحسين إلى سلمية ، وله بها ودائع من جهة جده عبد الله القداح ، ووكلاء وغلما .

وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعل ، وكان الحسين يدعى أنه الوصي وصاحب الأمر ، والدعاة باليمن المغرب يكتبونه ، واتفق أنه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية ،

(١) يوجد بالهامش في نسخة الأصل ونسخة (ج) تصريف الحلواني وأبي سفيان منقول عن المؤلف بخطه ، ونصه : « بخطه : الحلواني وأبو سفيان أنفذهما جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليهم السلام - إلى بلاد المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال لهما : انكما تدخلان أرضا بورا لم تحرت قط ، فاحراثا وكرماها وذلالا حتى يأتي صاحب البلد ، فيضع فيها حبه ، فنزل أبو سفيان من أرض المغرب مدينة مرمجة ، ونزل الحلواني بموضع يسمى سوق حماد ، فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استملا قلوب جمع كثير من كتامة وغيرها إلى محبة آل البيت ، وصاروا شيعه لهم إلى أن دخل إليهم صاحب البلد أبو عبد الله الشيعي بعد مائة وخمس وثلاثين سنة ، وكان من أمره ما كان » .

فوصفوا له امرأة رجل يهودى حداد مات عنها زوجها [وهى فى غاية الحسن]^(١) ولها ولد من الحداد يماثلها فى الجمال ، فأحبها وحسن موقعها منه ، وأحب ولدها ، وأدبه وعلمه ، فتعلم العلم ، وصارت له نفس عظيمة ، وهمة كبيرة ، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول إن الإمام الذى كان بسلمية - وهو الحسين - مات ولم يكن له ولد ، فعهذ إلى ابن اليهودى^(٢) الحداد

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج)

(٢) اعتاد المؤرخون السنيون أن يرددوا هذا الرأى القائل بانتساب الفاطميين الى أصل يهودى ، وتردد هذا الرأى - الى جانب القول بانتسابهم الى ميمون القدادح - دليل قوى على بعمه عن الحقيقة ، وعلى أنه وضع لتجريح الفاطميين والتشكيك فى صحة نسبهم ، مما دفع (Lacy O'Leary : The Fatimid Caliphate, p. 33-34)

ان يسمى هذا الرأى « الخرافة اليهودية » The Jewish Legend . ، وقد اتخذت هذه الخرافة فى تلك المراجع اشكالا أربعة :

١ - أول إشارة اليها توجد فى (ابن مالك : كشف اسرار الباطنية ، ص ١٧ وما بعدها) ، وقد نقلها عنه باختصار (الجندى : أخبار القرامطة ، ص ١٤٠) ، وخلاصة رأى ابن مالك أن عبد الله بن ميمون « كان يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلمع من مدينة سلمية ، وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة ، وكان صائفا يخدم شيعة اسماعيل ابن جعفر الصادق ، وكان حريصا على عدم الشريعة المحمدية .. الخ » .

٢ - وتروى بعض المراجع الأخرى . انظر مثلا (Maqrizi, Quatremere p. 115):

و (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨) و (أبو الفدا ، ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤) نفس الرواية المذكورة هنا فى المتن ، وخلاصتها أن الحسين - من نسل ميمون - وقد تزوج امرأة يهودى وتبنى ولدها ، ونقل اليه الدعوة ، وقد روى هذه القصة أيضا عبد العزيز بن شداد ، ورواها منسوبة الى القاضي عبد الجبار البصرى كل من (أبى المحاسن : النجوم ، ٤ ، ص ٧٥) و (السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣) .

٣ - أما الشكل الثالث لهذه الرواية فيتخلص فى أن سميدا كان ابنا لجارية من جوارى جعفر الصادق ، وقد أولدها إياه رجل يهودى كان يحبها . انظر : (ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٥٨) .

٤ - أما الشكل الرابع فيتخلص فى أن سميدا قتل فى سجنه بسلمية ، وحفظا للدعوة أظهر أبو عبد الله - مكان سعيد - عبدا يهوديا ، ونادى به خليفة . انظر :

(Maqrizi, Quatremere, p. 108)

ومن الواضح أن هذا الاختلاف فى الروايات دليل آخر على ضعف هذه القصة وبعدها عن الصحة ، ويرى (B.Lewis:Op.Cit.P.68) أن استعانة الفاطميين باليهود وتولييتهم الوظائف الكبرى فى الدولة مما دفع أعدائها الى ابتداء هذه القصة ، واتهامهم بالانتماء الى أصل يهودى ، ويؤيد لويس رأيه هذا بأن ابن مالك - وهو أول راو لهذه القصة - كان يعيش فى عهد المستنصر ، وقد تولى الوزارة فى عهد هذا الخليفة اثنان من اليهود ، هما : ابن سهل التستري ، وصدة الفلاحى . انظر : (ابن =

— وهو عبيد الله — ، وعلمه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأمين الدعاة ، وأعطاه الأموال والعلامات ، وتقدم إلى أصحابه بطاعته وخدمته ، وأنه الإمام والوصي ، وزوجه ابنة عمه أبي الشلمغ ، وجعل لنفسه نسبا ، وهو :

عبيد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

وبعض الناس يقول : إن عبيد الله هذا من ولد القداح .

وقال [أي ابن الأثير] : هذه الأقوال فيها ما فيها ، فيأليت شعري ، ما الذي حمل أبا عبيد الله الشيعي وغيره من قام في إظهار هذه الدعوة حتى (١٥) يخرجوا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي ؟ ! وهل يصالح نفسه بهذا الأمر [مَنْ] يحتفده دينا يُثاب عليه ؟ ! قال : فلما عهد الحسين إلى عبيد الله قال له : إنك ستهاجر بعدى هجرة بعيدة ، وتلقى محنا شديدة ، فتوفى الحسين ، وقام بعده عبيد الله ، وانتشرت دعوته ، وأرسل إليه أبو عبد الله رجلا من كتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرونه .

وشاع خبره عند الناس أيام المكتفى ، فطلب ، فهرب هو وولده أبو القاسم — الذي ولي بعده وتلقب بالقائم — وهو يومئذ غلام ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب ، وذلك أيام زدياة الله بن الأغلب . . .

انتهى ما ذكره ابن الأثير .

قال المؤلف (١) — رحمة الله عليه — : وأما المحضر فنسخته :

« هذا ما شهد به الشهود :

= منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ١٩ — ٢٣ و ٣٧ و ٥٢) و (صحيح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٦) ، فإثار هذا العمل شعور المسلمين ، ولا يمتد لويس عند ابتداء رايه هذا على استقراء الحوادث فقط ، وإنما يستمين بقول ابن مالك نفسه (ص ١٩ — ٢٠) وهو ، « والدليل على أنهم من اليهود استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة ، وتقويضهم اليهم تدبير السياسة ، مازالوا يحكمون في دماء المسلمين وأموالهم ... الخ » .

(١) ج : « قال كاتبه »

أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد يُنسب إلى ديصان بن سعيد الذي تُنسب إليه الديصانية .

وأن هذا الناجم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبور والخزى والدمار - ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله - .

وأن مَنْ تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين - أدهياء خوارج ، لانتسب لهم في ولد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

وأن ما ادعوه من الانتساب إليه زور وباطل .

وأن هذا الناجم في مصر - هو وسلفه - كُفَّار ، فساق ، زنادقة ، ملحدون ، معطلون ، وللإسلام جاحدون ، أباحوا الفروج ، وأحلوا الخمر ، وسبوا الأنبياء ، وادعوا الربوبية .

وفي آخره : « وكتب في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة » .

وقال العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن خلون^(١) في كتاب : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » :

ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة ، من نفيهم عن أهل البيت - صلوات الله عليهم - والطنن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق ، يحملون في ذلك على أحاديث لُفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ، تزلزلاً إليهم بالقدس فيمن ناصبهم ، وتفننا في الثبات بعلوهم ، حسب ما تذكر بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ، ويفعلون عن التفتن لشواهد الواقعات ، وأدلة الأحوال التي اقتضت

(١) من المعروف أن المقرئ كان تلميذا لابن خلدون ، وقد تأثر به تأثراً كبيراً . انظر (مقدمة الغاية الأمل للمقرئ نشر الدكتورين زيادة والفيال) ، وهو هنا ينقل عنه دفاعه عن الفاطميين وتأييده لصحة نسبهم ، غير أن (السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ١٤٧ - ١٤٨) يقول : « والعجب أن صاحبنا المقرئ كان يفرط في تعظيم ابن خلدون ، لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد إلى علي ، ويخالف غيره في ذلك ، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطمن في نسبهم ، ويقول : انما كتبوا ذلك المضر مراعاة للخليفة العباسي ، وكان صاحبنا - أي المقرئ - ينتمى إلى الفاطميين ، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم ، وغفل عن مراد ابن خلدون ، فإنه كان لا تحرافه عن آل علي يثبت نسب الفاطميين إليهم لما اشتهر من مسوءة معتقد الفاطميين ، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعى الألوهية » الخ . انظر أيضاً : (السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ، ص ٩٤) و (عنان : ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكري) .

خلاف ذلك من تكذيب دعواهم ، والرد عليهم ، فإنهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة أن أباه عبد الله المحسوب لما دعا - بكثامة - للرضى من آل محمد ، واشتهر خبره ، وعلم تحويله على عبيد الله المهدي ، وابنه أبي القاسم خشيأ على أنفسهما ، فهربا من المشرق - محل الخلافة - ، واجتازا بمصر .

وأتهما خرجا من الاسكندرية في زىّ التجار ، ونُعى خبرهما إلى عيسى^(١) النوشري - عامل مصر - فسُرع في طلبهما الخيالة ، حتى إذا أدركا خفي حالهما على ثابتهما بما لبسوا من الشارة والزىّ ، فأقبلوا إلى المغرب .

وأن المعتضد أوعز إلى الأغالبة - أمراء إفريقية بالقيروان - ، وبنى ملدار^(٢) - أمراء سجلماس - بأخذ الآفاق عليهما ، وإذكاء العيون في طلبهما ، فعثر اليسع^(٣) - صاحب سجلماس ابن آل ملدار - على خفيّ مكانهما بببله ، واعتقلهما مرضاة للخليفة .

هذا قيل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان .

ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بإفريقية والمغرب ، ثم باليمن ، ثم بالاسكندرية ، ثم بمصر والشام والحجاز ، وقاسموا بنى العباس في ممالك الإسلام شق الأبلمة^(٤) ، وكادوا^(٥) يلجون عليهم مواطنهم ، ويديلون من أمرهم .

(١) الأصل : «عيسى» ، وهو خطأ واضح .

(٢) بنو ملدار أمراء سجلماس حكموا هذه المدينة قرنين من الزمان (١٥٥ - ٣٥٢ = ٧٧٢ - ٩٦٣) إلا ثلاث فترات استولى فيها الفاطميون على هذه المدينة ، المرة الأولى في ٢٩٦ ولبثوا فيها إلى ٢٩٨ ، وكان ذلك في عهد اليسع الثاني المستنصر ، والمرة الثانية في سنة ٣٠٩ في عهد أحمد بن ميمون ، والمرة الثالثة في سنة ٣٤٧ وهي آخر سنة من حكم محمد الشاكر لله . انظر : (Zambeur : Op. Cit. p. 64-65)

(٣) هو اليسع الثاني المستنصر ثامن حكام سجلماس من آل ملدار ، حكمها بين سنتي (٢٧٠ - ٢٩٦ = ٨٨٣ - ٩٠٩) ، وهو الذي قبض على عبيد الله المهدي وأودعه السجن إلى أن أطلق سراحه واستولى على المدينة أبو عبد الله الشيعي .

(٤) شق الأبلمة أى تصلفين

(٥) في الأصل : « وكادوا » وما هنا صيغة ابن خلدون .

ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيري^(١) - من موالى الدليم المتغلبين على خلفاء بني العباس - في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم ، وخطب لهم على منابرهما حولاً كاملاً . وما زال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم ، وملوك بني أمية - وراء البحر - ينادون بالويل والحرب منهم .

وكيف يقع هذا كله للنهي في النسب ، يكذب في انتحال الأمر ؟ !
واعتبر حال القرمطي إذ كان دعيّاً في انتسابه ، كيف تلاشت دعوتُه ، وتفرّق اتباعُه ، وظهر سريعاً على خشبهم ومكرهم ، فسادت عاقبتُهم ، وذاقوا وبال أمرهم ، ولو كان أمرُ العبيدين كذلك لُرف ولو بعد مهلة .

(٦-ب) فمهما تَكُنَّ عند امرئ من خليقة وإن خالها تَخَفَى على الناس تُعَلِّم
فقد اتصلتْ دولتُهم نحواً من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا مقام إبراهيم ومصلا ، وموطن الرسول ومدفنه ، وموقف الحجيج ، ومهبط الملائكة ، ثم انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على أنهم ما كانوا عليه من الطاعة لهم^(٢) ، والحب فيهم ، واعتقادهم ينسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق .

ولقد خرجوا مراراً - بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها - داعين إلى بدعتهم ، هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم ، يزعمون استحقاقهم للخلافة ، ويذهبون إلى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الأئمة ، ولو ارتأبوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم ، فصاحب البدعة لا يلبس [في] أمره ، ولا يشبه في بدعته ، ولا يكذب نفسه فيما ينتحله .

(١) هو أبو الحارث أرسلان - الملقب بالمظفر - البساسيري ، وهذا الاسم نسبة شاذة إلى المدينة الفارسية « بسا » أو « فسا » . انظر (ياقوت : معجم البلدان) ، وكان البساسيري أحد القواد العباسيين آخر أيام بني بويه ، ثم حدث نزاع بينه وبين ابن مسلمة وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، لأنه طلب مساعدة السلاجقة لتخلص من بني بويه ، فلمّا دخل طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧ (١٠٥٥ م) اضطّر البساسيري إلى الفرار ، ثم كاتب الخليفة المستنصر الفاطمي ، فأمده - هذا بالمال والسلاح ، وفي سنة ٤٥٠ (١٠٥٨ م) دخل بغداد طافراً ، وأقام الخطبة للمستنصر ، وبعث البشائر إلى مصر ، وفي سنة ٤٥١ تغلب عليه ثانية طغرل بك وقتله ، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي ، انظر تفصيل هذه الثورة وأخباره في (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٠ - ١٢١) و (الوفيات لابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٠٧) و (دائرة المعارف الإسلامية) .
(٢) في الأصل : « الصاغية اليهم » ، وما هنا من ابن خلدون .

والمعجب في القاضي أبي بكر الباقلاني - شيخ النظار من المتكلمين - يجنح إلى هذه المقالة المرجوحة ، ويرى هذا الرأي الضعيف ، فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين ، والتعمق في الرافضية ، فليس ذلك بدافع في صدد بدعتهم ، وليس إثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم ، وقد قال تعالى لنوح - عليه السلام - في شأن ابنه : « إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلَنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » (١) [و] قال - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة يعظها : « يا فاطمة : اعملي ، فلن أغني عنك من الله شيئاً » .

ومنى عرف أمروء قضية ، أو استيقن أمراً ، وجب عليه أن يصدق به « والله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ » (٢) .

والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم ، وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم ، وانتشارهم في القاصية بدعتهم ، وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى ، فلاذت رجالهم بالاختفاء ، ولم يكادوا يُعرفون . كما قيل :

فلو تسأل الأيام ما اسمي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي ؟ مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

حتى لقد سُمي محمد بن إسماعيل الإمام - جد عبيد الله المهدي - بالمكتموم ، سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من اخفائه حثرا من المتغلبين عليهم ، فتوصل شيعه آل العباس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم ، وازدلقوا بهذا الرأي الفائل (٣) إلى المستضعفين من خلقائهم ، وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم ، المتولون لحروبهم مع الأعداء ، يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكاميين - شيعه العبيديين وأهل دعوتهم - ، حتى لقد أسجل القضاء ببغداد بنفيهم من هنا النسب ، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة ، منهم :

(١) السورة ١١ ، الآية ٤٦ .

(٢) السورة ٤ ، الآية ٣٣ .

(٣) الرأي الفائل أى الخاطئ أو الضعيف ، فقد جاء في القاموس : « قال رايه يفيل فيولة وفيلة أخطأ وضعف » .

الشریف الرضی^(۱) .

وأخوه المرتضی^(۲) .

وابن البطحاوی .

ومن العلماء :

أبو حامد الاسفرايينی^(۳) .

والقلدوری^(۴) .

والصيمری^(۵) .

(۱) أبو الحسن محمد الشریف الرضی ، ولد سنة ۳۵۹ ، وتوفي سنة ۴۰۶ ببغداد ، ولی نقابة الطالبیین والنظر فی المظالم والحج بالناس نيابة عن أبيه ثم وليها وحده سنة ۳۸۸ - وأبوه حتى - وكان شاعرا ممتازا ، وله ديوان كبير طبع أكثر من مرة - انظر ترجمته بالتفصيل في : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ۲ ، ص ۳۶۲ - ۳۶۷) و (النجوم الزاهرة ، ج ۳ و ۴) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ۱۲ ، ص ۳-۴) .

(۲) أبو القاسم علي الشریف المرتضی ، ولد سنة ۳۵۵ ، وتوفي سنة ۴۳۶ ، تولى نقابة الطالبیین نيابة عن أبيه - مدة حياته - ثم وليها وحده في سنة ۴۰۶ بمعد وفاة أخيه الشریف الرضی ، كان شاعرا مجيدا كآخيه ، وله ديوان ومؤلفات في المذهب الشيعي ، ويقول ابن خلكان : « وقد اختلف الناس في كساب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب ، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضی ، وقد قيل انه ليس كلام علي ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه » .

انظر : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ۲ ، ص ۱۴ - ۱۷) و (ابن تقيي بردي : النجوم الزاهرة ، ج ۳ و ۴ ، الصفحات المذكورة بالفهرس) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ۱۲ ، ص ۵۳) . انظر أيضا بيان مؤلفاته في : (معجم سركيس) .

(۳) أحمد بن محمد بن أحمد أبوحامد الاسفرايينی امام الشافعية في زمانه ، ولد سنة ۳۴۴ ، له مصنفات كثيرة ، وكان يتوسط بين الخليفة القادر وبين السلطان محمود بن سبكتكين ، توفي سنة ۴۰۶ ، انظر : (ابن تقيي بردي : النجوم الزاهرة ، ج ۴ ، ص ۲۴۹) و (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ۱۲ ، ص ۲-۳) .

(۴) أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبوالحسن القلدوري الحنفي ، انتهت اليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة في بغداد ، وكان ثبنا مناظرا ، وهو الذي تولى مناظرة الشيخ أبي حامد الاسفرايينی شيخ الشافعية توفي سنة ۴۱۸ عن ست وخمسين سنة . انظر : (أنساب السمعاني) و (البداية والنهاية ، ج ۱۲ ، ص ۲۴) و (النجوم الزاهرة ، ج ۴ ، ص ۲۳۰) .

(۵) الحسين بن علي بن محمد بن جعفر أبوعبدالله الصيمري - نسبة الى نهر بالبصرة يقال له صير - ولد سنة ۳۵۱ ، انتهت اليه رئاسة الحنفية ببغداد ، وولى قضاء المدائن ثم قضاء ربع الكرخ ، توفي في شوال سنة ۴۳۶ عن خمس وثمانيين سنة .

انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ۱۲ ، ص ۵۴) و (ابن تقيي بردي : النجوم الزاهرة ، ج ۵ ، ص ۳۸) .

وابن الاكفاني^(١) .

والأبيوردى^(٢) .

وأبو عبد الله بن النعمان^(٣) - فقيه الشيعة - .

وغيرهم من أعلام الأئمة ببغداد ، في يوم مشهود وذلك سنة اثنتين وأربعمائة في أيام القادر ، وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعُرف بين الناس ببغداد ، وغالبها شيعة بني العباس ، الطاعنون في هذا النسب ، فنقله الأخباريون - كما سمعوه - ، ورووه - حسبنا وعوه - ، والبحق من رواته .

وفي كتاب المتصد - في شأن حبيد الله - إلى ابن الأغلب بالقيروان ، وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد ، وأوضح دليل على صحة نسبهم ، فالمتصد أقعد بنسب أهل البيت من كل أحد ، والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب إليه بضائع العلوم والصنائع ، وتُتمس فيه ضوال الحكم ، وتُحذى إليه ركائب الروايات والأخبار ، وما نفق فيها نفق عند الكافة ، فإن تنزهت الدولة عن التعسف والميل والإفن والشقة ، وسلكت النهج الأم ، ولم تجر عن قصد السبيل ، نفق بأسواقها الإبريز الخالص ، واللجين المصفى ، وإن ذهب مع الأغراض والحقود ، وماجت

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله المعروف بابن الاكفاني ، قاضي قضاة بغداد ، ولد سنة ٣١٦ ، وتوفي سنة ٤٠٥ من خمس وثمانين سنة ، ولي الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالاً . انظر : (البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٣٥٤) و (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٢٧)
(٢) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سميد أبو العباس الأبيوردى ، أحد ائمة الشافعية من تلاميذ أبي حنبل الاسفراييني ، كانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا ، ولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الاكفاني ، وكان يقول الشعر الجيد ، توفي سنة ٤٢٥ .

انظر : (البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٣٧) و (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٧٩) .
(٣) محمد بن محمد أبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة ، قال ابن كثير : « شيخ الإمامية الروافض والمصنف لهم ، والمحامي عن حوزتهم كانت له منزلة عند بني بويه وملوك الأطراف لميلهم إلى المذهب الشيعي ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، ومن تلاميذه الشريفان الرضي والمرقي ، توفي سنة ٤١٣ » .
انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥ - ١٦) و (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٨) .

بمسيرة البغي والباطل ، نفق اليهرج^(١) والزائف ، والناقد البصير قسطاس نظره ، وميزان يحته
وملتمسه^(٢) .

قال (أى ابن خلدون) :

« وكان الإسماعيلية من الشيعة يلحبون إلى أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه
من بعده ، وأن الإمام بعده ابنه (١٧) محمد المكتوم ، وبعده ابنه جعفر المصدق ، وبعده ابنه
محمد الحبيب ، وكانوا أهل غلو في دعاويهم في هؤلاء الأئمة .
وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهور أمره والظفر يلوته .

وكان باليمن من هذا المذهب كثير يمدن في قوم يعرفون ببني موسى ، وكذلك كان
بالأفريقية من لدن جعفر الصادق بمرواجنة ، وفي كتابة ، وفي نقرة^(٣) وسبابة ، تلقوا ذلك من
الحلواني^(٤) وابن بكار^(٥) - داعيتي جعفر الصادق - ، وقدم على جعفر بن محمد - والد عبيد الله -

(١) اليهرج الباطل أو الردى أو الزائف ، وأكثر مايوصف به الدرهم الذي فضته رديئة ،
أو الدينار الذي ذهبه ردى . انظر : (المقرئى: إغاة الأئمة بكشف القصة ، ص ٦٢ ، حاشية
١ ، ص ٦٧ ، حاشية ٣) .

(٢) إلى هنا ينتهى ما نقله المقرئى عن مقدمة ابن خلدون ، ثم ينقل بعد ذلك عن تاريخه مع
اختلاف في النصين إيجازا وإضافة ، انظر : (تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣١ - ٣٣ ،
ج ٣ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١) .

(٣) قال (ياقوت في معجم البلدان) « انها مدينة بالمغرب بالأندلس » ، وفى (الحميرى :
الروض المطار ، ص ٩٦ ما يفيد أن نفرة ليست بالأندلس ، وإنما على الشاطئ المقابل لها فى المغرب
الأقصى .

(٤) المتواتر هنا وفى المراجع المختلفة أن الداعيتين اللذين أرسلوا إلى المغرب هما الحلواني
وأبوسفيان ، ولم أجده فى غير هذا المكان ذكر لابن بكار هذا ، ولعل هذه كتيبة أخرى
لأبى سفيان .

(٥) توجد بالهامش فى النسختين فقرة إضافية ، هذا نصها :
« كان يمت أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق بأبى سفيان (كذا) وبالحلواني إلى
المغرب فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وأمرهما أن ييسطا علم الأئمة ، ولا يتجاوزا أفريقية ، ثم
يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية ، فامتثل ذلك ، وكان الحلواني يقسول : يمت أنا
وأبوسفيان ، فقبل لنا : ذهبا إلى المغرب فأنكبا تاتيان أرضا يوراء فاحرقناها وكرمناها وذلكها ،
إلى أن ياتيهما صاحب البدر فيجدهما مذلة فينفرتحيه فيها . وكان بين دخولهما المغرب ودخول
صاحب البدر - وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا - ساعة وخمسة وثلاثون سنة ،
انظر ما فات هنا ص ٤٠ ، هامش ٢ .

من أهل اليمن رجل من أولئك الشيعة ، يعرف بعل بن الفضل ، فأنقذه بلخجار اليمن ،
 فبعث معه أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن خوشب الكوفي - من رجالات الشيعة - ،
 وقال له : « ليس لليمن إلا أنت » ، فخرجا من القادسية سنة ثمان وستين ومائتين ، ودخلا
 اليمن ، على حين انخلاع محمد بن يثغر^(١) من الملك ، وأظهر التوبة ، فدعوا للرضى من آل
 محمد ، وظهرت الدعوة سنة سبعين ، وتسمى أبو القاسم بالمنصور ، وابنتى حصنا بجبل
 لاعة^(٢) ، وزحف بالجيش ، وفتح ملاتن اليمن ، وملك صنعاء ، وأخرج بني يعفر ، وفرق
 الدعاة في اليمن والبحرين ، واليامة ، والسند ، والهند ، ومصر والمغرب .

وكان أبو عبد الله المحتسب داعي المغرب ، وأصله من الكوفة ، واسمه الحسين بن أحمد
 ابن محمد بن زكريا ، من رام هرمز^(٣) وكان محتسبا بسوق الغزل من البصرة ، وقيل إنما
 المحتسب أخوه أبو العباس محمد .

ويعرف أبو عبد الله بالمعلم ، كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية ، واتصل بالإمام
 محمد بن جعفر ، ورأى أهليته ، فأرسله إلى ابن خوشب - صاحب اليمن - ، وأمره بأنثال
 أمره ، والاعتداء بسيرته ، ثم يذهب بعدها إلى المغرب ، ويقصد بلد كتامة ، فلما بلغ إلى
 ابن خوشب لزمه ، وشهد مجالسه ، وأفاد عليه ، ثم خرج مع حاج اليمن إلى مكة حتى أتى
 الموسم ، ولقي به رجالات كتامة واختلف بهم ، ووجد لديهم بلرا من ذلك المذهب - كما
 قلنا - ، فاشتملوا عليه ، وسألوه الرحلة فارتحل معهم إلى بلدهم ، ونزل بها ، وجاهر

(١) محمد بن يعفر ثاني ولاية اليعفرين على صنعاء والجنبد ، ولى من ٢٥٩ إلى ٢٧٩ (٨٧٢ -

٨٩٤) .

(٢) في المراجع الجغرافية مدينة عدن لاعة ، وواى لاعة ، وليس بها جبل لاعة ، وعلى
 كل فقد كانت منطقة لاعة باليمن من المواضع الأولى التي ظهرت بها الدعوة الفاطمية ، وقد كانت
 مقرا للداعيتين على بن الفضل ، وأبي عبد الله الشيعي . انظر « معجم البلدان لياقوت »
 (Key : Op. Cit. p. 232-233) و

(٣) رسمها ياقوت متصلة ، وذكر أنها مركبة من لفظين : رام لفظة فارسية ومعناها
 مقصود أو مراد ، وهرمز أحد الأكامرة ، وقال حمزة : رامهرمز اسم مختصر من رامهرمز أردشير ،
 وقال ياقوت أنها « مدينة مشهورة بنواحي خوزستان » . والعامية يسمونها رامز كسلا منهم
 عن تنمة اللفظ .

بمنهجه ، وأعلن إمامة أهل البيت ، ودعا للرضى من آل محمد - على حادة الشيعة - ، وأطاعه
قبائل كتامة بعد فتن وحروب ، ثم اجتمعوا على تلك الدعوة .

ثم ملك الإمام محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أن عهد لابنه عبيد الله
المهدي ، وشاع خبر دعائه باليمن وإفريقية ، وطلبه المكنى ، وكان يسكن عسكر مكرم ،
فانتقل إلى الشام ، ثم طلب ففر بنفسه وبابنه أبي القاسم - وكان غلاما حدثا - ، وبلغ مصر ، وأراد
قصد اليمن ، فبلغه أن علي بن الفضل أحدث فيها الأحداث من بعد ابن حوشب ، وأساء
السيرة ، فكره دخول اليمن ، واتصل به شأن أبي عبد الله ، وما فتح الله عليه بالمغرب ،
فاعتزم على اللحاق به ، وشرع حسي التوشى - عامل مصر - في طلبه ، وكانوا يخرجوا من
الإسكندرية في زى التجار ، فلما أدركت الرفقة غنى حالهم ، بما اشتبه من الزى ، فأفلتوا
إلى المغرب .

انتهى كلام ابن خلدون - رحمه الله -

قال المؤلف - رحمه الله عليه - :

وأنت إذا سلمت من المصيبة والهوى ، وتاملت ما قد مر ذكره من أقوال الطاعنين في
أنساب القوم علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق في الأخبار ، وتبين لك منه
ما تأبى الطباغ السليمة قبوله ، ويشهد الحس السليم بكلبه ، فإنه قد ثبت أن الله تعالى لا يعد
الكذاب المفتعل بما يكون سببا لانحراف الناس إليه ، وطاعتهم له على كلبه .

قال تعالى عن نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : « وَكَوْثَرُ قَوْلٍ عَلَيْنَا بِغَضِ الْأَقَاوِيلِ
لَأَعْلَنَّا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَكِينَ » (١) .

وقال تعالى في الدلالة على صدقه : « أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا
أَنَّهُمُ الْغَالِيُونَ » (٢) .

وقد علم أن الكذب على الله تعالى ، والافتراء عليه في دعوى استحقاق الخلافة النبوية على
الأمة ، والإمامة لهم شرعا بكونه من ذرية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته ، من

(١) - السورة ٦٩ - (الحاقة) الآيات ٤٤ - ٤٦ -

(٢) - السورة ٢١ (الأنبياء) آية ٤٤ .

أعظم الجنايات ، وأكبر الكبائر ، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يُظهر مَنْ تعاطى ذلك واجترأ عليه ، ثم يجله في ظهوره بمجونه ، ويؤيده بنصره حتى يملك أكثر مدائن الإسلام ، ويورثها بنيه من بعده ، وهو تعالى يراه يستظهر بهذه النعم الجليلة على كلبه ، ويفتن بمخرفته العباد ، ويحدث بباطله (٧٧) الفتن العظيمة والحروب المبيدة في البلاد ، ثم يخليه - تعالى - وما تولى من ذلك بباطله من غير أن يشعره شعار الكذابين ، ويُحِلُّ به ما من عادته تعالى أن يُحِلُّ بالمفسدين ، فيدمره وقومه أجمعين .

« كما لا يليق بحكمته تعالى أن يخلد من دعا إلى تينه ، وحمل الكافة على عبادته ، ولا يؤيده على إعلاء كلمته ، بل يسلمه في أيدي أعداء دينه المجاهرين بكفرهم وطغيانهم ، حتى يزيدهم ذلك كفرا إلى كفرهم ، وضلالا إلى ضلالهم ، فإنَّ فِعْلَهُ هذا بالصادق في دعائه إليه تعالى كتنبيده الكاذب فيها سواء ، بل الحكمة الإلهية والعادة الربانية ، وسنة الله التي قد خلت في عبادته ، اقتضت أنه تعالى إذا رأى الكذاب يستظهر بالمحافظة على التمسك بالباطل ، ويتوصل إلى إقامة دولته بالكذب ، ويحيلها بالزور في ادعائه نسباً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير صحيح ، وصرفه الناس عن طاعة بنى العباس - الثابتة أنسابهم ، المرضية سيرتهم ، العادلة بزعمهم أحكامهم ومذاهبهم - أن يحول بينه وبين همه بذلك ، ويسلبه الأسباب التي يتمكن بها من الاحتراز ، ويعرضه لما يوقعه في المهلك ، ويسلك به سبيل أهل البغي والفساد .

فلما لم يفعل ذلك بعبيد الله المهدي ، بل كتب تعالى له النصر على من ناواه ، والتأييد بمجونه على من خالفه وعاداه ، حتى مَكَّنْ له في الأرض ، وجعله وبنيه من بعده أئمةً ، وأورثهم أكثر البيضة ، وملَّكهم من حدِّ منتهى العمارة في مغرب الشمس إلى آخر ملك مصر ، والنشام ، والحجاز ، وضمَّان ، والبحرين ، واليمن ، وملَّكهم بغداد وديار بكر مدة ، ونشر دعوته إلى خراسان ، ونصرهم على عدوهم أي نصر ، تبين أن دعواهم الانتساب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحيحة ، وهذا دليل يجب التسليم له .

وقد روى موسى بن عقبة أن هرقل لما سأل أبا سفيان بن حرب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان عما قاله له : « أتراه كاذباً أو صادقاً ؟ » قال أبو سفيان : « بل هو

كاذب » . قال هرقل : « لا تقولوا ذلك : فإن الكذب لا يظهر به أحد ، والله يقول الحق وهو يهتدي السبيل » (١) .

وقد نقل عن آئمة أهل البيت - عليهم السلام - الإشارة إلى أمر عبيد الله المهدي ، فمن ذلك : أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن ظهور القائم متى يكون ؟ فقال : « إن ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء إلى الأرض ، رأسه بالمغرب ، وأسفله بالشرق » .

وكذلك كان بداية أمر المهدي عبيد الله ، فإنه ابتداء من المغرب ، وانتهى أمره على يد بنيته إلى المشرق ، فإنه ظهر بسجلماسة - في ذى الحجة سنة تسعين ومائتين - ، وهي أقصى مسكون المغرب ، ودعى للمستنصر ببغداد في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وكان علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم يقول : « في سنة أربع وخمسين ومائتين ستكشف عنكم الشدة ، وبزول عنكم كثير مما تجدون إذا مضت عنكم سنة الثنتين وأربعين ، يشير بذلك إلى أن البداية من تاريخ وقته ، فيكون المراد سنة ست وتسعين ومائتين ، وفي ذى الحجة منها كان ظهور الإمام المهدي بالله - رحمة الله عليه » (٢) - .

(١) سورة ٣٣ (الأحزاب) ، آية ٤ ، وقد وردت هذه الآية في نسخة (ج) قبل هذا بقليل بعد الجملة : « وهذا دليل يجب التسليم له » .

(٢) يوجد بهامش نسخة ج أمام هذا اللفظ تعليق هذا نصه : « أما حمل المؤلف رحمه الله على رد ما قاله أهل النسب في حق الفراطم والاحتجاج لهم والاكثار في مدحهم ، والاتصاف لمحبهم الذي اشتهر بين الأمة خلافه ، وهو معذور فيه ، لأنه - رحمه الله - ينتهي نسبهم لهم ، وهو يذكره لاسيما في أول الكتاب بخطه أنه ينتهي إلى تميم ، وانظر إلى قوله : « ان الكاذب لا يملك البلاد ولا يمكن له في الأرض » ، وقد سنمنا قديما عن يختنصر . وجدديا عن التتار وتيمور ، وقبل ذلك بنى أمية وهم متقبلون على آل البيت من مدة أمير المؤمنين وأولاده الحسن والحسين وأولادهم يفعلون بهم الأسوأ ، وهم في غاية من القوة والتمكن في السلطان » .

ذكر ما كان من ابتداء الدولة الفاطمية إلى أن بنيت القاهرة

وذلك أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي ، سار إلى أبي القاسم
رسم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن ذاذان الكوفي باليمن ، وصحبه وصار من كبار أصحابه ،
وكان له علم وفهم ودهاء ومكر ، فلما ورد على ابن حوشب موت الحلواني ورفيقه بالمغرب ، قال
لأبي عبد الله الشيعي :

« إن أرض كتامة^(١) من المغرب قد حارثها الحلواني وأبوسفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ،
فيادر فلها موطئة مهند لك » .

فخرج أبو عبد الله إلى مكة ، وقد أعطاه ابن حوشب مالا ، فلما قدم مكة سأل عن حجاج
كتامة ، فأرشد إليه ، واجتمع بهم ، ولم يعرفهم قصده ، وذلك أنه جلس قريبا منهم ،
فسمهم يتحدثون بفصائل آل البيت ، فاستحسن ذلك ، وحلهم في معناه ، فلما أراد القيام
سأله أن يأخذ لهم في زيارته ، فأذن لهم ، وسأله أين مقصده ؟ فقال : مصر ، ففرحوا
بصحبته ، فرحلوا ، وهو لا يخبرهم بغرضه ، وأظهر العبادة والزهد ، فازدادوا فيه رغبة ،
وخدموه .

وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم ، وعن طاعتهم لسلطان إفريقية ، فقالوا :
« ما له علينا طاعة ، وبيننا وبينه عشرة أيام » .

(١) يوجد بالهامش في النسختين تعريف بكتامة هذا نضه :
« يقال أن كتامة من ولد كتامة بن إفريقش بن صيفي بن سبأ الأصغر ، وقيل : إفريقش
ابن ذرعه وهو حمير الأصغر ، وقيل : هو قيس بن ذرعه بن زهير بن أيمن ابن عيس (كذا)
ابن حمير الأكبر ، ويقال : إفريقين بن صيفي ، وقيل : أن كتامة اخوة صنهاجة » .

قال :

أتحملون السلاح ؟

قالوا :

« هو شغلنا »

ولم يزل يتعرف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر ، فلما أراد وداعهم قالوا له :

« أى شيء تطلب بمصر ؟ »

قال :

« أطلب التعليم بها »

قالوا :

« إذا كنت تقصد هذا ، فيلادنا أنفع لك ، ونحن أحر فبحقك »

ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم .

فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجالٌ من الشيعة فأنشروهم بخبره ، فرغبوا في نزوله عندهم ، وأقروا فيمن يضيفه منهم .

ثم ارتحلوا حتى وصلوا إلى أرض كنانة منتصف ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسأله قومٌ أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه ، فقال لهم :

« أين يكون فجُّ الأختار ؟ »

فعجبوا من ذلك ، ولم يكونوا ذكروه له ، فقالوا له :

« عند بني سليمان » .

فقال :

إليه نقصد ، ثم نأتى كل قوم منكم في ديارهم ، ونزودهم في بيوتهم ، فلأرضي بذلك الجميع .

وسار إلى جبل يقال له «إيكجان»^(١) ، وفيه «فج الأبخار» ، فقال :
«هذا فج الأبخار ، وما سُمي إلا بكم ، ولقد جاء في الآثار : للمهدي هجرة تهبو من
الأوطان ، ينصره فيها الأبخار من أهل ذلك الزمان ، قوم اسمهم مشتق من الكيان ، وبخروجكم
في هذا الفج سُمي فج الأبخار» .
فتسامعت القبائل ، وأتاه البرابر من كل مكان ، فعظم أمره إلى أن تقاطلت كتامة عليه مع
قبائل البربر ، وهو لا يذكر في ذلك اسم المهدي ، فاجتمع أهل العلم على مناظرته وقتله ، فمنعه
الكتاميون من المناظرة ، وكان اسمه عندهم «أبا عبد الله المشرقي»
وبلغ خبره إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب - أمير إفريقية - ، فُرسل إلى عامله على مدينة
ميلة^(٢) ليسأله عن أمره ، فصغره عنده ، وذكر أنه يلبس الخشن ، ويسأر بالخير والعبادة ،
فسكت عنه .

ثم إن أبا عبد الله قال للكتاميين .
أنا صاحب الهدى الذي ذكر لكم أبو سفيان والحلواني .
فازدادت محبتهم له ، وتعظيمهم لأمره ، فلما ظهر لأهل المغرب علمه وفضله ، قال أحد
الأولياء لأصحابه :
«لولا واحدة كان الحلواني يقولها ما تخالجنى الشك في أن هذا الرجل هو الذي كان الحلواني
يُشير به» .

(١) يوجد في الهامش بالنسختين تعريف بجبل إيكجان هذا نصه :
«إيكجان جبل بالقرب من قسنطينة ، فيه قبائل كتامة ، وهم كرام وقد فنوا»
وقال الدكتور حسسن إبراهيم حسن في كتابه «الفاطميون في مصر» ص ٥٦ ، إن إيكجان
يقع في منتصف الطريق بين طنجة وفاس ، وإيكجان جمع حاج ، وكانوا يطلقون عليه من
قديم الزمان Tzajjan وهو محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى .
(٢) ميلة عرفها باقوت بأنها مدينة صغيرة باقوى إفريقية ، بينها وبين بجاية ثلاثة أيام .
وبينها وبين قسنطينة يوم واحد .

قالوا :

« وما هي ؟ »

قال :

« كان إذا وصفه قال : في فيه إصبع »

فبلغ ذلك أبا عبد الله فتبسم وقال :

« هذا لا يكون »

فلما أخذ العهد بعد ذلك على من سمع هذا القول ، واشترط عليهم الكفان ، وضع إصبعه على

فيه وقال :

« هذا هو الإصبع الذي كان يقوله الحلواني ، أمركم بالصمت والكفان ، فلما أن يكون في فم

رجل إصبع فلا »

فقالوا « كذلك والله هو »

وتفرقت البرابر وكثامة بسببه ، وأراد بعضهم قتله ، فاختفى ، ووقع بينهم قتال شديد ، واتصل الخبر بالحسن بن هرون - من أكابر كثامة - فأخذ أبا عبد الله إليه ، ودافع عنه ، ومضى به إلى مدينة تاصروت ، فأتته القبائل من كل مكان ، وعظم شأنه ، وصارت الرئاسة للحسن بن هرون ، وسلم إليه أبو عبد الله . أهنة الخيل ، وظهر من الاستتار ، وشهد الحروب ، فكان الظفر له ، وغنم الأموال ، وغنم على مدينة تاصروت ، وقد زحفت إليه قبائل المغرب ، فاتقتلوا عدة مرار ، كان له فيها الظفر ، وصار إليه أموالهم ، فاستقام له أمر البربر وعامة كثامة ، وزحف إلى مدينة ميلة ، وقتل أهلها قتالا شديدا ، وأخذ الأرياض ، ثم ملكه البلد بآمان ، فبعث إليه إبراهيم بن الأغلب ابنه الأحول في اثني عشر ألفا ، وأتبعه بمثلهم ، فالتقى مع أبي عبد الله ، فانهزم أبو عبد الله ، وقتل كثير من أصحابه ، وتبعه الأحول ، فحار بينهما التلج ، ولحق أبو عبد الله بجبل إيكجان ، وملك الأحول مدينة تاصروت ، وأحرقها وأحرق مدينة ميلة ، فبنى أبو عبد الله دار هجرة بإيكجان ، وقصده أصحابه ، وعاد الأحول إلى إفريقية ،

فمات إبراهيم بن الأغلب ، وقتل ابنه أبو العباس ، وولى زيادة الله بن الأغلب ، واشتغل باللهو واللعب ، فاشتد ضرور أبي عبد الله .

ثم إن أبا مضر زيادة الله قتل الأجل ، فانتشرت حيثشت جنود أبي عبد الله في البلاد ، وصار يقول :

« المهدي يخرج في هذه الأيام ، وملك الأرض ، فيأطوي لمن هاجر إلى ، وأطاعني » .

وأخذ يغري الناس بزيادة الله ويعيبه ، وكان أكثر (٨ ب) من عند زيادة الله من الوزراء شيعة ، فلم يكن يسوعهم ظفر أبي عبد الله ، خصوصا وقد كان يذكر لهم من كرامات المهدي ، وأنه يحيى الموتى ، ويرد الشمس [من مغربها] ، وملك الأرض بلمبرها ، وهو مع ذلك يبعث إلى الوزراء ، ويمدهم ، (١) وبعث أبو عبد الله برجال (٢) .

(١٢) أصبحت هذه الجملة عن (ج) .

ذكر

خروج عبيد الله المهدي الى المغرب

وكان من خبر ذلك أن أبا عبيد الله سبر إلى عبيد الله رجالا من كتامة يخبرونه (١) بما فتح الله عليه ، وأنهم ينتظرونه ، فوافوه بسلامة من أرض حمص ، قد كان اشتهر خبر عبيد الله عند الناس ، فطلبه المكتني ، ففر من سلمية ومعه ابنه أبو القاسم نزار - الذي قام بالأمر من بعده ، وخرج معهما خاصته (٢) ومواليه .

فلما انتهى إلى مصر أقام مستتراً بذي التجار ، فأثت الكتب إلى عيسى النوشري - أمير مصر - من المتضد بالله العباسي بصفة عبيد الله وحليته ، وأنه يأخذ عليه الطرق ويقبضه وكل من يشبهه ، فلما قرئت الكتب كان في المجلس ابن المدير الكاتب ، فبلغ ذلك عبيد الله ، فسار من مصر مع أصحابه ومعه أموال كثيرة ، فأوسع في النفقة على من صحبه ، وفرق النوشري الأعوان في طلب عبيد الله ، وخرج بنفسه ، فلما رآه لم يشك فيه ، وقبض عليه ، ووكل به وقد نزل في بستان ، ثم استدعاه ليأكل معه ، فأعلمه أنه صائم ، فرق له ، وقال :

« أحلفني حقيقة أمرك حتى أطلقك » .

فخوفه الله تعالى وأنكر حاله ، وما زال يتلطف به حتى أطلقه وغفل سبيله ، وأراد أن يرسل معه من يوصله إلى رفقته ، فقال : « لا حاجة إلى ذلك » ، ودعا له .

وقيل إنه أعطاه مالا في الباطن حتى أطلقه ، فرجع بعض أصحاب النوشري عليه باللوم ، فندم على إطلاقه ، وأراد أن يبعث الجيش ورائه ليرده .

وكان عبيد الله قد لحق بأصحابه ، فإذا ابنه أبو القاسم قد ضييع كلباً كان يصيد به ،

(١) الأصل : « يخبر فيه » والتصحيح عن (ج) .

(٢) الأصل : « من مواليد » و(ج) : « وخرج معهما مواليه » ، والتصحيح عن (ابن الأثير : مسائل ، ج ٨ ، ص ١٤) .

وهو يبيى عليه ، فعرفه عبده أنهم تركوه في البستان الذي كانوا فيه ، فرجع عبده الله بسبب الكلب حتى دخل البستان معه عبده ، فلما رآه النوشري سأل عن غيره ، فقيل إنه عاد بسبب كلب لولده ، فقال النوشري لأصحابه :

« قبحكم الله ، أردتم أن تحملوا على هذا الرجل حتى آخذه ، فلو كان يطلب ما يقال أو لو كان مريبا لكان يطوى المراحل ويخفى نفسه ، ولا كان يرجع في طلب كلب^(١) » ، وتركه ، ولم يعرض له .

فسار عبده الله وخرج عليه عدة من اللصوص بموضع يُقال له : « الطاحونة » ، فاعتلوا بعض متاعه ، منه كتبٌ وملاحمٌ كانت لأبائه ، فعظم أمرها عليه^(٢) ، فيقال إنه لما خرج ابنه أبو القاسم في المرة الأولى إلى الديار المصرية آخذها من ذلك المكان .

ثم إن عبده الله انتهى - هو وولده - إلى مدينة طرابلس ، ففارق التجار ، وكان في صحبته أبو العباس أخو أبي عبده الله ، فقلّعه عبده الله إلى القيروان ، فسار إليها ، فوجد خبر عبده الله قد سبق إلى زيادة الله . بن الأغلب ، فقبض على أبي العباس وقرّره ، فأنكر ، وقال : « أنا رجل تلجأ بصحبتي رجلا في القتل » ، فحبس .

وبلغ الخبر إلى عبده الله ، فسار إلى قسنطينة .

ووصل كتاب زيادة الله إلى ناظر^(٣) طرابلس بأخذ عبده الله ، فلم يدركه ، ووافى عبده الله قسنطينة ، فلم يقصد أبا عبده الله ، لأن أخاه أبا العباس كان قد أخذ ، وسار إلى سجلماسة ، فوافقت الرسل في طلبه ، وقد سار فلم يوجد ، ووصل إلى سجلماسة فأقام بها ، وقد أقيمت له المراسد بالطرقات .

(١) من النصوص الاسماعيلية الهامة التي نشرها المستشرق ايفسانوف نص هام يتحدث عن رحلة المهدي من الشام إلى المغرب ، ومؤلف هذا النص هو محمد بن محمد اليماني ، وعنوانه « سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية ووصوله إلى سجلماسة » وقد نشر هذا النص في (مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٣٦) وقد وردت فيه قصة القاء مع الكلب ، ولكن على أنها حدثت في الطريق من دمشق إلى الرملة لا بعد خروج المهدي من مصر كما ذكر هنا .

(٢) راجع المصدر المذكور في الهامش السابق .

(٣) ج : « عامل » .

وكان على سجدامة اليسع بن ملتر ، فأهدى إليه عبيد الله وواصله ، فقربه اليسع وأحببه ، فأثابه كتاب زيادة الله يعرفه أن الرجل الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي عنده ، فلم يجد بلداً من القبض على عبيد الله وحبيه .

وأخذ زيادة الله في جمع العساكر ، فقدم إبراهيم بن حنشل^(١) من أقاربه على أربعين ألفاً ، وسلم إليه الأموال والعدد ، ومنار وقد انضاف إليه مثل جيشه ، فنزل مدينة قسطنطينية ، وأثابه كثير من كثامة الذين لم يطيعوا أبا عبد الله ، وقتل في طريقه خلقاً كثيراً من أصحاب أبي عبد الله هذا ، وأبو عبد الله متحصن بالجبل ، فأقام إبراهيم بقسطنطينية ستة أشهر ، فلما رأى أن أبا عبد الله لا يتقدم إليه زحف بمساكره ، فأخرج إليه أبو عبد الله خيلاً ، (١٩ ب) فلما رآها إبراهيم قصد إليها بنفسه ، والأثقال على ظهور الدواب لم تحط ، فقاتلهم قتالاً كثيراً ، وأدركهم أبو عبد الله ، فانهزم إبراهيم بن معه وجرح ، فغنم أبو عبد الله جميع ما معهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فسار إبراهيم إلى القيروان ، وعظم أمر أبي عبد الله ، واستقرت دولته . وكتب كتاباً إلى عبيد الله - وهو بسجن سجدامة - يبشره - ومير الكتاب مع بعض لقاته ، لدخل عليه السجن في زى قصاب يبيع اللحم ، فاجتمع به وعرفه .

ونازل أبو عبد الله عدة مدائن فأخذها بالسيف ، وضايق زيادة الله ، فحشد وجمع عساكره ، وبعث إليه هرون الطائي^(٢) في خلق كثير ، فقتل هرون في خلّاق لا تحصى . فاشتد الأمر على زيادة الله ، وخرج بنفسه ، فوصل إلى الأربؤس في سنة خمس وتسعين ومائتين ، ومسير جيشاً مع ابن عمه إبراهيم بن الأغلب .

واشتغل زيادة الله بلهوه ولعبه ، وأبو عبد الله يأخذ المدائن - شيئاً بعد شيء - عنوة وصلحاً ، فأخذ «مجانة»^(٣) ، و «تيفاش»^(٤) ، و «مسكيانة» و «تيسة»^(٥) ، وسار إلى إبراهيم ، فقتل من أصحابه ، وعاد إلى جبل إيكجان .

(١) ج . «حنشل» .

(٢) ج . «الطائي» .

(٣) بلد بأفريقية فتحه بسر بن أرطاة ، وهي تسمى قلعة بسر ، وبينها وبين القيروان خمس مراحل ، منجم ياقوت

(٤) ذكر القرطبي في جنى الأزهار ، ص ٢١ ب أنها على ست مراحل من بجاية

(٥) ذكر ياقوت أنها بلد مشهور من أرض الأفريقية . وبين قفصة ست مراحل وهو بلد قد به آثار للملوك وقد خرب الآن أكثرها .

فلما دخل فصل الربيع ، وطاب الزمان ، جمع أبو عبد الله عسكره فبغلت مائة ألف فارس وراجل ، وجمع زيادة الله ما لا يحصى ، وسار أول جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ومائتين ، فالتقوا مع أبي عبد الله ، واقتتلوا أشد قتال ، وطال زمنه ، وظهر أصحاب زيادة الله ، ثم إن أبا عبد الله كادهم بخيل بعشها من خلفهم ، فانهم أصحاب زيادة الله ، وأوقع فيهم القتل ، وغنم أموالهم ، وكان ذلك في آخر جمادى الآخرة ، ففر زيادة الله إلى ديار مصر ، فدخل إبراهيم بن الأغلب إلى القيروان ، فقصده قصر الإمارة ، ونادى بالأمان ، وتسكين الناس ، وذكر زيادة الله وذمه ، وصغر أمر أبي عبد الله ، ووعد الناس بقتاله ، وطلب منهم الأموال ، فقالوا :

« إنما نحن فقهاء وعامة وتجار ، وما في أموالنا ما يبلغ غرضك » ، ثم إنهم ثارا به ورجموه .
فخرج عنهم .

ودخل أبو عبد الله إلى مدينة رقادة ، فأمن الناس ، ومنع من النهب ، وخرج الفقهاء ووجوه أهل القيروان إلى لقاء أبي عبد الله ، وسلموا عليه ، وهنوه بالفتوح ، فرد عليهم ردا حسنا ، وأمنهم ، وقد أعجبوا به وسرهم ، فأخذوا في ذم زيادة الله وذكر مساوئه ، فقال لهم :
« ما كان إلا قويا وله منعة ودولة شامخة ، وما قصر في مدافعته ، ولكن أمر الله لا يعاند ولا يدافع » :

فامسكوا عن الكلام .

وكان دخول أبي عبد الله رقادة يوم السبت مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين ، فنزل ببعض قصورها ، وفرق دورها على كتامة ، ونادى بالأمان ، فرجع الناس إلى أوطانهم ، وأخرج العمال إلى البلاد ، وطلب أهل الشر فقتلهم ، وأمر بجمع ما كان لزيادة الله من الأموال والأسلح وغيره ، فاجتمع منه كثير ، وكان له عدة من الجوارى لهن حظ من الجمال ، فلم ينظر إلى واحدة منهن ، وأمر لهن بما يصلحهن .

فلما كان يوم الجمعة أمر الخطباء بالقيروان ورقادة فخطبوا ولم يذكروا أحدا ، وأمر

بغرب السكة^(١) وألا يتم^(٢) عليها اسم ، وجعل في الوجه الواحد : « بلغت حجة الله » ، وفي الآخر : « تفرق أعداء الله » .

ونقش على السلاح : « علة في سبيل الله » .

ووسم الخيل على أفيخاذها : « الملك لله » .

وأقام على ما كان عليه من لباس الخشن الدون ، والتقليل من الطعام الغليظ .

ولما استقرت الأمور لأبي عبد الله في رقادة وسائر بلاد إفريقية أتاه أخوه أبو العباس أحمد المخطوم ، ففرح به ، وكان هو الكبير .

(١) عرف (المرادى : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩) السكة بأنها الحديدية التي تطبع عليها الدراهم ، ولذلك سُميت الدراهم المضروبة سكة ، وقد شرح (المقرئى : الأوزان والأكيال الشرعية ، نشر Tychsen ، ص ٨٦) السكة بأنها الدينار والدرهم المضروبان ، سُمى كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدية الملمة ويقال لها السكة ، وكل مسمار عند العرب سكة . انظر أيضا (المقرئى : إغاثة الأمة ، نشر زيادة والضيال ، ص ٥٥ ، حاشية ١ ، ص ٦٠ - ٦١) .

(٢) ج : « ينقش » .

ذكر ظهور عبيد الله المهدي

من سجداماسة

وذلك أن أبا عبد الله الشيعي لما دخل شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين سار من رقادة - وقد استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية - في جيوش عظيمة ، فاهتز المغرب لخروجه ، وخافته زنائة ، وزالت القبائل عن طريقه ، وأنته رسالهم فدخلوا في طاعته ، فلما قرب من سجداماسة بعث اليسع بن مدرار صاحبها إلى عبيد الله - وهو في جيشه - يسأله عن نسبه وحاله ، وهل أبو عبد الله قصد إليه ؟ فحلف له أنه ما رأى أبا عبد الله ، وإنما أنا رجل تاجر ، فأفردته معتقلا بدار وحده ، وأفرد ابنه أيضا ، فجعل عليهما الحرس ، وقرّر ولده ، فباحال عن كلام أبيه ، وقرّر رجالا كانوا معه وضربهم ، فلم يقرؤا بشئ .

وبلغ ذلك أبا عبد الله ، فشق (٩ ب) عليه ، وأرسل إلى اليسع يتلطف به وأنه لم يقصده للحرب ، وإنما له حاجة مهمة عنده ، فرمى الكعب وقتل الرسل ، فعاوده بالملاطفة خوفا على عبيد الله ، ولم يذكره ، فقتل الرسول ثانيا ، فأسرع أبو عبد الله في السير ، ونزل عليه ، فخرج إليه اليسع وقتله يومه كله ، فلما جئ الليل فرّق أصحابه من أهله وبني صمه ، وبات أبو عبد الله في غم عظيم خوفا على عبيد الله .

فلما أصبح خرج إليه أهل البلد ، وأعلموه بهرب اليسع ، فدخل هو وأصحابه البلد ، وأتوا مكان عبيد الله وأخرجوه وأخرجوا ابنه في يوم الأحد ليسع خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين ، وقد انتشر في الناس سرور عظيم كادت تلخب منه عقولهم ، فأركبهما أبو عبد الله ، ومشى هو وورثاء القبائل بين أيديهما ، وأبو عبد الله يقول للناس : « هذا مولاكم » ، وهو يبكي من شدة الفرح ، حتى وصل [إلى] فسطاط ضربه له فنزل فيه ، وبعث الخيل في طلب اليسع ، فأدرك وأخذ ، فضرب بالسياط وقتل .

وأقام عبيدُ الله المهدي بسجلماسة أربعين يوما ، ثم سار إلى إفريقية ، وأحضر الأموال من إيكجان فجعلها أحمالا ، وصار بها إلى رقادة في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين .

و زال ملكُ بنى الأغلب من إفريقية ، وملك بنى مدرار من سجلماسة ، وملك بنى رستم^(١) من تاهرت^(٢) .

وملك المهدي جميع ذلك ، فلما قرب من رقادة تلقاه أهلها وأهل القيروان وأبو عبد الله ورؤساء كتامة مشاة بين يديه ، وابنه خلفه ، فسلموا عليه ، فردَّ عليهم ردًّا جميلا ، وأمرهم بالانصراف ، ونزل بقصر من قصور رقادة .

وأمر يوم الجمعة أن يذكر [اسمه] في الخطبة ، ويلقب بالمهدي أمير المؤمنين في جميع البلاد ، فلما كان بعد صلاة الجمعة جالس رجل يعرف بالشريف - ومنه الدعاة - ، وأحضره الناس ، ودعوهم إلى مذهبهم ، وقتل من لم يوافق .

وعرض المهدي جوارى زيادة الله فاختر منهن لنفسه ولولده ، وفرق ما بقى على وجوه كتامة ، وقسم عليهم أعمال إفريقية ، ودون الدواوين ، وجبا الأموال ، واستقرت قدمه ، ودانت له أهل البلاد ، واستعمل العمال عليها :

(١) انظر : (Zambaur : Op. Cit. p. 21)

(٢) قال ياقوت : تاهرت : اسم لمدينتين متقاربتين في أقصى المغرب ، يقال لأحدهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدث ، بين تلمسان وقلمة بنى حماد وقال (علي بهجت : قاموس الأمكنة والبقاع ، ص ٧١) ولا تزال مدينة تاهرت قائمة ليومنا هذا ، وهي إحدى موانئ الجزائر تابعة لولاية وهران وتبعد عنها بنحو ٢٢٠ كم .

ذكر

قتل أبي عبد الله الشيعي

وكان سبب قتله أن المهدي لما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه ، وكف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس ، فدأخل أبا العباس الحسد ، وعظم عليه القطام عن الأمر والنهي ، والأخذ والعطاء ، فاقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ، ويتكلم فيه ، وأخوه ينهاه ، ولا يزيد ذلك إلا لجأجا ، ولام أخاه وقال له :

« ملكت أمراً ، فجئت بمن أزالك عنه ، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حَقُّك » .

وما زال به حتى أثمر في قلب أبي عبد الله ، وقال للمهدي :

« لو كنت تجلس في قصرِكَ وتتركني مع كتامة أمرهم وأنهاهم ، لأني عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك في آعين الناس » .

وكان قد بلغ المهدي ما يجهر به أبو العباس ، فردّ ردا لطيفا ، وأسرّ ذلك في نفسه .
وأخذ أبو العباس يسرّ إلى المقدمين بما في نفسه ، ويقول :

« ما جازاكم على ما فعلتم ، بل أخذ هو الأموال من إيكجان ، ولم يقسمها فيكم » .

وكل ذلك يبلغ المهدي وهو يتخاف ، فزاد أبو العباس في القول ، حتى قال :

« إن هذا ليس بالذي كنا نتقد طاعته وندعو إليه ، لأن المهدي يأتي بالآيات الباهرة » .

فأثّر ذلك في قلوب كثير من الناس ، حتى إن بعضهم من كتامة واجه المهدي بذلك وقال :

« إن كنت المهدي فأظهر لنا آية ، فقد شككنا فيك » .

فقتله المهدي .

وخافه أبو عبد الله ، وعلم أن المهدي قد تغير عليه ، فاتفق مع أخيه جماعة من كتامة على المهدي ، ودخلوا عليه مراراً ، فلم يجسروا على قتله ، ونُقل ذلك إلى المهدي من رجل

كان يوافقهم على ما هم فيه ، ثم يأتى المهدي فيخبره ، فأخذ المهدي في تفريق القوم في البلاد ، وكان كبيرهم أبو زاكى تمام بن معارك الإيكةجاني ، فسيره واليا على طرابلس ، وكتب إلى عاملها سرا بقتله عند وصوله ، فلما وصل أبو زاكى قتله العامل ، وأرسل برأسه إلى المهدي ، فلما حضر حينئذ بقتل جماعة ، وأعد (١٠) رجالا لأبي عبد الله وأخيه أبي العباس ، فلما وصلا إلى قرب القصر حمل القوم على أبي عبد الله ، فقال : « لاتفعلوا » فقالوا له : « إن الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك » ، فقتل هو وأخوه في اليوم الذى قُتل فيه أبو زاكى ، وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة ، وصل عليه المهدي ، وقال :

« وحملك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك » .

ونارت فتنه بسبب قتلها ، وجرّد أصحابها السيوف ، فركب المهدي وأمن الناس فسكنوا ، ثم تبعهم حتى قتلهم .

ونارت فتنه ثانية بين كتامة وأهل القيروان قُتل فيها خلق كثير ، فخرج المهدي وسكن الفتنه ، وكثّ الدعاء عن طلب التشيع من العامة .

وكان أبو عبد الله من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون ، أحد رجالات العالم القالمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال .

ولما قُتل أبو عبد الله واستقام أمر المهدي عهد إلى ولده أبي القاسم بالخلافة ، ورجعت كتامة إلى بلادهم فقاموا طفلا ، وقالوا : « هذا هو المهدي » ، ثم زعموا أنه يوحى إليه ، وزعموا أن أبا عبد الله لم يميت ، فبعث إليهم المهدي ابنه أبا القاسم ، فقاتلهم حتى هزمهم ، واتبعهم إلى البحر ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وقتل الطفل الذى أقاموه .

ثم إن أهل صقلية خائفوا على المهدي ، فأنفذ إليها ، وقتل من أهلها :

وخالف عليه أهل تاهرت ، فزاعها ، وقتل أهل الخلاف ، وتبعه بنو الأعلب ، فقتل منهم جماعة برقادة .

فلما كان سنة إحدى وثلاثائة جهّز المهدي المساكم من إفريقية مع ولده أبي القاسم إلى مصر ، فساروا إلى برقة ، واستولوا عليها في ذى الحجة ، وساروا إلى الاسكندرية والقيوم

لفريق على أهلها ، ويحث المقتدر بالله مؤنسا الخادم^(١) في جيش كثيف ، فحاربهم وأجلاهم
عن مصر إلى المغرب .

وكان سبب تحرك أبي القاسم بن المهدي إلى حرب أهل مصر أنه وجه إلى بغداد قصيدة
يفخر فيها بنفسه ، وبما فتح من البلاد ، فأجابه الصولي^(٢) بقصيدة على وزنها ورويا ، فمنها :

فلو كانت الدنيا مثالا لطائر لكان لكم منها بما حزنتم الذئب

فحرك همته هذا البيت ، وقال :

« والله لا أزال حتى أملك صخر الطائر ورأسه إن قدرت ، وإلا أملك دونه . »

وكابد على ديار مصر من الحروب أهولا ، ومات ولم يظفر بها ، وأوصى ابنه المنصور
بما كان في حزمه ، فشققت الفتن ، وكان الظاهر بها المزم .

فلما كان في سنة الثنتين وثلاثمائة أنفذ المهدي جيشا مع قائد من قواده يقال له حُباسة
في البحر ، فغلب على الاسكندرية ، ثم سار منها يريد مصر ، فأرسل المقتدر بالله مؤنسا
في عسكر إلى مصر ، وأمدّه بالسلح والأموال ، فالتقى بحُباسة في جمادى الأولى ، فكانت
بينهما حروب كثيرة ، قُتل فيها من الفريقين جمعٌ عظيم ، وانهم حُباسة في سَلَخِ جمادى
الآخرة ، ويقال إنه قُتل في هذه الواقعة سبعة آلاف [و] لما صار حُباسة إلى المغرب قتله المهدي .

وفيهما ، خالف عليه عروبة بن سيف^(٣) الكتامي بالقيروان ، واجتمع عليه خلق كثير
من كُتامة والبرابر ، فأخرج إليهم المهدي مولاة غالبا ، فاقتلوا ، فقتل غالب في عالم لا يُحصى ،
ونجى بعده رموس إلى المهدي في بُقعة ، فقال :

(١) راجع أخباره في (النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، الصفحات المذكورة بالكشاف) و (الكنى :
الولاء ، ص ٢٦٨ و ٢٧٤) و (مسكويه : تيجار الأمم ، ج ١ ، ص ٣٢ و ٣٦) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن رسول تكين المعروف
بالصولي الشطرنجي ، توفي مستترا في سنة ٢٣٥ أو ٢٣٦ لأنه روى خبرا في حق علي بن أبي
طالب ، فطلبته الخاصة والعامة لقتله ، فلم تقدر عليه ، وكان قد خرج من بغداد ، وله كتب في
الأخبار والأدب والتاريخ ، أهمها : أدب الكتاب وطبع في القاهرة ١٢٤١ هـ ، والأوراق في
أخبار آل العباس وأشعارهم ، نثر جزئين منه المستشرق جمال الدين هيوارث دن .
(٣) ج : « يوسف »

« ما أعجب أمور الدنيا ، قد جمعت هذه القُفَّة رؤوس هؤلاء ، وقد كان يضيئ بهم فضاء المغرب » .

ثم إن المهدي خرج بنفسه يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة ، وكان يجد في الكتب خروج أبي يزيد النُّكَّاري على دولته ، فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحسن من موضع المهديَّة ، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كَفِّ متصلة بَزُنْد ، فيها ، وجعلها دار ملكه ، وجعل لها سوراً محكمًا ، وأبواباً عظيمة ، زنة كل مصراع مائة قَنْطَلَر .

وكان ابتداء بنائها في يوم السبت لخمسٍ خلونٍ من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة ، فلما ارتفع السور أمر رايما بالقوس يروى سهما إلى ناحية المغرب ، فرمى بهمهم فانتهى إلى موضع المصل ، فقال : « إلى موضع هذا يصل صاحبُ الحمام » - يعني أبا يزيد الخارجي فإنه كان يركب حماما - .

وكان يأمر الصنَّاع بما يعملون ، وأمر أن تُنقَر دار صناعة^(١) (١٠ ب) في الجبل تسع مائة شينى^(٢) ،

(١) دار الصناعة ، ويقال للصناعة فقط ، وقد عرفها (المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٩٧) بأنها « اسم مكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية » ، وقد عنت الدول الإسلامية المختلفة بانشاء الأساطيل ، وكان أكثرها عناية بها الدولة الفاطمية ، وذلك منذ قيام الدولة في المغرب كما يتضح من النص هنا ثم زادت عنايتهم بدور الصناعة والأسطول بعد نزوحهم إلى مصر ، انظر المرجع السابق ، ص ٣١٣ - ٣١٥ ، وقد أخذ الأوروبيون في المصور الوسطى هذا اللفظ عن العبرية فهو في الفرنسية *Arsenale* ، وفي الانجليزية *Arsenal* ، وفي الأسبانية *Darsena* . ومن عجب أننا نسينا اللفظ العربي عندما قلت عنايتنا بالأساطيل ، فلما كان عصر محمد علي وبدأنا نعى من جديد بانشاء دار للصناعة أخذنا اللفظ الأجنبي المحرف وزدنا في تحريفه فكان الترسانة .

(٢) الشينى أو الشينى أو الشينىة أو الشونة ، والجمع شواني ، السفينة العربية وقال (الزبيدي : تاج العروس) أنها من أصل مصري ، وذكر (ابن ماتي : قوانين الدواوين ، طبعة الدكتور عطية ، ص ٣٤٠ ، ٣٥٦) أن الشينى كانت تسير بمائة واربعين مجدافا وفيها المقاتلة والجدافون ، وظل هذا اللفظ مستعملا حتى العصر العثماني . انظر (القساموس) و (علي مبارك ، الخطط ، ج ١٤ ، ص ٨١) و (المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ و ٣٥٦ و ٣٥٨) و (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٥١ ، هامش ٣) و (البتانيوتى : رحلة الاندلس ، ص ١٤١) ، وهذه المادة موجزٌ عن مخطوطتنا التي لم تنشر بعد وعنوانها « معجم أسماء السفن العربية » .

وعليها باب مغلق ، ونقر في أرضها (١٠ ب) أهراء^(١) للطعام ، ومصانع^(٢) للماء ، وبني فيها القصور والدور ، فلما فرغ منها قال : « اليوم آمنت على الفاطميات » - يعني بناته - ، وارتحل عنها .

ولما رأى إعجاب الناس بها وبحصانتها قال : « هذه بنيتها لتتصم بها الفواطم ساعة من نهار » ، فكان كذلك ، لأن أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف فيه ساعة [وعاد] ولم يظفر . فلما كان في سنة ست وثلاثمائة جهز المهدي جيشا كثيفا مع ابنه أبي القاسم إلى مصر ، وهي المرة الثانية ، فوصل الاسكندرية في ربيع الآخر ، ودخلها القاسم ، ثم سار منها ، وملك الأشمونين وكثيرا من الصعيد ، وكتب إلى أهل مكة^(٣) يدعوهم إلى طاعته ، فلم يقبلوا منه ، فبعث المقتدر مؤنسا الخادم في شعبان ، فوصل إلى مصر ، وكانت بينه وبين القائم عدة وقعات . ووصل من إفريقية ثمانون مركبا نجلدة للقائم من أبيه ، فأرست بالاسكندرية ، وعليها سلبان الخادم ، ويعقوب الكتامي ، وكانا شجاعين . فأمر المقتدر أن تسيّر مراكب طرسوس ، فسار إليهم خمس وعشرون مركبا ، فيها النفط والعدد ، فالتقت المراكب على وشيد ، فظفرت مراكب المقتدر ، وأحرقوا كثيرا من مراكب إفريقية ، وأهلك أكثر أهلها ، وأسر منهم كثير ، فيهم سلبان ويعقوب ، فمات سلبان بمصر في الحبس ، وحُمل يعقوب إلى بغداد ، فهرب منها ، وعاد إلى إفريقية .

وغلب مؤنس عساكر القائم ، ووقع فيهم الغلاء والوباء ، فمات كثير منهم ، ورجع من بقى إلى

(١) عرف ضاحب القاموس الهري (ج : أهراء) بأنه بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان ، والذي جرى عليه مصطلح الدول الإسلامية في العصور الوسطى أن الأهراء هي الأماكن التي تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالخليفة والسلطان احتياطا للطوارئ ، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة ، ويؤكد هذا المعنى استعمال اللفظ بالثنى هنا ، وفيما يلي عند حصار أبي يزيد للمهدي ، والأهراء بهذا غير الشون التي كان يخزن بها ما يستهلك طول السنة من غلال وأحطاب وأتبان . انظر : (القرظي : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٠٨ ، حاشية الدكتور زيادة) و (أغاثة الأمة ، ص ٢٨ ، حاشية ٤ وص ٣١ و ٣٣)

(٢) المصنعة مكان كالحوض يجمع فيه ماء المطر ، والجمع مصانع (القاموس) .

(٣) كان حاكم مكة في تلك السنة هو الشريف محمد بن موسى . راجع (Zamb. Op. Cit. P. 21)

إلريقية ، وفيهم القائم ، وتلقب مؤنس الخادم من حينئذ بالمُظفر ، لظلمته جباكر المغرب غير مرة .

فلما كانت سنة خمس عشرة وثلاثمائة سير المهدي ابنه أبا القاسم من المهديّة إلى المغرب في جيش كبير ، في صفر ، بسبب خارجي خرج عليه ، وقتل خلقا ، فوصل إلى ما وراء تافرت . وعاد فخطّ برمه في الأرض صفة مدينة سماها « المحمدية » ، وكانت خطة لبني كحلان ، فأخرجهم منها إلى قحص القيروان ، كالتوقع منهم أمرا ، فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منه ، وهم كانوا أصحاب أبي يزيد الخارجي .

(١) وكان المهدي يُشبه في خلفاء بني العباس بالسفاح ، فإن السفاح خرج من الحميمة (٢) بالشام ، يطلب الخلافة والسيف يقطر دما ، والطلب مراصد ، وأبو سلمة الخلال (٣) يؤسس له الأمر ، ويثبت دعوته ، وعبيد الله خرج من سلمية في الشام ، وقد أذكت (٤) العيون عليه ، وأبو عبد الله الشيعي ساع في تمهيد دولته ، وكلاهما تم له الأمر ، وقتل من قام بدعوته (٥) .

وانتقل كثير من الناس إلى المحمدية ، وأمر عاملها أن يكثر من الطعام ، ويخزنه ويحفظ به ، ففعل ذلك ، فلم يزل مخزونا حتى خرج أبو يزيد ، ولقيه المنصور بن القائم بن المهدي ، ومن المحمدية كان يمتار ما يريد إذ ليس بالموضع مدينة سواها .

فلما كان يوم الاثنين الرابع عشر ، وقيل وقت صلاة المغرب ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأول ، سنة الثنتين وعشرين وثلاثمائة توفي أبو محمد عبيد الله المهدي بالمهديّة ، وأخفى ابنه أبو القاسم موته سنة لتلميع كان له ، فإنه كان يخاف الناس إذا علموا بموت المهدي .

(١) هذه الفقرة وردت في نسخة (ج) في نهاية الكلام عن المهدي ، وقبل الكلام عن القائم بأمر الله مباشرة .

(٢) الأصل : « الخيمة » ، والتصحيح عن ج

(٣) حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال من كبار دعاة العباسيين الأول ، كانت له جهود مشكورة في الحوادث التي مهنت لسقوط الأمويين ، مثل سنة ١٣٢ هـ . انظر : (الوفيات لابن خلكان ، وتاريخ الطبري ، والكمال لابن الأثير ، ج ٥ ، ٦ .

(٤) ج : « أو كتب » .

وكان عمر المهدي لما توفى ثلاثا وستين سنة - لم تكمل - .
 وكانت ولايته - منبذ دخل رقادة ودعى له بالإمامة إلى أن توفى - أربعاً وعشرين سنة ،
 وعشرة أشهر ، وعشرين يوماً .
 وقيل : كانت ولادته بسلامية من أرض الشام في سنة تسع وخمسين ، وقيل سنة ستين
 ومائتين ، وقيل : وُلد بالكوفة .
 ودُعي له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع
 وتسعين ومائتين .

وتوفى ليلة الثلاثاء منتصف ربيع الأول سنة الثنتين وعشرين وثلاثمائة .
 ونقش خاتمة : « بنصر الإله المجد ، ينتصر الإمام أبو محمد » .

وقال فيه سعلون الوجيه :

كُفِّي عَنْ التَّنْبِيْهِ إِلَى زَائِرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ سَيِّرَ مَزُورٍ
 (١١١) هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تَضَعُضَعَتْ لِقُدُومِهِ أَرْكَانُ كُلِّ أَمِيرٍ
 هَذَا الْإِمَامُ الْفَاطِمِيُّ وَمَنْ بِهِ أَيْتَتْ مَقَارِبُهَا مِنْ الْمُخْلُودِ
 وَالشَّرْقُ لَيْسَ لِشَايِهِ وَغَرَالِهِ مِنْ مَهْرَبٍ مِنْ جَيْشِهِ الْمَنْصُورِ
 حَتَّى يَفُوزَ مِنَ الْخِلَافَةِ بِالْع وَيُغَازَرَ مِنْهُ بِعَفْلِهِ الْمَنْشُورِ

**القائم بأمر الله أبو القاسم محمد
(وقيل عبد الرحمن) بن المهدي عبيد الله**

وُلِدَ بِسَلْجُوقِيَّةٍ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ - وَقِيلَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ - وَمِائَتَيْنِ ، وَرَحَلَ مَعَ أَبِيهِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ .

فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ ، وَفَرَّغَ مِنْ جَمِيعِ مَا يَرِيدُهُ ، وَتَمَكَّنَ ، أَظْهَرَ مَوْتَ أَبِيهِ ، وَتَبَعَ سُنَّةَ أَبِيهِ ، وَثَارَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ .

وَخَرَجَ عَلَيْهِ ابْنُ طَالُوتَ فِي نَاحِيَةِ طَرَابُلُسَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَتْلَهُ ، وَجَهَّزَ جَيْشًا كَثِيرًا إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَهَزَمَ خَارِجِيًّا هُنَاكَ .

وَسَيَّرَ جَيْشًا فِي الْبَحْرِ إِلَى بَلَدِ الرُّومِ ، فَسَبَى وَغَنِمَ فِي بَلَدِ جَنْوَهَ .

وَسَيَّرَ جَيْشًا بِالْفَخْ فِي النِّفْقَةِ عَلَيْهِمْ إِلَى مِصْرَ ، فَدَخَلُوا الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ ، فَبَعَثَ الْأَخْشِيدُ فَهَزَمَهُمْ .

ذكر أبي يزيد مغلد بن كيداد الحارجي

وحروبه

وذلك أنه لما كان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج أبو يزيد بن كيداد التُّكَّارِي الحارجي بإفريقية ، واشتدت شوكتُه ، وكثرت أتباعه ، وهزم الجيوش .
وكان ابتداء أمره أنه من زَنَاتٍ من مدينة تُوَزَّر ، وكان أبوه يختلف إلى بلاد السودان للتجارة ، فوُلد له بها أبو يزيد من جارية صفراء هَوَّارِيَّة ، فأتى به إلى تُوَزَّر ، فنشأ بها ، وتعلَّم القرآن ، وخالط جماعة من التُّكَّارِيَّة ، فمالت نفسه إلى منهم ، ثم سافر إلى تاهَرت ، فأقام بها يعلم الصبيان إلى أن خرج أبو عبد الله الشيعي إلى سجلماسة في طلب عبيد الله المهدي ، فاننقل إلى تَقْيُوس^(١) ، واشترى ضَيْعَةً ، وأقام يُعَلِّمُ النَّاسَ فيها .
وكان مذهبه تكفير أهل الملة ، واستباحة الأموال والدماء ، والخروج على السلطان ، فابتدأ يحتسب على الناس في أفعالهم ، وصار له جماعة يعظمونه ، وذلك في أيام المهدي سنة ست عشرة وثلاثمائة .

وتزايدت شوكتُه ، وكثرت أتباعه في أيام القائم ، وحاصر باغاية^(٢) ، وهزم الجيوش الكثيرة ، ثم حاصر قسطنطينية^(٣) سنة ثلاث وثلاثين ، وفتح تَبَسَةَ ومجانة ، وهدم سورها ، ودخل مدينة مَرْمَچَنَةَ^(٤) ، فلقية رجل من أهلها ، وأهدى له حملاً أشهب مليح الصورة ،

(١) مدينة بإفريقية قريبة من تُوَزَّر * (ياقوت : معجم البلدان)

(٢) يوجد بالهامة في النسختين تعريف بهذه المدينة نصه :

« باغاية مدينة بإفريقية ، ذات أنهار ومزارع على مقربة من جبل أوداس المتصل بالسوس ، الذي يعرف بجبل المصامدة ، المسمى بدران » .

(٣) ذكر (البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص ١٨٢) أن بين قسطنطينية والقيروان مسيرة سبعة أيام .

(٤) هكذا رسمها البكري في (المغرب ، ص ١٤٥) ، وذكر أنها قريبة من مجانة ، وأنها مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق .

فركبه من ذلك اليوم ، وصار يُعرف براكب الحمار ، وكان قصيرا أخرج يلبس جبة صوف قصيرة ، وكان قببج الصورة .

ثم إنه هزم كتامة ، وافتتح سبتة^(١) ، وصلب عاملها ، وفتح مينة الأريث^(٢) ، وأحرقها ونهبها ، والتجأ الناس إلى الجامع فقتلهم فيه ، وبلغ ذلك أهل المهديّة فاستعظموه ، وقالوا للقائم : « الأريث باب إفريقية ، ولما أخذت زالت دولة بني الأغلب » ، فقال : « لا بد أن يبلغ أبو يزيد المصل ، وهي أقصى غايته » .

وأخرج القائم الجيوش لضبط البلاد ، وجمع المساكر ، وبعث جيشا مع فتاه ميسور ، وجيشا مع فتاه بشرى ، فسار أبو يزيد وواقع بشرى على باجة ، فانهزم أبو يزيد ، وصار في أربعمائة ، فمال إلى غيام بشرى وانتهبها ، فانهزم بشرى إلى تونس وقتل كثير من عسكره ، وملك أبو يزيد باجة ، وحرقها ، ونهبها ، وقتل الأطفال ، وأخذ النساء ، وكتب إلى القبائل يدعوهم إلى نفسه فآثروه ، وعمل الأنحية^(٣) والبنود^(٤) وآلات الحرب .

وجمع بشرى جيشا وأفسده إلى أبي يزيد ، فسير إليهم أبو يزيد جيشا ، والتحقوا ، وانهزم أصحاب أبي يزيد .

وكانت فتنة بتونس ، وهرب عاملها ، وكاتبوا أبا يزيد فلمنهم ، وولى عليهم رجلا منهم ، فخافه الناس ، وانتقلوا إلى القيروان ، وأناه كثير منهم ، ثم لقيه بشرى ، فانهزم عسكر أبي يزيد ، وقتل منهم أربعة آلاف ، وأسر خمسمائة ، وبعث بهم إلى المهديّة في السلاسل ، فقتلهم العامة .

فغضب لذلك أبو يزيد ، وجمع الجموع .

(١) ج : « مسببة » .

(٢) ذكر ياقوت أن الأريث مدينة وكورة بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب ، وقال اليعربى : الأريث مدينة مسورة لها رضى كبير ، وإليها سار إبراهيم بن الأغلب حين خرج من القيروان سنة ٢٩٦ • انظر أيضا : (ياقوت : معجم البلدان) •

(٣) جاء في القاموس : « الخباء من الإبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر

(٤) الهند - العلم الكبير •

(١١ ب) وسار إلى قتال الكتامينين قتلاي مع طلائعهم ، فانهمزت الطلائع ، وتبعهم البربر إلى رقادة ، فنزل أبو يزيد بالقرب من القيروان في مائة ألف مقاتل ، وقاتل أهل رقادة ، فقتل من أهل القيروان خلقا كثيرا ، ودخل القيروان عسكره في أواخر صفر ، فانتهبوا البلد وقتلوا ، وأخذ عامل القيروان (١) فحمل إلى أبي يزيد فقتله .

وخرج شيوخ القيروان إلى أبي يزيد - وهو برقادة - فطلبوا الأمان فمأطلم ، وأصحابه يقتلون وينهبون ، فعادوا إلى الشكوى وقالوا :
« خربت المدينة » .

فقال : « وما تكون ؟ خربت مكة والبيت المقدس ١٢ »

ثم قدم ميسور في عساكر عظيمة ، فالتقى (٢) ببني يزيد ، واشتد القتال بينهما ، وقُتل ميسور ، وحُمل رأسه إلى أبي يزيد ، فانهزم عامة عسكره .

وسير أبو يزيد الكتب إلى عامة (٣) البلاد يخبر بهذا الظفر ، فخاف القائم ومن معه بالمدينة ، وانتقل الناس من أرباضها ، فاحتما بالسور ، فمنعهم القائم ، ووعدهم الظفر ، فعادوا إلى زويلة واستعدوا ، وأقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام في خيم ميسور ، وهو يبعث السرايا إلى كل ناحية ، فيخمنون ويعودون ، وفتح سوسة (٤) بالسيف ، وقتل الرجال ، ونسي النساء ، وأحرق البلد ، وشق أصحابه فروج النساء ، وبقروا البطون ، حتى لم يبق موضع في إفريقية معمور ، ولا سقف مرفوع ، ومضى جميع من بقي إلى القيروان حفاة عراة ، فمات أكثرهم جوعا وعطشا .

(١) كان قائد جيش أبي يزيد اسمه « أيوب الزويل » . أما عامل رقادة فاسمه خليل ، انظر تفصيلا أكثر للحوادث في : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٥)
(٢) الأصل : « فالتقيا » والتصحيح عن (ج) .
(٣) الأصل : « عاملة » ، والتصحيح (ج) .

(٤) ذكر ياقوت في معجمه أنها مدينة صغيرة ينسواحي إفريقية بينها وبين سفاقس يومان ، كان أكثر أهلها حاككة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة ، وبينها وبين المهدية ثلاثة أيام . وبين القيروان وبينها ستة وثلاثون ميلا ، ويحيط بها البحر من ثلاث نواح من الشمال والجنوب والشرق ، وقال : « وحاصرها أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي شهورا ثم انهزم عنها » وكان عليها في ثمانين ألفا .

وفي أواخر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة حفر القائم الخنادق حول أرباض المهديّة ، وكسب إلى زيرى^(١) بن مناد سيد صنهاجة ، وإلى سادات كُثَمَة والقبائل يحشهم على الاجتماع بالمهديّة ، فتأهبوا للمسير إليه .

ورحل أبو يزيد نحو المهديّة ، فنزل على خمسة عشر ميلا منها ، وبثّ سراياه فانتهبوا ما وجدوا ، وقتلوا من أصحابوا .

فلما كان يوم الخميس ثلثي بقين من جمادى الأولى من السنة خرجت كُثَمَة وأصحاب القائم إلى أبي يزيد ، فالتقوا على ستة أميال من المهديّة ، وقتلوا مع أصحاب أبي يزيد ، وأدركهم أبو يزيد وقد انهزم أصحابه وقتل كثير منهم ، فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ، وأبو يزيد في أثرهم إلى باب الفتح .

واقترح قوم من البربر باب الفتح ، وأشرف أبو يزيد على المهديّة ، ثم رجع إلى منزله ، وعاد إلى المهديّة ، ووقف على الخندق المحدث ، وقاتل عليه حتى وصل إلى باب المهديّة عند المصل الذي للعبد - وبينه وبين المهديّة رمية سهم - ، وتفرّق أصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون ، وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد في ذلك الجانب ، فحمل الكتاميون على البربر ، وهزمهم وقتلوا منهم .

ووصل زيرى بن مناد فعظم القتال^(٢) ، وتحير أبو يزيد ، وقد مالوا عليه ليقتلوه ، فتخلّص إلى منزله بعد المغرب ، ورحل إلى ترنوط^(٣) ، وحفر على عسكريه خندقا ، واجتمع

(٢١) الأصل : « ابن زيرى » والتصحيح من (ج)

(٢) انظر تفصيل الحديث عن هذا القتال في : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٦٦-١٦٧) ولاحظ أن هذا الفصل كله موجز عن ابن الأثير ، فالقريزي ينقل عنه بعض الجمل نقلا حرفيا ، ويختصر بالحذف أو التفسير البسيط عند نقل البعض الآخر .

(٣) ذكرها (البكري : المغرب ، ص ٣١) على أنها ترنوط - لا ترنوط - ، وقال أنها فحص على ستة أميال من المهديّة ، ومنها زاحف أبو يزيد المهديّة ، وبهذا الفحص كانت محلته أيام حصار المهديّة .

إليه خلق عظيم من إفريقية والبربر ونُفُوسَة ، والزاب ، وأقصى المغرب : فحصر المهديّة حصاراً شديداً ، ومنع الناس من الدخول إليها والخروج منها .

ثم زحف إليها لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فجرى قتال عظيم قُتل فيه جماعة من وجوه عنكر القائم ، واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى وصل قرب الباب ، ففرقه بعض العبد فقبض على لجانه وصاح :

« هذا أبو يزيد فاقتلوه » .

فأتاه بعض أصحابه وقطع يد العبد وخلّص أبو يزيد ، وكتب إلى عامل القيروان بإرسال مقاتلة أهلها إليه ، ففعل ذلك ، وزحف بهم آخر رجب ، فجرى قتال شديد . وانهمز أبو يزيد هزيمة منكرة ، وقُتل جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان .

ثم زحف الزحفة الرابعة في العشر الآخر من شوال ، فجرى قتال عظيم ، وانصرف إلى منزله ، وكثر خروج الناس إليه من الجوع والفناء ، ففتح عند ذلك القائم الأهرار التي عملها أبوه المهدي ، وفرّق ما فيها على رجاله ، وعظم البلاء على الرعية ، حتى أكلوا النوايا والميتة . وخرج من المهديّة أكثر السوق والتجار ، ولم يبق بها سوى الجند ، فكان البربر يأخذون من خرج ، ويشقّون بطونهم طلباً للذهب .

ثم وصلت كتامة فنزلت بقسطنطينة ، فخاف أبو يزيد ، وكان البربر يأتون إلى أبي يزيد من كل ناحية فينهبون [١١٢] ويرجعون إلى منازلهم ، حتى أفنوا ما كان في إفريقية : فلما لم يبق مع أبي يزيد سوى أهل أوداس وبني كملان أخرج عسكره ، فكان بينهم قتال شديد . لست خلّون من ذى القعدة ، ثم صبحوهم من الغد فلم يخرج إليهم أحد .

ثم زحفت عساكر القائم إليه ، فخرج من خندقه ، واشتد بينهم القتال ، ثم عادوا إلى

(١) قال ياقوت : « نفوسة جبال في المغرب بعد إفريقية عالية نحو ثلاثة أميال في أقل من ذلك ٠٠ وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب ، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام ، وبينه وبين القيروان ستة أيام ٠٠ وافتتح عمرو بن العاص نفوسة وكانوا نصارى ، ومن جبل نفوسة رجع عمرو بن العاص يكتب ورد عليه من عمر بن الخطاب »

القتال ، فانهزم عسكر القائم ، وعاد الحصار على ما كان عليه ، وهرب كثير من أهل المهديّة إلى جزيرة صقلية ، وطرابلس ، ومصر ، وبلد الروم .

فلما كان آخر ذى القعدة اجتمع لأبى يزيد جمعٌ عظيم ، وتقدم إلى المهديّة ، فقاتل عليها ، وكاد أن يؤخذ ، ثم خلاص .

ودخلت سنة أربع وثلاثين .

وهو مقيم على المهديّة .

ولى المحرم منها ظهر بلقرية رجل يدعو إلى نفسه ، فأجابه كثير من الناس ، وادعى أنه رجل حسانى ورد من بغداد ، ومعه أعلامٌ سود ، فظفر به أصحاب أبى يزيد وساقوه إليه فقتله .

وفرّ بعض أصحاب أبى يزيد إلى المهديّة ، وخرجوا مع أصحاب القائم ، فقاتلوا أبى يزيد فظفروا ، وتفرّق عند ذلك أصحاب أبى يزيد ، ولم يبق معه غير هوّارة وبني كملان وكان اعتمادهم عليهم .

ورحل بقية أصحابه إلى القيروان ، ولم يشاوروا^(١) أبى يزيد ، فرحل مسرعا في طائفة ، وترك جميع أثقاله ، وذلك في سادس صفر ، فنزل مصل القيروان ، فخرج أهل المهديّة إلى أثناله ، فغنموا طعاما كثيرا وخياما ، فحسنت حالهم ، ورخصت الأسعار ، وبعث القائم إلى البلاد عمالا يطردون عمال أبى يزيد .

ثم إن أبى يزيد بعث عسكرا إلى^(٢) تونس فدخلوها بالسيف في العشرين من صفر ، فنهبوا جميع ما فيها ، وسبوا النساء والأطفال ، وقتلوا الرجال ، وهدموا المساجد ، والتجأ كثير من الناس إلى البحر ففروا . فسير القائم عسكرا لقتال أصحاب أبى يزيد في تونس ، فانهزم عسكر القائم ، وتبعهم أصحاب أبى يزيد ، فكرّ عليهم عسكر القائم وصبروا ، فانهزم أصحاب أبى يزيد ، وقتل منهم خلق كثير .

(١) الأصل : « لم يشاور » ، والتصحيح عن (ج)

(٢) الأصل : « في تونس » والتصحيح عن (ج)

ودخلوا إلى تونس خامس ربيع الأول ، فأخرجوا من فيها من أصحاب أبي يزيد ، فبعث أبو يزيد ابنه^(١) فقتل أهل البلد ، وأحرق ما بقى فيه ، وتوجه إلى باجة^(٢) ، فقتل من بها من أصحاب القائم ، ودخلها بالسيف وأحرقها ، وكان في هذه المدة من القتل والسبي والتخريب ما لا يوصف .

وهم جماعة من أصحاب أبي يزيد بقتله ، وكانوا القائم بذلك ، فظفر بهم أبو يزيد فقتلهم ، وكثر النهب والسبي في القيروان .

وكان القائم قد بعث يجمع العساكر من المسيلة وغيرها ، فاجتمع له خلق كثير ، فطرقهم أيوب بن أبي يزيد على حين غفلة فقتل منهم ، وغنم أنقالهم ، وسير جريدة إلى تونس ، فأوقعوا بعسكر القائم ، وتكررت الحرب بينهم ، فانهزم أصحاب أبي يزيد ، وقتلوا قتلا ذريعا ، وأخذت أنقالهم ، وانهزم أيوب إلى القيروان في ربيع الأول ، فغظم على أبي يزيد ، وجمع على ابنه أيوب فصار (؟) ، وتوالت بينه وبين أصحاب القائم الحروب إلى أن هزمت أصحاب القائم من عسكر أبي يزيد ، ثم تجملت عسكر القائم ، وواقعت أصحاب أبي يزيد على قسنطينة ، فانهزمت أصحاب أبي يزيد .

فوجد حينئذ أبو يزيد في أمره ، وجمع العساكر ، وسار إلى سوسة سادس جمادى الآخرة ، وبها جيش القائم ، فحصرها حصرا شديدا ، وعمل عليها الدبابات^(٣)

(١) اسم هذا الابن « أيوب » ، راجع ابن الأثير فتمتد تفصيلات والية عن القتال حول المهدي .

(٢) قال ياقسوت في معجمه : « باجة في خمسة مواضع ، منها باجة بلد بإفريقية تعرف بباجة القمع ، سميت بذلك لكثرة حنطتها » وهي المقصودة هنا فقد قال البكري : « وامتنع أهل باجة في أيام أبي يزيد مخد بالقتل والسبي والحرق » الخ .

(٣) الدبابات جمع دبابة ، وقد وصفها (الحسن بن عبد الله : أثار الأول ، ص ١٩٢) بقوله « هي آلة سائرة تتخذ من الخشب النخين المتلزز ، وتلف باللبود والجلود المنقعة في الخل لدفع النار ، وتركب على عجل مستديرة ، وتحرك فتتجر ، وذريعا جعلت برجا من الخشب ، ودبر فيها هذا التدبير ، وقد يدفعها الرجال فتندفع على البكر ، وقد وصف (المعاد الأصفهاني في كتاب الفتح القسي) ، و (ابن واصل في مفرج الكروب) إحدى دبابات الفرنج فقالوا أنها كانت دبابة عظيمة هائلة ولها أربع طباق وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس ، انظر أيضا (نصاب ثابت : الجندية في الدولة العباسية) و (المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٦ ، حاشية ٨) و (Dozy : Suppl. Dict. Arab)

والمنجنقات^(١) ، وقتل من أهلها خلق كثير .

فلما كان في شهر رمضان مات القائم ، وقام من بعده ابنه المنصور ، فكتم موت أبيه خوفا من أبي يزيد ، وعمل المراكب وشحنها بالرجال ، وسيّرهما إلى سوسة ، وسار بنفسه إليها ، ثم عاد ، وقلعت المراكب فوافقت أبا يزيد حتى انتهزم هو وأصحابه ، وأحرقوا خيامه ، فدخل أبو يزيد إلى القيروان ، وفرّ البربر على وجوههم ، فمات أكثرهم جوعا وعطشا .

ومنع أهل القيروان أبا يزيد من دخول البلد ، وحصبوا عامله بها ، فالتحق به ، وأخذ أبو يزيد امرأته - أم أيوب - ، وتبعه أصحابه بعيالهم على سببها ، - وهى على يومين من القيروان - فنزلوها .

[و] سار المنصور إلى مدينة سوسة لسبع بقين من شوال ، وبعث فنادى فى الناس بالأمان ، ورحل إلى القيروان لست بقين من شوال ، فخرج إليه الناس فأنهم ، ووجد بالقيروان حرما وأولادا [١٢ ب] لأبي يزيد ، فحملهم [إلى المهديّة] وأجرى عليهم الأرزاق .

وجمع أبو زيد العساكر ، وبعث سرية يتخبرون له ، فأرسل إليهم المنصور سرية ، فالتقوا واقتتلوا ، وهزموا أصحاب المنصور ، وبلغ الناس ، ذلك فتنسروا إلى أبي يزيد وكثر جمعه ، وزحف إلى القيروان ، فواقعه المنصور حتى ظفر ، وباشر بنفسه القتال ، وجعل يحمل يمينا وشمالا ، والمظلة^(٢) على رأسه كاللحم ، ومعه نحو خمسمائة فارس ، وأبو يزيد فى قلعة

(١) المنجنيق - يفتح الميم وكسرهما - أو المنجوق، أو المنجنيق، والجمع مجانيق ومناجيق لفظ أعجمى معرب ، وهو آلة من آلات الحصار فى المصور الوسطى ، وقد وصفه صاحب صبح الأعيان (ج ٢ ، ص ١٤٤) بأنه آلة خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل ، رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف تجعل كفه المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجلب حتى ترتفع أسافله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا إلا اهلكه .

وانظر أيضا لتفسير اللفظ وأصله الفوى : (الجوالقى : العرب ، ص ٣٠٧-٣٠٥) ، وفى (كتاب آثار الأول ، ص ١٩١ - ١٩٣) وصف واف متع للمنجنيق وطرق استعماله . انظر أيضا : (نسمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية ، ص ١٩٠ - ١٩٣) .

(٢) عرف (القلقشندى : صبح الأعيان ، ج ٤ ، ص ٨٧) المظلة بأنها قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة ، مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان فى العيدين ، ثم قال بأنها كانت تستعمل فى العهد المملوكى ، وأنها من بقايا الدولة الفاطمية ، وبهم من اثنى هنا أنهم كانوا يستعملونها فى المغرب أولا ، انظر أيضا (نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٤٦٩) .

ثلاثين ألفاً ، فانهزم أصحاب المنصور هزيمة عظيمة حتى دخلوا الخندق ، وبقي المنصور في نحو عشرين فارساً وقصده أبو يزيد ، فلما رآه شهر سيفه ، وثبت مكانه ، وحمل بنفسه على أبي يزيد ، حتى كاد يقتله ، فولى أبو يزيد هارباً ، وقتل المنصور من أدرك منهم ، وتلاحقت به العساكر ، فقتل من أصحاب أبي يزيد خلقاً كثيراً .

وكان يوماً من الأيام المشهودة التي لم يكن فيها مضي من الأيام مثله ، وعابن الناس من شجاعة المنصور ما لم يظنوه ، فزادت مهابة في قلوبهم .

ورحل أبو يزيد عن القيروان أواخر ذي القعدة ، ثم عاد إليها غير مرة ، فلم يخرج إليه أحد ، [و] نادى المنصور :

« من أتى برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار » .

وأذن للناس في قتال أبي زيد ، فجرى قتال شديد انهزم فيه أصحاب المنصور حتى دخلوا الخندق ، ثم عادوا فهزموا أصحاب أبي يزيد ، واقتربوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وعادت الحرب بينهما غير مرة ، وأبو يزيد يبعث سرايا فيقطع الطريق بين المهدي والقيروان وسوسة .

ثم إنه بعث إلى المنصور يسأل حرمه وعياله الذين خلفهم بالقيروان وأخطم المنصور ، ليدخل في طاعته ، على أن يؤمنه وأصحابه ، وحلف على ذلك بأغظ الأيمان ، فسير إليه المنصور عياله مكرمين ، بعد أن وصلهم وكساهم ، فلما وصلوا إليه نكث ، وقال :

« انما وجههم خوفا مني » .

[و] انقضت سنة أربع وثلاثين وهم على حالهم .

ففي خامس المحرم سنة خمس وثلاثين زحف أبو يزيد ، وركب المنصور ، وكان بينهما قتال ما سمع بمثله ، وحملت البربر على المنصور ، وحمل عليها ، وجعل يضرب فيهم ، فانهزموا بعد أن قُتل خلق كثير .

فلما انتصف المحرم عيى المنصور عسكره ، فجعل على ميمنته أهل إفريقية ، وعلى ميسرته كتامة ، وركب في القلب ومعه عبيده وخاصته ، فوقع بين الفريقين قتال شديد ،

وحمل أبو يزيد على ميمنة المنصور فهزمها ، ثم حمل على القلب فوقع إليه المنصور ، وقال :
« هذا يوم الفتح إن شاء الله تعالى » .

وحمل فيمن معه حملة رجل واحد ، فانهزم أبو يزيد ، وأخذت السيوف أصحابه ،
فولوا منهزمين ، وأسلموا أنقالهم ، وفر أبو يزيد على وجهه ، وقد قُتل من أصحابه مالا يحصى
كثرة ، حتى أن الذي أخذ أطفال أهل القيروان خاصة من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس .
وأقام المنصور يتجهز ، ثم رحل أواخر ربيع الأول ، فآذرك أبا يزيد ، ففر منه فتبعه ،
وصار كلما قصد أبو يزيد موطعا يتحصن فيه يسبقه المنصور إليه ، واستأنم بعض أصحابه
فأمنه المنصور ، واستمر الهرب بأبي يزيد حتى وصل إلى جبل البربر - وأهله على مذهبه - ،
وسلك الرمال ، فاجتمع معه خلق كثير ، وواقع عسكر المنصور ، فهزم الميمنة ، وحمل عليه
المنصور بنفسه فانهزم ، وتبعه المنصور إلى جبال هرة ، وأودية عميقة خشنة الأرض ، فمنعت
الأدلاء المنصور من سلوك تلك الأرض ، وقالوا إنه لم يسلكها جيش قط .

واشتد الأمر على عسكر المنصور ، فبلغ عقيق كل دابة دينارا ونصفا ، وبلغت قربة الماء
دينارا ، هذا وما وراء ذلك رمال وقفار وبلاد السودان التي ليس فيها عمارة ، وقيل للمنصور :
« إن أبا يزيد اختار الموت جوعا وعطشا على القتال بالسيف » .

فلما سمع المنصور ذلك رجع إلى بلاد صنهاجة ، فاتصل به الأمير زيري بن مناد الصنهاجي ،
بمساکر صنهاجة ، فأكرمه المنصور ، وأنته الأخبار بموضع أبي يزيد من الرمال .

ونزل بالمنصور مرض شديد أشقى منه ، فلما أفاق من مرضه رحل إلى المسيلة ثلثي رجب ،
فإذا أبو يزيد قد سبقه إليها لما سمع بمرض المنصور وهو يحاصرها ، فلما علم بالمنصور
هرب منه [١٣] يريد بلاد السودان ، فخذعه بنو كملان - هم وهواة - ومنعه من ذلك ،
وأصعدوه إلى جبال كتامة وغيرهم فتحصن بها ، واجتمع إليه أهلها ، وصاروا ينزلون
ويتخطفون الناس ، فسار المنصور عاشر شعبان إليه ، فلم ينزل أبو يزيد ، فلما أخذ المنصور
في العود ، نزل أبو يزيد إلى ساقية العسكر ، فرجع المنصور ، ووقعت الحرب ، فانهزم أبو يزيد ،
وأسلم أصحابه وأولاده ، وأدركه فارسان فعقرا فرسه ، فسقط عنه ، فأركبه بعض أصحابه ،

وأدركه الأمير زَيْرَى فطعنه وألقاه ، وكثر عليه القتال حتى غلَّصه أصحابه ، وخلصوا به ،
وتبعهم المنصور فقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف .

وسار المنصور في أثره أول رمضان . فاقتتلوا أشد قتال : ولم يقدر أحد الفريقين على
الهيمنة لفريق للكان وخشونته ، ثم انهزم أبو يزيد ، وطلع أصحابه على رؤوس الجبال يرمون
بالصخر ، واشتد الأمر حتى تواخلوا بالأبدى ، وكثر القتل حتى ظنوا أنه القناه ، واغترقوا
على السواء .

والنتجاً أبو يزيد إلى قلعة [كتامة وهي] (١) منيعة فاحتسب بها ، وأقبلت هواره وأكثر من
مع أبي يزيد يطلبون الأمان ، فأمّنتهم المنصور ، وسار فحصر القلعة ، وفرّق جنده حولها ، فنشبه
أبو يزيد القتال ، وزحف إليها المنصور غير مرة حتى ملك بعض أصحابه مكاناً من القلعة ،
وألقوا فيها النيران ، فانهزم أصحاب أبي يزيد ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وامتنع أبو يزيد وأولاده في
قصر بالقلعة ومعه أعيان أصحابه ، فاجتمع أصحاب المنصور ، وأحرقوا شعاري الجبل حتى لا يهرب
أبو يزيد فصار الليل كالنهار .

فلما كان آخر الليل خرج أصحاب أبي يزيد وهم يحملونه على أليسيهم ، وحملوا على الناس
حملة منكراً ، فأفروا له ، ونجوا به ، ونزل من القلعة خلقٌ كثير ، فأعطوا وأخبروا بخروج
أبي يزيد ، فأمر المنصور بطلبه ، وقال :

« ما أظنه إلا قريباً منا » .

فبينما هم كذلك إذ جاء الخبر أن ثلاثة من أصحاب أبي يزيد حملوه من المعركة لقيح
عرجه ، فذهب لينزل من الوعر فسقط في مكان صعب ، فأخذ وحُمِلَ إلى المنصور يوم الأحد
لخمس بقين من المحرم ، وبه جراحات ، فلما رآه سجد شكرًا لله . وقدم به والناس يكبرون
حوله ، فأقام عنده إلى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ؛ فمات من جراح كانت
به . فأمر [المنصور] بإدخاله في قفص حُمِلَ له ، وجعل معه قردَيْنِ يلعبان عليه ، وأمر
بسلخ جلده ، وحشاه تبنًا ، وكتب إلى سائر البلاد بالبشارة .

(١) زيد ما بين الحاصرتين بعد مراجعة (إبن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٧٣) .

وخرج عليه - بعد أبي يزيد - عدة خوارج ، فظفر بهم المنصور .

ثم عاد المنصور إلى المهديلة في شهر رمضان سنة ست وثلاثين .

وكانت وفاة القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي لثلاث عشرة خلت من

شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

وقام بالأمر من بعده ابنه أبو الطاهر إسماعيل المنصور بنصر الله ، وكمّ موته خوفاً أن يعلم أبو يزيد ، فإنه كان على صومعة قريباً منه ، فأتى الأمور على حالها ، ولم يتسم بالخليفة ، ولا غير السكّة ولا الخطبة ولا البنود ، وبقي كذلك حتى فرغ من أمر أبي يزيد ، فلما فرغ منه أظهر موت أبيه ، وتسمّى بالخلافة ، وعمل آلات الحرب .

ويقال إن القائم لم يرقّ سريراً ، ولا ركب دابة صيد منذ أفضى إليه الأمر حتى مات ، وإنه صلى مرة على جنازة ، وصلى مرة العيد بالناس .

وكانت مدة خلافته ثنتي عشرة سنة ، وسبعة أشهر ، واثني عشر يوماً .

وعمره ثمانيا وخمسين سنة ، وقيل أربعاً وخمسين سنة ، وتسعة أشهر ، وسنة أيام .
وأولاده :

أبو الطاهر إسماعيل .

وأبو عبد الله جعفر - ومات في أيام^(١) المعز -

وحمزة ، وعلمان ، وأبو كنانة - قبضوا بالمغرب -

ويوسف - مات بهرة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة -

وعبد الجبار - توفي بمصر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة -

وأربع بنات .

وترك سبع سراري .

(١) الأصل : في أيامه ، ، والتصحيح عن (ج) :

وكانت قضائه :

إسحاق بن أبي المنهال ، ثم مات ، فولد أحمد بن يحيى - وقتله أبو يزيد لما فتح إفريقية في صفر سنة ثلاث وثلاثين - ، ثم أحمد بن الوليد .

ونقش خاتمه : « ينصر الدائم ، ينصر الإمام أبو القاسم » .

وقال فيه أيوب بن إبراهيم :

(١٣ب) يا ابنَ الإمامِ المرتضى ، وابنِ الوصيِّ المصطفى ، وابنِ النبيِّ المرسلِ
اللهُ أعطاك الخلافةَ واهباً وذاك للإسلامِ أَمْنَعُ مَقْبُولِ
نِلْتَ الخلافةَ ، وهى أعظمُ رُتْبَةً نِيلْتُ ، وليستَ مِنْ عُلَّاءِ بِأَفْضَلِ
فَمَنْعَتْ حَزَنَتَهَا ، وَحُطَّتْ حَرَمُهَا بِالْمُشْرِفَةِ وَالْوَرِثِيجِ الذُّبُلِ

وقال خليل بن إسحاق لما بعثه لقتال أبي يزيد :

وما ودَّعْتُ خَيْرَ الْخَلْقِ طَرّاً ولا فارقتُه عن طيبِ نَفْسِ
ولكننى طلبتُ به رِضاهُ وَعَفَوُ اللهَ يَوْمَ حُلُولِ رَمَيسِ
فعاشَ مُلْكاً ما لاحَ نَجْمٌ على الثَّقَلَيْنِ من جَنِّ وإِنْسِ

المنصور بنصر الله ابو الطاهر اسماعيل

ابن محمد القائم بن عبيد [الله] المهدي

وُلد بالمهديّة في أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وقيل ولد بالقيروان^(١) في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وقيل بل في سنة إحدى وثلاثمائة .

وبويح له في شوال سنة أربع وثلاثين^(٢) وثلاثمائة .

وتوفي يوم الأحد الثالث وعشرين من شوال ، وقيل يوم الجمعة مع الظهر سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، واستمرت وفاته إلى يوم الأحد سابع ذى الحجة منها .

وكان له من العمر إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر .

وكانت ولايته الخلافة - بعد أبيه - ثلثي سنين ، وقيل : سبع سنين وعشرة أيام ، وقيل : كان عمره تسعا وثلاثين سنة .

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً حاد النهن ، حاضر الجواب ، بعيد الفور ، جيد الحلم ، يخترع الخطبة لوقته ، وأحواله التي تقدم ذكرها مع أبي يزيد وغيره تدل على شجاعته وعقله .

قال أبو جعفر أحمد بن محمد المروزي^(٣) :

« كنت مع المنصور في اليوم الذي أظهره الله بمخلد بن كَيْلَاد أبي يزيد ، وهزمه ، فتقدمتُ إليه ، وسلمتُ عليه ، وقبلت يده ، ودعوت له بالنصر والظفر ، فأمرني بالركوب - وقد جمع عليه سلاحه وآلة حربه ، وتقلد سيف جده ذا القنار ، وأخذ بيده رمحين - فحدثته ساعة ، فجال به القرس ، وردّ أحدهما إلى يده اليسرى ، فسقط إحدى الرمحين من يده إلى الأرض ،

(١) الأصل : « بالمراق » وهو خطأ واضح ، والتصحيح عن (ج) .

(٢) المروزي نسبة إلى مرو الروذ ، وهي - كما ذكر ياقوت - مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة أيام ، وينسب إليها أيضاً مبرودي .

فتفاءلت له بالظفر : ونزلت مسرعا ، لفرغت الرمح من الأرض ، ومسحته بكفى ، فرفعته إليه ، وقبلت يده ، وقلت :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرُّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ
فَأَخَذَ الْمَنْصُورَ الرَّمْحَ مِنْ يَدِي وَقَالَ :
« هَلَّا قُلْتُ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَأَصْدَقُ ؟ » .

قال ، قلت : « وما هو ؟ » .

قال : قال الله عز وجل : « وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ^(١) » .

قال : فقلت : « يا مولانا : أنت ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وإمام الأمة ، عليكم نزل القرآن ، ومن بيتكم درجت الحكم ، فقلت أنت بما عندك من نور النبوة ، وقال عبدك بما بلغه من علمه ومعرفته بكلام العرب وأهل الشعر » .

وكان الأمر كما قال ، فما هو إلا أن أشرف على عسكر أبي يزيد حتى ضرب الله في وجوههم ، فقتلوا ، وأحرق عسكرهم وخيامهم بالنار ، وولى أبو يزيد في بقية أصحابه خائبيين إلى داخل المغرب .

ولما صارت الخلافة إلى المنصور في الشهر الذي توفى أبوه فيه ، لم يغير السكة ولا البنود ، وأقام على ذلك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فأظهر موت أبيه بعد أن ظفر بأبي يزيد .

وكان سبب موته : أنه خرج إلى سَفَاقُس ^(٢) وتَوُثُس ، ثم إلى قَابِس ^(٣) ، وبعث يدهو

(١) الأصل : « فالتقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين » وهذا خطأ واضح ، فإن الآية الأولى « فالتقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون » هي الآية رقم ٤٥ من سورة الشعراء ، والآيتان التاليتان من سورة الأعراف . وقد رويت الآيات صحيحة في نسخة (ج) وهي الآيات ١١٧ - ١١٩ من سورة الأعراف .

(٢) ذكر ياقوت أنها مدينة من نواحي إفريقية جل غلاتها الزيتون ، وهي على ضفة الساحل بينها وبين المدينة ثلاثة أيام ، وبين مسوسة يومان ، وبين قابس ثلاثة أيام »

(٣) ذكر ياقوت أنها « مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية ، على ساحل البحر ، فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب ، وبينها وبين طرابلس ثمانية منازل . وكان فتحها مع فتح القيروان سنة ٢٧ » وقال البكري : « وبين قابس والبحر ثلاثة أميال » .

أهل جزيرة^(١) إلى الطاعة فأجابوه ، وأخذ منهم رجالا وعاد ، وكانت سفرته شهرا .
وعهد إلى ابنه معدّ وجعله ولي عهده .

فلما كان شهر رمضان سنة إحدى وأربعين خرج متنزها إلى مدينة جلولاء^(٢) - وهو (١٤) موضع كثير الثمار ، وفيه من الأترج ما لا يحمل الجبل منه غير أربع أترجات لعظمه - فحمل منه إلى قصره ، وكانت له حظية^(٣) يحبها ، فلما رأته الأترج استحسنته ، وأحب أن تراه في أغصانه ، فأجابه إلى ذلك ، ورحل بها في خاصته ، وأقام بها أياما ثم عاد إلى المنصورية ، فأصابه في الطريق ربح شديد ، وبرد ومطر أقام أياما ، وكثر التلج ، فمات جماعة ممن معه . واعتل المنصور علة شديدة ، ووصل المنصورية ، فأراد عبور الحمام فنهاه طبيبه إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي عن ذلك ، فلم يقبل ، ودخل الحمام ففتيت الحرارة الغريزية منه ، ولازمه السهر ، فأخذ طبيبه يعالج المرض دون السهر ، فاشتد ذلك على المنصور وقال لبعض خواصه :

« أما في القيروان طبيب غير إسحاق ؟ »

فأحضر إليه شاب من الأطباء يقال له : « أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار » ، فجمع له أشياء مخدرة^(٤) ، وكلفه شهما ، فنام ، وخرج وهو مسرور بما فعله ، فجاء إسحاق ليلخل على المنصور ، فقبل له لأنه نائم ، فقال : « إن كان صنع له شيء ينام منه فقد مات » ، فدخلوا عليه فإذا هو ميت ، فدفن في قصره .

وأرادوا قتل ابن الجزار الذي صنع له النوم ، فقام معه إسحاق ، وقال :

(١) جربة - بكسر الجيم أو فتحها - جزيرة بالمغرب من ناحية الفريقية قرب قابس انظر : (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) هناك مدينتان تحملان هذا الاسم « جلولاء ، الأولى طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان ، بينهما وبين خاتقين سبعة فراسخ ، والثانية - وهي المقصودة هنا مدينة بافريقية بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلا ، راجع : (ياقوت : معجم البلدان) .

(٣) ذكر (ابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٣٥) أن هذه الجارية كانت تسمى « قضيب » .

(٤) في ابن الأثير وابن خلكان : « منومة » .

« لا ذنب له ، إنما داواه بما ذكره الأطباء ، غير أنه جهل أصل المرض ، وما عرفتموه ، وذلك أننى فى معالجته أقصد تقوية الحرارة الفريزية ، وبها يكون النوم ، فلما عولج بما يطفئها علمت أنه قد مات » .

وكان نَفْسُ خَاتَمِهِ : « ينصر الباطن الظاهر ، ينتصر الإمام أبو الطاهر » .

وكان يُشَبِّهُ بِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ - من خلفاء بنى العباس - لَأَنَّ كِلَا مِنْهُمَا اخْتَلَتْ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ ، وَأَصْفَقَتْ (١) عَلَيْهِ الْحُرُوبُ ، وَكَادَ يُسَلُّ مِنَ الْخِلَافَةِ ، فَهَبَّ لَهُ رِيحُ النَّصْرِ ، وَتَرَجَعَ لَهُ أَمْرُهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مُخَالَفٌ .

وأولاده :

أبو تَيْمٍ الْمُعَزِّزُ لِلَّهِ :

وَحَبْلَتُهُ - مات بمصر فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وصلى عليه العزيز بالله - .

وَهَاشِمٌ - مات بمصر فى ربيع الأول سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة ، وصلى عليه العزيز بالله - .

وطاهر - مات فى المحرم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بالمغرب - .

وأبو عبد الله الحسين - مات بالمغرب - .

وخمسُ بنات :

هبة ، وأزوى ، وأمياء - مِتْنَّ بِمِصْرَ أَيَّامَ الْمُعَزِّزِ لِلَّهِ .

وَأُمُّ سَلَمَةَ - ماتت بمصر أيام العزيز بالله - .

ومنصورَة - ماتت بالمغرب - .

وكان له أمهات أولاد ثلاث .

وقضاياه :

أحمد بن محمد بن أبى الوليد .

(١) أصفقت أى أطبقت (القاموس) .

ثم محمد بن أبي المنصور .

ثم عبد الله بن قاسم (١) .

ثم علي بن أبي سفيان .

ثم أبو محمد زُرارة .

ثم أبو حنيفة الثُّعْمَان بن محمد التميمي .

وحاجبه : جعفر بن علي .

(١) ج : ابن هاشم

المعز لدين الله أبو تميم محمد
ابن المنصور أبي الطاهر بن القائم أبي القاسم محمد
ابن عبيد الله المهدي

قال : ولى الأمر بعد أبيه سلخ شوال - وقيل يوم الجمعة سابع عشر - سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة .

وأقام في تدبير الأمور إلى سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، وأذن للناس فدخلوا عليه وقد جلس لهم ، فسلموا عليه بالخلافة ، وكان عمره أربعاً وعشرين سنة . ومولده بالمحمدية على أربع ساعات وأربع أعشار ساعة من يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان سنة تسع (١) عشرة وثلاثمائة . ومدة أيامه ثلاث وعشرون سنة ، وخمسة أشهر ، ومبعة عشر يوماً .

فلما كان في سنة اثنتين وأربعين جالت عساكره في جبل أوراس ، وكان ملجأ كل منافق على الملوك ، يسكنه بنو كملان ومليكة وبعض هواره ، ولم يدخلوا في طاعة من تقدمه ، فأطاعوا المعز ، ودخلوا معه البلاد ، وتقدم إلى نوابه بالإحسان إلى البربر ، فلم يبق منهم إلا من أتاه وشمله إحسان المعز ، فعظم أمره .

وفي سنة سبع وأربعين عظم أمر أبي الحسين جوهر عند المعز ، وعلا محله ، وصار في رتبة الوزارة ، فسيره في صغر شأنها على جيش كثيف ، فبهيم الأمير زيرى بن مناد (٢) الصنهاجى

(١) كذا في الأصل ، وفي « ج » والخط « سبع عشرة »
(٢) جاء في الهامش بالأصل تنص لهذا الاسم ونصها : « بخطه - أى بخط المؤلف - : زيرى بن مساد بن معوس (يعنون نقتل) بن زناك » .

وغيره ، فسار إلى تاهرت ، وحارب قوًما ، وافتتح مدنا ، ونهب وأحرق ، وسار إلى فاس^(١) فنازلها مدنة ، وسار إلى سِجْلَمَاسَة ، وقد قام بها رجل^(٢) وتلقب بالشاكر لله ، وخطوب بأمير المؤمنين ، ففر من جوهر فتيحه حتى أخذه أسيرا .

ومضى [جوهري] إلى البحر المحيط . [١٤ ب] ، فأمر أن يصاد من سمكه ، وبعثه في قلال الماء إلى المعز ، وملك ما هنالك من البلاد فاقتتحتها ، ثم عاد فقاتل أهل فاس حتى افتتحتها عنوة ، وقبض على صاحبها ، وجعله مع صاحب سجلماسة في قفصين ، وحملهما إلى المعز بالمهدية ، وعاد في أخريات السنة .

وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كان إعلار^(٣) المعز لدين الله الأمراء بنيه : عبد الله ، وتازر ، وعقيل ، فحين عزم على طهورهم كاتب عماله وولاته من لدن برقة إلى أقصى سِجْلَمَاسَة ، وما بين ذلك ، وما حوته مملكته إلى جزيرة صقلية وما والاها ، في حضر وبدو ، وبحر وبر ، وسهل وجبل ، بطهور من وجد من أولاد سائر الخلق ، حُرَّم وعبد لهم ، وأبيضهم وأسودهم ، ودينهم وشريفهم ، ومليهم وذهبيهم ، الذين حوتهم مملكته ، لمدة شهر ، وتوعد على ترك ذلك ، وأمرهم بالقيام بجميع نفقاتهم وكسوتهم ، وما يصلح أحوالهم من مطعم ومشرب وملبس وطيب وغيره بمقدار رتبهم وأحوالهم ، فكان من جملة المنفق في ذلك مما حُمِل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال - سوى الخلع والثياب - خمسون جُمْلًا من الدنانير ، كل جُمْل عشرة آلاف دينار ، ومثل ذلك إلى كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على أهل عمله .

وابتدئ بالختان في مستهل ربيع الأول منها ، فكان المعز يطهر في اليوم من أيام الشهر

(١) قال ياقوت : « هي مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهي حاضرة المغرب وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش » . وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس ، « وقال البكري : « مدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان ، عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين » . وأسست عدوة الأندلسيين » . في سنة ١٩٢ ، وعدوة القرويين في سنة ١٩٣ في ولاية إدريس بن إدريس » . الخ » .

(٢) بوجز المقریزی هنا في هذا الفصل عن : (الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٧) واسم هذا الرجل هناك : « محمد بن واسوك » .

(٣) اعذر الغلام وعذره أي ختنه ، وللقسم عمل طعام الختان (القاموس)

بحضرته اثنا (١) عشر ألف صبي وفوقها ودونها ، ويختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي ، وكان وزن خِرْق الأكياس المفرغة مما أنفق في هذا الإعمار مائة وسبعين قنطاراً (٢) بالهندى .

واستدعى المعز - وهو بالمنصورية - في يوم شاتٍ باردة الريح علة شيوخ من شيوخ كتامة ، وأمر بادخالهم إليه من غير الباب الذى جرى الرسم به ، فإذا هو فى مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح ، وحوله كساء ، وعليه جبة ، وحواليه أبواب مفتحة تُفضى إلى خزائن كتب ، وبين يديه مرفع ودواة ، وكتبٌ حواليه ، فقال :

« يا إخواننا : أصبحت اليوم فى مثل هذا الشتاء والبرد ، فقلتُ لأم الأمراء - وإنما الآن بحيث تسمع كلامي - : أترى إخواننا يظنون أنا فى مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب فى المُثقل (٣) والديباج (٤) والحرير والفنك (٥) والسُّمور والمسك والخمر والفناء كما يفعل أبواب الدنيا ؟ !

ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالى إذا خلوت دونكم واحتجبتُ عنكم ، وأنى لا أفضلكم فى أحوالكم إلا فيما لا بد لي منه من دنياكم ، وبما حصنى الله به من إمامتكم ، وأنى مشغول بكتيب ترد على من الشرق والمغرب أجيب عنها بخطى ، وأنى لا أشغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما صان أرواحكم ، وعمر بلادكم ، وأذل أعداءكم ، وقمع أضدادكم .

(١) فى النسختين : « اثني » ، وما أثبتناه هو الصحيح
(٢) هذا اللفظ من أصل لاتينى هو "Quintale" ، ومقابلته بالفرنسية والاسبانية والانجليزية "Quintal"

(٣) المثقل من الثياب ما كان منسوجا بالذهب .
(٤) الديباج من أتمد الاقمشة الثمينة المعروفة فى الشرق قبل الاسلام وكان يصنع فى الصين والارمنية ، ويطلب أن يكون من الحرير . انظر : (عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الاقمشة الفاخرة ، ص ٣٩ ، هامش ٢)
(٥) عرف (Dozy : Supp. Dict. Arab) الفنك بأنه نوع صغير جدا من الثعالب فى حجم القط (س) يسكن الاقاليم الحارة فى افريقية من الحبشة ودارفور الى شمال القارة ، وجاء فى (محيط المحيط) أن الفنك حيوان فروته أحسن الفراء وأعدلها ، قيل هو نوع من جراء الثعلب التركى ، وقيل يطلق على جرو ابن آوى فى بلاد الترك ، والمقصود باللفظ هنا الفراء لا الحيوان .

فأقبلوا يا شيوخ في خلوتكم مثل ما أفعله ، ولا تظهروا التجبر والتكبر ، فينزع الله النعمة عنكم ، وينقلها إلى غيركم ، وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل إلّ كتحننى عليكم ، ليتصل في الناس الجميل ، ويكثر الخير ، ويتشتر العذل .

وأقبلوا بعدها على نسائكم ، والزمو الواحدة التي تكون لكم ، ولا تشهروا إلى التكثير منهن ، والرغبة فيهن ، فيتنخص عيشكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتنهكوا أبدانكم ، وتذهب قوتكم ، وتضعف نحايذك^(١) ؛ فحسب الرجل الواحد الواحدة ، ونحن محتاجون إلى نصرتكم بآبدانكم وعقولكم .

واعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم . انفضوا رحمكم الله ونصركم » .

وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة أمر [المعز] بحضر الآبار في طريق مصر ، وأن يُبنى له في كل منزلة قصر ، ففعل ذلك .

وفي يوم الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من السنة وردت النجب من مصر بموت كافور الأختيشدي يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى^(٢) .

واستدعى [المعز] يوما أبا جعفر بن حسين بن مهذب - صاحب بيت المال - وهو بالمغرب ، فوجده في وسط القصر جالسا على صندوق ، وبين يديه ألوف صناديق مبددة في صحن القصر ، فقال له :

« هذه صناديق مال ، وقد شذّ عنى ترتيبها ، فانظرها ورتبها » .

قال : « فأخذت أجمعها إلى أن صارت مرتبة ، وبين يدي جماعة من [١٥ | ١] خدام بيت المال والفراشين » ، وأنفذت إليه أعلمه ، فأمر برفعها في الخرائن على ترتيبها ، وأن يُلق عليها ، وتختم بخاتمه ، وقال : « قد خرجت عن خاتمتي وصارت إليك » ففعل .

(١) نحايذك أي أصولكم ، فالنحاز - بكسر النون وضمها - الأصل (القاموس)

(٢) يفهم من النص هنا أن كافورا توفي في العشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٥ هـ ، والصحيح أن الوفاة حدثت في هذا التاريخ من سنة ٣٥٧ ، فهذا اليوم من سنة ٣٥٥ ليس يوم الأربعاء ، وإنما هو يوم الأربعاء في سنة ٣٥٧ . انظر : (النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ١٠ و ٢١) و (التوقيعات الالهامية) .

وكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار ، وذلك في سنة سبع وخمسين^١ وثلاثمائة ،
فأنفقها أجمع على المسافر التي سيرها إلى مصر - في سنتي ثمان وتسع وخمسين - مع القائد جوهر .
وكان رحيله في رابع عشر ربيع الأول منها ، ومعه ألف حمل مال ، ومن السلاح والخيول
والعدد مالا يوصف ، فقدم جوهر إلى مصر ، ووصلت البشارة بفتحها في نصف رمضان سنة
ثمان وخمسين ، فسرّ المعز مروراً كثيراً وأنشده ابن هاني قصيدة أولها :

يَقُولُ بنو العباس : هل فتحت مصر ؟ فَقُلْ لبني العباس : قد قُضِيَ الأمر
ولما وصلت البشارة من الشام بكسر عسكر أبي عبد الله الحسن بن أحمد القرمطي
- المعروف بالأعصم^(١) - أنشده ابن هاني قصيدة منها :
ما شئتُ لا ما شاعت الأقدارُ ، فاحكم فقلت الواحد القهارُ
وأنشد أيضاً أخرى أولها :

وعلى^(٢) أمير المؤمنين مَطْلَةٌ رَاخُمْتُ تحت لوائها جبريلا
وفي سنتي ستين وإحدى وستين قال : ولقد وصلنا إلى برقة ومعنا خمسون ألف دينار .
ولما أنفذ جوهر إلى مصر ، وبرز يريد المسير إلى مصر ، بعث [المعز] خفيّاً الصَّغْبَلِي
- صاحب المَثَر^(٣) - إلى شيوخ كمامة ، يقول :

(١) أحد زعماء القرامطة ، ولد بالأحساء ، وفي سنة ٣٦٠ خرج إلى دمشق فاقتتل مع جيش
جعفر بن فلاح وقتله بظاهر دمشق ، وملك دمشق وولى عليها طالم بن موهوب المقتيل ، ثم
عاد إلى بلاد هجر ، وحاجم مصر في أوائل سنة ٣٦٢ ، ثم تفرق إلى الشام ، ومات بالرملة في
رجب سنة ٣٦٦ ، انظر : (النجوم الزاهرة) ج ٤ ص ٣١ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
١٢٨) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ج) : «وخيل أمير المؤمنين مطلّة» ، وليس في الديوان قصيدة
تنتهي بهذا الروي الا قصيدة واحدة مطلعها : «أتظن راجاً في الشمال شمولاً» وليس في هذه
القصيدة بيت ينتهي بلفظ «جبريلا» الا هذا البيت :

أمدبرها من حيث دار لشده ما راحمت حول ركابه جبريلا

انظر : (الديوان ، ص ٥٦٠ و ٥٦٦) .

(٣) لعل المقصود بهذه الوظيفة أن صاحبها هو الذي كان يتولى أمر الستار التي تحجب
الخلافة الفاطمية على عرشه حتى يتم اعداد المجلس - في مجالسه العامة - ثم ترفع بعد
ذلك .

« يا إخواننا : قد رأينا أن ننقل رجالا من .. بلدان كثامة ، يقيمون بينهم ، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ، ويحفظونها علينا في بلادهم ، فإذا احتجنا إليها أنقلنا خلفها فاستعنا بها على مانحن بسبيله » .

لقال بعض شيوخهم لخنيف - وقد بلغهم ذلك - :

« قل لمولانا : والله لا فعلنا هذا أبدا . كيف تؤدي كثامة الجزية ، ويصير عليها في الديوان ضريبة ؟ ؟ وقد أعزها الله قديما بالإسلام ، وحبينا معكم بالإيمان ، وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب ؟ » .

فعاد خفيف بذلك إلى المنز ، فأمر باحضار جماعة كثامة ، فدخلوا عليه وهو راكب فرسه ، فقال :

« ما هذا الجواب الذي صدر عنكم ؟ » .

فقالوا : « نعم هو جواب جماعتنا ، ما كنا يامولانا بالذي يؤدي جزية تبقى علينا » .
فقام [المنز] في ركابه ، وقال : « بارك الله فيكم ، فهكنا أريد أن تكونوا ، وإنما أردت أن أجربكم ، فانظروا كيف أنتم بعدى إذا سرنا عنكم إلى مصر ، هل تقبلون هذا أو تفلطونه وتدخلون نحته من يرومه منكم ؟ والآن سررتموني بارك الله فيكم » .

وكتب إلى جوهر - وهو عصر - من الغرب :

« وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة من بني حمدان وصلت إليك كتبهم ، يبذلون الطاعة ، ويعمدون بالمسارعة في المسير إليك ، فاسمع لما أذكره لك : احذر أن تبتدئ أحدا من بني حمدان بكتابة - ترويبا له ولا ترغيبا - ، ومن كتب إليك منهم فاجبه بالحسن الجميل ، ولا تستدعه إليك ؛ ومن ورد إليك منهم فأحسن إليه ، ولا تمكّن أحدا منهم من قيادة جيش ولا مملك طرف ، فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء ، عليها مدار العالم ، وليس لهم فيها نصيب : يتظاهرون بالدين ، وليس لهم فيه نصيب ؛ ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم . في الله ؛ ويتظاهرون بالشجاعة ، وشجاعتهم للدنيا لا للأخرة ؛ فاحذر كل الحذر من الاستنامة إلى أحد منهم »

ولما هزم [المعز] على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه بالمغرب ، فوقع اختياره على أبي أحمد جعفر بن علي الأمير ، فاستدعاه ، وأسر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب ، فقال : « تترك ممي أحد أولادك أو اخوتك جالسا في القصر وأنا أدبر ، ولا تسألني عن شيء من الأموال إن كان ما أجببه ^(١) » بازاء ما أنفق ، وإذا أردت أمرا فعتنه ولم أنتظر ورود الأمر فيه ، لبعد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي .
فغضب المعز وقال :

« يا جعفر : عزلتني عن ملكي ، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري ، واستبددت بالأموال والأعمال دوني ، قم فقد أخطأت خطك ، وما أصبت (١٥ ب) رشدك .
فخرج .

واستدعى المعز يوسف بن زيري الصنهاجي ، وقال له :

« تأهب لخلافة المغرب »

فأكبر ذلك وقال :

« يامولانا : أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ماصفا لكم المغرب ، [فكيف] يصفوني وأنا صنهاجي بريري ؟ قتلني يامولاي بلا سيف ولا رمح .

ولم يزل به حتى أجاب وقال :

« يامولانا : بشرطة أن تولي القضاء والخراج لمن ثراه وتختاره ، والخبر لمن تشق به ، وتجعلني أنا قائما بين أيديهم ، فمن استعصى عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب ، ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك » .

فحسن هذا من المعز [وشكره ، فلما انصرف] ^(٢) قال له ثم أبيه أبو طالب أحمد بن المهدي صيد الله :

« يامولانا : وثق بهذا القول من يوسف أنه يني بما ذكره ؟ »

فقال [للمعز] : « ياعننا : كم بين قول يوسف وقول جعفر ؟ واعلم ياعم أن الأمر الذي طلبه

(١) ج : « لأن ما أجببه » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (القرطبي : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٦)

جعفر ابتداءً هو أكثر ما يصير إليه أمر يوسف ، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ، ولكن هذا أولى وأحسن وأجود عند ذوى العقل ، وهو نهاية ما يفعله من يترك دياره .
 ووجهت أم الأمراء من المغرب بصبيته زينها لثياع في مصر ، فطلب الوكيل فيها ألف دينار ، فجاءت امرأة شابة على حمار ، فلم تزل حتى اشترتها منه بستمائة دينار ، وقيل له يامغربى : « هذه بنت الاخشيد اشترت الجارية تتمتع بها ، وهى ست كافور » .
 فلما عاد أخبر المز بذلك ، فأمر بإحضار الشيوخ ، وأمر الرجل فحلثهم بخير الجارية ، ثم قال :

« يا إخواننا : انفضوا إليهم ، فلن يحول بينكم وبينهم شيء ، وإذا كان قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات ملوكهم تخرج وتشتري لنفسها جارية تتمتع بها فقد ضحفت نفوس رجالهم ، وذهبت الثيرة منهم ، فانفضوا بنا إليهم » .
 فقالوا : « السمع والطاعة » .

فقال : « خلوا في حوائجكم ، فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا إن شاء الله » .
 ولما عزم المز على الرحيل إلى مصر أتاه بلكين^(١) بن زيري بلقي جمل من إبل زناتة ، وحمل ماله بالقصور من الذخائر ، وسبك اللنانير على شكل الطواحين ، جعل على كل جمل قطعتين ، في وسط كل قطعة ثقباً تجمع به القطعة إلى الأخرى ، فاستعظم ذلك الجند والرعية ، وصاروا يقفون في الطرق لرؤية بيت المال المحمول .

وخرج المز من المغرب يوم الإثنين لثاني بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وخرج من المنصورة ومعه بلكين - واسمه يوسف - إلى سردانية^(٢) من بلاد إفريقية ، فسلم إليه إفريقية والمغرب يوم الأربعاء تسع بقين من ذى الحجة ، وأمر مائت الناس له بالسمع والطاعة ، وفوض

(١) كان بلكين زعيم قبيلة صنهاجة وهى من أكثر القبائل المغربية اخلاصاً وتأييداً للفاطميين ، وقد ولاه المز حكم المغرب نيابة عنه عند خروجه الى مصر كما هو واضح بالمتن هنا ، وتوفى في ٢١ ذى الحجة سنة ٣٧٣ فى مكان بين سجلماسة وتلمسان ، وخلفه على المغرب ابنه المنصور ، انظر : (دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « بلكين » وما بها من مراجع) .
 (٢) سردانية قرية قريصة من القيروان ، انظر : (البكرى : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٢) .

إليه أمور البلاد. ما خلا جزيرة صقلية - فإنه ترك أمرها لجسن بن علي بن أبي الحسين^(١) - ،
وطرابلس وأعمالها .

وقال له :

« إن نسييت ، ما وصيناك به فلا تنس ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ،
ولا ترفع السيف عن البربر ، ولا تول أحدًا من أخوتك وبني عمك ، فإنهم يروون أنهم أحق
بها الأمر منك ، وافعل مع أهل الحاضرة خيرا » .
وفارقه .

وكان قيصر ومظفر الصقليان قد بلنا رتبة عظيمة عند المنصور والمز ، وكان المظفر يُدلى
على المز لأنه علمه الخط . وهو صغير ، فاتفق أنه حرد يوما ، فسمعه المز يتكلم بكلمة صقلية
استراب بها ، فأنخذ المز نفسه بحفظ اللغات ، فابتدأ بالبربرية فأحكمها ، ثم بالرومية ،
ثم بالسودانية ، ثم استدعى الصقلية فمرّت به تلك الكلمة فيها ، فإذا هي شتمة ، فبقيت
في نفسه حتى قتلها .

وبلده - وهو بالمغرب - أمر الحرب من بني حسن وبني جعفر بن أبي طالب [بالحجاز] ،
وأنه قتل من بني الحسن أكثر من قتل بنو حسن من بني جعفر ، فأنفذ مالا ورجالا سرا سعوا
بين الطائفتين حتى اصطلحوا ، وتحملوا الحملات عنهما .

وكان فاضل القتلى لبني حسن عند بني جعفر مبيعين قتيلًا ، فأدّى القوم ذلك إليهم ،
وعقدوا بينهم في المسجد الحرام صلحا ، وتحملوا ديّاتهم من مال المز ، وذلك في سنة ثمان
وأربعين وثلاثمائة ، فصار ذلك جميلا عند بني حسن للمز ، فلما دخل جوهر [مصر] باقر
حسن بن جعفر الحسن فملك مكة ودعا للمز ، وكتب إلى جوهر بذلك ، فبث بالخبر
إلى المز ، فأنفذ من المغرب إليه بتقليد الحرم وأعماله .

(١) الحسن بن علي بن أبي الحسين هو ثالث من تولى حكم صقلية من الأسرة الكلبية ،
وقد حكمها مرتين من سنة ٣٣٦ إلى ٣٤١ ، ثم من ٣٥٣ إلى ٣٥٩ ، ولذكور في المتن هنا انفسه
هو الذي كان يلى حكم صقلية عند خروج المز إلى مصر ، أى في أواخر سنة ٣٦١ ، والذي تذكره
للمراجع أن حاكم صقلية من ٣٥٩ إلى ٣٧١ هو ابنه علي بن الحسن بن علي . انظر :
(Zambaur : Op. Cit. p. 67-69)

[١٦] ذكر بناء القاهرة

قال أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق^(١) المصري في كتاب «إنعام أخبار أمراء مصر للكندي» :

— رحمهما الله — :

« وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة صحت الأخبار بمسير عساكر المعز لدين الله من المغرب إلى مصر ، عليها عبده جوهر ، وكانت بمصر للمعز دعاة استدعوا خلقا في البلد ، وكانوا يقولون : « إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الأسود — يعثون كافور الإخشيدي — » ، فلما مات كافور أنفذ المعز إلى دعائه بنودا ، وقال : « فرقوها على من يبايع من الجند » ، وأمرهم إذا قربت العساكر ينشرونها ، فلما قربت العساكر من الإسكندرية جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات^(٢) الناس وشاورهم ، فاتفقوا على مراسلة جوهر ، وأن يشترطوا

(١) هذا أول نص ينقله المقرئ حسنا عن ابن زولاق ، والحسن بن زولاق (٣٠٦-٣٨٧ = ٩١٩ - ٩٩٧) مؤرخ مصري عاصر الدولتين الإخشيدية والفاطمية ، له مؤلفات هامة منها هذا الذي ينقل عنه المقرئ ، وذيل آخر على قصة الكندي ، وله أيضا كتاب في مسيرة الإخشيد وهو الذي نقله مختصرا عنه المؤرخ ابن سحنين في كتاب « المسند في حلى المغرب » وسماه « الميوز الدعج في حلى دولة بني طنج » ، ولعل أهم مؤلفاته مسيرة المعز لدين الله ، غير أن مؤلفات ابن زولاق لم تصلنا للأسف ، وانما وصلت شذرات منها — تدل على أهميتها القصوى — في المؤلفات المتأخرة ، انظر ما على عند كلام المقرئ عن المعز ، فانه ينقل فصلا كبيرا عن « مسيرة المعز » السالف ذكرها .

(٢) جعفر بن الفرات (٣٠٨ - ٣٩١) كان أبوه وزير المقتدر بالله الخليفة العباسي ، ثم وفد هو إلى مصر وورث بها لأونوجور بن أبي بكر الإخشيد ، ثم لأخيه أبي الحسن علي ، ثم لكافور ، وبقي وزيرا إلى أن انتهت السدولة الإخشيدية ودخل الفاطميون مصر ، ويقال أن المعز لما أتى إلى مصر عرض عليه الوزارة فامتنع ، فقال : إذا لم تل لنا شيئا فيجب أن لا تخرج عن بلادنا ، فانا لا نستغنى أن يكون في دولتنا مثلك ، فأقام بها ولم يرجع إلى بغداد ، وجعفر هذا هو الذي استجلب الدارقطني من بغداد إلى مصر ، وأنفق عليه نفقة واسعة ، وله صنف مسنده ، وقد مات جعفر في عهد الحاكم ، فحمل تابوته إلى المدينة ، ودفن بها حسب وصيته ، وقد ولى ابن له الوزارة للحاكم سنة ٤٠٥ ، فقتله بعد خمسة أيام من ولايته ، انظر : (ياقوت : معجم الأدباء) .

عليه شروطاً ، وأنهم يسمعون له ويطيعونه ، ثم اجتمعوا على محاربته ، ثم انحل ذلك ، وعادوا إلى المراسلة بالصلح .

وكانت رسل جوهـر ترد سرّاً إلى ابن القـرات ، ثم اتفقوا على خروج أبي جعفر مسلم الحسيني ، وأبي إسماعيل الرّسّـي ، ومعهما القاضي أبو طاهر ، وجماعة ، فبرزوا إلى الجيزة لاثنتي عشرة بقيت من رجب ، ولم يتأخّر عن تشييعهم قائد ، ولا كاتب ، ولا عالم ، ولا شاهد ، ولا تاجر ، وساروا فلقوا جوهـر بتروجة^(١) ووافقوه ، واشترطوا عليه ، فأجابهم إلى ما التمسوه ، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من جوهـر الكاتب - عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله - صلوات الله عليه - لجماعة أهل مصر الساكنين بها ، من أهلها ومن خيرهم :

أنه قد ورد من سائلتموه التّـرسل والاجتماع مني ، وهم :

أبو جعفر مسلم الشّـريف - أطال الله بقاءه -

وأبو إسماعيل الرّسّـي - أيّده الله -

وأبو الطّـيّب الهاشمي - أيّده الله - .

وأبو جعفر أحمد بن نصر - أعزه الله -

والقاضي - أعزه الله - .

وذكروا عنكم أنكم التمستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم ، فعرفتُم ما تقدّم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وحسن نظره لكم .

فلتحملوا الله على ما أولاكم ، وتشكروه على ما حماكم ، وتدايوا فيما يلزمكم ، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم ، العائدة بالسلامة لكم ، وبالمساعدة عليكم ، وهو أنه - صلوات الله عليه -

(١) حقق محمد رمزي موقع هذه القرية في (النجوم الزاهرة) ج ٤ ، ص ٣٠ ، هامش (٣) بقوله : هذه القرية كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجري ، حيث وردت في كتاب التّـنقـيـة السنية لابن الجيـصان ص ١٢٤ وقد جـرست مساكنها ، ومحلها كوم تروجة بحوض تروجة باراضي زاوية صقر ، يـعـرـكـز ابـن الطـاـمـير ، بمديرية البحيرة .

لم يكن إخراجهم للساكر المنصورة ، والجيش المنقرة إلا لما فيه إغزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم ، إذ قد تخطفتمكم الأبدى ، واستطاع عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاعتقاد على بلدكم في هذه السنة ، والتغلب عليه وأسر من فيه ، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق ، وتؤكد عزمه ، واشتد كدُّه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - بإخراج الساكر المنصورة ، وبإداره بانفاذ الجيش المنقرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عمهم الخزي ، وشملتهم الذلة ، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا ، واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم ، وعظم ضجيجهم ، وعلا صراخهم ، فلم يُعْثَمَ إلا من أرمضه أمرهم ، ومضَّه حالهم ، وأبكى عينه مانالهم ، وأسهرها ما حلَّ بهم ، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - ، فرجا - بفضل الله ، وإحسانه لديه ، وما عوَّده وأجراه عليه - استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم ، وعذاب أليم ، وأن يؤمن من استولى عليه الوَهْلُ^(١) ، ويفرح رَوْحٌ من لم يزل في خوف ووجل ، وآثر إقامة الحج الذي تحلل وأهملَّ العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم ، وإذا لا يأنسون على أنفسهم ولا على أموالهم ، وإذا قد أوقع بهم مرة بعد أخرى ، فسُفِكَت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتقاد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات ، وقطع عيث العابثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويشحذوا بالأطعمة والأقوات ، إذ كان قد انتهى إليه - صلوات الله عليه - انقطاع طرقاتها ، لخوف مادتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين .

ثم تجلبد السكة^(٢) ، وصرفها إلى العيار الذي عليه السكة الميمونة المنصورة المباركة ، وقطع الغش [١٦ ب] منها ، إذ كانت هذه الثلاث خصال هي التي لا يتسع لمن ينظر في أمور المسلمين إلا لإصلاحها ، واستفراغ الروسع فيها يلزمه منها .

(١) في الأصل و ج : « المهمل » ، وما أثبتناه قراءة ترجيعية ، والوهل معناها الفزع
(٢) عرف (الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٩) السكة بأنها « الحديد التي يطبع عليها الدرهم ، ولذلك سميت الدرهم المضروبة السكة » ، وقد شرح (القرطبي : كتاب الأوزان والأكياس الشرعية ، طبعة Tychsen ص ٨٦) لفظ السكة بأنها « الدينار والدرهم المضروبين ، سمي كل منهما سكة ، لأنه طبع بالحديدة المعلى ، ويقال لها السكة » وكل مسمار عند العرب سكة .

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - إلى عبده من نشر العدل ، وبسط الحق ، وحسم الظلم ، وقطع العدوان ، ونفى الأذى ، ورفع المظن ، والقيام في الحق ، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان ، وجميل النظر ، وكرم الصحبة ، ولطف العشرة ، وافتقاد الأحوال ، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم ، وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم ، حتى لا تجرى أمورهم إلا على مالمّ شعنتهم ، وأقام أودهم ، وأصلح بالهم ، وجمع قلوبهم ، وألف كلمتهم ، على طاعة وليّه ومولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وما أمر به مولاه من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضى - صلوات الله عليه - بإثباتها عليهم .

وأن أجريك في المواريث على كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وأضح ما كان يؤخذ من تركت موقام لبیت المال من غير وصية من التولي بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبیت المال .

وأن أتقدم في رمّ مساجدكم ، وتزيينها بالفرش والإيقاد ، وأن أعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم ، وأدرها عليهم ، ولا أقطعها عنهم ، ولا أدفعها إلا من بيت المال ، لا بلحالة على من يقبض منهم .

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - مما ضمنه كتابه هذا [ما ذكره] من ترسل عنكم - أيدهم الله ، وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - من أنكم ذكرتم وجوها التمسّ ذكرها في كتاب أمانكم ، فذكرتها إجابة لكم ، وتطمينا لأنفسكم .

[وإلا] فلم يكن لذكرها معنى ، وإلا في نشرها فائدة ، إذ كان الإسلام سنة واحدة ، وشرعية متبعة ، وهي إقامتكم على مذهبكم ، وأن تتركوا [على] ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم ، والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم ، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة - رضی الله عنهم - والتابعين بعدهم ، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وقنواهم ، وأن يجرى الأذان ، والصلاة ، وصيام شهر رمضان وفطره ، وقيام لياليه ، والزكاة ، والحج ، والجهاد على أمر الله وكتابه ، و [ما] نصّه نبيه - صلى الله عليه وسلم - في سنته ، وأجراه أهل الذمة على ما كانوا عليه .

ولكم على أمان الله التام العام ، الدائم المتصل ، الشامل الكامل ، المتجدد المتأكد على الأيام
وتكرور الأعوام ، في أنفسكم ، وأموالكم ، وأهلكم ، ونعمكم ، وضياعكم ، ورياعكم ، وقليكم
وكثيركم .

وعلى أنه لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجنز ، ولا يتعقب عليكم
متعقب .

وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ، ويَلْبَسُ عنكم ، ويُمْنَعُ منكم ، فلا يُتعرض إلى
أفakم ، ولا يسارع أحد في الاعتداء عليكم ، ولا في الاستطالة على قويمكم - فضلا عن
ضميئكم - .

وعلى أن لا أزال مجتهدا فيا بعمكم صلاحه ، وبشملمكم نعمه ، ويصل إليكم خيريه ،
وتعرفون بركه ، وتخطون معه بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - .
ولكم على الرفاء بما التزمته ، وأعطيتكم إياه ، عهد الله ، وخليط ميثاقه ودمته ، وذمة أنبيائه
ورسله ، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين - قدس الله أرواحهم - ، وذمة مولانا وسيدنا أمير
المؤمنين المعز لدين الله - صلوات الله عليه - فتصبرون بها وتعلنون بالانصراف إليها ،
وتخرجون إلى وتسلمون على ، وتكونون بين يدي ، إلى أن أمير الجسر ، وأنزل في المناخ (١)
المبارك ، وتحافظون - من بعد - على الطاعة ، وتصابرون عليها ، وتسارعون إلى فروضها ،
ولا تخلون وليا لمولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - ، وتلزمون ما أمرتم به ، وفقكم الله
وأرشدكم أجمعين .

وكتب القائد جوهر الأمان بخطه في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأئيار .

(١) المناخ هو المكان الذي أنيخت فيه دواب الجيش الفاطمي عند نزوله خسارج الفسطاط
وحيث بنيت القاهرة بعد ذلك ، وقد كان له شأن بعد ذلك في عهد الدولة ، ويسميه
(المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣١١) « المناخ السعيد » ، ويقول انه كان من وراء القصر الكبير
فيما على ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر ، وأنه كان موضعا « يرسم طواحين القمح التي تطحن
جرايات القصور ، ويرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك » .

وكتب بخطه في هذا الكتاب :

« قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين - :

كتبْتُ هذا الأمان على ما تقدم به أمرُ مولانا وسيدنا [١٧] أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - ، وعلىَ الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه .
والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين .

وكتب جوهر بخطه في التاريخ المذكور :

وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين وهم :

أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيد الله الحسبي .

وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الرضى الحسبي .

وأبو الطيب العباس بن أحمد الهاشمي .

والقاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد .

وابنه أبو يعلى محمد بن محمد .

ومحمد بن مهلب بن محمد .

وعمر بن الحرث بن محمد .

وأخذ منه أبو جعفر مسلم كتابا إلى أبي الفضل جعفر بن القرات - الوزير - وجماعة وجوه الدولة ، وخاطب ابن القرات - في كتابه - بالوزير بعد مراجعة ، وكان قد توقف في مخاطبته بالوزير ، وقال : « ما كان وزير خليفة » ، وأجاز الجماعة وحملهم ، ولم يقبل أبو جعفر مسلم شيئا منه ، وأكلت الجماعة معه ، وودعوه وانصرفوا ، فوافوا ثانياً خلون من شعبان » .

قال ابن زولاق :

« سألتُ أبا جعفر مسلم عند رجوعه عن مقلد المسكر ، فقال : « هو مثل جمع عرفات كثرة وعلة » ، وسألتُه عن من الله الله جوهر ، فقال لي : « نيف وخمسون سنة » .

فلما قدم الجماعة انتقض الإخشيدية والكافورية ، وكان قد بلغهم ذلك وهم عند القائد جوهر ، فتمسروا في الانصراف من عنده ، وبلغ جوهر - بعد انصرافهم - انتقاض الصلح ، فأدرك الجماعة ، وأعلمهم بأن القوم قد نقضوا الصلح ، وطلب إعادة أمانه إليه ، فرفقوا به ، فقال للقاضي أبي طاهر :

« ما تقول يا قاضي في هذه المسألة ؟ »

فقال : « ما هي ؟ »

فقال : « ما نقول فيمن أراد العبور إلى مصر ليمضي إلى الجهاد لقتال الروم فمُنِعَ ، أليس له قتالهم ؟ »

فقال له القاضي : « نعم » .

فقال : « وحلال قتالهم ؟ »

قال : « نعم » .

ولما وافى أبو جعفر مسلم ومن معه من عند جوهر جماعة الناس ، وركب إليه ابن الفرات في موكب عظيم ، وعنده جماعة الوجوه ، فقرأ عليهم كتاب جوهر بالأمان والشرط ، وأوصل كتاب ابن الفرات وكتب الجماعة ، فامتنع القوم من قبول ذلك ، وقال فرح البجكمي للشريف مسلم :

« لو جئنا جندك بهذا خبرينا وجهه بالسيف » .

فلامهم ابن الفرات على ذلك ، وقال : « أنتم سألتم الشريف هذه المسألة ، فلم يقنع حتى أخذ معه أبا إسماعيل - وهو رجل حسني - ، وأخذ معه قاضي المسلمين ، وأخذ معه رجلا حاسيا » .

وسكت الشريف مسلم ، فلم يزد على أن قال : « خار الله لكم » .

واشتغل ابن الفرات يساور الشريف مسلم ، والإخشيدية والكافورية في خوض ، فقالوا كلهم :

« ما بيننا وبين جوهر إلا السيف » :

فسلموا على تحرير شُوَيْزَان بالإمارة ، وخرجوا يحجبونه إلى داره ، وبقي أحمد بن علي بن الإخشيد لا يُفكر فيه .

واستعدوا للحرب ، وساروا لعشر خلون من شعبان ، فنزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح ، ووافي جوهر الجزيرة ، فلما شاهد ما فعلوه عاد إلى منية شلقان^(١) ، وعبر إلى مصر من ذلك الموضع ، وأرسل فاستقبل المراكب الواردة من تَنيس^(٢) ودمياط وأسفل الأرض^(٣) فلأجلها ، وتولى العبور إليهم جعفر^(٤) بن فلاح عريانا في سراويل مع جمع من المغاربة ، وبلغ الإخشيدية ، فأتفدوا تحرير الأرغل ، ويمن الطويل ، ومبشر الإخشيدى في خلق ، فساروا إلى الموضع ، وكانوا قد وكلوا به مزاحم بن محمد بن رائق فلقوه راجعا ، ووقع القتال فقتل خلق من المصريين .

وانصرف الناس عشية الأحد النصف من شعبان ، فلما كان نصف الليل انصرف من كان بالجزيرة إلى دورهم ، وأصبحو غادين إلى الشام ، وقد قُتل جماعة ، منهم : تحرير الأرغل ، ومبشر الإخشيدى ، ويمن الطويل ، وخلق كثير .

وأصبح الناس على خطة عظيمة ، فبكروا في يوم الاثنين إلى دار الشريف مسلم يسألونه الكتاب إلى جوهر في إعادة أمانهم ، فكتب إليه ، وجلس الناس عنده ، وقد طاف على بن

(١) تعرف اليوم باسم شلقان ، وهي قرية شرقي القناطر الخيرية بمرکز قليوب
(٢) كانت تنيس مدينة قديمة وهي جزيرة وسط بحيرة تحمل نفس الاسم ، وهي التي تسمى اليوم بحيرة المنزلة ، وقد كان لتنيس في العصور الوسطى شأن خطير من الناحيتين الحربية والصناعية ، فقد كان البروم يفيرون عليها بأساطيلهم كلما فكروا في غزو مصر ، ولهذا كانت بها دار صناعة وأسطول مقيم ، وكانت بها حصون وقلاع قوية ، كما كانت تنيس مركزا هاما من مراكز صناعة النسيج في مصر في تلك العصور ، ويرى المقرئ في سنة ٥٨٨هـ صدوت الأوامر بإخلاء تنيس فأُخليت ونقل أهلها إلى دمياط ،
وفي شوال سنة ٦٢٤ هـ أمر الكامل محمد الأيوبي بهدم تنيس * انظر : (الخطط ، ج ١ ، ص ٢٨٤ - ٢٩٣) .

(٣) المقصود بأسفل الأرض في تلك العصور الوجه البحري .
(٤) جعفر بن فلاح من أكبر قواد المعز ، صاحب جوهر ، واشترك في فتح مصر ، ثم سار لفتح الشام فاستولى على الرملة في آخر سنة ٣٥٨ هـ ، وعلى دمشق في أول سنة ٣٥٩ هـ ، وأقام بها إلى سنة ٣٦٠ حيث قصده الحسن بن أحمد الترمطى وقتله .

الحسين بن لؤلؤ - صاحب الشرطة السفلى^(١) - ومعه رسول جوهر ، وبند^(٢) عليه اسم المزمع للدين الله ، وبين أيديهما الأجراس بأن لا مؤونة ولا كلفة ، وأمن الناس ، وفُرقت البنود ، فنشر كل من عنده بند [١٧ ب] يَنْدُهُ في دُوب حارته .

وجاء الجواب إلى الشريف وقت العصر ، ونسخته بعد البسملة :

« وصل كتاب الشريف الجليل - أطال الله بقاءه ، وأدام عزّه وتأييده وعلمه - وهو المهنأ بما هنا به من الفتح الميمون ، فوقفت على ما سأل من إعادة الأمان الأول ، وقد أعدتّه على حاله .

وجعلت إلى الشريف - أعزّه الله - أن يؤمن كيف رأى وكيف أحب ، ويزيد على ما كتبته كيف يشاء ، فهدأ أمانى ، وعن إذنى وإذن مولانا وسيدنا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - . وقد كتبتُ إلى الوزير - أيده الله - بالاحتياط على دور الهاربين إلى أن يرجعوا إلى الطاعة ، ويلتخلوا فيما دخلت فيه الجماعة ، ويعمل الشريف - أيده الله تعالى - على لقائى في يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان . »

فاستبشرت الجماعة وابتهجوا ، وعملوا على الغنم^(٣) إلى الجيزة للقائد جوهر مع الشريف مسلم ، وبات الناس على هدوء وطمأنينة .

فلما كان غداة يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلعت من شعبان خرج الشريف أبو جعفر مسلم ، وجعفر بن الفضل بن القرات ، وسائر الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه التجار والرحبة إلى الجيزة ، فلما تكامل الناس أقبل القائد جوهر في عساكره ، فصاح بعض حجاجه :

(١) الشرطة هم الجنود الذين يحافظون على الأمن ، وقد كان بالفسسقاط شرطة منذ الفتح العربى ، وكان صاحبها فى المكان الثانى بعد الوالى ، فلما أسست المسكر أنشئت فيها دار أخرى للشرطة سميت الشرطة العليا ، لعلو المسكر عن الفسقاط ، كما سميت شرطة الفسقاط بالشرطة السفلى منذ ذلك الحين ، ولما فتح جوهر مصر وأنشأ القاهرة نقل إليها الشرطة العليا ، وقد ظلت بها طسول عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك . انظر (صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٣) حيث يذكر أنه كانت هناك شرطة ثالثة فى القرافة ، وأنها ضمت فى أيامه إلى شرطة الفسقاط أى السفلى .

(٢) ذكر فى ابن خلكان أن هذا البند كان أبيهى اللون .

(٣) ج : « المسير »

« الأرض » ، إلا الشريف والوزير .

وتقدم الناس واحداً واحداً ، فلما فرغوا من السلام عليه عاد الناس إلى القسطنطينية .

فلما زالت الشمس أقبلت العساكر ، فحيرت الجسر ، ودخلت أفواجاً أفواجاً ، ومعهم صناديق المال على البغال ، - ويقال إن المال كان في ألف وخمسمائة صندوق - ، وأقبلت القباب ، وأقبل جوهر في حلة مذهبة مثقل في فرسانه ورجاله ، وقاد العسكر بأسره إلى المتأخر الذي رسم له المعز موضع القاهرة ، واختط موضع القصر ، وأقام عسكره سبعة أيام يدخل - من يوم الثلاثاء إلى [آخر] يوم الاثنين - ، واستقرت به الدار .

وجاءته الأطاف والهدايا فلم يقبل من أحد طعاماً إلا من الشريف مسلم ، ويقال : لما أنماخ جوهر في موضع القاهرة الآن اختط القصر ، فأصبح المصريون ليهشوه ، فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل .

ويقال إن جوهر لما بنى القصور ، وأدار عليها السور بها : « المنصورية »^(١) ، فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سهاها « القاهرة »^(٢) .

(١) أورد المقرئ هنا وفي (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠٤) رأيين في سبب تسميته عن :
الفاطميين بالقاهرة .

أولهما أن جوهر سمهاها المنصورية ، فلما أتى المعز بعد أربع سنين سمهاها القاهرة تذكراً بأنها مستقهر الدولة العباسية للفاطمية .
وثانيهما قصة الحبال والجسور والغراب .

والنظرة العلمية الصحيحة ترجح صحة الرأي الأول ، فقد اختار جوهر لقبها القاهرة موقفاً خارج العاصمة القديمة كما كانت منصورية المضرب خارج القيروان ، وقد سمي بابان من أبواب المدينة المصرية باسمي زويلة والفنوح وهما اسمان لباين في منصورية المغرب ، كذلك من المرجح أن يكون جوهر سمي العاصمة المصرية الجديدة المنصورية تقرباً لسيده وخليفته المعز بإحياء ذكرى والده المنصور .

أما قصة الغراب فهي أقرب إلى الخيال ، وما ينبغي فيها تليسا باتا - رغم أخذ الكثيرين من المؤرخين بها - أن (المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢١٥) يروي قصة شديدة الشبه جداً بهذه القصة وينسبها إلى الاسكندر عند بنائه للاسكندرية ، والذي أرجحه أن المقرئ نقل الرأي الأول الصحيح عن مصادر فاطمية ، ثم نقل القصة الثانية عن مراجع متأخرة شبه عليها الأمر عند الكلام عن القاهرة المعز ، فاقترنت ما قبل عن اسكندرية الاسكندر ، انظر أيضاً (كرزويل : تأسيس القاهرة ، الترجمة العربية للسيد محمد رجب ، مجلة المقتطف ، نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٤) .

ويقال في سبب تسميتها بالقاهرة أن القائد جوهر لما أراد بناء القاهرة أحضر المنجمين ،
 وهرّهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقم بها الجند ، وأمرهم باختيار طالع لوضع الأساس ، بحيث
 لا يخرج البلد عن نسلهم ، فاختاروا طالما لحضر السور ، وطالما لا ابتداء وضع الحجارة في الأساس ،
 وجعلوا بدائر السور قوائم من خشب ، بين كل قائمتين حبلٌ فيه أجراس ، وقالوا للعمال :
 « إذا تحركت الأجراس أرموا ما بأيديكم من الطين والحجارة » .

فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك ، فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال
 المعلق فيها الأجراس ، فتحركت الأجراس كلها ، وظنّ العمال أن المنجمين حركوها ، فألقوا
 ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا ، فصاح المنجمون :
 « القاهرة في الطالع » .

فمضى ذلك وفاتهم ما قصبلوه .

ويقال إن المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع أساس القاهرة ، وهو قاهر الفلك ،
 [فسموها القاهرة] ^(١) ، فحكموا لذلك أن القاهرة لا تنزل تحت حكم الأثرالك .

وأدار السور اللّين حول بشر العظام ، وجعلها في القصر ، وجعل القاهرة حارات ^(٢)
 للواصلين [صحبته و] صحبة [مولاه] المز ، وعمل القصر بترتيب آفاه إليه المز .

ويقال إن المز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها في البرية بغير ساحل ، وقال لجوهر :

« يا جوهر فانتك عمارتها ها هنا » - يعنى القس ^(٣) بشاطيء النيل - .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن ج

(٢) قال ابن سيده : الحارة كل محلة دنت منازلها ، والمحلة منزل القوم ، هذا وقد كانت
 أحياء القاهرة عند تأسيسها تسمى الحارات ، كما كانت أحياء الفسطاط تسمى الخطط ، انظر
 باب الحارات في (المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٢ - ٣٦) .

(٣) عرف (ابن تفسرى برى - نقلا عن القضاى - النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٣) القس
 بقوله : كانت ضيقة تصرف بأم ذنين ، وإنما سميت القس لأن المشار وهو الكاس كان فيها
 يستخرج الاموال ، فليل له المكس ، ثم قيل القس ، وقد عقب على ذلك محمد رمزى بقوله :
 القس والمكس والمقسم وأم ذنين كلها أسماء مترادفة لقصرية كانت واقعة على شاطيء النيل
 وقت أن كان النيل - يجرى في عهد الدولة الفاطمية في المكان الذى يمر فيه اليوم شارع
 عماد الدين وميدان محطة مصر وما يمتد إلى الشمال بشارع الملكة نازلى (شارع رمسيس
 حاليا) . الخ .

فلما رأى سطح الجرف المعروف اليوم بالرصد^(١) ، قال :
 « يا جوهر ، لما فاتك الساحل كان ينبغي عمارة القاهرة بهذا الجبل على هذا السطح ،
 وتكون قلعة مصر » .
حكاية ابن الطوير^(٢) .

قال : « وكان المزعج عارفا بالأهوار ، مطلعا على الأحوال بالذكاء ، وكان يضرب في فنون
 منها النجامة ، فرتب في القصر ما يحتاج إليه الملوك بل الخلفاء ، بحيث لا يراهم العيان
 في الثقل من مكان إلى مكان ، وجعل لهم في ساحاته البحر والميدان والبستان ، وتقدم بعمارة
 المصل ظاهر القاهرة لأهلها ، لخطبتهم فيها والصلاة في عيدي الفطر والنحر ، والاخر [١٨]
 بالقرافة لأهل مصر » .

وقال ابن عبد الظاهر^(٣) :

« فلما تحقق المزعج وفاة كافور جهز جوهر وصحبته العساكر ، ثم نزل بموضع يعرف
 برقادة ، وخرج في أكثر من مائة ألف [فارسي] ، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال ،

(١) جبل الرصد مكان مرتفع كان موقعه جنوبي القسطنطينية ، ويذكر محمد رمزي في
 تعليقاته (النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٨٢) أن هذا الجبل هو الذي يسمى الآن جبل اصطبل
 عنتر .

(٢) ابن الطوير مؤرخ فاطمي لم يصلنا شيء من كتبه ، وإنما ينقل عنه كثيرا المؤرخون
 اللاحقون كالقزويني والقلقشندي وابن تقي بردي .. الخ .

(٣) هو محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر القاضي ، كان كاتباً وشاعراً ، ولى
 ديوان الإنشاء في عهد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل ، وهو الذي حرر التقليد
 بتولية الملك السعيد ولياً للعهد ، وأهم كتبه : الروضة البهية الزاهرة في خطط المزية القاهرة ،
 وقد اعتمد عليه كثيرا القزويني في خطته ، وليس هناك حتى الآن ما يدل على وجود هذا الكتاب ،
 وله أيضاً سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس ، ألفها نظماً ، والألطف الخفية من السيرة الشريفة
 السلطانية الأشرفية ، وقد نشر النص العربي مع ترجمة سويدية Moberg تحت عنوان
 "Axel Moberg : wr Abdallah b. Abd Az-Zahir's Biografi Över Sultanen Elmelik
 Al-Ashraf Halil, London, 1902).

وقد ولد ابن عبد الظاهر سنة ٦٢٠ ، وتوفي سنة ٦٩٢ ، انظر أخباره بالتفصيل في
 (جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٣ ، ص ١٥٤) و (دائرة المعارف الإسلامية :
 مادة ابن عبد الظاهر) و (Casanova : Ibn Abd Elzahir, Mémoires
 publiés par les Membres de la Mission Archéologiques-au Caire t.VI. p. 493-505) .

وكان المز يخرج إلى جوهر في كل يوم ويخلو به ، وأمره أن يأخذ من بيوت الأموال ما يريد زيادة على ما أعطاه .

وركب إليه المز يوما فجلس وقام جوهر بين يديه ، فالتفت المز إلى المشايخ الذين وجههم معه وقال :

« والله لو خرج جوهر هنا وحده لفتح مصر ، ولیدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب ، ولينزلن في خرابات ابن طولون ، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا » .

قال : « نزل جوهر مناخه موضع القاهرة الآن في يوم الثلاثاء لسيح عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واختط القصر ، وبات الناس ، فلما أصبحوا حضروا للهناء فوجئوا قد حفر أساس القصر بالليل ، وكانت فيه زورات غير معتدلة ، فلما شاهد ذلك جوهر لم يعجبه ، ثم قال :

« قد حُفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة » فتركه على حاله » .

وقال ابن زولاقي : « ولما أصبح أنفذ على بن الوليد القاضي لمسكره ، وبين يديه أحمال مال ومانا ينادى : « من أراد الصدقة فليصر إلى دار أبي جعفر » ، فاجتمع خلق من المستورين والفقراء ، فصاروا بهم إلى الجامع العتيق^(١) ففرق فيهم .

ولما كان يوم الجمعة لعشر يقيين من شعبان نزل جوهر في عسكر إلى الجامع العتيق للصلاة الجمعة ، وخطب بهم هبة الله بن أحمد - خليفة عبد السميع بن عمر العباسي - ببياض ، فلما بلغ إلى الدعاء قرأه من رقعة وهو :

« اللهم صل على عبدك ووليك ، ثمرة النبوة : وسليل العترة المهادية المهديّة ، عبد الله الإمام معذ أبي تميم المز لدين الله ، أمير المؤمنين ، كما صليت على آباءه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين » .

(١) هو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وقد سمي أيضا في عهد ازدهاره « تاج الجوامع » ثم لما تقدم به العهد ، وكثرت إلى جوانبه جوامع الفسطاط سمي « الجامع العتيق » انظر : (محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص » .

اللهم ارفع درجته وأعل كلمته ، وأوضح حجته ، واجمع الأمة على طاعته ، وألقلوب على موالاته وصحبته ، واجعل الرشاد في موافقته ، وورثه مشارق الأرض ومغاربها ، وأحمدته ، بإدائه الأمور وعواقبها ، فإنك تقول وقولك الحق :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » (١) .

فقد امتنع لدينك ، ولما انتهك من حرمتك ، ودرس من الجهاد في سبيلك ، وانقطع من الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك - صلى الله عليه وسلم - ؛ فأعد للجهاد عدته ، وأخذ لكل خطب أهبه ، فسير الجيوش لنصرتك ، وأنفق الأموال في طاعتك ، وبذل المجهود في رضاك ، فارتدع الجاهل ، وقصر المتطاوول ، وظهر الحق وزهق الباطل ، فانصر اللهم جيوشه التي سيرها ، وسراياه التي انتسبها ، لقتال المشركين ، وجهاد الملحدين ، والذب عن المسلمين ، وعمارة الثغور والحرم ، وإزالة الظلم والنهم ، وبسط العدل في الأمم .

اللهم اجعل راياته عالية مشهورة ، وعساكره غالبة منصوره ، وأصلح به وعلى يديه ، واجعل لنا منك وافية عليّة » .

وأمر جوهر بفتح دار الضرب (٢) ، وضرب السكة الحمراء (٣) . وعليها :

(١) الآية ١٠٥ ، سورة ٢١ (الأنبياء) .

(٢) هذا نص هام يفيد أنه كان بمصر قبل الفتح الفاطمي دار للضرب ، وليس في المراجع ما يحدد الزمن الذي أنشئت فيه دار الضرب بمصر لأول مرة ، وإنما في (المقرئى : النقود الإسلامية ص ١٢) أن أحمد بن طولون عثر مرة على كنز مصري قديم به دنانير جيدة العيار ، فتشدد حينئذ أحمد بن طولون في العيار حتى لحق ديناره بالعيار المعروف له وهو الأحمدى ، الذي لا يطل بأجود منه ، فكان أحمد بن طولون أول من ضرب الدينار باسمه في مصر ، فقلعه إيشا أول من أنشأ دار الضرب بها ، وفي (الكندى : القضاة ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣) ما يفيد أن الحسين ابن زرة ولي قضاء مصر سنة ٣٢٤ هـ - أي في عهد الأخشيدي - وأنه نظر أيضاً في « المواريث والأعباس ودار الضرب » ، غير أن هذه المراجع لم توضح أين كانت تقوم دار الضرب هذه ، ويتضح من المراجع المختلفة أن هذه الدار ظلت تعمل إلى أن أنشئت دار ضرب جديدة في العصر الفاطمي في عهد الخليفة الأمر بالله ، أنشأها الوزير المأمون البطائى بالقشاشين ، ويشغل مكانها اليوم - كتجديد المرحوم رمزى بك في النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٣ : هامش ٣ مجموعة المباني التي يحدها من الشمال شارع الصناديقية ، ومن الغرب شارع الفورى ، ومن الجنوب شارع الأزهر . انظر وصف هذه الدار وغيرها من دور الضرب التي أنشئت بعد ذلك في الاسكندرية وقوص وصور وعسقلان ٠٠ الخ في (ابن ماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٠ - ٣٣١) و (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٩ و ج ٤ ص ٦٥) و (القسريزي : الأوزان والإكسال الشرعية ، ص ٤٧ - ٥٠) و (الخطط ، ج ٢ ، ص ٣١٢ - ٣١٣) و (إغاثة الأمة ، ص ١٥) و (الكرملي : النقود العربية ، ص ١١٥ - ١١٦) .

(٣) لم أعتز في المراجع التي أقدت منها على ما يوضح معنى « السكة الحمراء » ، وإنما جاء =

« دعا الإمام معذ بتوحيد الإله الصمد » - في سطر .

وفي السطر الآخر :

« المعز لدين الله أمير المؤمنين » .

وفي سطر آخر :

« بسم الله . ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة » ،

- وفي الوجه الآخر - :

« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين » .

ورجع مزاحم بن رائق - وكان قد سار مع الإخشيدية - ومعه جيش كبير .

وأفطر جوهر يوم الفطر على عدد بنير رؤية^(١) ، وصلى صلاة العيد بالقاهرة ، صلى به على بن وليد الإشبيلي وخطب ، ولم يصل أهل مصر ، وصلوا من الغد في الجامع العتيق ، وخطب لهم رجل هاشمي . وكان أبو طاهر القاضي قد التمس الهلال على [رسمه في] سطح الجامع فلم يره ، وبلغ ذلك جرهر فأكبره وتهلده عليه .

« في (المقرئى : النقود الإسلامية ، ص ١٤) ما يفيد أنه بعد زوال الدولة الفاطمية « عمت بلوى المصارفة بأهل مصر ، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا ، وعندما فلم يوجدا ، ولهج الناس بما معهم من ذلك ، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكانما ذكرت حرمة له ، وإن حصل في يده فكانما جاءت بشارة الجنة له » الخ ، فلهذا يعنى بالسكة الحمراء الدينار الأحمر أى المصنوع من الذهب الجيد العيار الذى كان يحتاى به العصر الفاطمى .
انظر أيضا (السكرى : النقود العربية ، ص ٥٩) .

(١) المنهج الشيعى لا يفيد اتباعه عند صيام رمضان بضرورة رؤية الهلال ، وهى « المنجاس المستنصرية ، ١٢٨ - ١٢٩ » ملخص رأيهم فى هذا الموضوع ، وهو « الذى يقتضيه المذهب الشريف المصون عن التبديل والتحريف ان التعبد فى دخول الصوم والخروج منه بالرؤية والحساب جميعا ، أنهما كالظاهر والباطن ، إذا أشكل الأمر فى أحدهما التمس فى الآخر ، ولأجل ذلك احتج فيه الى الإمام عليه أفضل السلام ، يستخرج حقيقته ، ويوضح طريقته ، فالحلال كالظاهر لأنه مشاهد ، والحساب كالباطن لأنه معقول ، والحساب يستعمل من أول كل سنة ، ثم يراعى طلوع الهلال ، فان وافق الحساب الرؤية ، فقد اتفق الظاهر والباطن ، وزال الاشتكال ، وزكت الأعمال ، وإن وفى الحساب ولم يطلع الهلال علم أنه قد غم أو وقع فى نظره اختلال » .

وجلس جوهر للمظالم^(١) في كل [يوم] سبت ، ثم ردَّ المظالم إلى أبي عيسى مرشد .
وفي شوال صرف على بن لؤلؤ عن الشرطة السفلى ، وردَّ شبل المرضى ، وولى عدة من جهات
الخراج ، وعلى الضياع .
وفي ذى الحجة [١١٨] قدم ستة آلاف من الإخشيدية والكافورية ، فأنزلوا خارج القاهرة
وزيد في الخطبة^(٢) :

« اللهم صلِّ على محمد [النبى] المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى
الحسن والحسين سبطي الرسول ، اللذين أذهبتَ عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً ، اللهم صلِّ
على الأئمة الراشدين آباء أمير المؤمنين ، الهادين المهديين » .
ونودى برفع البراطيل^(٣) ، وقائم الشرطتين ، وسائر رسوم الهلند .
وورد الغبر بلخول القرامطة الرملة .

وورد كتاب المعز من المغرب بوصول رأس تحرير ومُبَشِّر ويُنن وبلال .
وتولى الحسبة^(٤) رجل يعرف بلأبي جعفر الفراساني .
وفي نصف ذى الحجة تكاملت الإخشيدية والكافورية^(٥) المستأمنة بمصر ، وهم أربعة عشر
رئيساً ، في عسكر عدته خمسة آلاف كانوا في معسكر لهم عند مصلى الميد بالقاهرة ، فهرب

(١) في (ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ص ٢١٢) أن جوهرًا كان يجلس للمظالم بحضرة
الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء ، وللتعريف بهذه الوظيفة انظر : (الأحكام
السلطانية لماوردي ؟)
(٢) في (ابن خلكان : المرجع السابق) أن هذه الزيادة حدثت في يوم الجمعة الثامن من
ذى القعدة .

(٣) عرف (القرطبي : الخطط ، ج ١ ص ١٧٩) البراطيل بأنها « الأموال التي تؤخذ من
ولاية البلاد ومحسنيها وقضاها وعمالها ، فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن دزيك في ولاية
النواحي فقط ، ثم بطل وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحياناً » ، وللتصحيح
أهمية خاصة فهو يشيّر إلى أن جوهرًا أمر في ذى الحجة سنة ٤٥٨ برفع البراطيل ، فكانها
كانت موجودة في مصر قبل دخول الفاطميين ، في حين يذكر في الخطط أن أول من عمل ذلك
بمصر هو الصالح بن دزيك » .

(٤) لاحظ أن هذا أول محتسب في العصر الفاطمي .
(٥) جماعة من أمراء الجيش يتسحبون إلى الإخشيد وإلى مولاة كافور .

منه فأتاك الهيكل إلى الشام ، فلم يدركه الطلب ، وبلغ جوهر أن المستأمنة من الإخشيدية والكالورية اتفقوا على فساد .

وتوفى ابن لجعفر بن فلّاح ، فحضر جوهر الجنازة . وحضر الناس وفيهم الإخشيدية والكالورية ، وانصرفوا معه ، فقال لهم في طريقه :

« قد حضر كتاب مولانا ومولاكم بما تسروا به ، فسيروا حتى تغفروا عليه » .

فساروا معه إلى مضاربه بالقاهرة ، ودخلوا معه ، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم . وهم : نحرير شويزان . وقتك الخادم الأسود ، ودرى الصقل ، وحكل الإخشيدى ، ولؤلؤ الطويل ، ومفلح الوهابى ، وقيلق التركى . وفرح اليحكى ، واعتقلهم ستة أشهر حتى سيّروهم مع الهدية إلى المنز ، ومعهم الحسن بن عبيد الله بن طنج ، وقبض على ضياع نحرير الأذلى وأمواله ، وقبض من يحيى بن مكى بن رجاء ثمانين ألف دينار عينا ، وصاريين من عود رطب . وورد كتاب المنز إلى جوهر ، وإلى أبى جعفر مسلم ، وإلى أبى إسحاق الرضى ، وإلى الوزير جعفر بن القرات .

وولى جوهر مزامم بن محمد بن رائق الحوف^(١) والفرما^(٢) .

ودخل جوهر والغلاء شديد . فزاد في أيامه حتى بلغ القمح تسعة أقداح بدينار .

(١) جاء في (اللسان) « الحافة والحوف الناحية والجانب ، وحوف الوادى حرفة وناحيته » ، هذا وقد كان أسفل الأرض - أو الوجه البحرى - ينقسم في العصر الإسلامى إلى أربع نواح : الحوف الشرقى وكان يشمل عين شمس وما يسمى الآن مديرية القليوبية ومديرية الشرقية ومدينتى الفرما والمرىش ، ووطن الريف . وكان يشغل ما يسمى الآن مديرية الدقهلية وجزءا من شمال مديرية الغربية ، والجزيرة التى بين فرعى النيل والحوف الغربى أى مديرية البحيرة . انظر : (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٨١ - ٣٨٧) والمقصود بالحوف هنا الحوف الشرقى .

(٢) كانت الفرما إحدى ثغور مصر الحصينة الشمالية على البحر الأبيض المتوسط ، وقد كانت لها فى المصور الوسطى أهمية خاصة من الناحيتين الحربية والتجارية ، وفى سنة ٥٤٥ هـ نزل الفرنج فى الفرما ونهبوها وأحرقوها ، وفى سنة ٥٥٩ هـ أكمل حرقها الوزير الفاطمى شاور أتنسأ نزاعه مع ضرغام ، فلم تقم لها قائمة بعد ذلك ، وأطلالها الآن موجودة شرقى محطة الطينة على بعد ٢٥ كم منها .

وكان عاملُ الخراج علي بن يحيى بن العرم ، فأقره جوهرُ شهراً : ثم أشرك معه رجاء ابن صولان .

وأقر ابن القرات على وزارته .

وأزال جوهر من مصر السواد .

ومنع من قراءة « مسيح اسم ربك » في صلاة الجمعة .

وأزال التكبير بعد صلاة الجمعة^(١) .

ولم يَدَعْ عملاً إلا جعل فيه مغرباً شريكاً لمن فيه^(٢) .

وكان القاع ثلاثة أذرع وتسعة عشر إصبعا ، ويبلغ الماء سبعة عشر ذراعاً وتسعة عشر

إصبعا ، وخلق جوهر على ابن أبي الرَّدَاد^(٣) ، وحمله فأجازَه .

(١) لاحظ هذه التغييرات التي أحدثها جوهر في شؤون مصر الدينية والإدارية .

(٢) ابن أبي الرَّدَاد هو الموظف الذي كان يشرف على أمور مقياس النيل بالروضة ، ويعلم وفاء النيل ، قال صاحب صبح الأعشى (ج ٣ ، ص ٢٩٥) : « وكانت النصارى تتولى قياسه ، فعزلهم المتوكل عنه ، ورتب فيه أبا الرَّدَاد عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرَّدَاد المؤدب ، وكان رجلاً صالحاً ، فاستقر قياسه لم يبنه إلى الآن » ويعنى بالجملة الأخيرة أن بنى أبي الرَّدَاد طلبوا يلون القياس حتى عهد ، أي حتى القرن التاسع عشر .

ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة :

وفي المحرم أنفذ بشير^(١) الإخشيدى من رئيس نحو مائة وخمسين رجلا طيف بهم .
وكثر الفساد في الطرق فضرب جوهر أعتاق جماعة وصلبهم في السلك .
ولائنتي عشرة بقيت منه سار جعفر بن قلاخ بن أبي مرزوق إلى الشام ، وقا تل القرامطة
بالرملة وهزمهم ، وأمر الحسين بن عبيد الله بن طنج وجماعة ، وبعثهم في القيود إلى جوهر .
وسير جوهر إلى الصعيد في البر والبحر .
وفي ربيع الأول قبض على دواب الإخشيدية والكافورية ، وصرفهم مشاة ، وأمرهم
بطلب المعيشة .

وسير الهدية جعفر بن الفضل بن الفرات مع ابنه أحمد في ربيع الآخر .
وفي سلخ ربيع الآخر زاد الغلاء ، ونزعت الأسعار ، وتوفي أبو جعفر المحتسب ، فرد
جوهراً أمر الحسبة إلى سليمان بن عزة . فضبط الساحل ، وجمع القماحين في موضع واحد ،
ولم يدع كف قمح يجمع إلا بحضرته ؛ وضرب أحد عشر رجلا من الطحانين وطيف بهم .
وفي يوم الجمعة لثان خلون من جمادى الأولى صلى جوهر الجمعة في جامع ابن طولون ،
وأذن المؤذنون يحيى على خير العمل ، وهو أول ما أذن به بمصر^(٢) ، وصلى به عبد السميع
الجمعة فقرا سورة الجمعة : « إذا جاءك المنافقون » وقتل^(٣) في الركعة الثانية ، وانحط إلى

(١) كذا في الأصل . وفي (ج) : « تبر »

(٢) ذكر (المقرئى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٤ - ٤٩) تاريخا للأذان في مصر منذ دخلها
الإسلام ، فقال أنه كان بها أولا كاذان أهل المدينة إلى أن دخل جوهر ، فأمر في التاريخ المذكور في
الثن فاذن يحيى على خير العمل ، ثم ذكر هناك تفصيلات وافية عن تطور الأذان بعد ذلك إلى
عهده .

(٣) جاء في هامش نسخة (ج) أمام هذا اللفظ ما ملأ :

« عن طائوس وإبراهيم قالا : القنوت في الجمعة بدعة ، وكان مكحول يكرهه ، ولا يوجد
عن أحد من الصحابة أنه قنن في الجمعة ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة : ناخى بن أبي بكر قال
جاء أبى قال : « أحوكت الناس قبل عمر بن عبد العزيز يقننون في الجمعة ، فلما كان زمن عمر
ابن عبد العزيز ترك القنوت في الجمعة » .

السجود ، ونسب الركوع ، فصاح به علي بن الوليد - قاضي عسكر جوهر - : « بطلت الصلاة ، أعد ظهرا أريحا » .

ثم أذن يحيى على غير العمل في سائر مساجد العسكر ، وأنكر جوهر على عبد السميع أنه لم يقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » في كل سورة ، ولا قرأها في الخطبة ، فصلى به الجمعة الأخرى وفعل ذلك ، وكان قد دعا لجوهر في الجمعة الأولى في الخطبة ، فأنكر ذلك ومنعه . وقبض جوهر الأحباس من القاضي أبي طاهر ، وردّها إلى غيره .

ولأربع بقين منه أذن في الجامع العتيق يحيى على غير العمل ، وجهر فيه بالبسملة في الصلاة

ولسبع عشرة غلبت من جمادى الآخرة أنفذ جوهر هديته إلى المنز ومعهما المعتقلون في القيود (٥) ، فكان فيها أهداه تسع وتسعون^(١) بختية ، وإحدى وعشرون^(٢) قبة عليها اللديباغ النسوج باللهب ، ولها مناطق من ذهب مكللة بالجوهر ، ومائة وعشرون ناقة بأجلة^(٣) اللديباغ ، وأعنة محلاة بالفضة ، وخمسةائة جمل عربا ، وستة وخمسون جلا ، وثمانية وأربعون دابة منها بغلة واحدة ، وسبعة وأربعون فرسا بأجلة حرير منقوش ، وسروج كلها ما بين ذهب وفضة ، ولجمها كذلك ، وعودان كأطول ما يكون العود الذي يُتبخر به .

وكان الأمرى : الحسن بن عبيد الله بن طُفَّج ، وابن غزوان - صاحب القرامطة - وفاتك الهنكري ، والحسن بن جابر الرياحي - كاتب الحسن بن عبيد الله بن طُفَّج - ، ونحرير شويزان ، ومفلح الوهباني ، ودرى الخازن ، وغرقبك ، وقيلغ التركي الكالورى ، وأبو متحل ،

(٥) هذه الفقرة الطويلة الواردة بين نجمتين وردت في الأصل بعد تفصيل الهدية مما يفهم منه أن هذه الأشياء وهى مما أهداه جعفر بن القرات ، ولكن الصحيح أن هذه تفصيلات الهدية التى أهداها جوهر الى المنز ، وهكذا ورد النص في نسخة (ج) فالترجمانه هنا لأفضليته .

(١) في النسختين : « تسعا وتسعين » .

(٢) الأصل : « إحدى وعشرين »

(٣) جاه في (اللسان) : « جل الدابة وجلها ، يضم الجيم وفتحها » الذى تلبسه لتصان به ، والجمع جلال واجلال ، ثم قال : « وجمع الجلال آجلة ، وجلال كل شيء عطاؤه ، وتجليل الفرس ان تلبسه الجل » .

وحكل الإخشيدى . وفرح الحكيم ، وأول الطويل . [١١٩] وتكفل الطويل [الخادم] .
فحملوا في المراكب إلى الإسكندرية : وساروا منها إلى القيروان في البر .
ونافق بشير^(١) الإخشيدى بأسفل الأرض ، فاستعطفه جوهر . فلم يوجب . فسير إليه العساكر .
فحاربها بصهرجت^(٢) ونهبها ، ومضى منهزما إلى الشام في البحر ، فأخذ بصور . وأدخل به
على فيل ومعه جماعة ، وبعث به جعفر بن فلاح .
وفي رمضان سحر جوهر سوارى الجامع الحقيق الخشب^(٣) .

وفي ذى القعدة ردت الحسبة إلى سليمان بن عزة المغربي : فجمع سائرة الغلات في مكان .
وسد الطرق إلا طريقا واحدا ، فكان البيع كله هناك . ولا يخرج قذح غلة حتى يقف عليه .
ومنع جوهر من الدينار الأبيض^(٤) . وكان بعشرة دراهم ، فأمر أن يكون الراضي بخمسة
عشر درهما ، والمعزى بخمسة وعشرين درهما ونصف ، فلم يفعل الناس ذلك . فرد الأبيض
إلى ستة دراهم ، فتلف واقتقر خلق .

وضربت أعناق عدة من أصحاب ثبر والإخشيدية . وصلبوا حتى دخل المعز من المغرب .
وأنفذ المعز عسكرا وأحمال مال - عشتا عشرون حملا - للحرمين ، وعدة أحمال متاع .
وورد الخبر بفتح جعفر بن فلاح دمشق ودخولها . وكان من خبر جعفر بن فلاح :
أنه لما سار من القاهرة في عسكره كان على الرملة ودمشق الحسن بن عبيد الله بن طنج ،
فلما بلغه دخول جوهر القائد إلى مصر بعساكر المعز سار عن دمشق في شهر رمضان . واستخلف

(١) كذا في الأصل ، وفي (ج) : « تبر » .

(٢) صهرجت إحدى قرى مديرية الدقهلية الحالية ، وهي الآن قرنتان : صهرجت الصغرى
وتتبع مركز أجا ، وصهرجت الكبرى وتتبع مركز ميت غمر . انظر : (فهرس مواقع
الإسكنة) .

(٣) هذا السطر غير موجود في (ج)

(٤) لم أعثر في المراجع التي بين يدي على تعريف للدينار الأبيض ولم سمي بهذا الاسم
أو في عهد من ضرب ، وإنما ورد في كتاب (النقود للمقرئى ، ص ٤٢ . نشر الكرمل)
ذكر للدرهم الأبيض ، وأنها مما ضرب الحجاج ، وهذا يتضح من المتن أن هذا الدينار كان قليل
القيمة جدا ، فلمله كان يشتمل على كمية كبيرة من النقطة مما اقتضت به قيمته ، ومما جعل
القوم يسمونه بالأبيض .

عليه شمول الإخشيدى . وكان شمول يحقد في نفسه منه . ويكاتب جوهر القائد ، فنزل ابن طنجع الرملة ، وتأنب لحرب من يسير إليه من مصر . فوردت عليه الأخبار بمسير القرامطة إليه : ووافوه بالرملة . فلقيهم وحاربهم ، فانهزم منهم ، ثم صالحهم وصايرهم في ذى الحجة .

ورحل عنه القرمطي بعد ما أقام بظاهر الرملة ثلاثين يوما ، فبعث إلى شمول بالمسير إليه لمحاربة من تقدم من مصر ، وأنفذ إلى الصبايحى - وإلى بيت المقدس - بالقدوم عليه ، فتقاعد عنه شمول ، وقرب منه جعفر بن فلاح . وقد انتشرت كتيبه إلى ولاية الأعمال يعلم الإحسان ، ويدعوهم إلى طاعة المنز ، فالتقى مع ابن طنجع وحاربه . فانهزم منه واحتوى على عسكره ، فقتل كثيرا من أصحابه ، وأخذ أسيرا في النصف من رجب سنة تسع ، فأقام بالرملة يتبع ما كان لابن طنجع ولأصحابه . وسار إلى طبرية فبنى قصرا عند الجسر ليحارب فانتك غلام ملهم - وكان عليها من قبل كافور الإخشيدى - فلم يعرض له ملهم ، وملك [جعفر] طبرية .

وكان بحوران^(١) والبثينة^(٢) بنو عقيل - من قبيل الإخشيد - وهم : شبيب ، وظالم بن موهوب ، وملهم بن ...^(٣) قد ملكوا تلك الديار . فأخذ جعفر بن فلاح يستميل إليه من العرب فزاره ومرة ، وباطنهم على قتل ملهم ، فرتبوا له رجلا قتلوه على حين غفلة . وأظهر جعفر أن ذلك من غير علمه . وقبض على من قتله [١٩ ب] وبعث بهم إلى ملهم . فغاض^(٤) عنهم . وسار من دمشق مشايخ أهلها إلى طبرية للقاء جعفر . فاتفق وصولهم إليها يوم قتل فاتك ، وقد ثارت بها فتنة . فأدخلوا وسلبوا ما عليهم . فلقوا جعفر بن فلاح . وعادوا إلى دمشق وهم غير شاكرين ولا راضين . فبسطوا أنسنتهم بلم المغاربة حتى استوحش أهل دمشق منهم .

(١) ذكر (ياقوت : معجم البلدان) انها كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة . ذات قرى كثيرة ومزارع وقصبتها بصرى .

(٢) هكذا ضبطها ياقوت ، وذكر انها قرية من نواحي دمشق .

(٣) بياض بالاصل .

(٤) الاصل : " مغنى " والمعنى فى هذه الفقرة مضطرب ، اذ كيف يتفق أن يقتل رجال جعفر ملهما ثم يرسل جعفر هؤلاء الرجال الى ملهم - المقتول - فيعفو عنهم ؟

وكان شمول قد خرج منها إلى جعفر ، فلقبه بطيرية ، وصار البلد خاليا من السلطان ، فطمع الطامع ، وكثر الذُّعَارُ^(١) وحمال السلاح به وجَهَر جعفر من طبرية من استألفهم من مرة وفزارة لحرب بنى عقيل بِحَوْران والبُثَيْنَةِ ، وأردفهم بمسكر من أصحابه ، فواقموا بنى عقيل ، وهزمهم إلى أرض حمص وهم خلفهم ، ثم رجعوا إلى القوطة^(٢) ، واهتدت إليهم إلى أخذ الأموال - وهم سائرون - حتى نزلوا بظاهر دمشق ، فثار عليهم أهل البلد ، وقَاتَلُوهم وقتلوا منهم كثيرا من العرب ، فانهزموا عنها ، وذلك لِثَانِي خُلُونٍ من ذى الحجة ، فلحقوا بطاليع جعفر ، فساروا معها إلى دمشق ، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم - في خيل ورجل - فاقْتَتَلُوا يومهم ثم انصرفوا ، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا ، وصاح الناس في الجامع بعد الصلاة : « النفير » ، فخرج النفير ، واشتد القتال إلى آخر النهار .

ونزل جعفر يوم السبت لعشر خُلُونٍ منه بالشامية ، وأصبح الناس للقتال ، ولم يصلوا ذلك اليوم في المصلى صلاة العيد ، فاستمروا طول النهار ومعهم الجند اللذين كانوا مع شمول ، فكلوا ، وحملت معهم المغاربة فانهزموا ، وتمكن السيف منهم وهم منهزمون إلى أرض عاتكة^(٣) وقصر حجاج ، فقتل خلق كثير ، وكان رئيس أهل الشام في هذه الحروب أبو القاسم ابن أبي يحى العباسي ، ومحمد بن عصبودا وصالحه الشوا .

فلما ملك المغاربة ظاهر البلد طرحوا النار فيها هنالك من الأسواق وغيرها ، وصاروا إلى باب الجابية ، وأصبحوا وقد ضبط الرعية أبواب البلد ، فاستمرت [الحرب]^(٤) طول النهار مما إلى المصلى ، ثم كفوا عن القتال وابتأوا ، فلما أصبح النهار خرج قوم من مشايخ البلد لمخاطبة جعفر - وهو بالشامية - في إصلاح أمر البلد ، فلأنظلم قوم من المغاربة ، وسلبوهم

(١) الزعار والزعة والزعر جمع زاعر وهو اللص المحتال والعيار والحرشوش والمتشرد

(٢) القوطة في اللغة الأرض المظلمة ، وهي هنا - كما ورد عند ياقوت - الكورة التي منها

دمشق .

(٣) توجد في النسختين بالهامش خاشية أمام هذا اللفظ نصها :

« أرض عاتكة خارج باب الجابية من دمشق ، تنسب إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وكان لها بها قصر فيه مات زوجها عبد الملك بن مروان » .

(٤) ما بين الحاضرتين عن (ج) .

ثيابهم ، وقتلوا منهم وجرحوا عدة ، وعلم بذلك أهل البلد ، فصالحوا من أعلى المواضع بالناس يعلمونهم الخير ، ثم قدم المأخوذون فارّتاغ الناس واشتد خوفهم وتحيروا ، ثم جرت بينهم - بعد ذلك - وبين جعفر مراسلة ، فخرجوا إليه ، فاشتد عليهم وخوفهم بالنار والسيوف ، فعادوا وقد ملثوا رعبا ، فبخلوا قوله للناس وقد تحيروا ، فاقتضى رأيهم معاودة جعفر في طلب العفو ، فرجع المشايخ إليه ، وما زالوا يتفزعون إليه حتى قال :

« ما أغضو عنكم حتى تخرجوا إليّ ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور فيتمرنن [في التراب] ^(١) »

بين يدي لطلب العفو .

فقالوا له :

« نفعل ما يقول القائد » .

وما يرحوا يلبون له حتى انبسط معهم في الكلام ، ونقرر الأمر على أنه يدخل يوم الجمعة

إلى الصلاة في الجامع .

فلما كان يوم الجمعة ركب في عسكره ، ودخل البلد فصل بالجامع وخرج ، فوضع أصحابه أيديهم ينهبون الناس ، فثاروا عليهم ، وقتلوا منهم كثيرا ، وخرج إليه المشايخ فأتوا عليهم ، وقال لهم : « دخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلتموهم » وهددهم ، فلفطوا معه القول وداروه ، فأومأ إليّ مال يأخذه من البلد ذبّة من قتل من رجال أمير المؤمنين ، فأجابوه ، وكان في الجماعة أبو القاسم أحمد المعروف بالعقيق العلوي [وهو أحمد بن الحصن الأشثل بن أحمد بن علي - الرئيس بالمدينة كان - بن محمد العقيق بن جعفر بن عبد الله ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام -] ^(٢) فانصرفوا من عنده ، وفرضوا له المال ، فعمّ الناس البلاء في جبايته .

ونزل بظاهر سور دمشق فوق نهر يزيد أصحاب جعفر [غبثوا] ^(٣) المساكن ، وأقاموا

بها الأسواق ، وصارت شبه المدينة ، واتخذ لنفسه قصرا عجيبا من الحجارة ، وجعله عظيما

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج)

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

(٣) أضفنا ما بين الحاصرتين ليتضح المعنى

شاهقا في الهواء غريب البناء ، وتطلب حمال السلاح فقطفر يقوم منهم ، وضرب أعضائهم ،
وصلب جثثهم ، وعلّق رءوسهم على الأبواب ، وفيها رأس إسحاق بن عسودا .

وكان ابن أبي يعلى لما انهمز خرج إلى الفوطة يريد بغداد ، فقبض عليه ابن عليان
المدوي عند تدمر ، وجاء به إلى جعفر بن فلاح ، فشهره على جمل ، وفوق رأسه قلنسوة^(١)
وفي لحيته ريش [١٢٠] وبيلده قصبة ، ثم بعث به إلى مصر .

وأما محمد بن عسودا فإنه لحق بالقرامطة في الأحساء^(٢) - هو وظالم بن موهوب العقيلي -
لما انهمز بنو عقيل عن حوران والبثينة ، فحثوهم على المسير إلى دمشق .

فلما كان في ربيع الأول سنة ستين أنفذ جعفر غلامه فتوح على عسكر إلى أنطاكية ،
وكان لها في أيدي الروم نحو من ثلاث سنين : وسير إلى أعمال دمشق وطبرية وفلسطين
فجمع منها الرجال ، وبعث عسكرا بعد عسكر إلى أنطاكية ، وكان الوقت شتاء : فنازلوها
حتى انصرم الشتاء ، وسارت القوافل وهم ملحون في القتال ، فأردفهم جعفر بعساكر في نحو
أربعة آلاف مددا لهم ، فظفروا بنحو مائتي بغل تحمل علوفة لأهل أنطاكية فاختلوا وقد
أشرفوا على استكثرونه وعليها عساكر الروم فواقعوهم ، فانهزم العسكر ، وقتلوا منهم كثيرا .

وورد على ابن فلاح خبر هزيمة عسكره : وخبر مسير القرامطة إلى الشام : وأنهم وردوا
الكوفة . فأمدهم صاحب بغداد بالسلاح : وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب
ابن حمدان ، تقوية لهم على حرب المغاربة ، فبعث إلى غلامه فتوح برحيله عن أنطاكية
ومصيره إليه ، فوافاه ذلك أول رمضان ، فسار بمن معه ، وتركوا كثيرا من العلف والطعام ،
وأثوه إلى دمشق ، فصار كل قوم منهم إلى أهالكتهم .

(١) القلنسوة والقلنسية ما يلف على الرأس تكويرا مثل العمامة - انظر :

(Dozy : Dict. des Vets).

(٢) الأحساء لغة جمع حصى وهو الماء الذي تنشق الأرض من الرمل فإذا صارت إلى صلبة
امسكته ، فتحضر العرب عند الرمل فتستخرجه ، والأحساء (كما ذكر ياقوت في معجم البلدان) :
« مدينة بالبحرين كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد
الجنابي القرمطي ، وهي إلى الآن - أي القرن السابع الهجري - مدينة مشهورة عامرة » ١

وقدم القرمطي إلى الرحبة -، فأنه أبو تغلب بلال ، وبمن كان عنده من الإخشيدية
الذين كانوا بمصر وفلسطين ، صاروا إليه لما انهزموا من المغاربة ، وصار بهم القرمطي حتى
قرب من دمشق ، فخرج إليهم جعفر بن فلاح - وقد استهان بهم - وواقعهم ، فانهزم منهم ،
وأخذ السيف أصحابه ، وقتل - فلم يدر قتله - لست خلوّن من ذي القعدة سنة ستين ،
ووجد مطروحا على الطريق خارج دمشق ، فجاءه محمد بن عسودا فقطع رأسه ، وصلبه على
حائط داره ، أراد بذلك أخذ ثأر أخيه إسحاق لما قتله جعفر وصلبه . وملك القرامطة
دمشق ، وأمنوا أهلها ، ثم ساروا إلى الرملة فملكوها ، واجتمع إليهم كثير من الإخشيدية .
وفيها اصطلع قرعويه - مولى سيف الدولة بن حمدان - متولى حلب ، وأبو المعالي شريف
ابن سيف الدولة ، فخطب له قرعويه بحلب ، وخطبا جميعا في معامتيهما للإمام المنز بحلب
وحمص (١) .

(١) يوجد بهامش نسخة الأصل أمام هذا اللفظ : « بياض ثلثي صفحة » مما يدل على أن
هذه النسخة نقلت عن نسخة المؤلف التي كانت لا تزال في مرحلة التأليف والاستيفاء ،
وسترّد فيبائل ملاحظات مشابهة كثيرة سنشير إليها في مواضعها .

ودخلت سنة ستين وثلاثمائة :

ففي المحرم اشتدت الأمراض والوباء بالقاهرة ، وورد جباة من الوافدين إلى المغرب بجواز وخلق .

وفي صفر ضرب ثير بالسياط ، وقبضت وداعه .

وفي ربيع الآخر جرح تبر [القائد أبو الحسن] ^(١) نفسه ، ومات بعد أيام ، فسلخ بعد موته وصلب حتى مرقته الرياح : عند المنظر ^(١) .

وفي جمادى الأولى منع جوهر من بيع الشواء مسموما ، وأن يسلم من جلده .

وفي جمادى الآخرة نقل جوهر مجلس المظالم إلى يوم الأحد ، وأطلق لأصحاب الراتب ألف دينار فرقت فيهم ؛ وورد شمول من الشام مستأنا ، فخلق عليه سبع خلق ، وحمل على فرسين ، وأعطى إثنا عشر كيسا عينا وورقا ، وقدم سعادة بن حيان من المغرب في جيش كبير ، فلقاه جوهر فترجل له سعادة .

وفي شعبان وردت الرسل من المغرب برأس محمد بن خزر ، ومعه ثلاثة آلاف رأس ، فقرأ عبيد السميع يوم الجمعة كتاب المزعزيع المذكور ، وكان محمد بن الخيزر بن محمد بن خزر الزناني أكبر ملوك المغرب سلطانا على زناتة وغيرهم ، هجم عليه أبو الفتح يوسف بن زيري ابن مناد وهو في قليل من أصحابه يشرب ، فلما أحبط به قتل نفسه بسيفه في سبع عشر ربيع الآخر سنة ستين وثلاثمائة ، فقدم رأسه على المزعزيع ثلاث بقين منه .

وفي شوال أنفذ جوهر سعادة بن حيان إلى الرملة واليا عليها ، وقد كثر الإرجاف بالقرامطة ،

(١) ما بين العاصرتين ورد في النسخ بالاصل .

وأن جعفر بن فلاح قتل منهم ، وملكوا دمشق ، فعلمهم جوهر لفتحهم ، وعمل الخندق^(١) ، ونهب عليه البابيين الحنيد اللذين كانا على ميدان الإخشيدى^(٢) ، وبني القنطرة على الخليج ، وفرق السلاح على المغاربة والمصريين ، ووكل يابن القرات خادما يبيت معه في داره ، ويركب معه حيث سار ، ووثب أهل تنيس على واليهم وقتلوا جماعة منهم الإمام في القبة [٢٠ ب] ووجدت رقاع في الجامع العتيق فيها التحذير من جوهر ، فجمع الناس ووبخهم فاعتذروا . وفي ذى الحجة كسبت القرامطة مدينة القلزم^(٣) ، وأغلوا واليها عبد العزيز^(٤) بن يوسف ، وما كان له من خيل وإبل .

وكان القاع خمسة أذرع ، وبلغ ماء النيل سبعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع ، وخلع جوهر على ابن أبي الرداد ، وأجازه وحمله .

وفيها مات أبو سعيد يانس أحد قواد الإخشيدية في المحرم . وقتل تير القائد أبو الحسن نفسه [بسكين الدواة^(٥)] في شهر ربيع الآخر ، فسلخه القائد جوهر ، وصلبه عند المنظر حتى مزقته الرياح^(٦) .

(١) ذكر (المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠) أن جوهر قصد باختطاط القاهرة حيث هي ، أن تصير حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ، ليقاتلهم من دونها ، فأدار السور اللبن على مناهه الذي نزل فيه بمساكره ، واحفر الخندق من الجهة الشمالية لمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة وما ورأها من المدينة .

(٢) أنشأ هذا الميدان الأمير أبو بكر محمد بن بلطغ الإخشيد بجوار يستانه الذي عرف فيما بعد بالبستان الكافورى ، وكانت تقف فيه الغيول السلطانية في السدولة الإخشيدية ، انظر : (المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١) .

(٣) القلزم مدينة قديمة كانت ميناء مصر في أقصى شمال خليج القلزم ، وبها سمي البحر الأحمر بحر القلزم أيضاً ، وقد خربت هذه المدينة في القرن الخامس الهجرى ، وعلى أنقاضها نشأت مدينة السويس الحالية في القرن السادس الهجرى ، انظر تحقيقات محمد رمزى في « النجوم الزاهرة » ج ٨ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٤) توجد في الهامش بالنسختين حاشية أمام هذا الاسم ، نصها : « عبد العزيز هذا هو الذى أعان المتنبى حين هرب من مصر حين اجتاز به ، فأضافه وحوزه كذا » ، وله فيه أبيات في ديوانه .

(٥) عقد صاحب صبح الأعشى فصلاً طويلاً تحدث فيه بأسهاب عن الآلات التى تشتمل عليها الدواة كالأقلام والمقلمة والمقسط والمجيرة والجونة ، وذكر من بينها : المدية أو السكين ، ثم ذكر أنواعها وأجزائها وصفاتها وما قيل فيها . انظر (ج ٢ ، ص ٤٦٥ و ٤٦٧) .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة :

وفى الحرم دُخل برعوس من بنى هلال .

وفيه كُبت الفرما ، وعصى أهل تنيس ، وغيروا الدعوة وسودوا ، فحاربهم العسكر ، ودخل بعض المنتهزمين من القرامطة ، وبعثهم القرامطة إلى عين شمس ، فاستمد جوهر لقتالهم ، وغلق أبواب الطابية ، وضبط الداخل والخارج ، وقبض على أربعة من الجند المصريين ، وضرب أعناقهم وصلبهم ، وبعث فلخرج ابن الفرات من داره وأسكنه بالقاهرة .

وفى مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة .

وكان يوم جمعة ، فقتل من الفريقين جماعة ، وأسر عدة ، وأصبحوا يوم السبت متكافئين ، وغدوا يوم الأحد للقتال ، فسار الحسن بن أحمد بهرام الذي يقال له الأَصم - زعيم عسكر القرامطة - بجميع عسكره على الخندق ، والباب مغلق ، فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب ، واقتتلوا قتالا شديدا قُتل فيه خلق كثير ، وانهمز الأَصم ونهب سواده بالجيب ، وأخذت صناديقه وكتبه ، وهو في الليل على طريق القلزم ، فنهبت بنو عقيل وبنو طي كثيرا من مواده ، ونادى جوهر في المدينة :

« من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاث مائة ألف درهم ، وخمسون خيلعة ، وخمسون سرجا يعل على دوابها » .

فلما كان الغد من وقعة القرمطي ورد أبو محمد الحسن بن عمار من المغرب ، وصار عسكر لقتال أهل تنيس ، وقبض على تسعمائة من جند مصر في ساعة واحدة وقتلوا ، ورد جوهر تلبيز الأموال إلى جعفر بن الفرات ، وخرج سعادة بن حيّان في عسكر إلى الرملة بسبب القرامطة فدخلها ، ثم قدم عليه الأَصم القرمطي ، فعاد سعادة بن ميه إلى مصر .

وفى شهر رمضان قبض على عجزو عبياء تُشيد في الطريق وحُبت ، وفرح جماعة من الرعية ، ونادوا بذكر الصحابة ، وصاحبوا :

« معاوية خال المؤمنين ، وخال علي » .

فبعث جوهـر ونادى فى الجامع الحقيق :

« أيها الناس : أقلوا القول ، ودعوا الفضول ، فإننا حبسنا المعجوز صيانةً لها ، فلا ينتظن أحد إلا حلت عليه العقوبة الموجهة » .

ثم أطلقت المعجوز .

وخرج عبد العزيز بن إبراهيم الكلـابى بالصعيد ، وسود ، ودعا لبنى العباس ، فبعث إليه جوهـر فى البحر أربعين مركبا عليها بشارة النبى ، وأنفذ يـأزرق فى البر على عسكر ، فأخذ وأدخل به فى قفص مفلولا ، وطيف به وبمن معه .

ووالى الأسطول من المغرب ، وسار إلى الشام فأمر وضم .

وأمر جوهـر برفع الدنانير البيض .

وفى آخر ذى الحجة نهبت المغاربة مواضع بمصر ، فثارت الرعية ، فاقتتلوا قتالا شديدا ،

وزكب إليهم معادة بن حيان ، وغرم جوهـر للناس ما نهـب لهم ، وقبل قولهم فى ذلك .

ودخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمائة :

ففي المحرم قُدرَ جوهرُ قيمةَ الدنانير ، فجعل الأبيض بئانية دراهم .
ولخمس يقين منه تولى سعادة بن حيان ، فحضر جوهر جنازته ، وصلى عليه الشريف مسلم .
وفي ربيع الأول عزل سليمان بن عزة المحاسب جماعة من الصيارفة ، فشغب طائفة منهم ،
وصاحوا :

« معاوية خال علي بن أبي طالب » .

فهم جوهرُ بإحراق رَحِيمة الصيارفة ، لولا خوفه على الجامع .
وفيه أمر ألا يظهر يهودي إلا بالغيار^(١) .

ودخل الحسن بن عمار بضع وتسعين أسيرا ، وشهروا .

ودخل عبد الله بن طاهر الحسيني على جوهر بطيَّلسان^(٢) كُحلي - وفي مجلسه القضاة
والعلماء والشهود - فأنكر الطيَّلسان الكحلَّ ، ومدَّ يده فشقه ، فغضب ابنُ طاهر وتكلم ،
فأمر جوهر بتمزيقه فمزَّق ، وجوهر يضحك ، وبقي حاسرا بغير رداء ، فقام جوهر وأخرج
له عمامة ، ورداء أخضر ، وألبسه وعممه بيده .

وفي يوم الثلاثاء رابع المحرم المذكور [١٧١] زلزلت دمشق وأعمالها زلزلة عظيمة وقتا من
الزمان ، ثم هلا ، وانهدم بها من أنطاكية عدة أبرجة .

(١) الغيار الملابس التي كان يتميز بها أهل الفقة عن المسلمين في العصور الوسطى ، وهذا ما يفهم من مدلول اللفظ ، أي الملابس التي تغاير ملابس المسلمين . انظر : (محيط المحيط) و (Dozy : Supp. Dict. Arab) و (السلوك ، ج ١ ، ص ١٣٥ ، هامش ٤) .
(٢) الطيَّلسان - بفتح الهمزة وكسرهما وضمة ، والفتح أرجح - لفظ فارسي معرب ، ويقال فيه أيضا الطيلس والطالسان ، وجمعه طيلاسة ، وهو في المراجع المختلفة ثوب يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة ، وكان يختص بلبسه في العالم الإسلامي في العصور الوسطى الفقهاء والعلماء والقضاة ، وفي النصوص ما يفيد أنه كان ينسج من ألوان مختلفة ، انظر : (الجواليقي : المعرب ، ص ٢٢٧) و (اللسان) و (Dozy : Dict. des Vets)

وفي شهر ربيع الآخر تواترت الأخبارُ بمسير المعز إلى مصر : وورد كتابُهُ من قَاضٍ
فتأَمَّب جوهرُ لذلك ، وأخذ في عمارة القصر والزيادة فيه .

وفي النصف من جمادى الأولى مات عبد العزيز بن هيج فُسلخ وصُلب .

وفي أول رجب كَدَّ جوهرُ النَّاسَ للقاء المعز ، فتأَمَّبوا لذلك ، وخرج أبو طاهر القاضي ،
وسائر الشهود والفقهاء ووجوه التجار إلى الجيزة مبرزين للقاء المعز : فأقاموا بها أربعين يوما
حتى ورد الكتاب بوصول المعز إلى برقة ، فصار القاضي ومَن معه .

وسار الحسن بن عمار إلى الحوف في عشرة آلاف فواقموا القراءة هناك .

ولخمسين يَقيين من شعبان ورد الخبر بوصول المعز إلى الاسكندرية ، ولقيه أبو طاهر القاضي
ومَن معه ، فخطبهم بخطاب طويل ، وأخبرهم أنه لم يسر لازدياد في ملك ولا رجال ، ولا سار
إلا رغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين ، وخلع على القاضي وأجازه وحمله .

ولقيه أبو جعفر مسلم في جماعة الأشراف ، ومعهم وجوه البلد بنواحي محلة حفص ، وترجلوا له
كلَّهم - وكان سائرا فوقف - ، وتقدَّم إليه أولا أبو جعفر مسلم ، ثم الناس على طبقاتهم ،
وقبلوا له الأرض وهو واقف ، حتى فرغ الناس من السلام عليه ، ثم سار وسأله أبو جعفر
مسلم - وهو يحادثه - وسأل عن الأشراف ، فتقدَّم إليه أكابرهم :

أبو الحسن محمد بن أحمد الأندرج .

وأبو إسماعيل الرسي .

وعيسى أخو مسلم .

وعبد الله بن يحيى بن طاهر بن السويح (١)

ثم حزم على الشريف مسلم ، وأمره بركوب قبة لأنَّ الحرَّ كان شديدا وكان الصوم ،
فقدَّمت إليه قبة محلاة على ناقية ، وعادَلَهُ غلامٌ له ، ونزل المعز إلى الجيزة ، فكانت مدة
القائد أبي الحسن جوهر أربع سنين وتسعة عشر يوما .

(١) كذا في النسختين ، ولعلها « السويح » .

ذكر

قدوم العزلة بن الله أبي تميم معد الى مصر

وحلوله بالقصر من القاهرة المعزية

وما كان من ولاية الخلفاء من بعده حتى انقضت أيامهم وأناخ بهم جملهم .

في يوم الاثنين لثمان بقين من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة دخل العزلة بن الله
إفريقية .

وفي يوم الاثنين رابع عشرين^(١) جمادى الأولى سنة ثنى وستين نزل بقصره خارج برقة .
ووصل إلى الإسكندرية يوم الجمعة لست بقين من شعبان ، ونزل تحت منارتها ثم سار .
ونزل العزلة إلى الجيزة فخرج إليه جماعة من بقى ، وعقد جوهر جسر^(٢) الجيزة ، وعقد
جسرا آخر عند المختار بالجزيرة حتى سار عليه إلى القسطنطينية ، ثم إلى القاهرة . وزينت له
القسطنطينية فلم يشقها ، ودخل معه جميع من كان وفد إليه ، وجميع أولاده وأخوته وعمومه ،
وسائر ولد المهدي ، وأدخل معه ثوابيت آبائه : المهدي والقائم والمنصور . وكان دخوله إلى
القاهرة ، وحصوله في قصره يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة الثنتين^(٣) وستين
وثلاثمائة ، فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة .

قال الفقيه الحسن بن إبراهيم بن زولاق - رحمه الله - ومن خطه نقلت : -

(١) كذا في الأصل ، وفي (ج) : « أربع عشر » .

(٢) كان يربط الجزيرة بالقسطنطينية في العصر الإسلامي جسر يمر عليه الناس والدواب ،
كما كان يربطها بالجزيرة جسر آخر ، وكان هذان الجسران - كما يروى (المبريزي : الخطط ،
ج ٣ ، ص ٢٧٦) يتكونان من مراكب مصطفة بعضها بعضاً بعض ، وهي موقفة ، ومن فوق
المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب ، وكان عرض الجسر ثلاث قصبات . انظر كذلك (ابن
حوقل : المسالك والممالك ، ص ٩٦ و (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٢٥) .

« حدثني أحمد بن جعفر قال : كان القائم بأمر الله - عليه السلام - يوماً في مجلس أبيه المهدي جالسا بين يديه ، وكان ابنه المنصور قائماً بين يدي جده ، فقال المهدي لابن ابنه المنصور : « ايئتي بابنك » - يعني المزعز لدين الله - ، فجاءت به دايته - وله سنة أو فوقها - ، فأخذله المهدي في حجره وقبله ، وقال لابن قائم بأمر الله : « يا أبا القائم : ما على ظهور الأرض مجلس أشرف من هذا المجلس ، اجتمع فيه أربعة أئمة ، يعني المهدي نفسه ، وابن القائم ، وابن ابنه المنصور ، وابن ابنه المزعز لدين الله ، وزادني أبو الفضل ريدان^(١) - صاحب المظلة - في هذا الخبر^(٢) أن المهدي جمعهم في دُجّاج^(٣) وقال : « جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معه ثلاث أئمة في كساء سوى نفسه ، وقد جمع هذا الدُجّاج أربعة أئمة » .

قال [ابن زولاق] :

« ولما وصل المزعز إلى قصره خرّ ساجداً ، ثم صلى ركعتين ، وصلى بصلاته كل من دخل معه ، واستقر في قصره بأولاده وحشمه وخوادم عبيده ، والقصر يومئذ مشتمل على ما فيه من عَيْن وورق [٢١ ب] وجوهر وحلى وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط. وأعدال ومسروج ولجم ، وبيت المال بحاله بما فيه ، وفيه جميع ما يكون للملوك .

وخرج غد هذا اليوم - وهو يوم الأربعاء - جماعة الأشراف والقضاة والعلماء والشهود ووجوه أهل البلد وسائر الرحمة لتهنئة المزعز .

ولعشر خلون من رمضان أمر المزعز بالكتاب على المشايخ في سائر مدينة مصر : « خير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم [أمير المؤمنين]^(٤) علي بن أبي طالب - عليه السلام - » ، وأثبت اسم المزعز لدين الله ، واسم ابنه عبد الله الأمير .

ووقع المزعز بيده إلى محمد بن الحسين بن مهلب^(٥) - صاحب بيت المال - :

(١) الأصل : « زيدان » والتصحيح عن (ج) .

(٢) الأصل : « الجزء » ، والتصحيح عن (ج) .

(٣) الدجاج ضرب من الثياب (اللسان) .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

(٥) الأصل : « مهدي » ، والتصحيح عن (ج) .

« تقدّم يا محمد بابتياح لنا ولمولايك عبد الله في كل يوم من الفاكهة الرطبة واليابسة
كذا وكذا يسمر الناس ، ولا تعرف الرسول لثلا تقع محابة ولا مسامحة ، وكذلك حوائج
الطبخ » .

وللتصيف منه جلس المزم في قصره على السرير^(١) الذهب الذي عمله جواهر في الإيوان
الجليد ، وأذن بدخول الأشراف أولاً ، ثم بعدهم الأولياء وسائر وجوه الناس ، وجوهر قائم
بين يديهم يقدم الناس قوما بعد قوم ، ثم مضى جواهر وأقبل بهديته ظاهرة يراها الناس ، وهي :
من الخيل : مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة ، منها ملهيب ، ومنها مرصع ، ومنها
بعنبر^(٢) .

وإحدى^(٣) وثلاثون قبة على بخافي بالليبياج والناطق والقرش ، منها تسعة بديبياج مثقل .
وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل .

وثلاثة وثلاثون بغلا ، منها سبعة مسرجة ملجمة .

ومائة وثلاثون بغلا للنقل .

وتسعون نجيبا .

وأربعة صناديق مشبكة يرى ما فيها ، وفيها أواني الذهب والفضة .

ومائة سيف محلي بالذهب والفضة .

ودرجان^(٤) من فضة مخروقة فيها جواهر .

وشاشية مرصعة في غلاف .

وتسمائة ما بين سقط . وتخت^(٥) فيها سائر ما أعطه له من ذخائر مصر .

(١) السرير هنا بمعنى العرش ، وقد سمي سريراً لأن من جلس عليه من أهل الرفعة والجاه
يكون مسروراً ، والجمع أسرته وسرر (محيط المحيط) .

(٢) في النسختين : « بذهب وبعنبر » والتصحيح عن (الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٧)

(٣) النسختان : « وواحد » والتصحيح ما اقتناه .

(٤) في النسختين : « ودرجات » ، والتصحيح عن الخطط .

(٥) التخت وهاء تصان فيه الثياب ، فارسي معرب (اللسان) .

وَأَذِنَ للمزَّز لابنه عبد الله في الجلوس في مجلسه .

وحمل أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني حديثه ، وهي :

أحد عشر سقفا من متاع تونة^(١) وتنيس ودمياط .

ونخيلًا وبغلا .

وقال :

« كنت أشتئى أن يلبس منها المزَّز لدين الله ثوبا أو ينعم بالعمامة التي فيها ، فما عمل لخليفة قط . مثلها » .

وأذن المزَّز لجماعة بالجلوس في مجلسه ، وأطلق جماعة المتقنين من الإخشيدية والكافورية الذين اعتقلهم جوهر ، وعلَّتهم نحو الألف .

وقال للقاضي أبي طاهر : « كم رأيت من خليفة ؟ »

فقال : « ما رأيت خليفة غير مولانا المزَّز لدين الله - صلوات الله عليه - » .

فاستحسن ذلك منه على البسمة ، مع علم المزَّز أن أبا طاهر رأى المتضد ، والمكتفى ، والمقتدر ، والقاهر ، والراضى ، والمتقى ، والمستكنى ، والمطيع ، فشكره وأعجب بقوله .

وركب المزَّز يوم القصر - لصلاة العيد - إلى مصل^(٢) القاهرة الذي بناه جوهر ، وكان معبد بن أحمد بن الأدرع الحسيني قد بكر وجلس في المصل تحت القبة ، فجاء الخدم وأقاموه وأقاموا موضعه أبا جعفر مسلم ، وأقاموه دونه ، فكان أبو جعفر مسلم خلف المزَّز عن يمينه وهو يصلى .

وأقبل المزَّز في زيه وبنوده وقباه ، وصلى بالناس صلاة العيد صلاةً تامة طويلة ، قرأ في الأولى بآم الكتاب ، و« هل آنك حديث العاشية » ، ثم كبير بعد القراءة ، وركع فأطال ، وسجد فأطال .

(١) قرية قديمة كانت قرية من تنيس ودمياط ، وكانت مشهورة بشبابها وطرزها .

(٢) لاحظ أن القسريزي ينقل هنا عن ابن زولاخ المؤرخ المعاصر للمزَّز ، وهو يسمى الجامع الذي بناه جوهر : مصل القاهرة ، ولا يسميه الجامع الأزهر .

قال ابن زولاق :

« أنا سبّحتُ خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة ، وكان القاضي النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير ؛ وقرأ في الثانية بأمر الكتاب وسورة « الضحى » ، ثم كبر أيضا بعد القراءة ؛ وهي صلاة جده علي بن أبي طالب ، وأطال أيضا في الثانية الركوع والسجود ، وأنا سبّحتُ خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة في كل ركعة وفي كل سجدة ؛ وجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة ، وأنكر جماعة يترسمون بالعلم قراءته قبل التكبير ، لقلة علمهم وتقصيرهم في العلوم .

فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر ، وسلّم على الناس يمينا وشمالا ، ثم نشر البنددين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما ، وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل ، فجلس عليها بين الخطبتين ، واستفتح الخطبة بيسم الله الرحمن الرحيم .

وكان معه على المنبر جوهر ، وعمار بن جعفر ، وشقيق - صاحب المظلة - ، ثم قال : « الله أكبر الله أكبر » ، استفتح بذلك « وخطب وأبلغ وأبكى الناس » ، وكانت [١٢٢] خطبته بخضوع وخشوع .

فلما فرغ من خطبته انصرف في عساكره ، وخلقه أولاده الأربعة بالجواشن^(١) والخوذ على الخيل بأحسن زى ، وساروا بين يديه بالقبيلين . فلما حصل في قصره أحضر الناس فأكلوا ونشطهم إلى الطعام ، وحسب على من تأخر ، وتهدّد من بلغه عنه صيام العيد .

وردّ إلى أبي سعيد عيد الله بن أبي ثوبان أحكام المغاربة ومظالمهم . وتحاكم إليه جماعة من المصريين فحكم بينهم وسجّل ، فكان شهود مصر يشهدون عنده ويشهدون على أحكامه ، ولم يَزِدْ هذا بمصر قبل ذلك ؛ واستخلف [أبو سعيد] أحمد بن محمد الداوي . ومنع المزمع من النداء بزيادة النيل ، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر ، فلما تمّ أباح النداء [يعني لما تم ست عشرة ذراعاً]^(٢) .

(١) الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع (محيط المحيط) .

(٢) مابن الحاصرتين زيادات عن : القريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٩٧ حيث نقل هذه الحقيقة أيضا عن سيرة المزمع لدين الله لابن زولاق ، وعقب عليها بتفسير الحكمة في هذا =

ومخلع على جوهر حلقة مذهبة ، وعباءة حمراء ، وقلده سيفاً ، وقاد بين يديه عشرين فرساً
مسرجة ملجمة ، وحمل بين يديه خمسين ألف دينار ، ومائتي ألف درهم ، ومئانين تخنا من ثياب .
وركب المز إلى المقدس ، وأشراف على أسطوله^(١) ، وقرأ عليه وعودته ، وخلفه جوهر والقاضي
النعمان ووجوه أهل البلد ، ثم عاد إلى قصره .

وضربت أعناق جماعة عالوا ينواحي القرافة .

وفى ذى القعدة احترق سوق القاهرة ، وأعيد .

وركب المز لكسر خليج^(٢) القاهرة ، فكسر بين يديه ، وسار على شط النيل ، ومر على
سطح الجرف ، وعطف على بركة الحبش^(٣) ، ثم على الصحراء إلى الخندق الذي حفره جوهر
في موكب عظيم ، وخلفه وجوه أهل البلد ، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرفه بالمواضع ، وببلغ
المز أن محمداً أخا أبي إسماعيل الرضى يريد الفرار إلى الشام ، فقبض عليه وسجن مقيداً .

= الاجراء ، فقال ماملخصه : « فنام ما يبدع هذه السياسة » فان الناس دائماً اذا توقف النيل في
أيام زيادته او زاد قليلاً يقلقون ، ويحلثون أنفسهم بصلح طلوع النيل ، فيقبضون أيديهم على
الغلال ، ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر ، ويجهد من عنده مال في خزن الغلة ، أما لطلب
السعر ، أو لطلب ادخار قوت عياله ، فيحدث بهذا الغلاء ، فان زاد الماء انحل السعر ، والا كان
الجذب والقفط ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة » .

(١) ذكر القريري في (الخطط ، ج ٣ ، ص ٣١٧) - نقلاً عن ابن أبي طي - أن المز هو
الذي أنشأ دار الصناعة التي بالمقدس ، وأنه أنشأ بها ستمائة مركب " لم ير مثلاً في البحر على
ميناء " .

(٢) مما يستحق الالتفات أن هذا أول ركوب للمملوك لسكر الخليفة ، وقد كان الفاطميون يحتفلون
بهذا الركوب احتفالاً خاصاً وإنما بعد ذلك ، انظر في وصفه : (صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥١٢ -
٥١٧) .

(٣) كانت تقع هذه البركة جنوبي القسطنطينية بين النيل والجبل ، وذكر القريري عند كلامه
عن البرك في الجزء الثاني من الخطط أنها كانت تعرف ببركة المسافرين ، وبركة حمير ، واصطبل
قراة ، واصطبل قاشق ، وبركة الاشراف ، وبركة الحبش . وهو الاسم الذي اشتهرت به ، وقال
محمد رمزي في تحقيقاته (النجوم ، ج ٦ ، ص ٣٨٢) : " وهذه البركة لم تكن عميقة فيها
مما راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق على حوض من الأراضي الزراعية التي
ينفجرها مأم النيل وقت فيضانه سنوياً بواسطة خليج بني وائل الذي كان يأخذ مائه من النيل
جنوبي مصر القديمة ، فكانت الأرض وقت أن يجرها الماء تشبه البركة ، ولهذا سميت بركة " .
ويستفاد مما ذكره أبو صالح الأرمي في كتاب الديارات أن هذه الجنان عرفت بالبحش لأنها كانت
لطائفة من الرهبان الحبش " .

وفي يوم عرفة نصب المعز الشمسة^(١) إلى عملها للكعبة على إيوان قصره ، وسعها اثنا عشر

(١) هذا نص هام وطريف، وقد ذكر طرفامنه المقرئ في كتابه الآخر «الخطوط» ، وقد أخطأ القائلون على نشر جميع طبعات الخطوط ، ففسروا هذا اللفظ على أنه « الشمسية » ، لا « الشمس » ، وطبع في جميع النشرات على أنه « الشمسية » كذلك ، وهذه القراءة الخاطئة أوقعت كثيرين من الباحثين في تاريخ الدولة الفاطمية من غربيين وشرقيين في أخطاء متلاحقة، ففهموا الشمسية على أنها مظلة ، وعلى أنها أصل لفكرة المحل ، وعلى أنها نوع من الكسوة للكعبة، وعلى أنها نوع من المنسوجات الرائعة الممتازة التي كانت تصنع في مصر الفاطمية . انظر عن هذه المحاولات والتفسيرات : (حسن إبراهيم حسن: تلخيص الدولة الفاطمية ، ص ٥٨٣) و (محمد عبد العزيز مرزوق: الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ، ص ٥٢ - ٥٣) و

(Quatremère, J.A. 3e. série, III, 1837).

(M. Inostranzeff: La sortie solennelle des Khalifes Fatimides.

P. XXIII, S. 17, P. XXVIII, S. 20).

(J. Jomier : Le Mahmal et la Caravane Egyptienne des Pèlerins de la Mecque,

Le Caire, 1953. p. 24-26).

وكنت قد وقعت في نفس الخطأ في نشرتي الأولى لهذا الكتاب ، ولكنني لحسن الحظ وجدت هذه الكلمة مكتوبة في المخطوطة الحالية لكتاب «تساو الحنف» على أنها « الشمسة » لا « الشمس » ، فوفقت متبداً طويلاً ، وأعدت قراءة وصفها مراراً فأذا بي أجد أنها شيء مختلف كل الاختلاف عن الشمسية ، وأنه لا صلة بينها وبين المنسوجات إلا الأرضية المنسوجة من الديباج ، ويبين لي أن « الشمسية » حلية ضيقة كانت ترمسل إلى الكعبة في موسم الحج في صحن قائد خاص لتعلق في وجه الكعبة ، وأنها تشبه الشمس، ولها اثنا عشر ذراع تشبه أشعة الشمس ، وأرجح أن عدد الأشعة لم يجعل اثني عشر عفواً بل قصداً ليمثل عدد شهور السنة ، فموسم الحج يحل بعد مضي اثني عشر شهراً أي سنة كاملة ، والأهلة الموجودة في نهاية الأشعة تمثل الشهور القمرية الهجرية .

ويبين لي من النص كذلك أن الخليفة المأمون العباسي أرسل في عهده باقوطة متصلة بسلسلة ذهبية لتعلق في الكعبة، وأن العباسيين سبقوا الفاطميين بإرسال الشمسة ، وأول من أرسلها منهم هو الخليفة المتوكل ، وكان المعز أول من أعيد شمسة للكعبة ، وقد أراد أن يتفوق على منافسيه العباسيين فصنعها أكبر وأضخم حجماً وأتمن وأغلى قيمة بدليل مقالته (ابن ميسر: تاريخ مصر ص ٤٤) بعد وصفه لحفلة عرض الشمسة : « ولم يبق أحد حتى دخل من أهل مصر والشام والعراق فذكروا أنهم لم يروا قط مثل الشمسية (الشمسة) ، وذكر أصحاب الجواهر أنه لا قيمة لها ، وأن شمسية (شمسة) بنى العباس مساحتها مثل ربع هذه ، وكذلك كانت شمسية (شمسة) كافور التي عملها لمولاه أنوجور ، وكان يسير بها إلى الحرم » .

ويؤكد صحة النص وصحة تفسيرنا كذلك حقيقتان لست أدري كيف غفل عنهما من تناولوا هذا الموضوع من قبل ، أولاً أن المراجع العربية القديمة كلها لم تعرف لفظ « الشمسية » بمعنى المظلة أبداً ، وفي رأيي أن لفظ الشمسية بهذا المعنى عرفه الصرب والمصريون بصفة خاصة لأول مرة في القرن التاسع عشر إبان حركة الترجمة عن اللغات الأوروبية ، وأن هيندا

شبراً في مثلها ، وأرضها ديباج أحمر ، وقودها الناعش حلال ذهب ، ولي كلُّ هلال أنثرجة
ذهب مُشَبَّك ، جَوْتُ كل أنثرجة خمسون ذرة كبيض الحمام ، وفيها الياقوت^(١) الأحمر والأصفر
والأزرق ، وفي ذودها مكتوب آيات الحج بزمرد أخضر^(٢) ، وحشؤ الكتابة ذو كبر لم ير مثله ،
وحشؤ الشَّمْسَةِ السُّكُ المسحوق ، فرأى الناس في القصر ومن غارجه لِعُلُو موضعها ، ونصبها
جدة فرائين ، وجروها لِثَقَل وزنها .

[وأول من عمل الشَّمْسَةِ للكعبة أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله ، فبعت سلسلة من
ذهب كانت تُعلَّق مع الياقوتة التي بعثها المأمون ، وصارت تُعلَّق كل سنة في وجه الكعبة ،
وكان يؤتى بهذه السلسلة في كل موسم وفيها شمسة مكللة بالدر والياقوت والجوهر قيمتها شيء
كثير ، فيقدم بها قائد يبعث من العراق ، فتُدفع إلى حَجَّبة الكعبة ، ويُشهد عليهم بقبضها ،
فيعملونها يوم سادس الثمان ، فتكون على الكعبة ، ثم تُنزع يوم التروية^(٣) .

وغدا المنز لصلاة عيد النحر في عساكره ، وصلى كما ذكر في صلاة الفطر من القراءة
والتكبير وطول الركوع والسجود ، وحُطِبَ وانصرف في زيّه ، فلما وصل إلى القصر أذن للناس
حامة فدخلوا والشمسة منصوبة على حالها ، فلم يبقَ أحد حتى دخل - من أهل مصر والشام
والعراق - فذكر أهل العراق وأهل خراسان ، ومن يواصل الحج أنهم لم يروا قط مثل هذه

== اللفظ الشمسية هو ترجمة للكلمة الفرنسية Parasol ، وثانيهما أن المعاجم العربية ذكرت
هذا اللفظ ولكن بصفة المذكر « الشمس » ، وقالت أن من معانيه أنه ضرب من القلائد أو الحل ، جاء
في (اللسان) : « والشمس ضرب من القلائد ، والشمس مصلاق القلادة في العنق » ، والجمع
شموس ، قال الشاعر :

والدر والؤلؤ في شمسه مقلد طبي التصاوير .

قال اللحياني : الشمس ضرب من الحل ، مذكر ومؤنث ، والشمس قلادة الكلب .
(١) ذكر ابن الأثير في (نخب الخائرات) ص ٢ - ١٣ أن الياقوت أربعة أصناف : الأحمر
وهو أعلاها رتبة وأغلاها قيمة . والأصفر . والأزرق . والأبيض . ثم قسم كل صنف من
هذه إلى أنواع . وهذا وقد ذكر صاحب اللسان أن لفظ « ياقوت » فارسي معرب ، بينما ذكر
الآب أنستاس التكرملي (المرجع السابق) ص ٢ ، هامش ١) أنه معرب من اللاتينية .

(٢) انظر الكلام عن الزمن بتفصيل في : نخب الخائرات ، ص ٤٨ - ٥٢ .
(٣) هذه الفقرة وردت في الهامش في نسخة الأصل ، ولكنها وردت في المتن في نسخة (ج) .
وقد آثرنا ضمها للمتن هنا لأنها تزيد إيضاحاً .

الشمسة ؛ وذكر أصحاب الجواهر ووجوه التجار أنه لاقية لما فيها ، وأن شمسة بنى العباس كان أكثرها مصنوعا ومن شبه^(١) ، وأن مساحتها مثل ربع هذه .

وكذلك كانت شمسة كافور التي عملها لولاه أونوجور بن الإخشيد ، وكان يسير بها إلى الحرم جعفر بن محمد الموسوي ، ثم ابنه أبو الحسين ، ثم بعده ابنه مسلم ، ثم أبو تراب بعد أخيه ، إلى أن أخذها القائد جهور من أبي تراب .

وأمر الممزر للناس بالطعام فأكلوا .

وورد الخبر بوصول أسطول القرامطة إلى تينيس في البحر ، فكانت بينهم وبين أهل تينيس حرب انهم فيها أصحاب القرامطة ، وأخذ منهم عدة مراكب ، وأسر طائفة منهم ، وأن أسكر (٢) نهبت ، فعظم ذلك [على] الممزر^(٢) ، واشتد خوف الناس في المقابر حتى كانوا يصلون على الجنائز ولا يتبعونها ، ويمضى بها الحضارون ؛ فأنكر الممزر ذلك ، وأمن الناس .

ولماني عشرة من ذى الحجة ، وهو يوم غدیر خم^(٣) ، تجمع خلق من أهل مصر والمغاربة للدعاء ، فأعجب الممزر ذلك ، وكان هذا أول ما عمل عيد الغدير بمصر .

وقدم من تينيس مائة وثلاثة وسبعون رجلا أسارى ، وعدة رهوس ، ومعهم أعلام القرامطة

(١) الأصل : « مصبوغا وشبه » ، والتصحيح عن (ج) .

(٢) ما بين الحاصرتين عن (ج) .

(٣) نقل (المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣) نبأ الاحتفال بعيد الغدير في عهد الممزر عن ابن زولاق ، هـ سنا وخم موضع بين مكة والمدينة به غدیر أو بطيحة ، وحوله شجر كثير ، ويقال ان الرسول عليه السلام لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠ هـ نزل بغدير خم وأخى عليا بن أبي طالب ، ثم قال « على مني كهارون من موسى ، اللهم وال من والاه وعادى من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » ، ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى إذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول قبيل وفاته لعلي بن أبي طالب .

انظر (دوتلندن : عقيدة الشيعة ، الترجمة العربية ، ص ٢٣ - ٢٦) ، ويذكر المقرئى في الصفحات المذكورة سابقا ان هذا العيد لم يكن مشروعا ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم ، وأول ما عرف في الاسلام بالعراق أيام ممر الدولة بن بويه ، فانه أحدثه في سنة ٣٥٢ هـ فاتخذ الشيعة من حينئذ عيدا ، وهو أبدا يوم الثامن عشر من ذى الحجة « . وفي الصفحات السالف ذكرها من الخطط تفاصيل ممتعة عن مراسم الاحتفال بهذا العيد في العصر الفاطمي ، انظر كذلك : (معجم البلدان لياقوت) .

منكوبة ، وسلاح لهم ، فشهر ذلك في البلد ، وجلس المعز حتى مروا بين يديه وهو في علو باب قصره .

وكانت فتنة في البلد نهبت المغاربة فيها جماعة من الرعية ، فركب جوهر في طلب النهاية ، وأخطم وجلدهم .

ولى سلخ ذى الحجة سلخ (٩) إمام جامع القرافة محمد بن عبد السميع في طريق القرافة ، وانصرف الناس من جامع القرافة من غير [٧٢ب] جمعة .

وأحضر جوهر جماعة من أهل تنيس ، وطالبهم بديات المغاربة الذين قتلوا عندهم ، وألزموا بمائتي ألف دينار ، ثم استقر أمرهم على ألف ألف درهم^(١) .

وانتهى النيل في نقصانه إلى ست أذرع وإصبعين ، وبلغ زيادة الماء الجديد سبع عشرة ذواعا وإصبعين ، وأطلق المعز لتولى المقياس الجائزة والخلع والحملان ، فزاده على رسمه .

وفيها مات أبو عمرو محمد بن عبد الله السهمي - قاضي مكة - ، ومات الإشبيلي - قاضي المغاربة^(٢) مصر - .

(١) كذا في الأصل ، وفي (ج) : « ألف ألف دينار » .

(٢) لاحظ هذا ، فكانه كان للمغاربة قاض خاص بهم في مصر بعد الفتح الفاطمي .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة :

- وأمر المؤمنين المعز لدين الله .
وعليفته القائد جوهر .
والقاضي أبو طاهر محمد بن أحمد .
والخراج نصفين : إلى علي بن محمد بن طباطبا ، وعبد الله بن عطاء الله ، والنصف الآخر إلى الحسن بن عبد الله ، والحسين بن أحمد الروذباري .
وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهلب .
وصاحب المظلة شفيع الصقلي^(١) .
وطببيه موسى بن المازار .
والشرطة السفلى إلى عروبة بن إبراهيم ، وشبل المرضي .
والشرطة العليا إلى خير [بن القاسم]^(٢) .
وإمام الجامع المتيق والخطبة إلى عبد السميع بن عمر العباسي .
وإمام الصلوات الخمس الحسن بن موسى الخياط .
ولست (هـ) عشرة بقيت من الحرم قلد المعز الخراج ، ووجوه الأموال جميعها ، والحسبة ،
والسواحل ، والجوائ ، والأحباس ، والمواريث ، والشرطتين ، وجميع ما ينضاف إلى ذلك ،
وما يطوى في مصر وسائر الأعمال أبا القرج يعقوب بن يوسف الوزير ، وعسلوج بن الحسن ،

(١) ج : « الصقلي » .

(٢) أكملنا الاسم بعد مراجعة ما يلي من النص هنا ، انظر ص ١٤٤ و ١٤٧ .
* أورد المقرئ في هذا الخبر وبمنصه كذلك في : (الخطيب ، ج ١ ، ص ١٣٢) .
وذكر هناك أنه ينقله عن سيرة المعز لدين الله لابن زولاق .

وكتب لهما بذلك سجلا . قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون ، وقبضت أيدي
سائر العمال والمتضمنين .

وجلسا غد هذا اليوم في دار الإمارة^(١) في جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر
وجوه الأموال ، وحضر الناس للقبالات ، وطالبوا بالبقايا من الأموال مما على المالكين والمتقبلين
والعمال ، واستقصيا في الطلب ، ونظروا في المظالم .

وفيه تبسطت المغاربة في نواحي القرافة والمعافر ، فنزلوا في الدور ، وأخرجوا الناس من
دورهم ، ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة ، وكان للمز أمرهم أن يسكنوا في أطراف
المدينة ، فخرج الناس واستغاثوا إلى المز ، فأمر أن يسكنوا نواحي عين شمس ، وركب المز
بنفسه حتى شاهد المواضع التي ينزلون فيها ، وأمر لهم بما يبنون به ، وهو الموضع الذي يُعرف
اليوم بالخنق ، وخنق العبيد ، وجعل [لهم] واليا وقاضيا ، وأسكن أكثرهم في المدينة
مخاططين لأهل مصر ، ولم يكن جوهر يبيعهم سكنى المدينة ولا المبيت فيها ، وحظر ذلك
عليهم ، وكان مناديه ينادى كل عشية : « لا يبيتن في المدينة أحد من المغاربة » .

وفي يوم عاشوراء انصرف خلق من الشيعة وأتباعهم من المشاهد من قبر كلم بنت محمد بن
جعفر بن محمد الصادق ، ونفيسة^(٢) ، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنيابة واليكاه
على الحسين ، وكسروا أواني السقائين في الأسواق ، وشققوا الروايا ، وسيبوا من ينفق في هذا

(١) يذكر المقرئ هنا أن هذه الدار كانت في جامع ابن طولون ، غير أنه عقد لها فصلا
خاصا في (المخطوط ، ج ٤ ، ص ٤٢) ذكر فيها أن هذه الدار كانت بجوار الجامع الطولوني
« تشاهها أحمد بن طولون عندما بنى الجامع ، وجعلها في الجهة القبلية ، ولها باب من جدار
الجامع يخرج منه إلى القصور بجوار المحراب والمنبر » . ولم تزل هذه الدار باقية إلى أن قدم
المرشد بن الدين الله من بلاد المغرب ، فكان يستخرج فيها أموال الخراج » . ثم ذكر هذا الخبر
الوارد هنا نقلا عن ابن زولاقي .

(٢) هي السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولها أبوها
مرة المدينة لأبي جعفر المنصور مدة ، ثم قبض عليه وحبسها إلى أن أطلقه المهدي ورد عليه
جميع ما كان أخذه المنصور منه ، ورحلت السيدة نفيسة مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق
من المدينة إلى مصر ، فاقامت بها إلى أن ماتت في شهر رمضان سنة ٢٠٨ ، وقبرها معروف
بالقاهرة يزار حتى اليوم . انظر : (النجسوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ - ١٨٦) .

اليوم ، وثارت إليهم جماعة ، فخرج إليهم أبو محمد الحسن بن عمار ، ومنع الفريقين ، ولولا ذلك لعظمت الفتن ، لأن الناس كانوا غفلوا الدكاكين وعطلوا الأسواق ، وقويت أنفُس الشيعة يكون المنز بمصر .

وكانت مصر لامتخلو من الفتن في يوم عاشوراء عند قبر كَلَم وقبر نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب في الأيام الإخشيدية والكالورية ، وكان سودان كافور يتعصبون على الشيعة ، ويتعلق السودان في الطرق بالناس ويقولون للرجل : « من خالك ؟ » فلن قال : « معاوية » أكرموه ، وإن سكنت لقي المكروه ، وأخذت ثيابه وما معه ، حتى كان كافور يوكل بآبواب الصحراء ، ويمنع الناس من الخروج .

ولما جلس يعقوب بن كَلَس وعسلوج بن الحسن الوهاجي لعقد الضياع توفرت الأموال ، وزيد في الضياع ، وتكاشف الناس .

وفي صفر طيف بنحو مائتي رأس قدم بها من المغرب .

ومات ابن عم للمز ، فصلي عليه المز ، وكبر سبعا ، وكبر على غيره خمسا ، وهذا مذهب علي بن أبي طالب : أنه يكبر على الميت على قدر منزلته .

ومات إسحاق بن موسى طبيب المز ، فجعل موضعه أخاه إسماعيل [٢٣١] بن موسى .

وامتنع يعقوب وعسلوج أن يأخذ في الاستخراج إلا دينارا معزيا ، فاتضح الدينار الراضى وانحط . ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار ، فحضر الناس من أموالهم ، وكان صرف المزى خمسة عشر درهما ونصف .

واشتد الاستخراج ، وأكد المز فيه ليرد ما أنفقه من أمواله على مصر ، لأنه قدم مصر يظن أن الأموال مجمعة ، فوجدتها قد فرققتها مؤن مصر وكثرة عساكرها ، وكان الذي أنفق المز على مصر ما لا يضبط . أو يعرفه إلا هو أو خزائنه .

وحديثي بعض كتاب بيت^(١) . قال :

(١) هذا اللفظ غير موجود في (ج) .

« حملنا إلى مصر أكياساً فارغة - أنفق ما كان فيها - في أربعة أعدل على جملين » .
وكذلك يعقوب وعسلوج أنفستهما في الاستخراج ، فاستخرج في يوم نيف وخمسون ألف دينار
معزية ، وكان استخراجا بغير براعة ولا خروج ولا حيلة ، واستخرج في يوم مائة وعشرون
ألف دينار معزية ، وفي يوم آخر من مال تينيس ودمياط . والأشمونين أكثر من مائتي ألف
وعشرين ألف دينار ، وهذا لم يسمع بمثله قط في بلد ، إلا أن في أيام العزيز استخرج خير بن
القاسم ، وعلى بن عمر العداس ، وعبد الله بن خلف المرصدى في ثلاثة أيام مائتي ألف دينار
وعشرين ألف دينار عزيزية ، منها في أول يوم أربعة وسبعين ألف دينار والباقي [في]
يومين . وذلك في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة .

وفي شهر ربيع الآخر كثر الإرجاف بالقرامطة وانتشارهم في أعمال الشام ، وكان معهم
عبد الله بن عبيد الله أخو أبي جعفر مسلم ، فكتب إليه المعز بعد ما شكاه إلى أخيه مسلم .
وفيه دخل الناس إلى قصر المعز وفيهم : الأشراف ، والعمال ، والقواد ، وسائر الأولياء
من كتابة وغيرهم ، فقال إنسان لبعض الأشراف : « اجلس يا شريف » ، فقال بعض الكتابيين :
« وى الدنيا شريف غير مولانا ؟ ! لو ادعى هذا غيره قتلناه » .

خرج الإذن للناس ، وبلغ المعز هذا ، فلما جلس على سريرته وأذن للناس بالجلوس قال :
« يا معشر الأهل وبنى العم من ولد فاطمة : أنتم الأهل ، وأنتم العلة ، وما نرضى بما بلغنا من
القول ، وقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا ، لكم بحمد الله الشرف العالى ، والرحم القريبة ، ولئن
عاود أحد مثل ما بلغنا لئن تكلم به تكالا مشهورا » .

فقبلت الجماعة الأرض ، ودعوا وشكروا ، وكان المتكلم حاضرا فانقمع وندم .
وحادث المعز أنه رأى في منامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان جالسا وبين يديه
سيوف منها ذو الفقار ، فأخذ على بن أبي طالب ذا الفقار فضرب به عنق القرمطى الأعسم ،
وضرب حمزة عنق أخى الأعسم ، وضرب جعفر عنق آخر ، وانكب المعز يقبل رجل النبي
- صلى الله عليه وسلم - ، فتمسخ الناس هذه الرؤيا .

وَحُمِلَ مال الأحياس من المودع^(١) إلى بيت المال الذى لوجوه البر ، وطولب أصحاب الأحياس بالشرائط. لِيُحْمَلُوا عليها .

ولما وقف المزر على حيس عمرو بن العاص ، وأن محمد بن أبي بكر كان قبضه وضرب عليه صافية لأُمير المؤمنين على بن أبي طالب - أهل الحق - ، وأن عمرو بن العاص إنما حبسه لما عاد إلى مصر في أيام معاوية ، أخرج ذلك - من كتاب أبي عمر الكندى^(٢) - القاضى النعمان بن محمد ، فحملة إلى المزر فقال : « هلنا مال لنا ، فليحمل إلينا مفردا من مال الأحياس » ، ففعل ذلك .

وفى ربيع الآخر ثارت المغاربة في صحراء المقابر ، ونهبوا الناس ، فأنكر المزر فذلك ، وقبض على جماعة .

وفيه اعتل المزر واحتجب ، فاضطربت الرعية ، ولم يره أحد .

وفى جمادى الأولى أُرْجِفَ بالقرامطة ، وقوى الاستخراج ، ومنع الناس من الحضور في الديوان لئلا يقفوا على مبلغه ، وجلس المزر للناس ، فُسُروا بسلامته .

وحمل أبو جعفر مسلم إلى المزر المصحف الكبير الذى كان يُذكر أنه كان ليحيى بن خالد ابن برمك ، وكان شراؤه أربعمائة دينار على مسلم ، فلما رآه المزر قال : « أراكَ معجبا به ، وهو يستحق الإعجاب ، ولكن نفاخرك نحن أيضاً » .

(١) المودع : صندوق كان يعد لحفظ مال مخصص لجهة معينة أو لفرض معين ، ويعهد بحفظه إلى القاضى ، وأول ما استعمل في مصر الإسلامية لحفظ أموال اليتامى ، وأول من استحدثه القاضى عبد الرحمن بن عبد الله العمري (١٨٥ - ١٩٤) ، وكان هذا المودع يسمى أيضا « تابوت القضاة » . انظر (الكتلى : القضاة ، ص ٤٠٥) حيث يذكر أن العمري : « أول من عمل تابوت القضاة الذى كان في بيت المال ٠٠ أنفق عليه أربعة دنانير ، كانت تجمع فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له ، وكان مودع القضاة بمصر » وذكر المقرئى (الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٩) أن « مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى واليتامى » كان في عهده في فندق مسرور . انظر أيضا : (المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٦٤) و (Dozy: Sup. Dict. Arab)

(٢) هو المؤرخ المصرى المعروف ، ولعله يقصد هنا كتابه « الولاة والقضاة » .

فدعا بمصحف نصفين ما روى أحسن منهما خطأ وإذهابا وتجليداً ، فقال :

« هذا خط المنصور ، وإذهابه وتجليده بيده » .

فقال له مسلم :

« قَسَمُ مصحف يخط. مولانا المز لدين الله - عليه السلام - ؟ » .

فقال : « نعم » .

وأخرج له نصفين .

فقال : « ما رأيْتُ أصبح من هذا الخط » .

فقال المز : « بعد مشاهدتك [٢٣ ب] لخط المنصور تقول : ما رأيْتُ أصبح من هذا الخط ، ولكنه أصبح من خطك » .

ثم ضحك وقال : « أردت مداعبتك » .

وكان أبو جعفر مسلم إذا ذكر المز يقول :

« وردت أن أبي وجدى شاهداً ليفتخرا به ، فما أقدر أن أقرن به أحداً من خلفاء بني

أمية والابن العباس » .

وتوفي محمد بن الحسن بن أبي الحسين - أحد خواص المز - ، فخرج المز وهو في بقايا علته ،
وتقدم إلى القاضي النعمان بن محمد بفلسه ونكفته ، وصلى عليه المغرب ، وفتح تابوته وأضججه .

وبعد تسعة عشر يوماً توفي القاضي النعمان بن محمد أول رجب ، فخرج المز يبين

الحزن عليه ، وصلى عليه ، وأضججه في التابوت ، ودفن في داره بالقاهرة .

وفي شَمان دخل أبو جعفر مسلم علي المز ، فلما توسط صحن الإيوان قال له أخوه عيسى :

« إن الأمير عبد الله في المجلس فسلم عليه » .

وكان في المجلس جماعة ، فدخل أبو جعفر علي المز وقبّل الأرض ، وقام قائماً ، وقال :

« يا أمير المؤمنين : حدثني أبي عن أبيه عن جدته عن إسحاق بن موسى بن جعفر بن

محمد قال : « دخلت أنا وأخي عبد الله علي يعقوب بن صالح بن المنصور - وهو يومئذ

أمير المدينة - فقال : من أين أقبل الشيخان ؟ فقالا : من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، سلمنا عليه وأتيناك ، فقال : سلمنا على صاحبيه ؟ فقالنا : لا ، فقال سبحانه الله ، كيف لم تسلمنا على صاحبيه ، فقال له أخى عبد الله : سألتك بالله أيها الأمير أيهما أقرب ؟ ابنك هذا منك أو صاحبي رسول الله من رسول الله ؟ فقال : ابني هذا ، فقال : ما سلمنا على ابنك في مجلسك إجلالا لك ، فنسلم على صاحبي رسول الله بحضرة رسول الله ؟ فقال : والله ما قصرتما ، ثم قال مسلم : « تأذن يا أمير المؤمنين في السلام على الأمير عبد الله ؟ » فأذن له ، قال عيسى : « وكان المعز لمسلم مكرما » .

وفيه كثر الإرجافُ بالقرامطة ودخول مقدمتهم أرياف مصر وأطراف المحلة ، [وأنهم] ونهبوا واستخرجوا الخراج ثم رجعوا إلى أعمال الشام .

وأمر المعز المغاربة بالخروج من مصر والسكنى بالقاهرة ففعلوا .

وردَّ المعز الشرطة العليا إلى خير بن القاسم فاستقضى على المغاربة في الخروج إلى القاهرة .

وعادت المعز العلة فاحتجب أياما لا يراه أحد ، ثم جلس للناس فهنوه ، وعرضوا أنفسهم للقتال ، فشكرهم على ذلك .

ووصلت سريَّة القرامطة إلى أطراف الحوف ، وأنفذ القرمطي حيد الله بن عبيد الله - أنا مسلم - إلى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط وإخميم ، وحارب العمال ، واستخرج الأموال ، فثقل ذلك على المعز ، وعاتب أبا جعفر مسلم ، فاعتذر إليه ، وتبرأ من أفعاله ، ونزل الأغصم القرمطي بعسكره بلبيس ، وتآعب المعز لمنعه وردّه .

وقد أحبت أن أورد هنا جملة من أخبار القرامطة لتكرر دخولهم إلى مصر :

ذكر

طرف من اخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الأهوازي لما خرج داعية إلى العراق لقي حمدان بن الأشعث قَرَمَطَ بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل عليه ، فتماشيا ساعة ، فقال حمدان للحسين :

« إني أراك جئت من سفرٍ بعيد ، وأنت مُعَيٌّ فاركب ثورى هذا . »

فقال الحسين : « لم أؤمر بذلك . »

فقال له حمدان : « كَتَبْتُكَ تعمل بِأمرِ أمرك ؟ »

قال : « نعم » .

قال : « ومن بِأمرِكَ وينهاك ؟ »

قال : « مالكى ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة . »

فبهت حمدانُ قَرَمَطَ يفكر ، ثم قال له :

« يا هذا : بما يملك ما ذَكَرْتَهُ إِلَّا اللَّهُ . »

قال : « صِلَقْتُ ، وَاللَّهُ يُهَبُّ ملكه لمن يشاء . »

قال حمدان : « فما تريد في القرية التي سَأَلْتَنِي عنها ؟ »

وكان الحسين لما رأى قَرَمَطَ في الطريق سَأَلَهُ :

« وكيف الطريق إلى قَسِّ بَهرام^(١) . »

فعرَفَهُ قَرَمَطَ أنه سائر إليه ، فسأله عن قرية تعرف « بياتنورا^(١) » في السواد ، فذكر أنها

(١) لم أذكر في المراجع الجغرافية التي بين يدي على تعريف لهذه المواقع .

قريبة من قريته ، ^(١) وكان قرمط من قرية تعرف ^(٢) «بالنور» على نهر «هد» ^(٣) من رُشناق ^(٤) «مهروسا» من طُسوج ^(٥) «فرات بادقلى» ^(٦) .

ولما قيل له قَرْمَطُ . لأنه كان قصيرا ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقاربا ، فسمي لذلك قَرْمَطًا .

فلما قال للحسين : « ما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » قال له : « رُفِعَ إلى جرابٍ فيه عِلْمٌ وِسْرٌ من أسرار الله ، وأمرتُ أن أشتري هذه القرية ، وأغني أهلها وأستقدمهم ، وأملكهم أملك أصحابهم » .

[٢٤] «ابتدأ يدعوهم ، فقال له حمدان قَرْمَطُ :

« يا هذا : نشدتك الله ، ألا رفعتُ إلى من هذا العلم الذي ملك ، وأنقلتنى ينقلدك الله ؟ » . قال له : « لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا آخذهُ الله على النبيين والمرسلين ، وألقى إليك ما ينفحك » .

فما زال يصرخ إليه حتى جلسا في بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : « ما اسمك ؟ » .

قال له قرمط : « قم معي إلى منزلي حتى تجلس فيه ، فإن لي إخوانا أصير بهم إليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى » .

فصار معه إلى منزله ، وأخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل حمدان قرمط ، فأعجبه أمره ، وعظمه ؛ وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشوع صائما نهاره ، قائما ليله ، فكان المغيوط من آخذهُ إلى منزله ليلة ، وكان يخيظ لهم الثياب ويكتسب بذلك ، فكانوا يبتكرون به ويخياطونه .

(١) هذه الجملة ساقطة من الأصل ، وقد دلت عن «ج» .

(٢) لم أعر في المراجع الجغرافية التي بين يدي على تعريف لهذه المواقف .

(٣) الرستاق — والرسداق — ، والجمع : رساتيق ، عرفها (الجواليقي : العرب ، ص ١٥٨)

بأنها أرض السواد والقرى ، واللفظ معرب عن الفارسية . انظر أيضا : (شفاه الغليل ، ص ١٠٧)

(٤) جاء في (اللسان) أن الطسوج معرب ، وهو النساجية ، ثم قال : والطسوج واحد من

من طساسيج السواد ، والطسوج أيضا وزن من الأوزان .

وأدرك الثمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العلوي - وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل - إلى عمل ثمره ، فوصف له الحسين الأهوازي ، فنصّب به لحفظ ثمره ، والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها ، واحتاط في أداء الأمانة ، وظهر منه من التشدد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الأمور ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين .

واستحكمت ثقة الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه إليه ، فأظهر له أمره ، وكان بما دعا إليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يقول القرج بن عثمان إنه داعية للمسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصوّر في جسم إنسان ، وقال إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القدس ، وعرفته أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر ثلاث مرات .

أشهد ألا إله إلا الله مرتين .

أشهد أن آدم رسول الله .

أشهد أن نوحا رسول الله .

أشهد أن إبراهيم رسول الله .

[أشهد أن موسى رسول الله^(١)] .

أشهد أن عيسى رسول الله .

أشهد أن محمدا رسول الله .

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية [رسول الله^(٢)] .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين عن : (ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٧٩)

(٢) مكان هذين اللفظين بياض في الأصل ، وقد ذكرنا في نسخة (ج) *

والقراءة في الصلاة :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتجدد لأوليائه بأوليائه ، » قل إن الأهلّة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عند السنين والحساب والشهور والآيام ، وباطنها لأوليائي الذين عرفوا عبادي وسيلتي ، فاتقوني يا أولى الألباب ، وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى أباهو عبادى وأمتحن خلقى ، فمن صبر على بلائى ومحتنى واختبارى أدخلته فى جنتى ، وأخلدته فى نعيمى ، ومن زال عن أمرى ، وكذّب رسلى أدخلته مهاناً فى عداي ، وأتممت أجلى ، وأظهرت أمرى على ألعنة رسلى ، وأنا الذى لم يعمل جباراً إلا وضعته ، ولا عزيز إلا أذلته ، وليس الذى أصر على أمره ، وداوم على جهاته ، وقال إن نبرح عليه عاكفين وبه موثقين ، أولئك هم الكافرون . »

ثم يركع^(١) .

ومن شرائعه :

صيام يومين فى السنة هما : المهرجان^(٢) ، والنوروز^(٣) .

وأن الخمر حلال .

ولا غُسل من جنابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة .

(١) فى (ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ١٧٩) بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هذا نصها : « ويقول فى ركوعه : سبحان ربى رب العزة وتعالى عما يصصف الظالمون ، بقولها مرتين ، فإذا سجد قال : « الله اعلى ، الله اعلى ، الله اعلى ، الله اعظم ، الله اعظم » .
(٢) كان المهرجان من اعياد الفرس القديمة ، وقد عرفه (الخفاجى : شفاء القليل ، ص ٢٠٦) فقال : « هو اول نزول الشمس فى برج الميزان ، وقع فى شمس السرى والبهترى ، ولم يرد فى الكلام القديم » .

(٣) النوروز - ويقال النيروز - لفظ فارسي معرب ، ومعناه اليوم الجديد ، وكان الفرس يتخذونه عيداً أيضاً ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعى - ٢١ مارس - وذكر المقريزى فى (الخسطط ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ - ٣٩١) ان القبط كانوا يحتفلون به ، وانما كان يوافق عندهم اول توت ، أى اول السنة القبطية ، كما ذكر ان الفاطميين كانوا يحتفلون به عيداً من اعيادهم ، وأن أول من فعل ذلك المعز فى سنة ٣٦٣ ، أى بعد مجيئه الى مصر بسنة واحدة ، ثم دأبوا على الاحتفال به الى آخر الدولة وانظر مراسم الاحتفال به فى نفس المرجع ، ولتفسير اللفظ انظر أيضاً العرب للجوالقى) .

وَأَنْ لَا يُؤْكَلَ مَالُهُ نَابٍ وَلَا مَخْطَبٌ .

وَلَا يُشْرَبُ النَّبِيذُ .

وَأَنَّ الْقِبْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَالْحَجَّ إِلَيْهِ .

وَأَنَّ الْجُمُعَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَا يُعْمَلُ فِيهِ شُغْلٌ .

ولما حضرته الوفاة جعل مكانه حَمْدَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ قَرْمَطٌ ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكياً داهيةً .

فكان من أجباه : مَهْرُوتَيْهَ بْنِ زَكْرُوتَيْهِ السُّلَمَانِي ، وَجَلَنْدِي الرَّاظِي ، وَعِكْرَمَةُ الْبَابِلِي ؛ وَإِسْحَاقُ السُّورَانِي^(١) ، وَحُطَيْفُ النَّبِيلِي ، وَغَيْرُهُمْ ، وَبَثَّ دَعَايَهُ فِي السَّوَادِ يَأْخُذُونَ عَلَى النَّاسِ . وكان أكبر دعاته عُبْدَانُ ، وكان فطناً خبيثاً ، خارجاً عن طبقة نظرائه من أهل السواد ، ذاهمهم وحلثهم ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له من غير أن يتجاوز به إلى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو إلى الإمام من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محمد ابن إسماعيل بن جعفر .

فكان أحد من تبع عُبْدَانَ زَكْرُوتَيْهَ بْنِ مَهْرُوتَيْهِ ، وكان شاباً ذكياً فطناً من قرية بسواد الكوفة على نهر هذ ، فنصبه عُبْدَانُ عَلَى إِقْلِيمِ نَهْرِ هَذَا وَمَا وَالَاهُ ، وَبَيْنَ قَبِيلَيْهِ جَمَاعَةٌ دَعَاةٌ^(٢) مَتَفَرِّقُونَ^(٣) فِي عَمَلِهِ .

وكان [٢٤٤] داعيةً عُبْدَانَ عَلَى فُرَاتٍ بِأَدْفَلِي : الْحَسَنُ^(٤) بْنُ أَيْمَنَ ، وداعيته على طُسُوجٍ تُشْتَرُ : المعروف بالبوراني - وإليه نسب البوراتية - ، وداعيته على جهة أخرى : المعروف بوليد ، وفي أخرى : أبو الفوارس . وهؤلاء رؤساء دعاة عُبْدَانَ ، ولهم دعاة تحت أيديهم ، فكان كلُّ داعٍ يدور في عمله ويتعامله في كلِّ شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة .

(١) ج : السوداني

(٢) الأصل : « دعاة جماعة » وما هنا صيغة (ج) .

(٣) في النسختين : « متفرقين » .

(٤) الأصل : « بأدفل بن يمن » والتصحيح من (ج) .

ودخل في دعوته من العرب طائفة ، فنصب فيهم دعاة ، فلم يتخلف عنه رفاى ولا ضبعى ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن إلا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل : من بنى عابس ، وذهل ، وعزنة ، وبنى ثعل ، وغيرهم من بنى شيبان ؛ فقوى قَرْمَط . وزاد طمعه ، فأخذ في جمع الأموال من قومه :

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد ، وسى ذلك : « الفُطْرَة » ، على كل أحد من الرجال والنساء ، فسارحوا إلى ذلك .

فتركهم مُدْبِئَة ، ثم قرَّض « الهِجْرَة » ، وهو دينار على كلِّ رأس أذْرَكَة ، وتلا قوله تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ » ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) .

وقال : « هذا تأويل هذا » .

فدفعوا ذلك إليه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيرا أسعفوه .

فتركهم مُدْبِئَة ، ثم فرض عليهم « البُلْغَة » وهى سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو البرهان الذى أراد الله بقوله :

« قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (٢) .

وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الإيمان ، والنحول في السابقين المذكورين في قوله تعالى : « وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ » (٣) .

وصنع طعاما طيبا حلوا للذبا ، وجعله على قدر البنادق ، يُطعم كل من أَدَّى إليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل إلى الإمام ، فكان يُنفذ إلى كلِّ داعٍ منها مائة بُلْغَة ، ويطلبه بسبعمائة دينار ، لكل واحدة منها سبعة دنانير .

(١) الآية رقم ١١٣ م ، السورة ٩ (التوبة)

(٢) الآية ١١١ م ، السورة ٢ (البقرة)

(٣) الآية ١٠ ك ، السورة ٥٦ (الواقعة)

فلما توطأ له الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ^(١) » - الآية - ، فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا ذلك إليه ، فكانت المرأة تُخرج خمس ما تغزل ، والرجل يُخرج خمس ما يكسبه .

فلما تم ذلك فرض عليهم الألفة ، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ^(٢) » - الآية - ، وقوله تعالى : « لو أنفق ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ^(٣) » .

وعرفهم أنه لا حاجة بهم إلى أموال تكون معهم ، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون » .
وطالبهم بشراء السلاح وإعداده .

وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاة في كل قرية : رجلا مختارا من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحل ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم ، وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيرا يئسهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ؛ وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ^(٤) ، ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت المرأة كسبها من منزلها ، والصبي أجرة نظارته للطير ، وأتوه به ، فلم يملك أحد منهم إلا سيفه وسلاحه .

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ، ويتراكن ولا يتنافرن ، فإن ذلك من صحة الود والألفة بينهم .

(١) الآية ٤١ م ، السورة ٨ (الأنفال)

(٢) الآية ١٠٣ م ، السورة ٣ (آل عمران)

(٣) الآية ٦٣ م ، السورة ٨ (الأنفال)

(٤) (ج) « والكسب جهده » .

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبين مقدار عقولهم ، أخذ في تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية ، فسلكوا معه في ذلك حتى يقضى ما كان يأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى ، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الأموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم - وأن أموال المخالفين وديارهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغني [عن] كل شيء ، ولا يخاف منه إثم ولا عذاب - يعني إمامه الذي يدعو إليه ، وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق - وأنه الإمام المهدي الذي [١٢٥] يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعي إنما يأخذها على الناس له ، وأن ما يجمع من الأموال مخزون له إلى أن يظهر ، وأنه حتى لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان ، وأنه مهدي الأمة .

فلما أظهر هذه الأمور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسول والحجة والإمام ، وأنه المعول والمقصود والمراد ، وبه اتسقت هذه الأمور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعلم الهدى والعلم ، ظهر في كثير منهم الفجور ، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاورهم - جزعاً منهم - .

ثم إن الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعاً يكون وطناً ودار هجرة مهاجرون إليها ، ويجمعون بها ، فاختراروا من سواد الكوفة - في طسوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات - قرية تُعرف « بهتَمَباد »^(١) ، فحاذوا^(٢) إليها صخراً عظيماً ، ثم بنوا^(٣) حولها سوراً منيعاً عرضه ثمانى أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البناء العظيم ، وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسُميت « دار الهجرة » ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلم يبق حينئذٍ أحد إلا خافهم ، ولا بقى أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد .

(١) (ج) : « بهتَمَباد » ، وما في الأصل هو الصواب .

(٢) الأصل : « فجاروا » ، وما هنا صيغة (ج) .

(٣) (ج) : « وبنوا » .

وكان الذي أحانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفشنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصريد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الأعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكّن هؤلاء ، وبسطوا أيديهم في البلاد ، وعلت كلمتهم . وكان منهم مهرويه أحد الدعاة في مبدأ أمره ينظر^(١) النخل ويأخذ أجرتة ثمرا فيفرغ منه النوا ويتصدق به ، ويبيع النوا ويتقوت به ، فعظم في أعين الناس قدره ، وصارت له مرتبة في الثقة والدين ، فصار إلى صاحب الزنج لما ظهر على السلطان وقال له .
« ورائي مائة ألف ضارب سيف أعينك بهم » .

فلم يلتفت إلى قوله ، ولم يجد فيه مطما ، فرجع وعظم بعد ذلك في السواد ، وانقاد إليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ، فقيل له :
« لم يكن لمحمد بن إسماعيل ابن يقال له عبد الله » .

فكف عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك في قبة على جبل ، ودعى بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ، وسيأتي ذكر ابنه زكرويه ، وابن ابنه الحسين بن زكرويه إن شاء الله .
وكان رجل من أهل قرية جَنَابَة^(٢) يعمل القراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجَنَابِي^(٣) ، أصله من الفرس ، سافر إلى سواد الكوفة ، وتزوج من قوم يقال لهم : « بنو

(١) ينظر بمعنى ينظر أو يحرس ، ومنها الناطور - أو الناطور - وهو مايقام من أشباه الناس وسط الزرع لحراسته من الطير . انظر : (المعرب للجواليقي ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥)

(٢) في الأصل : « جنابا » دون ضبط ، وما هنا عن (ياقوت : معجم البلدان) حيث هرفها بقوله أنها بلدة صغيرة من سواحل فارس ، ثم ذكر أنه رأها غير مرة ، وإنها ليست على ساحل البحر الأعظم ، إنما يدخل عليها في المراكب في خليج من البحر الملح يكون بين المدينة والبحر نحو ثلاثة أميال أو أقل ، وقبلتها في وسط البحر جزيرة خازك ، وفي شمالها من جهة البصرة مهروبان . الخ » .

(٣) يوجد بالهامش في النسختين تعريف بهذا الرجل ، نصه :

« اختلف في أبي سعيد الجنابي ، فقال قوم : اسمه الحسن بن علي بن محمد بن عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأنه صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد مسنة خمسين ومائتين ، وأن علي بن محمد كان مقبلا بهجر ، ويعرف أنه شريف ويكرم ويعطى . ثم أنه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن إبراهيم بارض البحرين ، فأنصرف إلى القطيف ، وبنى بام أبي سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف إلى الاحساء ، وظهر الحمل بام أبي سعيد ، فلما ولدته سمته الحسن ، وكنته بابي سعيد ، وكنته سنة خروا عليه ، وتزوجت برجل من أهل جنابة ، فنسب أبو سعيد إليه ، ونسب آل علي رجل من أهل جنابة ، ينتسب إلى من هو ربيب له ، وقيل ماذكر في الأصل » .

القصار « كانوا من أصول هذه الدعوة ، فأخذ عن عبّادان ، وقيل بل أخذ عن حَمْدَان قَرَمَط . ، وسار داعيةً ، فنزل القَطِيف - وهي حينئذ مدينة عظيمة - فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسين بن سُنْبَر ، وعلى بن سُنْبَر ، وحَمْدَان بن سُنْبَر ، في قوم ضعفاء ، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا ، أنفله عبّادان قبل أبي سعيد وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبي سعيد^(١) وقبض عليه^(٢) وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قتله .

واتفق أن البلد كان واسعا ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شِدَادُ جُهَال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، حتى اشتدَّت شوكتُه . وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفرَّ منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفاً من شرِّه ، ولم يمتنع عليه إلا هَجَرَ^(٣) - وهي مدينة البحرين^(٤) ومنزل سلطانها ، وبها التجار والوجوه - فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلا .

وارتفع فنزل الأحساء^(٥) - وبينها وبين هَجَرَ ميلان - فابتنى بها دارا ، وجعلها منزلا ، وتقدم في زراعة الأرض وعمارتها [٢٥ ب] ، وكان يركب إلى مَجَرَ ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها .

ودعا العرب فأجابه بنو الأَضْبَط من كلاب ، وساروا إليه بحرهم وأموالهم ، فأنزلهم^(٦) الأحساء ، وأطمعوه في بني كلاب ، وسائر من يقرب منه من العرب فضم إليهم رجالا ، وساروا فأكثروا من القتل ، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلى الأحساء ، فدخل الناس في طاعته ، فوجّه جيشاً إلى بني حَقِيل فظفر بهم ، ودخلوا في طاعته .

(١) هذان اللغتان ساقطتان من (ج) .

(٢) لم يزد ياقوت في تعريفه هجر عما جاء في المتن هنا ، فقد قال : «وهي قاعدة البحرين» .
وانما ذكر أن هناك عدة مدن - غير هجر البحرين - تحمل نفس الاسم .

(٣) قال ياقوت : « البحرين اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان » .

(٤) ذكر في هامش ج أمام هذا اللفظ : « الأحساء مدينة على البحر الفارسي تقابل جزيرة أوال ، والأحساء مدينة صغيرة بها أسواق » .

(٥) الأصل : « فأنزلوه والتصحيح عن (ج) » .

فلما اجتمع إليه العرب منهم مُلْكُ الأرض كلها ، وردَّ إلى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد ، ولم يرد عبداً ولا أمة ولا إبلا ولا صبيّاً إلا أن يكون دون الأربع سنين .

وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قوماً ، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه ، ووَسَمَهُم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان ، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعاً لهم .

وقبض كلُّ مال في البلد ، والثَّار ، والحنطة ، والشعير .

وأقام رعاةً للإبل والغنم ، ومعهم قوم لحظها ، والتنقل معها على نوب معروفة .

وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه .

هذا وهو لا يفغل عن هَجَر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهراً حتى أَكَلُوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشي بها الرجال إلى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتل ، ثم انصرف عنهم إلى الأحساء ، وباكرهم فناوشوه ، فانصرف إلى قرب الأحساء ، ثم عاد في خيل ، فدار حول حجر يفكر فيها يكيدهم به ، فإذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء ، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها ، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ، ثم ينزل إلى النخل فيسقيه ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم .

فلما تبين له أمر العين انصرف إلى الأحساء ، ثم غدا فلوقوف على باب المدينة رجالا كثيرا ، ورجع إلى الأحساء ، وجمع الناس كلهم ، وصار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان وَوَرَّ وصوف ، وأمر بجمع الحجارة ونقلها إلى العين ، وأعدَّ الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة ، فقلقت العين ، ولم يُغْنِ^(١) ما فعله شيئا ، فانصرف إلى الأحساء بمن معه .

(١) (ج) : فلم يغير .

وغدا في خيل فغرب البر حتى عرف أن انتهى العيين بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحواً من ميلين ، ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى^(١) حفره إلى السباخ ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل على هجر... وقد انقطع الماء عنهم - ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم في دعوته ، وخرجوا إليه فنقلهم إلى الأحساء ، وبقيت طائفة لم يفرّوا لمجزهم ، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم ، وأخذوا في المدينة ، وأخربها فبقيت خراباً ، وصارت مدينة البحرين هي الأحساء .

ثم أنفذ سرية إلى عُمان في ستائة ، وأردفهم بستائة أخرى ، فقاتلهم أهل عُمان حتى نفيانوا ، وبقي من أهل عُمان خمسة نفر ، ومن القرامطة ستة نفر ، فلاحقوا بلأبي سعيد ، فأمر بهم فقتلوا ، وقال :

« هؤلاء خاسوا بمهلكي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا » .

وتعليق بهلاك السرية ، وكف عن أهل عُمان .

واتصل بالمتضد بالله خبره ، فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباس بن عمرو الفنوي^(٢) في ألفي رجل ، وولاه البحرين ، فخرج في سنة تسع وثمانين ومائتين والتقى مع أبي سعيد ، فانهزم أصحابه ، وأمر العباس في نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتوا على عسكره ، وقتل من غده^(٣) جميع الأسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ، ومضى المنهزمون فناه أكثرهم في البر ، وتلف كثير منهم عطشاً ، وورد بعضهم إلى البصرة ، فارتاع الناس وأخذوا في الرحيل عن البصرة .

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو وقال له :

(١) (ج) : « في حفره » .

(٢) الفنوي ، هكذا ضبطها (ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب) ، وقال : « هذه النسبة إلى الفتي بن أمهر سوقييل بمصر - واسمه منه بن سعد بن قيس عيلان - ينسب إليه كثير الخ » .

(٣) (ج) : « من غد يومه » .

« انحب أن أطلقك » ؟

قال : « نعم » .

قال : « على أن تُبَلِّغَ عني ما أقول صاحبك » .

[٢٦] قال : « أفعل » .

قال : « تقول له : الذي أنزل بجيشك ما أنزل بَقِيَّتِكَ ، هذا بلدٌ خارج عن يدك ، غلبت عليه ، وقمت به ، وكان في من الفضل ما آخذ به غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخذت لك سبيلا ، ولا نلتُ أحدًا من رعيتهك بسوء ، فتوجهك إلى الجيوش لأني سبي ؟ أعلم أنني لا أخرج عن هذا البلد ، ولا توصل إليه وفي هذه العصابة التي معي روح ، فأخفي نفسك ، ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولا تصل إلى مرادك [منه] ^(١) إلا ببلوغ القلوب الحناجر » .

وأطلقه ، وبعث معه من يرده إلى مأمته ، فوصل إلى بغداد في شهر رمضان ، وقد كان الناس يحفظون أمره ويكبرون ذكره ، ويسمونهم « قائد الشهداء » ، فلما وصل إلى المعتضد عاتبه على تركه التحرز فاعتذر ، ولم يبرح حتى رضى عنه .

وسأله عن خبره ، فعرفه جميعه ، وبلفه ما قاله القرمطي ، فقال :

« صدق ، ما أخذ شيئًا كان في أيدينا » .

وأطرق مفكرًا ، ثم رفع رأسه وقال :

« كذب علو الله الكافر ، المسلمون رعيي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال في عمرى لأشخصن بنفسى إلى البصرة وجميع غلماي ، ولأوجهن إليه جيشًا كنيفا ، فإن هزمه وجهت جيشا ، فإن هزمه خرجت في جميع قوادى وجيشي إليه حتى يحكم الله بيني وبينه » .
فشغل المعتضد عن القرمطي بأمر وصيف غلام أبي الساج .

ثم توفي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وما يزال يذكر أبا سعيد الجنابي في مرضه ، ويتلهف ويقول :

(١) ما بين الحاصرتين عن (ج) .

وحسرة في نفسى كنت أحب أن أبلغها قبل موتى ، والله لقد كنت وضعت عند نفسى أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ، ثم لا أتى أحدا أطول من سيقى إلا ضربت عنقه ، وإلى أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة .

وأقبل أبو سعيد - بعد إطلاق العباس - على جمع الخيل ، وإعداد السلاح ، ونسج الدروع والمخافر ، واتخاذ الإبل ، وإصلاح الرجال ، وضرب السيوف والأسنة ، واتخاذ الروايا والمزاد والقرب^(١) ، وتعليم الصبيان القروسية ، وطرده الأعراب من قريته ، وسد الوجوه التى يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل ، وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقددها ، ونصب الأمناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده أن الشاة إذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والأكارع والبطن إلى الصبيد والإماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ، ثم يدفعه إلى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويقتل منه حبال ، ويسلم الجلد إلى الدباغ ، ثم إلى خرازى القرب والروايا ، والمزاد ، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفا فأعمل^(٢) منه ، ثم يجمع ذلك كله إلى خزائن .

فكان ذلك دأبه لا يفعله ، ويوجه كل قليل خيلا إلى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم إليه ويستعملهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيئته في صدور الناس .

وواقع بنى ضبة وقائع مشهورة فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبسا عظيما جمعهم فيه ، وسد عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يثبهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيرا بحال الموتى وقد تغلبوا بلحوم الموتى ، فحسامهم وخلائم فمات أكثرهم .

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى إذا دخل الحمام معه - وكانت الحمام فى داره - فأعد الخادم خنجرًا ماضيا

(١) (ج) : : والقوت .

(٢) (ج) : : عمل منه .

- والحمام خالي - فلما تمكن منه ذبحه ، ثم خرج فقال : « يدعى فلان » ، لبعض بني سُئْبَر
فأُحْضِر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ،
فدخل آخرهم فإذا في البيت الأول دم جار ، فارتأب وخرج مبادرا ، وأعلم الناس ، فحصبوا
الخدام حتى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى ، [٢٦ ب] وذلك في سنة إحدى وثلاثمائة ،
وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين .

وكانت سنة يوم قتله نييفا وستين سنة .

وترك أبو سعيد من الأولاد :

أبى القاسم سعيدا .

وأبى طاهر سليمان .

وأبى منصور أحمد .

وأبى إسحاق إبراهيم .

وأبى العباس محمدا .

وأبى يعقوب يوسف .

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى إن حدث به موت يكون القيم بأمرهم
سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد ، فإذا كبر أبو طاهر
كالمدبر ، فلما قُتل جرى الأمر على ذلك .

وكان قد قال لهم سيكون الفتوح له ، فجلس سعيد يدبر الأمر بعد قتل [أبيه] ، وأمر
فشد الخدام بحبال ، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات ، فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة

سلم سعيد إلى أخيه أبي طاهر سليمان الأمر ، فعظموا أمره .

وكان ابتداء أمر أبي سعيد الحسن (١) بن بهرام الجنابي بالقطفيف وما والاها في سنة
ست وثمانين ومائتين ، فكانت ملته نحو خمس عشرة سنة .

(١) الأصل : « أبى سعيد بن بهرام » ، وما هنا صيغة (ج) .

الصناديق

وفيها استولى التجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديق على اليمن ، وكانت جيوشه بالمُذَيْخَرَة^(١) وسَهْفَنَة^(٢) ، وكان ابن أبي الفوارس - أحد دعاة عَبدان - أنفذه داعيا إلى اليمن ، وكان من أهل النُرمس^(٣) - موضع يعمل فيه الثياب الترسى ، وكان يعمل من الكُنان - فصار إلى اليمن ، ودخل في دعوته خلق كثير ، فأظهر العظام وقتل الأطفال ، وسب النساء ، وتسمى برب العِزَّة ، وكان يُكاتب بذلك ، وأعلن سب النبي - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء ، واتخذ دارا خاصة^(٤) سماها « دار الصَّفوة » يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، ويحفظ من تحبل منهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الأولاد لنفسه خوفاً ، ويسميه « أولاد الصَّفوة » .

قال بعضهم :

« دخلت إليها لأنظر فسمعتُ امرأة تقول : « يا بني » ، فقال : يا أمة نريد أن نُمضى أمرَ ولي الله فينا » .

وكان يقول : « إذا فقام هذا لم يتميز الـ من مال ، ولا ولد من ولد ، فتكونوا كتنفس واحدة » .

فعمدت ففتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهلته عنه ، وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمداً

- (١) عرفها ياقوت بأنها قلعة حصينة في رأس جبل صبر من أعمال صنعاء باليمن .
 (٢) (ج) : « سهفنة » وما بالأصل هو الصواب ، وسهفنة قرية قبلى الجند على ثلاث مراحل منها لدى سفال ، وتسمى الآن سفنة ، يحلف الهاء على التخفيف - انظر : (عمر بن علي ابن سيرة الجعدي : طبقات فقهاء اليمن ، نشر فؤاد السيد ، ص ٣١٨) .
 (٣) ذكر ياقوت أن نرس نهر يأخذ من الفرات ، عليه بلدة قري ، واليه تنسب الثياب النرسية ، وقال صاحب تاج العروس : نرس - بالفتح ثم السكون - بلدة بالعراق .. منها الثياب النرسية .
 (٤) (ج) : « دار افاضة » وهو خطأ واضح .

ابن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى الهادى (١) ، وأزاله عن صَليِّهِ من صِندَةِ فِرْعَونَ منه بعباله إلى الرِّسِّ ، ثم أَظْفَرَهُ اللهُ به فهِزَمَهُ بِأَمْرِ اللهِ ، وهو أَنَّ اللهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ أَتَى عَلَى عِصْكَرِهِ وَقَدْ بَايْتَهُ بَرْدًا وَتَلَجَا قَتَلَ بِهِ أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَقَلَمًا عُرِفَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ .

وَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ الْأَكَلَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَاسِمَ أَنْفَلَ إِلَيْهِ طَبِيبًا يَبْضِيعُ مَسْجُومَ فَصَدَهُ بِهِ فَقَتَلَهُ ، وَأَنْزَلَ اللهُ بِالْبِلْدَانِ الَّتِي غَابَ عَلَيْهَا يَثْرًا يَخْرُجُ فِي كَتَفِ الرَّجُلِ مِنْهُمْ بَثْرَةٌ فَيَمُوتُ سَرِيعًا ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْيَثْرُ - بِتِلْكَ الْبِلَادِ - « حَيَّةَ الْقَرْمَطِيِّ » مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ .

وَأَخْرَبَ اللهُ أَكْثَرَ تِلْكَ الْبِلَادِ الَّتِي مَلَكَهَا ، وَأَفْنَى أَهْلَهَا بِمَوْتِ ذُرِّيَعٍ ، فَاتَّعَصَمَ ابْنُهُ بِجِبَالٍ وَأَقَامَ بِهَا ، وَكَاتَبَ أَهْلَ دَعْوَتِهِمْ ، وَعَوَّنَ كُتُبَهُ :

« مِنْ ابْنِ رَبِّ الْعِزَّةِ » .

فَأَمْلَكَهُ اللهُ ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ ، فَاسْتَأْمَنُوا إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ الْهَادِي ، وَلَمْ يَبْقَ لِلنَّجَارِ - لَعْنَةُ اللهِ - وَلَا لِمَنْ كَانَ عَلَى دَعْوَتِهِ بَقِيَّةٌ .

وَكَانَ قَرْمَطٌ يَكَاتِبُ مَنْ يَسْلُجِيَّةً ، فَلَمَّا مَاتَ مِنْ كَانَ فِي وَقْتِهِ ، وَخَلَفَهُ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ . كَتَبَ إِلَى قَرْمَطٍ فَأَنْكَرَ مِنْهُ أَشْيَاءَ ، فَاسْتَرَابَ وَبَعَثَ ابْنُ مَالِيحٍ - أَحَدُ دُعَاتِهِ - لِيَعْرِفَ الْخَبَرَ . فَامْتَنَعَ ، فَأَتَفَّدَ عِبْدَانِ ، وَعَرَفَ مَوْتَ الَّذِي كَانُوا يَكَاتِبُونَهُ ، فَسَأَلَ ابْنَهُ عَنِ الْحُجَّةِ ، وَمَنْ الْإِمَامُ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْإِمَامُ :

« وَمَنِ الْإِمَامُ ؟ »

فَقَالَ عِبْدَانُ : « مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ صَاحِبِ الزَّمَانِ » .

فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : « لَمْ يَكُنْ إِمَامٌ غَيْرَ أَبِي ، وَأَنَا أَقُومُ مَقَامَهُ » .

(١) غير الأصل : « القاسم بن أحمد بن يحيى » . الفح . والصواب ما ذكرناه ، وقسّد تولى أبو القاسم محمد بن يحيى الإمامة الزيدية من ٢٩٩ إلى ٣٠١ وخلفه أخوه الإمام الناصر أحمد ابن يحيى بن الحسين واستمر على مقاتلة الداعيتين على بن الفضل الذي توفي سنة ٣٠٢ ومنصور اليمن الذي توفي سنة ٣٠٣ هـ .

فرجع عبدان إلى قَرْمَظ ، وعرفه الخير ، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقا من قول صاحب سَلْجِيَّة : « لا حق لمحمد بن إسماعيل في هذا الأمر ولا إمامة » .

وكان قَرْمَظ إذا يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل ، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها امتلئت في سائر الأقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بِسَلْجِيَّة (١) .

وكان رجل منهم قد نغذ إلى الطَّلِيقان بيتُ الدعوة ، فلما انقطعت المكاتبة طال [٢٧] انتظاره ، فشخص يسأل عن قَرْمَظ ، فنزل على عَبدان بسواد الكوفة ، فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم ، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأنهم لا يمودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فانصرف عنه إلى زَكْرَوِيَّة بن مِهْرَوِيَّة ليدعو كما كان أبوه ، ويجمع الرجال ، فقال زَكْرَوِيَّة :

« إن هذا لا يتم مع عَبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبله ، والوجه أن نحال على عَبدان حتى نقتله » .

وباطن (٢) على ذلك جماعة من قرابته وثقاته . وقال لهم :

« إن عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » .

فبيتوه ليلاً وقتلوه ، فشح ذلك ، وطلب الدعاة وأصحاب قَرْمَظ . زَكْرَوِيَّة بن مِهْرَوِيَّة ليقبضوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم إلا أصل دعوته ، وتنقل في القرى - وذلك في سنة ست وثمانين - والقرامطة تطلبه إلى سنة ثمان وثمانين ، فأنفذ ابنه الحسن إلى الشام ، ومعه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمد ، وأمره أن يقصد بني كلاب ، وينتسب إلى محمد بن إسماعيل ، ويدهوهم إلى الإمام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني الطليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث إلى زكرويه يخبر بمن استجاب له بالشام ، فقص إليه

(١) المقصود بالذين بسلمية دعاة الفاطميين قبل انتقالهم إلى المغرب وظهرهم ، وهذه إشارة هامة إلى بدء قطع العلاقات بين دعاة الفاطميين في الشام والقرامطة بعد أن كانت الدعواتان متفتحتين .

(٢) (ج) : « وماطن » ، ولا معنى لها .

ابن أخيه - فتسمى بالمدثر لقباً ، ويعبد الله اسماً ، وتقول أنه المذكور في القرآن بالمدثر ويقال^(١) إن المدثر هذا اسمه عيسى بن مهيدي ، وأنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وعهد إليه صاحب الخال من بعده^(٢) ، وغلاماً من بني مهرويه يتلقب بالمطوق^(٣) - وكان سيفاً^(٤) -

وكتب إلى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة له ، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله ، وقيل^(٥) على بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا إنما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة ، وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال ، القائم من بعده^(٦) ، فسار حتى نزل في بني كليب^(٧) ، فلقبه الحسن بن زكرويه ، وسُرَّ به ، وجمع له الجمع ، وقال : « هذا صاحب الامام » ، فامتثلوا أمره ، وسروا به ، فمَرَّهم بالاستعداد للحرب ، وقال : « قد أظلم النصر » ، ففعلوا ذلك .

واتصلت أخبارهم بشبل النَيْلَمِي - مولى المعتضد - في سنة تسع وثمانين ، فقصدهم ، فحاربوه وقتلوه في عدة من أصحابه بالرُصافة من غربي القرات ، ودخلوها فأحرقوا مسجدها ونهبوا . وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها إلى أن وردوا أطراف دمشق ، وكان عليها طنج بن جُفٍّ من قِبَل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون - فبرز إليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه ، والتجأ إلى دمشق فحصره وقتلوه .

وكان القرمطي يحضر الحرب على ناقة ، ويقول لأصحابه :

« لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فإذا سارت فاحملوا ، فإنه لا تُردُّ لكم راية ، إذ^(٨) كانت مأمورة » .

(١) هذه الجملة وردت في الهامش في نسخة (ج) ، أما في الأصل فقد وضعت في المتن كما اثبتناها هنا

(٢) (ج) : « المطوف » .

(٣) (ج) : « شيافا » .

(٤) هذه الفقرة وردت في الهامش في نسخة (ج) ، ولكنها أدخلت في المتن في نسخة الأصل .

(٥) كذلك في الأصل ، وفي (ج) : « بني كليب » .

(٦) كذلك في الأصل ، وفي (ج) : « اذا » .

فسمى بذلك : « صاحب الناقة » .

فأقام طُفَّحُ سبعة أشهر محصوراً بدمشق ، فكتب إلى مصر يأنه محصور وقد قُتل أكثر أصحابه وضرب البلد ، فأنفذ إليه بدر الكبير - غلام ابن طولون المعروف بالحمائم - فسار حتى قرب من دمشق ، فاجتمع هو وطُفَّح على محاربة القرمطى بقرب دمشق ، فقتل القرمطى واحتمى أصحابه وانمازوا ، فمضوا ، وكان [القرمطى] قد ضرب دواهم ودنانير وكتب عليها :

« قل جاء الحق وزهق الباطل » .

وفى الوجه الآخر : « (لا إله إلا الله) ، قل لا أسألكم عليه أجراً (٢) إلا المودة

في القربى » .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قُتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه - وهو الذي يقال له أحمد بن عبد الله ، ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد ابن إسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف « بصاحب الخال » - ، فسارهم ، وافتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقاً ، وتسمى بأمر المؤمنين المهدي على المنابر وفي كتبه ، وذلك في سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين .

ثم صاروا إلى الرقة ، فخرج إليهم مولى المكتنى وواقعهم فهزمه وقتلوه ، واستباحوا عسكره ، ورجعوا إلى [٢٧ ب] دمشق وهم ينهبون جميع ما يمرون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ، فخرج إليهم جيش كثيف عليه بشير - غلام طُفَّح - وقتلهم حتى قُتل في خلق من أصحابه .

وانصل ذلك بالمكتنى بالله فندب أبا الأغرّ السلمي - في عشرة آلاف - وخلع عليه ثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين ، فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوق ، فانهمز أبو الأغرّ ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أثوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الأغرّ بطائفة من

(١) هذه الجملة ساقطة من (ج) .

(٢) هذا اللفظ ساقط من (ج) .

أصحابه ، فالتجأوا بحلب ، وصار في نحو الألف ، فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شيء فأنصرفوا .

وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه ، وسار بهم إلى حمص ، فخطب له على منابرهما .

ثم سار إلى حماة والمرة ، فقتل الرجال والنساء والأطفال ، ورجع إلى بعلبك فقتل عامة أهلها .

ثم سار إلى سامية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأنهزم ، ودخلها فبدأ بن فيها من بنى هاشم . وكانوا جماعة - فقتلهم .

ثم كرر على أهلها فقتلهم أجمعين ، وخرّبها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، فلم يمر بقريّة إلا أخرجها ، ولم يدع فيها أحدا ، فخرّب البلاد وقتل الناس ، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال طنج (١) ، وبقي في عدة يسيرة ، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاومهم إلا العامة وقد أشرفوا على المهلكة ، ففكر الضبيج ببغداد ، واجتمعت العامة إلى يوسف بن يعقوب القاضي ، وسألوه إتياء الخبر إلى السلطان .

ووردت الكتب من مصر إلى المكتفي يخبر قتل عسكرهم الذي خرج إلى الشام بيد القرامطة ، وخراب الشام ، فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد ، وخرج إلى مضربه في القواد والجند لا ثقی عشرة خلعت من رمضان ، ورضي نحو الرقة بالجيش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص ، وقتل محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشا كثيفا - وكان صاحب ديوان الحطاء - .

وعارض الجيش فسار إليهم والتفاهم لست خلون من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فالتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا ملهين .

(١) هذا اللفظ غير موجود في (ج) .

وكان الحسن بن زكرويه^(١) لما أحس بالجيش^(٢) اصطفى مقاتلة من معه ، ورتب أحوالهم ، فلما^(٣) انهزم أصحابه^(٤) رحل من وقته ، وتلاحق به من أفلت ، فقال لهم : « أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وأنكم لم تصدقوا الله » ، وحرّضهم على المعادة إلى الحرب ، فاعتلوا يفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم :

« قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ودعائي بها ينتظرون أمري ، وقد غلبت من السلطان الآن ، وأنا شاخصٌ نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد - صاحبي - ، وكنتي ترد عليه بما يعمل ، فاسمعو وأطيعوا » .

فضمّنوا ذلك له ، وشخص معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه المسمى « بالمدثر » ، وصاحبه المعروف « بالطوق » ، وغلّام له روى ، وأخذ دليلاً يرشدهم إلى الطريق ، فماروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك البر ، وتجنّب القرى والمدن حتى صار قريباً من الرحبة بموضع يقال له الدالية ، فأمر الدليل فمال بهم إليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من معه لابتياح ما يصلحه ، فدخل القرية فأتى بعض أهلها زيه ، وسأله عن أمره ، فورى وتلجلج^(٥) ، فارتاب به وقبض عليه ، وأتى به واليها - ويقال له أبو خبزة أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ، والدالية قرية من عمل^(٦) الفرات - فسأله أبو خبزة ورهب عليه ، فعرفه أن القرمطي الذي خرج الخليفة المكتن في طلبه خلف رابية أشار إليها ، فسار الوالي مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقاً ، وتوجه بهم إلى ابن كشمرد ، فصار بهم إلى المكتن - وهو بالرقّة - ، فشهروهم بالرقّة ، وعلى الحسن بن زكرويه درّاعة ديباج وبرئس حرير ، وعلى المدثر درّاعة^(٧) وبرئس^(٨) حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم .

(١) مكان هبته الألفاظ بياض في نسخة (ج) .

(٢) (ج) : « وانخلج » .

(٣) هذا اللفظ صاقط من (ج) .

(٤) الدراعة ، والمدرع ، ضرب من الثياب التي تلبس ، وقيل جبة مشقوقة المقدم انظر :

(اللسان) و (Dozy: Dict. Vêts; Supp. Dict. Arab.)

(٥) البرنس - ويقال برنوس يفتح الباء وضمها - قلنسوة طويلة كان النساء يلبسونها في صدر الاسلام ، أو هي كل ثوب رأسه منه - دراعة كان أوجبة أو ممطرا - ، ومنه : برنسه . فبرنس أي البسة البرنس فلبسه . انظر : (محيط المحيط) و

(Dozy Dict. Vêts; Supp. Dict. Arab.)

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه إلى الرقة - ومعه الأسرى - فخلّف المكتنى عساكره مع محمد ابن سليمان بالرقة ، وشَخَّصَ في خاصته وعلمانه ، وتبعه وزيره [٢٨] القاسم بن حُبَيْد الله إلى بغداد ، ومعه القَرَمَطِيُّ وأصحابه .

فلما صار إلى بغداد عَمِلَ له كرسى سُمِّكَ ذراعان ونصف ، ورُكِّبَ على فيل وأركب عليه ، ودخل المكتنى وهو بين يديه مع أصحابه الأسرى ، وذلك ثالث ربيع الأول ، ثم سجنوا . فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لانتهى عشرة خلت منه أمر المكتنى القواد بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زى حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، فخلع عليه ، وطُوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه القواد وطوقوا وسُوروا . وأمر [المكتنى] ببناء دِكة في الجانب الشرقى مربعة ، ذَرَعُها عشرون ذراعا في مثلها ، وارتفاعها عشرة أذرع ، يُصعد إليها بَدْرَج ، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامه ، وحُمِلَ القرامطة على الجمال إلى الدِكة ، وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك .

وقدم الحسن بن زكرويه ، وعيسى ابن أخت مهرّوَيْه إلى أعلى الدكة ومعهما أربعة وثلاثون إنسانا من قبيل (١) وجوه القرامطة ممن عرف بالثكاية (٢) ، وكان الواحد منهم يُطْلَع على وجهه ، وتقطع يده اليمنى ، فيرى بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تُقَطَّع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرى بها ، ثم يُضْرَب عنقه ويرى بها .

ثم قُدِّمَ المَدْرَسُ ففُتِلَ به كذلك بعد ما كَوَى لِيُعْلَبَ ، وضربت عنقه .

ثم قُدِّمَ الحسن بن زَكْرَوَيْه فُضِرَبَ مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوى ، وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبية ، وكَبُرَ مَنْ على الدكة ، فكَبُرَ الناس وانصرفوا . وحُمِلَت الرعوس فصُلِبَت على الجسر وصلب بَلَدُ القرمطى فمكث نحو سنة .

(١) كذا في الأصل ، وفي (ج) : « من وجوه القرامطة » .

(٢) (ج) : « بالثكاية » .

ومن كتب الحسن بن زكرويه إلى عماله ما هذه نسخته بعد البسملة :

« من عند المهدي^(١) ، المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله [الحاكم بحكم الله]^(٢) ، الداعي إلى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وملك المنافقين ، وخطيفه الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المستبصرين [وضياء المستضيئين]^(٣) ، ومشتت المخالفين ، والقيّم بسنة [سيد]^(٤) المرسلين ، وولد خير الوصيين - صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيراً]^(٥) » - .
كتاب إلى فلان^(٦) :

« سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله .

أما بعد :

فقد أنهى إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيك من الظلم والعبث والفساد في الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ما هنالك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائه الظالمين الذين يسعون في الأرض فساداً ؛ فأتلفنا [عُطِيراً]^(٤) داعيتنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص [وأمددناهم بالعساكر]^(٥) ، ونحن في أثرهم ، وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يحجزنا الله فيهم على أحسن عوائله عندنا في أمثالهم .

فينبغي أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك^(٦) من أوليائنا ، وتثق بالله وبصره الذي لم يزل

(١) (ج) : « من عبد الله المهدي » ، وفي (الطبري ، ج ١١ ص ٣٨٤) : « من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي » .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الطبري ج ١١ ص ٣٧٤) .

(٣) ذكر (الطبري ، ج ١١ ، ص ٣٨٤) اسم الرجل الذي أرسل إليه الكتاب ، وهو « جعفر بن حميد الكردي » .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادات عن : (الطبري ، ج ١١ ص ٣٨٤) .

(٥) في (الطبري : « من معك » .

يعودنا في كل مَنْ مَرَّقَ عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وقبّاد إلينا بأنّصار الناحية وما يحدث^(١) فيها ، ولا تُخَفِّبْ عنا شيئا من أمرها [إن شاء الله]^(٢) .

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على جندي [محمد]^(٣) رسوله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيرا .

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد .

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين - خليفة الحسن بن زكرويه - فقدم سواد الكوفة إلى زكرويه بن مهرويه ، فأخبره بخبر^(٤) القوم اللذين استخلفهم ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قعوده لوما شديدا ، وقال له :

« ألا كاتبتي قبل انصرافك إلى ؟ » .

ورجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان .

ثم إنه أعرض عن أبي الحسين ، وأنفذ إلى القوم - في سنة ثلاث وتمعين - رجلا من أصحابه - كان معلما - يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ، ويكنى بأبي غانم ، فتسمى نصرا ليعمى أمره ، وأمره أن يدور أحياء كاذب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ، فاستجاب له طوائف من الأصفيين ، ومن بنى [٢٨ ب] العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعابوا المكتنّى بالله يومئذ على دمشق والأردن أحمد بن كَيْفَلَنج ، وهو بمصر في حرب ابن الخليج^(٥) ، فاغتنم ذلك محمد^(٦) ابن عبد الله المعلم ، وسار إلى بصري وأفرعات فحارب أهلها ، وسبي ذرايعهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسار يريد دمشق ، فخرج إليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كَيْفَلَنج ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه ، وهموا بدخول دمشق فدافعهم أهلها ، فمضوا إلى طبرية ، فكانت لهم وقعة على الأردن غلبوا فيها ، ونهبوا طبرية ، وقتلوا وسبوا النساء .

(١) في الطبري : « وما يتجدد »

(٢) ما بين الحاصرتين زيادات من (الطبري ج ١١ ص ٢٨٤)

(٣) (ج) : « فأخبرهم خير » .

(٤) انظر أخبار ثورة ابن الخليج في : (الكندى : الولاة ، ص ٢٥٨ - ٢٦٣)

(٥) المقرئ يخصص هنا عن الطبري ، وهو يسمى هذا الرجل هناك : « عبد الله بن سعيد »

فبعث المكتنى بالحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحو السيادة ، وتبعهم ابن حمدان في البرية ، فالتذوا يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان] ^(١) عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحية مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة إلى هيت ، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الرِّبض والسفن التي في الفرات ، وقتلوا نحو مائتي إنسان .

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتنى إلى هيت محمد بن إسحاق بن كُنتاج في جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ، فإذا هم قد غرَّروا المياه ، فأنفذ إليهم من بغداد بالروايا والزاد ، وكتب إلى ابن حمدان بالنفوذ إليهم من الرحية .

فلما أحسوا بذلك اتَّهموا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص إلى بغداد متقربا بذلك ، فأسنيت له الجائزة ، وكفَّ عن طلب قومه ، وحملت رأسُ القائم ^(٢) المسى بنصر المعلم إلى بغداد .

ثم إن قوما من بني كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التي رضىت قتل المعلم إلى حين التمر ، وتخلفت الأخرى ، وبايع ذلك زكرويه - وأحمد بن القاسم عنده - فردَّه إليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال :

« أنا رسول وليكم ، وهو عاتب عليكم فيا أقدم عليه الذئب بن القائم ، وأنكم قد ارتددتم عن الدين » .

فاعتدروا ، وحلقوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم :

« قد جئكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم

(١) أضيف ما بين الحاصرتين عن : (الطبري ، ج ١١ ، ص ٣٩٤) وبه يستقيم المعنى

(٢) (ج) : « القاسم »

[الذى] (١) ذكره الله [في شأن موسى صلى الله عليه وسلم وعلوه فرعون إذ يقول : موعدكم] (١)
يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى ، فأجمعوا أمرهم ، وسيروا إلى الكوفة ، فإنه لا دافع لكم
عنها ، وتنجز وعلى الذى جاءكم به رضى .

فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الكوفة ، فنزلوا دونها بسنة وثلاثين ميلا قبل يوم عرفة بيوم
من سنة ثلاث وتسعين ، فخلفوا هناك الخدم والأموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال
من القادسية .

ثم شاور الوجوه من أصحابه في طرق الكوفة أى وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا في النجف ،
فيريحوا الخيل والنباب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشتموها غارةً والناس في صلاة العيد .
فركبوا وصاروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم إلا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ،
فلم يصلوا إلى الكوفة إلا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبذون في ظاهر الكوفة ،
ولأمير البلد طلائع تنفقد ، وكان قد أرجف في البلد بحدوث فتن فلقبوا ودخلت خيل منهم
الكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيرا من الناس وأحرقوا ، فارتجت الكوفة ، وخرج الناس
بالسلاح ، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ، فقتلوا منهم عدةً ، وأقبل بقيتهم فخرج إليهم
إسحق بن عمران في يسير من الجند ، وتلاقى به الناس ، فاقتتلوا قتالا شديدا في يوم صائف
شديد الحر ، فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء
نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة
بخبير ذلك إلى بغداد .

وسار القرامطة إلى سواد الكوفة ، فاجتمع [١٢٩] أحمد بن القاسم بذكرويه بن مهرويه
— وكان مستترا — فقال للعسكر :

« هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذى تنتظرونه » .
فترجل الجميع وألصقوا خلدومهم بالأرض ، وضربوا لذكرويه مضربا عظيما ، وطافوا به ،
وسروا سرورا عظيما ، واجتمع إليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جلا .

(١) اضيف ما بين الحاصرين عن : (ابن الاثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٢١٥) وبه يستقيم
المعنى

وسير المكتنى جيشا عظيما ، فساروا بالأنقال والبندود والبنزاة على غير تعبثة مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم ، فلقىهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ، ووضعوا فيهم السيوف ، فقتل الأكثر ، ونجا الأقل إلى القادسية ، فأقاموا في جميع الغنائم ثلاثا ، فكان من قتل من الجيش نحو الألف وخمسمائة ، فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتنى فخاف على الحاج ، وبعث محمد ابن إسحاق بن كنداج لحفظ الحاج ، وطلب القرامطة ، وضم إليه خلقا عظيما .

فسار القرامطة وأدركوا الحاج ، فأخذوا الخراسانية لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيوف وقتلوا خلقا عظيما ، واستولى زكرويه على الأموال .
وقدم ابن كنداج فأقام بالقادسية - وقد أدركه من هرب من حاج خراسان - وقال :
« لا أغدر بجيش السلطان » .

وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة ، فقاتلوا القرامطة قتالا شديدا حتى غلبوا ، وقتل كثير من الحاج ، واستولوا على جميع ما في القافلة ، وأخذوا النساء ولم يطلقوا منهم إلا من لا حاجة لهم فيها ، ومات كثير من الحاج عطشا ، ويقال إنه هلك نحو من عشرين ألفا ، فارتجت بغداد لذلك .

وأخرج المكتنى الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة - لإحدى عشرة بقيت من المحرم - وخزائن السلاح .

ورحل زكرويه فلم يدع ماء إلا طرح فيه جيف القتلى ، وبث الطلائع فوافته القافلة التي فيها القواد والشُمسة - وكان المعتضد جعل فيها جوهرها نفيسا - ومعهم الخزانة ووجوه الناس والرؤساء وميامير التجار ، وفيها من أنواع المال ما يخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهيب^(١) ، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العُمرة ، وكان المعتصم يتخلفون للعُمرة

(١) قال (ياقوت في معجم البلدان : «الهيبير من الأرض أن يكون مطبنا وما حوله أرفع منه» .
والهيبير رمل زرود في طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبي سعيد الجنابي القرمطي بالحاج يوم الاحد لائنى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ : قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم » .

بعد خروج الحاج ، ويخرجون إذا دخل الحرم ، ويتفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقتلوا يومهم وقد نفذ الماء ، فملك القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ ما فيها من حريم ومال وغيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشا ، وسار فأخذ أهل قيد^(١) .

وأما بغداد فإنه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبق دار إلا وفيها مصيبة ، وعبرة سائلة ، وضجيج وعويل ، واعتزل المكثف النساء هما وغما ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الأول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه وقتل أكثر من مئة ، وأسروهم خلق كثير ، وطرحوا النار في قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجل فضره حتى سقط إلى الأرض ، فأدركه رجل يعرفه . فأركبه نجيبا فارها ، وسار به إلى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصبر وأدخل به إلى بغداد ميتا فشهّر كذلك ، ومعه حرمه وحرم أصحابه وأولادهم أسرى^(٢) ورهوس من قتل بين يديه في الجواقات ، ومات خير^(٣) القرامطة بموت زكرويه :
ودعوتهم ذكرها شائع .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الظُّط يعرف بأبي حاتم الظُّطى ، فقصد أصحاب البوراني داعيا - وهم يعرفون بالبورانية - وحرّم عليهم الثوم والبصل والكرات والفجل ، وحرّم عليهم إراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البوراني ، وأمرهم بمالا^(٤) يقبله إلا أحرق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال ، فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة :
« زَكْرَوِيَه بِن مَهْرَوِيَه حَيٌّ ، وَإِنَّمَا شُبَّهَ عَلَى النَّاسِ بِهِ » .
وقالت فرقة :

« الحجة لله محمد بن إسماعيل » .

(١) عرفها ياقوت في معجمه بأنها « بلدة في نصف طريق مكة من الكوفة ، عامرة » يودع الحجاج فيها أزوادهم وما يقتل من امتعتهم عند أهلها ، فلذا رجعوا لمخدوا أزوادهم ووهبوا لمن أودعها شيئا من ذلك »

(٢) (ج) : « وأولادهم والأسرى »

(٣) (ج) : « خير »

(٤) الأصل : « بأن لا » والتصحيح عن (ج) .

ثم خرج رجل من بنى عجل قَرْمَطِيٌّ يقال له محمد بن قطبة ، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد فخرج إليه أمر الناحية ، فقتلهم وأسرهم . ثم خمدت أحوال القرامطة إلى أن تحرك أبو طاهر بن أبي سعيد الجنائى ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر [٢٩ ب] وثلاثمائة ، فعمل سلاط عراضا يصعد على كل مرقاة اثنان سوراليت^(١) ، إذا احتجج إليها نُصبت ، وتُخلع إذا حملت ، فرحل يريد البصرة ، فلما قاربها فرق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل ، وحملها على الجمال ، فصار إلى الموصل قبل الفجر ، فوضع السلاط ، وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الأقفال ، فدخل الجيش ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول في الأبواب ليمنع من غلقها ، وبدر لهم الناس ومعهم الأمير ، فقاتلوا وقتل الأمير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا . ثم رحلوا إلى الأحساء ، فأنفذ السلطان عسكرا - وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قُتل أعمال الكوفة والسواد وطريق مكة - فدخل^(٢) في أثرهم وأسر منهم وعاد .

فلما قدمت قوافل الحاج اعترضها أبو طاهر القرمطى فقتل منهم ؛ وأدركهم أبو الهيجاء ابن حمدان بهجوش كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخذ أبو الهيجاء أسيرا ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له :

«جنتاك عبد الله ، ولم تكلفك قصدينا» .

فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا ما مع الحاج وخواهم ، فردوا بشر حال في صورة الموتى ، ورحل من اللد من بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى كثيرة ، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر ، فورد بغداد .

فلما كان في سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج ، فلقى أبو طاهر القرمطى الحاج بالعقبة ، فرجع الحاج إلى الكوفة ، فقتبهم القرمطى حتى نزل بظاهرها

(١) كذا في الأصل ، وفى (ج) : « يزرا فبن » .

(٢) (ج) : « فرحل » .

لثلاث عشرة^(١) خلت من ذى القعدة ، فناوشه الناس وانكفأ راجعاً ، ثم باكرهم بالقتال وخرجت إليه جيوش السلطان ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل قوادهم وكثيراً من العامة ، ونهب البلد إلى العشرين منه ، فرحل عن البلد .

فلما كان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطى من بلده لقتال ابن أبي الساج ، وقد كان السلطان أنزله في جيش كثير بواسط. ليسير إلى بلد القرمطى ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره في أرض قفر ، فاحتال على القرمطى ، وكاتبه بأظهار المواطة ، وأطمعه في أخذ بغداد ومعاضدته ، فاغتر بذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى ما يمكنه ، وأقبل يريد الكوفة .

ورحل ابن أبي الساج بجيشه عن واسط. إلى الكوفة ، وقد سبقه القرمطى ، ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها ، وأخذ منها الميرة ، وأعد ما يحتاج إليه ، وأقبل ابن أبي الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهيناً بأمر القرمطى مستحقراً له ، ثم واقعه وهو في جيش يضيّق عنه موضعه ، ولا يملك تدبيره ، وقد تفرق عنه عسكره ، وركبوا - من نهب القرى وأذى الناس وإظهار الفجور - شيئاً كثيراً ، فأقبل إليه القرمطى وقائله ، فانهزمت عساكر ابن أبي الساج بعد ما كثرت بينهما القتل والجراح ، فقتلوا الناس قتلاً ذريعاً حتى صاروا في بساط. واحد نحو فرسخين أو أربع ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأكرّة من أهل السواد ما قدروا عليه ، وأقام أربعين يوماً ، وخرج بعد أن يئس من مجئ عسكر إليه ، فقصده بغداد ، ونزل بسواد الأنبار ، وعبر الفرات إلى الجانب الغربي ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد ، فجيش الجيش إليه ، وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالاً شديداً ، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمجاليته القتال ، ويذكر ما لزم من صرف الأموال إلى وقت وصوله .

فكتب إليه : « إن في مقامنا - أطال الله بقاء مولانا - نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » .

(١) (ج) : « ثلاث خلت » .

ثم أنفذ إلى القرمطى يقول له :

« ويلك ، ظننتنى كمن لقيك أبز لك رجائى ، والله ما يسرفى أن أطفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابى ، ولكنى أطاولك وأمتلك مأكولا ومشروبيا حتى آخذك أخذاً بيدي إن شاء الله » .
وأنفذ يلبقى فى جيش للإيقاع بن فى قصر ابن هُبَيْرَة ، فعظم ذلك على القرمطى فاضطرب ، [٣٠] وأخذ أصحابه يحتالون فى الهرب ، وتركوا مضاربهم ، فذهب مؤنس ما خلفوه ، وسار جيش القرمطى من غربى الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه ، إلى أن واثى القرمطى الرُحْبَة ، ومؤنس يحتال فى إرسال زواريق فيها فاكهة مسمومة^(١) ، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرَت الميثة فيهم ، وكثر بهم الذُّرْب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد قل^(٢) الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هَيْت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراخات وعال - ثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة - فإقام بها إلى مستهل ذى الحجة ، ولم يقتل ولا نهب ، ثم رحل .

فلما كان فى سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثانٍ خلون من ذى الحجة ، فقتل الناس فى المسجد قتلا ذريعا ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها [وحلبها]^(٣) ، ونزع الباب وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الأسود وأخذ معه - وظن أنه مغناطيس المقلوب - ، وأخذ الميزاب أيضا .

وعاد إلى بلاده فى المحرم سنة ثمانى عشرة وقد أصابه كدٌ شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين ألف حمل خفا ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والعلمان والصبيان . ماضاق بهم القضاء كثرة^(٤) ، وحاصرته هذيل فأثرف على الهلكة حتى عدل به دليل إلى غير الطريق المعروف إلى بلاده .

فلما كان فى شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار إلى الكوفة ، فعاتب عسكره فى

(١) الأصل : « مسمومة » ، والتصحيح عن (ج) .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى (ج) : « قل » .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن (ج) .

(٤) ج : « ماضاق بهم النعمت » .

السواد ، وأسرأوا خلقا ، واشتروا أمتعة ، ورجعوا - بعد خمسين ليلة أقاموا بها - إلى بلدهم .
وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في أهل الساحل ، ولم
يلقوا أحدا إلا قتلوه - من رجل وامرأة وصبي - فما نجا منهم إلا من لحق بالجبال ، وسبوا
النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم - في الحرب معهم - خلقا كثيرا ، وأسرأوا جماعة ، ثم
تحاملوا عليهم ، وتبادوا بالشهادة ، وجلدوا فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقى أسرا بحيث
لم يفلت منهم أحد ، وحملت الأسرى إلى بغداد مع الروس - وهم نحو المائة رجل ومائة
رأس - فحبسوا ببغداد .

ثم خلعوا وصاروا إلى أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم إلى أبي طاهر أن كثيرا
من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون إليهم بما يتقربون به إليهم ، وكان سبب خلاصهم مكاتبة
جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الأسود ، ويطلق الأسرى ، ولا يعترضوا الحاج ،
فجري الأمر على ذلك .

ودخل القرمطي - في سنة ثلاث وعشرين - إلى الكوفة والحاج قد خرج في ذى القعدة ،
وعاد الحاج إلى الكوفة ، ولم يقدر على مقاومتهم ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكسر القتل ،
وأخذ ما وجد .

وبلغ القرمطي أن رجلا من أصحابه قال :

« والله ما ندرى ما عند سيدنا أبي طاهر من مخزق هؤلاء الذين من شرق الأرض وغربها ،
واتخاذهم ومن وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم إلا الأعراب والشذاذ من الناس ، فلو أنه
حين ظفر بهم دعاهم إلى أن يؤدي كل رجل منهم دينارا ويطلقهم ويؤمنهم لم يكره ذلك منهم
أحد ، وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد ، لأنهم ظمأى إلى ذلك جدا ، ولم يبق
ملك إلا كاتبه وهاداه واحتاج إليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء في كل سنة من المال
مالا يصير لسلطان مثله من الخراج ، واستولى على الأرض وانتقاد له الناس ، وإن منع من ذلك
سلطان اكتسب اللمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج » .

فاستصوب القرمطي هذا الرأي ، ونادى من وقته في الناس بالأمان ، وأحضر الخراسانية ،

فوطةً أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا إليه المال في كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ؛ وأخرج أهل مصر أيضاً عن الحاج ضرائب من مال السلطان ، ثم ولي تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة ، فصار لهم على الحاج رسماً بالكوفة .

فلما كان سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيع اللؤلؤى - أميرها - بأمان ، فبعثه إلى السلطان [٣٠ ب] يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، فإن أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه ، وإلا فلا يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيا ففهم ، وبر [أبو طاهر] شفيعاً ووصله ، فوصل شفيع إلى السلطان وعرفه ، فبعث إليهم رجلاً فناظر القرمطي ، وملاً صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده انكساراً ، وسار عن البلد ، فابتلاه الله بالجدرى وقتله ؛ فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر .

فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع .

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - الملقب زين العابدين^(١) - :
« أن الحجر الأسود يعلق في مسجد الجامع بالكوفة في آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلى مكة - وأمير مكة معه - فلما صار بغناء البيت أظهر الحجر من سقف . كان به^(٢) مصوناً ، وعلى الحجر ضيَابٌ فُضَّةٌ قد حُمِلَتْ^(٣) عليه ، تأخذ طولا وعرضا ، تضبط شقوقاً حدثت فيه بعد انقلاعه ؛ وكان قد أحضر له صانع معه جِصَّ يشد به الحجر ، وحضر جماعة من حَجَّجَةِ البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه - ومعه الحَجَّجَةُ - وشدَّ الصانع بالجِصَّ - بعد وضعه - وقال لما رده :

« أغلننا بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » .

(١) الملقب بزين العابدين هو علي بن الحسين ، لامحمد ابنه .

(٢) (ج) : « معه » .

(٣) (ج) : « حملت » .

ونظر الناس إليه وقبّله والتمسوه^(١) ، وطاف سنبر بالبيت .

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذى القعدة سنة سبع

عشرة وثلاثمائة .

وكان رُده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذى الحجة - يوم النحر - سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنين وعشرين سنة إلا أربعة أيام .

وكان في سنة ^(٢) «ست عشرة وثلاثمائة» قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف

أبي طاهر القرمطي عن بغداد إلى نحو^(٣) الشام ، وتداعوا إلى الاجتماع^(٤) في دار هجرتهم فكثروا ،

وكبسوا نواحي الوسط^(٥) ، وقتلوا خلقا كثيرا ، وملكوا ما حواه العسكر هناك من سلاح وغيره ،

فقتلوا أمرهم ، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازي^(٦) - وهنا داعيان - وكان الحجازي

بالكوفة يبيع^(٧) الخبز ، فصحب يزيد النقاش ، واجتمع عليهما غلمان ، وساروا فنهبوا

وأخافوا ، والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البوراني لسواده وضعف يد السلطان ، وطالبوا

جميع أهل السواد بالرحيل إليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف ، وفرقوا العمال ، ورحلوا

إلى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خراجها وعلى حربها ، وأحدثوا في الأذان

ما لم يكن فيه ، فأنفذ السلطان إليهم جيشا فواقعهم فانهزموا ، وقتل منهم مالا يحصى ، وغرق

منهم وهرب الباقيون ، وحملت الأسرى إلى بغداد فقتلوا وصلبوا ، وجلس عيسى بن موسى مدة ،

ثم تخلص بغفلة السلطان وحدث الفتن آخر أيام المعتذر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ، ووضع

كتابا نسبها إلى عبدان الداعي ، نسبها فيها إلى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار

له أتباع ، وأفسد فسادا عظيما ، وصار له خلفاء من بعده مدة .

(١) «واقتمسوه» ولا معنى لها .

(٢) هذه الكلمات ساقطة من (ج) .

(٣) هذا اللفظ غير موجود في (ج) .

(٤) النص في (ج) : « ووافسوا إلى دار هجرتهم » .

(٥) كذا في الأصل ، وفي (ج) : « نواحي واسط »

(٦) (ج) : « الحجازي » .

(٧) الأصل : « يتبع » والتصحيح عن (ج) .

وأما خراسان فقدم إليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم فأول ما ظهرت بنيسابور ، فاستخلف عند موته أبا معبد الشعرائي^(١) ، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح .
 (٢) وانتشرت في الري^(٢) من رجل يعرف بخلف^(٣) الحلاج ، وكان يحلج القطن ، فُصِفَ بها طائفة « الخلفية^(٤) » ، وهم خلق كثير ، ومال إليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم أسفار^(٥) فلما قتل مرداويج أسفار عظمت شوكة القرامطة في^(٦) أيامه بالري وأخذوا يقتلون الناس غيلة حتى أفنوا خلقا كثيرا .

ثم خرج مرداويج إلى جرجان لقتال نصر بن أحمد الساماني ، فنفر^(٧) عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبقَ منهم أحد ، وصار بعضهم إلى مُغْلِح - غلام ابن أبي الساج - فاستجاب له ، ودخل في دعوته^(٨) .

فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وقد استعد الحسن بن عبيد الله بن طُفَّج بالرملة لقتال مَنْ يرد عليه من قِبَل جوهر القائد ، فورد^(٩) عليه الخبر بأن [١٣١] القرامطة تقصده ، ووافته^(٩) الرملة فهزموا الحسن بن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر إليهم في ذى الحجة منها ، فأقام القرمطي بظاهر الرملة ثلاثين يوما ورحل .

وسار جعفر بن قَلَّاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طُفَّج ، وقتل رجاله ، وأخذله أسيرا ، فسار إلى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهلُ البلد وقتلوه قتالا شديدا ، ثم إنه دخلها بعد حروب ، وفرَّ منه جماعة - منهم ظالم بن موهوب العُقَيْل ، ومحمد بن عسودا - فلحقا بالأحساء إلى القرامطة ، وحثوهم على المسير إلى الشام ، فوقع ذلك منهم بالموافقة ، لأن الإخشيدية

(١) مكان هذا اللفظ في (ج) بياض .

(٢) (ج) : « بخلق » .

(٣) (ج) : « فعرِفَ بها طاعته بالخلفية » .

(٤) مكان هذا الاسم في (ج) بياض .

(٥) هذه الجملة غير موجودة في (ج) .

(٦) الأصل : « فيسر » و (ج) « فيعز » ، وما اثبتناه قراءة ترجيحية .

(٧) (ج) : « ودخل القرامطة الشام » .

(٨) هذه الجملة لا وجود لها في (ج) ، وإنما مكانها بياض .

كانت تحمل إليهم^(١) في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما صارت عساكر المعز إلى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الإخشيدية انقطع المال عن القرامطة ، فسارت ...^(٢) بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب ، فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ إليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا إلى الرحبة - وعليها أبو تغلب - فحمل إليهم العلوفة والمال الذي كتبوا به لهم .

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعد لحربهم ، فتنفرق الناس عنه إلى مواضعهم ، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنباني ، فبعث إليه أبو تغلب يقول :

« هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسى وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد على خبرك ، فإن احتجت إلى مسيرى سرت إليك » .

ونادى في عسكره :

« من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ؛ فقد أذننا له في المسير ، والعسكران واحد » .

فخرج إلى عسكر القرمطى جماعة من عسكر أبي تغلب ، وفيهم كثير من الإخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا إليه - لما دخل جوهر - من مصر وفلسطين ؛ وكان سبب هذا الفعل من أبي تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ إليه من طبرية داعيا يقال له أبو طالب التنوشى - من أهل الرملة - يقول له : « إني سائر إليك فنقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب - وكان بالموصل - : « هذا ما لا يتم لأننا في دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم » .

فانصرف من عنده على غير شيء .

وبلغ ذلك القرمطى فسره وزاده قوة ، وسار عن الرحبة ، فأشار أصحاب جعفر - لما قارب

(١) الأصل : « عليهم » ، والتصحيح عن (ج) .

(٢) مكان هذه النقطة يياض بالنسختين

القرمطة دمشق - أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج إليهم وواقهم ، فانهزم ، وقتل لست
عولون من ذى القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبي مالا ، ومار يريد الرملة - وعليها سعادة ابن حيان -
فالتجأ إلى يافا ، ونزل عليه القرمطي ، وقد اجتمعت إليه عرب الشام وأتباع من الجند ،
فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعا [ثم سار عنها ، وترك على
حصارها ظالم العقيلي وأبا الهيجا^(١) بن منجا^(٢) ، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسي
في كل بلد فتحوه ، وسوقوا أعلامهم ، ورجعوا عما كانوا يمحرقون به ، وأظهروا أنهم كأمراء
النواحي الذين من قبيل الخليفة العباسي .

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، فقاتله جوهر على الخندق
وهزمه ، فرحل إلى الأحساء .

وأنفذ جوهر جيشا نحو يافا فملكوها ، ورحل المحاصرون لها إلى دمشق ، ونزلوا
بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلي وأبو الهيجا بسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه
للمنفقة في رجاله ، وكان أبو الهيجا أثيرا عند القرمطي يولج إليه أموره ، ويستخلفه
على تدبيره .

ورجع الحسن بن أحمد القرمطي من الأحساء فنزل الرملة ولقيه أبو الهيجا وظام ، وبلغه
ما جرى بينهما من الاختلاف ، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلّ عنه .
وطرح القرمطي مراكب في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وميّرهما إلى تينيس وغيرها من نواحل

(١) ورد أمام هذا الاسم في السامع بالنسختين تعريف به ، نعه :

« أبو الهيجا » هو عبد الله بن علي بن المنجا ، أحد أصحاب أبي علي الحسين بن أحمد
بن الحسين بن بهرام القرمطي المتعوت بالأعصم ، وكان يرجع إليه لرايه وسياسته ، واستخلفه على
دمشق حين رحل إلى الأحساء بعد انهزامة من أبي محمود إبراهيم بن جعفر الكتامي ، فقصده
ظام بن موهوب العقيلي من بعلبك برسالة ، فاستأمن إلى ظالم عبدة من أصحاب أبي الهيجا
لنعه عنهم المطاء وقلة ماله ، فأسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاث وستين
وثلاثمائة ، وجهزه أبو محمود هو وابنه في قفصين إلى مصر فحبسا بها .

(٢) هذه الجملة وردت في نسخة الأصل بمد لفظي « الخليفة العباسي » أي بعد السطرين
التاليين وهذا مكانها في نسخة (ج) وهو أنسب للمعنى والسياق .

مصر ، وجمع من قتل عليه من العرب وغيرهم ، وتآعب للمسير إلى مصر ، هذا بعد أن كان القوامطة أولاً يخرقون بالهندى ، ويوهمون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهم إليه ، ويراسلون الإمام المنصور [٣١ ب] إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي ، ويخرجون إلى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه إلى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله كثيراً منهم ، وكسره القبة التي كانت لهم .

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عند ما قدم من المغرب وقد تيقن أخبار القرامطة كتب إلى الحسن بن أحمد القرمطى كتاباً عنوانه :

« من عبد الله وولّيه ، وخيرته وصفيه ، معد أبي تميم المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل على أفضل الوصيين إلى الحسن بن أحمد » :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الأئمة والأنبياء ، ومسالك الرسل والأوصياء ، السالف والآف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولى الأيدى والأبصار ، في متقدم الدهور والأحوار ، وسالف الأزمان والأعصار ، عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، الابتداء بالإعذار ، والانتهاى بالإندار ، قبل إنفاذ الأقدار ، في أهل الشقاق والأصار لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والمقوبة على من باين وغوى ، حسب ما قال الله جل وعز :

« وما كنّا مُعَلِّمِينَ حتّى نَبْعَثَ رُسُلًا ۝ (١) .

و « وإن من أمة إلاّ نخلّا فيها نذير ۝ (٢) .

وقوله سبحانه : « قلّ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وشبّحان الله وما أنا من المشرّكين ۝ (٣) .

(١) الآية ١٥ ، السورة ١٧ (الاسراء)

(٢) الآية ٢٤ ، السورة ٣٥ (فاطر)

(٣) الآية ١٠٨ ، السورة ١٢ (يوسف)

« فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آتَيْنَهُمْ بِهِ فَقَدْ أَفْتَدَوْا وَلَوْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ » (١) .

أما بعد ، أيها الناس فإننا نحمد الله بجميع محامده ، ونعجده بأحسن مجده ، حمدا دائما أبدا ، ومجدنا عاليا سرمدا ، على سيوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغى إليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة على طاعته ، والتسديد في نصرته ، ونستكشفه بمائلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه إتمام الصلوات ، وإفاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التاليين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون .

أيها الناس : « قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا » (٢) ليعلم من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر .

أيها الناس : إن الله جلّ وعزّ إذا أراد أمراً قضاه ، وإذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا ، وأبرزنا أرواحا ، بالقدرة المكين ، وبالقدرة قادرين ، حين لسانه مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسرى ، ولا كوكب يجرى ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ، ولا جناح يخفق ، ولا ليل ولا نهار ، ولا فلك دوّار ، ولا كوكب سيّار .

فنحن أول الفكرة وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر وصحة العزم ، وإنشاء الله - جلّ وعزّ - المنشآت ، وإبداء الأمهات من الهيولات ، طبعنا أنوارا وظلما ، وحركة وسكونا .

وكان من حكمه السابق في علمه ما تروّث من فلك دوّار ، وكوكب سيّار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات ، وما في الأفطار من الآثار ، وما في النفوس من الأجناس والصور والأنواع ، من كثيف ولطيف ، وموجود ومعلوم ، وظاهر وباطن ، ومحسوس وملسوس ، ودانٍ وشاسع ، وهابط وطالع .

(١) الآية ١٣٧ ، السورة ٢ (البقرة)

(٢) الآية ١٠٤ ، السورة ٦ (الانعام)

كُلُّ ذَلِكَ لَنَا وَمِنْ أَجْلِنَا ، دَلَالَةً عَلَيْنَا ، وَإِشَارَةً إِلَيْنَا ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ كَانَ [لَهُ]
لِبِ سَجِيحٍ ، وَرَأَى صَحِيحٍ ، قَدْ سَبَقَتْ لَهُ مَنَا (٢) الْحَسَنَى ، فَدَانَ بِالْمَعْنَى .

ثم إنه - جلّ وعلا - أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحواء أبوين ذكرا وأنثى ،
سببا لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القويّة ، وزواج بينهما فتوالدا الأولاد ، وتكاثرت
الأعداد ، ونحن ننقل في الأضلاب الركبيّة ، والأرحام الطاهرة المرضيّة ، كلما ضمنا صُلْبَ
وَرَجْمٍ أظهر منا قدرة وعلم ، وهلمّ جرّاً إلى آخر الجدّ الأول ، والأبّ الأفضّل ، سيد المرسلين ،
وإمام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل نادر ومشهد ، فحسن آلاؤه ،
وبان غناؤه ، وأباد الشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وظهر بالأحديّة ،
ودان بالصمدية ، فعندنا سقطت الأضنام ، وانعقد الإسلام ، وانتشر الإيمان ، وبطل السحر
والقربان ، وهربت الأوثان ، وأتى [٣٢] بالقرآن ، شاهدا بالحق والبرهان ، فيه خبر
ما كان وما يكون إلى يوم الوقت المعلوم ، منبثا عن كتبٍ تقدمت ، في صحفٍ قد تنزلت ،
تبييناً لكل شيء ، وهدي ورحمة ونورا وسراجاً منيرا .

وكل ذلك دلالاتٌ لنا ، ومقدماتٌ بين أيدينا ، وأسبابٌ لإظهار أمرنا ، هدايات وآيات
وشهادات ، وسعادات قدسيات ، وإلهيات أزيّيات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ،
فما من ناطق نطق ، ولا نبي بُعث ، ولا وصيّ ظهر ، إلا وقد أشار إلينا ، ولوّح بنا ،
ودلّ علينا في كتابه وخطابه ، ومارأى أعلامه ، ومرموز كلامه ، فبما هو موجود غير معلوم ،
وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء ، وشاهد ورأى ، من الملائكة الأعلیٰ ؛ فمن أغفل منكم
أو نسى ، أو ضلّ أو غوى ، فليتنظر في الكتب الأولى ، والصحف المنزلة ، وليتأمل آي (٣)
القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجل
بالسؤال ، فقال :

« فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (٤) .

(١) أخيف ما بين الحاصرتين عن (ج) ، وبه يستقيم المعنى .

(٢) هذا اللفظ غير موجود في (ج) .

(٣) (ج) : « إلى »

(٤) الآية ٤٣ ، السورة ١٦ (النحل)

وقال سبحانه وتعالى : « فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » (١) .

ألا تسمعون قول الله حيث يقول : « وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » (٢) .
وقوله تقدمت أسماؤه : « قُرْآنٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (٣) .

وقوله له العزة : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ » (٤) .

ومثل ذلك في كتاب الله تعالى جمده كثير ، ولولا الإطالة لأتينا على كثير منه

ومما دل به علينا ، وأنبأ به عنا ، قوله عز وجل :

« كَمْ شَاكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ فِي رُجَاةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضْفَى وَلَوْ كُنَّ تَمَسُّهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٥) .

وقوله في تفضيل الجند الفاضل والأب الكامل محمد - صلى الله عليه - وعليه السلام -
إعلاما بجليل قدرنا ، وعلو أمرنا :

« وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ » (٦) .

هذا مع ما أشار ولوح ، وأبان وأوضح ، في السر والإعلان ، من كل مثل مضروب ،
وآية وخبر وإشارة ودلالة ، حيث يقول :

« وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » (٧) .

(١) الآية ١٢٢ ، السورة ٩ (التوبة)

(٢) الآية ٢٨ ، السورة ٤٣ (الزخرف)

(٣) الآية ٣٤ ، السورة ٣ (آل عمران)

(٤) الآية ١٣ ، السورة ٤٢ (الشورى)

(٥) الآية ٣٥ ، السورة ٢٤ (النور) -

(٦) الآية ٨٧ ، السورة ١٥ (الحجر)

(٧) الآية ٤٣ ، السورة ٢٩ (العنكبوت)

وقال سبحانه وتعالى :

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١) » .

وقوله جل وعز :

« سُرُّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (٢) » .

فلن اعتبر معتبر ، وقام وتدبر ما في الأرض وما في الأقطار والآثار ، وما في النفس من الصور المختلفة ، والأعضاء المختلفة ، والآيات والعلامات ، والانفصالات والاختراعات ، والأجناس والأنواع ، وما في كون الإبداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، وما يشهده حروف المعجم ، والحساب المقوم ، وما جمعه الفرائض والسنن ، وما جمعه السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه ، وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعه كلمة الإخلاص في نقاطها وحروفها وفصولها ، وما في الأرض من إقليم وجزيرة ، وبر وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض ، وفوق وتحت ، إلى ما انفق عليه في جميع الحروف من أسماء المديرات السبعة النطقا ، والأوصيا والخلفا ، وما صدرت به الشرائع من فرض ومنة وحدوث (٣) ، وما في الحساب من أحاد وأفراد ، وأزواج وأعداد ، ثنايسته وترابيه واثني عشرته وتسابعه ، وأبواب العشرات والمئين والألوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ماتقدم من شاهد عدل وقول صدق ، وحكمة حكيم وترتيب عليم .

فلا إله إلا هو له الأسماء الحسنى والأمثال العلى .

« وَإِنْ تَعْلَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا (٤) » .

« وَكَفَى كُلَّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ (٥) » .

(١) الآية ١٩٠ ، السورة ٣ (آل عمران) .

(٢) الآية ٥٣ ، السورة ٤١ (فصلت) .

(٣) (ج) : د وحدوثه .

(٤) الآية ٣٤ ، السورة ١٤ (إبراهيم) .

(٥) الآية ٧٦ ، السورة ١٢ (يونس) .

« وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ لَبَنٍ [٣ ب] يَمْلُءُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ » (١) .

وليعلم من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أننا كلمات الله الأزليات ، وأسماءه النامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه الثِّيرَات ، ومصابيحه البينات ، وبذائعه المنشآت ، وآياته الباهرَات ، وأقداره النافذات ، لا يخرج منا أمر ، ولا يخلو منا عصر .

وإنا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَائِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٢) .

فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقدور ، وفار التنور ، وآلى النلير بين يدى عذابٍ شديد ، فمن شاء فليُنظر ، ومن شاء فليستبر ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

وكتابتنا هذا من لسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت مذكور ، فلا نرفع قلماً ولا نضع قلماً إلا يعلم موضوع ، وحكم مجموع ، وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق .

فلما دخلنا وقد قلَّ المرجفون من أهلها أن الرغبة تنالهم ، والصبغة تحلُّ بهم ، تبادروا وتعادوا شاربين ، وجلوا عن الأهل والحريم والأولاد والرسوم ، وإنا لنار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، فلم أكشف لهم خبراً ، ولا قصصت لهم أثراً ، ولكني أمرتُ بالنداء ، وأذنت بالآمان ، لكل بادٍ وحاضر ، ومتافق ومشائق ، وعاصٍ ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لى سموته ، فاجتمع الموافق والمخالف ، والباين والمتناقض ، فقابلت الوليَّ بالإحسان ، والمسيء بالغفران ، حتى رجع النداء والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، واتبسط القطوب ، وزال الشحوب ، جرياً على العادة بالإحسان ، والصفيح بالامتنان ، والرأفة والغفران ، فتكاثر الخيرات ، وانتشرت البركات .

(١) الآية ٢٧ ، السورة ٣٦ (لقمان) .

(٢) الآية ٧ ، السورة ٥٨ (المجادلة) .

كل ذلك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحلود ، بأبيته والشهود ، في العرب والعبيد ، والخاص والعام ، والبادي والحاضر ، بأحكام الله - عز وجل - وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولى آمن جلل ، والعدو خائف وجل .

فأما أنت القادر الخائن ، الناكث البائن ، عن هدى آياته وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة ، فلم أغفل أمرك ، ولا خفى عنى خبرك ، ولا استتر دوى أنرك ، وإنك منى ليمنظر ومسمع ، كما قال الله جل وعز : « إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى » (١) ، « مَا كَانَ أَبِيكَ مُنْزَلاً مَوْءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْتًا » (٢) .

فعرفنا على أى رأى أصبلت ، وأى طريق سلكت : أما كان لك بجلك أبى سعيد أسوة ، وبمعمل أبى طاهر قدوة ؟

أما نظرت فى كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟
أكنت غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟

ألم تعلم أنهم كانوا عبادا لنا أولى بأس شديد ، وعزم سليم ، وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض إليهم موائد ، وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ، ودان لهم كل أمير ووال ، ولقبوا بالسادة فسادوا ، منحة منا واسيا من أمائنا ، فكنت أمياؤهم ، واستعلت همهم ، واشتد عزمهم ، فسارت إليهم وفود الآفاق ، وامتلتب نحوم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخيف منهم الفساد والعدا ، وأن يكونوا لبني العباس أهداد ، فعبثت الجيوش ، وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجة ، والعدد المهلبة ، والساكر المركبة ، فلم يلحقهم جيش إلا كسروه (٣) ، ولا رئيس إلا أسروه ، ولا عسكر إلا كسروه ، وألحظنا ترمقهم ، وفنصرنا يلحقهم ، كما قال الله جل وعز :

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (٤) ، « وَإِنَّا جُنْدُنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ » (٥) ،

وإن حزينا لهم النصورون .

(١) الآية ٤٦ ، السورة ٢٠ (طه) .

(٢) الآية ٢٨ ، السورة ١٩ (مريم) .

(٣) فى النسختين : « كروه » .

(٤) الآية ٥١ ، السورة ٤٠ (غافر) .

(٥) الآية ١٧٢ ، السورة ٣٧ ، (الصافات) .

فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، إلى أن اختار لهم ما اختاره^(١) من ثقلهم من [١٣٣] دار الفناء ، إلى دار البقاء ، ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول ، فماشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، إلى روح وزينحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب .
ومع هذا فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حُجَجٌ ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا ، ويأخذون ببعثنا ، ويدكرون رجعتنا ، وينشرون علمنا ، وينلدون بأسنا ، ويبشرون بآبائنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الألسن ، وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون ، وعندهم يخلطون ، وهو قول الله عز وجل .

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ يُبَيِّنُ لَهُمْ^(٢) » .

وأنت عارف بذلك .

ليأبى الناكث الحادث ما الذى أرداك وصلك ؟

أشئ شكت فيه ، أم أمر استرث به ، أم كنت خليا من الحكمة ، وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصلك ، وعن السبيل ردك ؟ إن هى إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين .
وأيم الله لقد كان الأعلى لجدك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لمجلك ، والأوسع لوفدك ، والأنضر لعدوك ، والأحسن لعدوك ، الكشف عن أحوال سلفك وإن خفيت عليك ، والقفو لأثارهم وإن عمت لديك ، لتجرى على سننهم ، وتدخل في زمرهم ، وتبسل في مذهبهم ، أخذاً بأمرهم في وقتهم ، وزيمهم^(٣) في عصرهم ، فتكون خلفاً قفأ سلفاً بجذ وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف .

لكن غلب الران على قلبك ، والصدى على لبك ، فأزالك عن الهدى ، وأزاعك عن البصيرة والضيا ، وأمالك عن مناهج الأوليا ، وكنت من بعدهم كما قال الله عز وجل :

« فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا^(٤) »

(١) ج : « اختاره لهم ما اختاروه » .

(٢) الآية ٤ ، السورة ١٤ (إبراهيم) .

(٣) (ج) « وزمرهم » .

(٤) الآية ٥٩ ، السورة ١٩ (مريم) .

ثم لم تقع في انتكاسك ، وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانتكاسك ، من خلافك الآباء ومشيك القهقري ، والنكوص على الأعقاب ، والتسمى بالألقاب ، بشئ الإسم القسوق بعد الإيمان ، وعصيانك مولاك ، وجعلك ولاك ، حتى انقلب على الأبدار ، وتحملت عظيم الأوزار ، لتقيم^(١) دعوة قد درست ، ودولة قد طُمست ، إنك لمن الغاوين ، وإنك لفي ضلال مبين .

أما تريد أن ترد القرون السالفة ، والأشخاص الغابرة ؟

أما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر ؟

فلئن يذهبون إن هي إلا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُنَبِّئَنَّنَّ ثُمَّ لَنَتَّبِعُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ »^(٢) .

أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر الخترائيس في الناس ؟

أما تراهم « كَانَهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَالِيَةٍ »^(٣) ؟

نَحْمُ والله الحساب ، وطوى الكتاب ، وعاد الأمر إلى أهله ، والزمان إلى أوله ، وأزفت الآزفة ، ووقعت الواقعة ، وقُرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها ، وجيء بالملائكة والنبيين وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق والمُلك لله الواحد القهار ، فله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر الله من يشاء ، « يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ »^(٤) .

فقد ضلَّ عملك ، وخاب سعيك ، وطلع نخسك ، وغاب سعدك^(٥) ، حين آثرت الحياة

(١) أمام هذا اللفظ بالهامش في النسختين: « يعني أنه يريد إقامة دولة بني العباس بكوله أخذ منهم السلاح والمال من أبي تغلب بن حديدان، وقدم يقاتل المعز نصرته لهم » .

(٢) الآية ٧ ، السورة ٦٤ (التفاضن) .

(٣) الأيتان ٧ و ٨ ، السورة ٦٩ (العاقبة)

(٤) الآية ٢ ، السورة ٢٢ (الحج) .

(٥) ج : « سعيك » .

الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى ، فإِذَا لك عن الهوى ، فإن تكفر أنت وَمَنْ في الأرض جميعا فَإِنَّ الله هو الغنى الحميد .

ثم لم يكفك ذلك - مع بلاتك وطول شقائك - حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحششت أوباشك وأقلاسلك ، وسرت قاصدا إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة وزويلة ، فقتله وقتلهم ، - جرأة على الله ورداً لأمره - ، واستباح أموالهم ، وسبيت نساءهم ، وليس بينك وبينهم بركة ولا ثار ، ولا حقد ولا أضرار ، فإِذَا بنى الأصفر والترك والخزر ، ثم سرت أمامك ولم ترجع ، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة [٣٣ ب] يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفيا شرك ، وتاركا حريك ، فلم تزل ماكنّا على نكنك باكرا وصابحا ، وغاديا ورائحا ، تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقعدهم بكل مقصد ، كأنهم ترك وروم وخزر ، لا يَنْهَك عَنْ سفك الدماء دين ، ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى حيوزوك ، وانقسم على الشقاء خرطومك .

أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ما كان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول :

« وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » (١) ؟

فحسبك بها فلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقبلها ، وكيف تستقبلها وأنى لك مقيلها ؟

هيهات ، هيهات ، هلك الضالون ، وخسر هنالك المبطلون ، وقل النصير ، وزال العشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيِّك ، ومقامك في بغيك ، عداوة الله ولأوليائه ، وكفرا لهم وطفيانا ، وعصى وپتانا .

أتراك تحسب أنك مخلد أم لأمر الله راد ؟

(١) الآية ٩٣ ، السورة ٤ (النساء) -

أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ [يَكْفُرُوا] اللَّهُ [إِلَّا أَنْ] يُجِمْ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ (١) .

هيهات لا خلود المذكور ، ولا مردٌ للقدور ، ولا طاقء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد خاب منك الأمل ، وحان لك الأجل ، فإن شئت فاستعد للتوبة بابا ، وللتفلة جلبابا ، فقد بلغ الكتابُ أجله ، والوالى أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أدواء حكمته ، ونطق من كان بالأمس صامتا ، ونهض من كان هناك خائفا ، ونحن أشباح فوق الأمر والنفس ، دون العقل وأرواح فى القدس ، نسبة ذاتية ، وآيات للذنية ، نسمع ونرى ، « مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا » (٢) ، « وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » (٣) .

ونحن معرضون ثلاث خصال - والرابعة أزدى لك ، وأشق لبالك ، وما أحسبك تحصل إلا عليها - فاختصر :

إما قلدت نفسك لجعفر بن فلاح ، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بلعشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيّان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير - وهى أسهل ما يرد عليك - .

وإما أن تردهم أحياء فى صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم - ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار - .

وإما سرتَ ومنَ معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريك على إحدى ثلاث : إما قصاص ، وإما منا بعد ٩ وإما غدى ، فعسى أن يكون تمحيصا للنوبك ، وإقالة لعثرتك .

(١) الآية ٣٢ ، السورة ٩ (التوبة)

(٢) الآية ٥٢ ، السورة ٤٢ (الشورى)

(٣) الآية ١٩٨ ، السورة ٧ (الأعراف) .

وإن آيت. إلا فعل العيين : « فَأَخْرَجَ مِنْهَا فُلَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » (١) .

أخرج منها فما يكون لك أن تتكبر (٢) فيها ، وقيل اخسثوا فيها ولا تكلمون ، فما أنت إلا كشجرة خبيثة اجثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا [علم يسترك] (٣) ، ولا فقة تنصرك ، قد تقطعت بكم الأسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مُبْتَلَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ » (٤) .

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه ؛ وجنود الله في طلبك قافية ، لا تزال ذو أحقاد ، ونوار أعجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد في السماء مصعدا ، ولا في الأرض مقعدا ، ولا في البر ولا في البحر منهجا ، ولا في للجبال مسلكا ، ولا إلى الهواء سلما ، ولا إلى مخلوق ملجأ . حينئذ يفارقك أصحابك ، ويختل عنك أحبابك ، ويخذلك أترابك ، فتبقى وحيدا فريدا ، وخائفا طريدا ، وهائما شريدا ، قد أجمك العرق ، وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك خزيك ، « كَلَّا لَا وَزَرَ ، إِلَى رَبِّكَ » (٥) يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (٦) ، « هَلْكَ يَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنَ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ » (٧) ، « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ » (٨) .

واعلم أنا لسنا بمهلك ولا مهملك إلا ربنا يرد [١٣٤] كتابك ، ونقف على فحوى

(١) الآيتان ٣٤ و ٣٥ ، السورة ١٥ (الحجر) .

(٢) ج : « تنكب » .

(٣) أخيف ما بين الحاصرتين عن (ج)

(٤) الآية ١٤٣ ، السورة ٤ (النساء)

(٥) بهذا اللفظ تنتهي نسخة (ج) ، وكل ما أتى بعد ذلك تنفرد به نسخة الأصل وهي نسخة وحيدة لا ثاني لها في العالم - فيما نعلم حتى الآن .

(٦) الآيتان ١٠ و ١١ ، السورة ٧٥ (القيامة) .

(٧) الآيتان ٣٤ و ٣٥ ، السورة ٧٧ (المرسلات)

(٨) الآيتان ٤٠ - ٤٢ ، السورة ٨٠ (عبس) .

خطابك ، فانظر لنفسك يا شقي ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ لا ينفذ نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

وإن كنت على ثقة من أمرك ، ومهلك في أمر عصرك وعمرك ، فاستقر بمركزك ، وأربع على ضلعك ، فليئالئك ما نال من كان قبلك من عادٍ وثمود ، « وأصحاب الأيكة وقوم تبع ، كل كذب الرسل فحق وعيد » (١) ، فلنأتينكم بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون بأولى بأس شديد ، وعزم شديد ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، بقلوب نقية ، وأرواح تقية ، ونفوس آبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، تدمم ملائكة هلاظ. شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

فما أنت وقومك إلا كمتأخر نثم ، أو كمرح غثم ، فلما تُرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ، وأنت في القفص مصفودا ، ونتوفنيك فإلينا مرجعهم فعندها تخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، « فأنذرناهم نارا تلقى ، لا يצלها إلا الأثقى الذي كذب وتولى » (٢) ، « كأنهم يوم يردون لما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ، بلاغٌ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » .

فليتدبر من كان ذا تدبر ، وليتفكر من كان ذا تفكر ، وليحضر يوم القبامة من الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس يحسرتني على ما فرطت في جنب الله » (٣) ، « وما حسرتنا على ما فرطنا ، وما ليننا نرد فتعمل غير الذي كنا نعمل ، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم وكنتم قوما بورا » .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى ، وانتمى إلى اللأ الأعلى ، وحسبنا الله وكفى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .
الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيينا النبي [الأُمي] والطيبين من عترته ، وسلم تسليماً .

فأجاب [الحسن بن الأصم] بما نصه :

« من الحسن بن أحمد القرطبي الأصم :

(١) الآية ١٤ ، السورة ٥٠ (ق) .

(٢) الآيات ١٤ - ١٦ ، السورة ٩٢ (الليل) .

(٣) الآية ٥٦ ، السورة ٣٩ (الزمر) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل إلينا كتابك الذى كثر تفصيله ، وقلّ تحصيله ، ونحن سائرون على إثره ، والسلام ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١) .

وسار الحسن بن أحمد القرمطى بعد ذلك إلى مصر ، فنزل بعسكره بلبس ، وبعث إلى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخى الشريف مسلم ، وانثبث سراياه فى أرض مصر ، فتأهب المعز وعرض عساكره فى ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووَسَّع عليهم فى الأرزاق ، وسير معهم الأشراف والعرب .

وسير معهم المعز ابنه الأمير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع ، وسير معه أولاده وجميع أهله وجمعا من جند المصريين خلا الشريف مسلم ، فإنه أعفاه من ذلك .

وانبسطت سرية القرمطى فى نواحي أسفل الأرض^(٢) ، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلي فى أربعة آلاف ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر .

ولمّا نزلوا منه قدمت سرية القرامطة إلى الخندق ، فبرز إليهم المغاربة فهزمهم ، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا ؛ وفر إليهم على بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة .
وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل فى الصعيد ، وقتل ، واستخرج الأموال ، وأسرف فى قتل المغاربة وأسره ، ثم كر راجعا إلى خميم .

ولست عشرة خلت منه جمع المعز أولاد الإخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم .

وفى سلخه طيف بتسعة من القرامطة على الإبل بالبرانس ومهم ثلاث رؤوس ؟

(١) انظر كذلك نص هذا الرد فى : (على بن طاهر الأزدي : الدول المنقطعة ، مخطوطة دار

الكتب المصرية ، ص ١٤٩) .

(٢) أى الوجه البحرى .

وفيه سار عسكر المزمع ابنه عبد الله فنزل جُبٌ عُمَيْرَة ، ونزلت عسكر القرمطي نصفين : نصف مع النعمان أخى الحسن بن أحمد الأعصم مواجهة لعبد الله بن المزمع ، ونصف مع الحسن بسطح الجب .

فبعث عبد الله العساكر ، فأحاطت بالحسن بن أحمد ، وعسكر وزحف إلى النعمان فقاتله فانهزم ، وقتل من أصحابه ، وواقع [٣٤ ب] الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ ، فأنهم أحاطوا به ، وصار في وسطهم ، فاغتنم فرجة مضى منها على وجهه ، ونهب سوائه وأخذت قبته (١) ، وأسر رجاله ، وأخذ من عسكره وعسكر أخيه خاق كثير ، وأخذ جماعة ممن كان مع المصريين .

ووصل الكتاب مع الطائر إلى عبد الله بن عبيد الله أخى مسلم بهزيمة القرامطة - وهو بالصعيد - ، فعُدّى إلى الجانب الشرقى لينقلب إلى الشام ، فبلغه مسير عساكر المزمع فعاد إلى الجانب الغربى .

(١) ورد في ورقة منفصلة بين الصفحتين شرح للقبعة هذائنه : « في ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطة مامقالة » :

كان من محاربى القرامطة القبعة ، وهى ان أبا طاهر بن أبى سعيد الجنابى كانت عادته فى الحرب ان يفرد طائفة من عسكره - فرسانا ورجالة - عن القتال ، يلقسون معه ولا يقاتل . ولا يقاتلون ، فاذا كل المقاتلة عن القتال حمل هو بنفسه فى الطائفة المستريحة التى لم تحضر القتال ، فقاتل وقتلوا منهزمين عنه ، فلما مات ضعفت هبة القرامطة بعده عن . . رجالهم ، وترتيب وقوفهم - كما ذكرنا - ، فرجعوا الى المحرقة ، وأقاموا قبة كالمعمارية على جبل وقالوا : « ان النصر ينزل من هذه القبعة فى وقت معلوم ، واخذوا من حب الكحل ومن اللؤلؤ الكبار وجعلوه فى صرة مع لحة ومدخنة بداخل القبعة ، واذا أرادوا الحمل على عسكر من يحاربوه صعد رجل منهم الى القبعة ، وقذح النار فى المجرمة ، وأخبر حب الكحل ، وارى القواد والناس بياضه (كذا) من بعيد وهم لا يعرفونه ، ثم يطرحه على النور ، فيفرقع فرقة شديدة ، ويبعد من غير دخان ، فيظن القوم ذلك شيئا ، ويحيلون على أعدائهم ومهمم القبعة ، ولا . . منها شيء ، ولا يؤقصد ذلك الا عندما يقول صاحب العسكر : « قد نزل النصر » وذلك انه يقف مع القبعة قطعة من الجيش مستريحة لا تقاتل ، وهو مستخف معهم ، وأكثر القوم يقاتلون وهم بالقبعة من وراء المقاتلة ، فمن انهزم من مقاتلتهم وحل دمه وقتل فاذا أحس بانهم قد كانوا أمر بعمل ماقلنا فى القبعة ، وحمل بها فى الطائفة المستريحة فهزم من عسائكون ، وما زالت محرقتهم هذه يوهون بها الى ان كسرت هذه القبعة فى الرملة ، ثم اخذها عبد الله بن المزمع فخرج القاهرة ، فقلت عند ذلك مهابة القرامطة بما ذهب من قيمتهم ، وبهذا قدروا على قتل جعفر بن فلاح ، وانهم كانوا لا يسيرون بالقبعة الا كمن يسير الى أمر مهم ، فيقولون : نزل النصر ، وتشد قلوبهم وتقوى ، فلما سارت القبعة من غير معارضة حتى يكون الظفر لهم » .

وورد كتاب الطائر إلى المعز من الأمير عبد الله ابنه بأن عبد الله أخا مسلم قد أخذ ، فأرسل المعز إلى أخيه أبي جعفر مسلم يخبره ، فدخل على البشير .

وكانت في البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخى مسلم ، فوقع في أيديهم في الليل رجل بدوى ، فقال : « أنا عبد الله أخو مسلم » فجاء إلى الأمير عبد الله ، فكتب إلى الطائر يأخذ عبد الله ، فلما جرى بالبدوى من الغد إلى الأمير عبد الله وهو في معسكره - وكان في مجلسه عبد الله بن الشويخ - فقال للأمير عبد الله :
« ما هنا عمى عبد الله » .

فيبطل القول .

وكان خبر هذا البدوى أنه كان مع عبد الله أخى مسلم بالصعيد ، وعبر معه يريد الشام ، فأراد أن يسقى دوابه ، فقال له البدوى :
« ما نأمن أن يكون على الماء طلب ، فدعنى أتقدمك ، فإن لم أجد أحداً جئتلك ، وإن أبطأت عليك فاعلم أنى أخطأت » .

فلما وافى البدوى البئر أخذ فقال لهم : « أنا عبد الله أخو مسلم » ليشغلهم عن طلبه ، فلما أبطل البدوى على عبد الله علم أن الطلب قد أخذوه ، فكرّ راجعاً وعاد إلى الجانب الغربى ، وركب البحر إلى عينونا ، ومضى إلى الحجاز .

وكان هاروق على عسكر للمعز ، فرأى أصحابه عبد الله ، فافلت منهم على فرس دهما حربية بعد ما حط قبته وقطعها بسيفه ، فظفر هاروق بنوقه ، ووصل عبد الله إلى المدينة النبوية ، وجلس يتحدث في المسجد ، فقبل له :

« إن الكتب قد سبقتك ، ويُلِك فيك مال عظيم » .

فنهض لوقته ، وتوجه إلى الأحساء ، فاستنهض القرامطة ، فلم يكن فيهم نهضة ، فوبخهم لما رأى من عجزهم ، وقال :

« أرونى ما عندكم من القوة التى تقاومون بها صاحب مصر » .

فلوقفوه على ما عندهم من المال والسلاح والكراع ، فاستقله وقال :

« بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب ؟ » .

وانصرف عنهم إلى العراق ، فأتبعوه برجل يقال إنه من بني منبهر ، قسمه في لبن بموضع يقال له النصيرية - على ميلين من البصرة - فقام مائتي مجلس في ليلة ومات بموضعه ، ففُسل وكُفّن وأدخل البصرة ، فصلى عليه ودفن بها إلى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله إلى المدينة .

وورد الخبر بذلك إلى المعز ، فلخبر الناس بموته وموت المطيع ، فلأن ابنه سمى أيضا ، كما سميت القرامطة عبد الله أخا مسلم .

وأما أخبار القرامطة في كتب المؤرخين من المشاركة المتعصبين على الدولة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أنكبت بحسب سراياها بأرض مصر رأى المعز أن يقل عساكر القرامطة وجمعهم بمخادعة حسن^(١) بن الجراح الطائي - أمير العرب ببلاد الشام - ، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوى به عسكر القرمطي ، فبعث المعز إلى ابن الجراح وبذل له مائة ألف دينار على أن يقل عسكر القرمطي ، فأجاب إلى ذلك ، وأن المعز استكثر المال ، فعمل دنائير من نحاس وطلاها بالذهب ، وجعلها في أكياس ، ووضع على رأس كل كيس منها دنائير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها ، وشملت الأكياس وحملت إلى ثقة من ثقات ابن الجراح بعد ما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم ، فلما وصل إليه المال تقدم إلى كبار أصحابه بأن يتبعوه إذا توالف العسكران وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولي ابن الجراح منهزما واتبه أصحابه - وكان في جمع كبير -

فلما رآه القرمطي - وقد انهزم تحير ، فكان جهده أنقاتل بمن معه حتى تخلص ،

(١) ورد في الهامش بالأصل تعريف بهذا الرجل ، نصه :

« حسن بن علي بن مفرج بن دغفل بن حرام بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن . . . بن حسن بن علي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معدان بن . . . أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غلام بن ثور بن معن بن . . . بن عثين بن سلامان بن . . . بن عمرو بن الفوث بن طي . »

وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب ، فخشى على نفسه وانهم ، واتبعوه ودخلوا عسكره ، فظفروا منه بنحو من (ص ١٣٥) ألف وخمسمائة رجل ، فأخلوهم أسرى ، وانتهبوا العسكر .

ولما كان لخمس بقين من شعبان أنفذ المعز أبا محمود إبراهيم بن جعفر إلى الشام خلف القرمطي في عسكر يقال مبلغه عشرون ألفا ، فظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرمطي ، فبعث بهم إلى مصر .

وسار الحسن بن أحمد القرمطي فتزل أذرعاً ، وأنفذ أبا الهيجا في طائفة إلى دمشق . وبعث المعز إلى ظالم بن موهوب العقيلي^(١) لما بلغه ما وقع بينه وبين القرمطي ، فاستأله ليكون عوناً على القرمطي ، فسار يريد بعلبك ، فوافاه الخبر بهزيمة القرمطي ونزول أبي الهيجا دمشق ، فسار القرمطي ودخل البيرة يريد بكتده وفي نيته العود .

وكان للحسن بن أحمد القرمطي هنا شعر ، فمنه في أصحاب المعز لدين الله :

زعمت رجال القرب أنني هينتها فلعى إذًا ما بينهم مطول
يا مصر إن لم أستي أرضك من دم يروى ثراك ، فلا سفاك النيل .

ولما كان في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد إسحق وجعفر الهجريان من القرامطة فملكوا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانتزع الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان من الهبة ما أن عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير ، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبي بكر بن ساهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن عضد الدولة ، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما ،

(١) توجد بهامش الأصل أمام هذا اللفظ إضافة نصها :

« بخطه : قبعت عضد السلولة فناخسرو الديلمي من العراق عسكرا الى الاحساء ، وبها يومئذ أبويعقوب بن أبي سعيد الجنابي ، عم الحسن بن أحمد الأعصم ، ففر أبويعقوب ، وأخذ العسكر ماكان في الاحساء ، فقدم الأعصم منهزما من الشام فيمن بقي معه ، فانضم اليه عمه وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلًا ونهبًا ، فقويت نفسه ، وكتب العرب فاتوه ، وبعث رسولاً الى المعز يطلب المراجعة » .

فلذكرا أنَّ قبض نائبيهم هو السبب في فصلهم البلاد ، وبثًا أصحابها فجبوا المال ، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب ، فغيروا القنات إليه وقاتلوه وأسروا ، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمتهم في جماعة ، وأسر عدة ، ونهب سوادهم ، فرحل من بقي منهم من الكوفة ، وتبعهم العساكر إلى القادسية فلم يدركوهم ، وزال من حيثئذ بأسهم .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع شخص يُعرف بالأصفر من بني المتفق جمعا كثيرا
[وكان] بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة ، وانهمز أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير ، فسار الأصفر إلى الأحساء وقد تحصن منه القرامطة بها ، فعُدِّي إلى القطيف وأخذ ما كان فيها من مال وعبيد ومواشي ، وسار بها إلى البصرة^(١)

(١) يوجد بهامش الأصل أمام هذا اللفظ : « بياض نحو نصف صفحة » مما يدل على أن المؤلف كان يريد أن يضيف هنا معلومات أخرى تمسلا لنصف صفحة .

ولنرجع إلى بقية أخبار المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي بأبي القاهرة فنقول :
لما أتهزم الحسن بن أحمد القرمطي خرج في شعبان من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة الأشرف
والقاضي أبو طاهر ، والفقهاء ، والشهود ، ووجوه التجار ، وكثير من الرعية إلى المعسكر
لتهنئة الأمير عبد الله بن المعز بالفتح ، وكان معسكره بظاهر مشتل ، فأكرمهم وأضافهم ،
وانصرفوا من الغد .

وللنصف من شعبان صرف المعز الحسن بن عبد الله عن الأحباس بمحمد بن أبي طاهر
القاضي ، ومحمد بن إقريطش ضماناً بألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم في كل سنة ،
تُدفع إلى المستحقين حقوقهم ، ويحمل الباقي إلى بيت المال .
وطيف بأربين رأساً جرى بها من الصعيد من أصحاب أخى مسلم .

وفي أول شهر رمضان دخل الأمير عبد الله بعساكره إلى القاهرة - بعد فراغه من قتال
القرمطة - بالأسارى والرؤوس - وهو بمظلتة - فجلس له أبوه المعز في القبة على باب قصره
لينظره ، فلما عين الأمير عبد الله مجلس أبيه المعز ترجل وقبل الأرض ، ونزل أهل المعسكر
كلهم بنزوله ، ومشى إلى القصر والناس معه مشاة .

وورد الخبر بدخول أبي محمود إلى الرملة بغير قتال ، وأنه استأمن إليه جماعة من
عسكر القرامطة .

وفيه قبض المعز على جماعة من السعاة والعيارين الذين يؤذون الناس وسجنهم .

ووافى رسول ملك (٣٥ ب) الروم برسالة ، فاجتمع الناس للنظر إليه ، وجلس له المعز
على السرير الذهب ، فدخل إليه ، وقبل الأرض مراراً ، وأذن له بالجلوس على وسادة ، وكان
علي بن الحسين - قاضي أذنة - حاضراً فقال :

« يا أمير المؤمنين صلى الله عليك ، هذا - وأشار إلى الرسول - آفة على الإسلام ، والمؤذى
للمسلمين والأسارى » .

فنظر إليه المزمز متكرراً عليه وأخرج ، وتكلم الرسول في الهدنة ، وأخذ المزمز كتابه ، وأنزل في دار .

وفيه أطلق المزمز طنجمية (٩) ، وهم عشرة لكل واحد ثمانمائة رباعى ذهباً ، وزنها مائتي مثقال . ووردت الأخبار بأن القرمطى قرّ على وجهه ، وتمزقت حساكره ، فلم يفلحوا إلى اليوم . وطيف بأسارى من القرامطة على الإبل بالبرانس ، وعفيهم ألف وثلاثمائة ، مقدمهم مفلح المنجمي ببرنس كبير على جمل بثوب مشهر مكتوب على ظهره اسمه وما عمل ، وخلفه جماعة من وجوه القرامطة ، وبين أيديهم الرؤوس على الحراب وعدتها آلاف ، وكان يوماً عظيماً واجتماعاً كثيراً ، فلما فرغوا من التطواف احتقلوا بالقاهرة .

وفيه خرج المزمز على فرس ، وقد اجتمع الناس من الأشراف والقواد والعمال والكتّاب والمغاربة ، فوقفوا بين يديه ، فقال لهم :

« قد آمى الله - عز وجل - وتفَضَّلَ وغَوَّلَ ، ومكَّنَ ، ونريد الحجَّ وزيارة قبر جدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والجهاد ، فأيش يقصر عن هذا ؟ إن قلتُ ليس عندى مال ، إلى لكاذب ؟ وإن قلتُ ليس عندى كراع وسلاح ، إلى لكاذب ؟ وإن قلتُ ليس عندى ربحال ، إلى لكاذب ؟ اللهم أعفِ بنية أقوى من نيتي » .

وفيه خرج الأمر بقتل الأسارى الذين في الاعتقال ، فقتلوا عن آخرهم ، وسُحرت لهم أعاديدهم ودفنوا ، فلما بلغ المزمز ذلك قال :

« والله ما أمرت بقتلهم ، ولقد أمرت بإطلاقهم ، ويُدفع لكل منهم ثلاثة دنانير » .
واختمَ لذلك وتصدَّقَ وأحسَّ .

وورد الخبر بقتل على بن أحمد العتيق من الأشراف ، وابنه ذا من يح (كلدا) الحسيني وأن البادية قتلهم بالصعيد ، وكانوا من أصحاب أختى مسلم .

وفيه قبض أبو إسماعيل الرَّمي على ابنه على بن إبراهيم ، وأخبر المزمز ، فقال له المزمز : « يكون عندك محفوظاً به » ، وكان أيضاً من أصحاب أختى مسلم الذين ظاهروا مع القرمطى .

وبعث أبو محمود بعمال الشام ، فجازوا في بستان الإخشيد بالقاهرة .

وفي يوم عيد انقطر ركب المز وصل بالناس على رسمه وخطب .

ونبه ورد الخبر بدخول أبي محمود لإبراهيم بن جعفر إلى دمشق ، وتمكّن سلطانه بها وقوته ، وأنه قبض على جماعة أبي الهيجاء القرمطي وابنه ، واستأمن إليه جماعة من الإخشيدية والكافورية ، وأخذ محمد بن أحمد بن سهل النابلسي ، وسيره مع الجماعة إلى المز .

وكان من خير أبي محمود لإبراهيم بن جعفر أنه سار من الرملة ، ونزل على أذرعات ، وقد سار ظالم بن موهوب العقيلي نحو دمشق بمراصلة أبي محمود ليتفقا على أبي الهيجاء القرمطي ، وكان أبو الهيجاء بن منجاء القرمطي بدمشق في نحو الألف رجل ، وقد طلب منه الجند مالا ، فقال : « ما معي مال » ، ووافى ظالم بن موهوب العقيلي عقبه دمر ، فخرج إليه أبو الهيجاء وابنه بمن معه ، ففرّ عده من الجند ، ولحقوا بظالم مستأمنين إليه ، فقوى بهم ، وسار بهم فأحاط بأبي الهيجاء ، فلم يقدر على الفرار ، فأخذه وابنه ، بعد أن وقعت فيه ضربة ، فإتقلب العسكر كله مع ظالم ، فملك دمشق لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ، فحبس أبا الهيجاء وابنه ، وقبض على جماعة من أصحابه ، وأخذ أموالهم .

ثم إنه طلب شيخاً من أهل الرملة يقال له أبو بكر محمد بن أحمد النابلسي - كان يرى قتال المغاربة ويغضبهم ويرى أن ذلك واجب - ويقول : « لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحد في الروم » .

وكان الحسن بن أحمد القرمطي لما اتهم عن مصر ، سار أبو بكر النابلسي إلى دمشق ، فأخذه ظالم بن موهوب وحبسه ، ونزل أبو محمود على دمشق لثاني بقين من رمضان ، فتلقاه ظالم ، فأئس به أبو محمود ، فأخرج إليه أبا الهيجاء بن منجاء القرمطي وابنه وأبا بكر بن النابلسي ، فعمل لكل واحد منهم (١٣٦) قفصاً من خشب ، وحملهم إلى مصر ، فدخلوا إلى القاهرة في شوال ، فطيف بهم على الإبل بالبرانس والقيود ، وابن النابلسي ببرنس على جمل وهو مقيد ، والناس يسيونه ويشتمونه ويجرون برجله من فوق الجمل .

وكان معهم بضعة وعشرون رجلا من القرامطة على الإبل ، فلما فرغوا من التطوف .
رَدُّوا إلى القصر ، فعدل بلقي الهيجا وابنه وبقية القرامطة إلى الاعتقال ، وسبق ابن النابلسي
إلى المنظر ليسلخ ، فلما علم بذلك رى بنفسه على حجارة ليموت ، فَرَدَّ على الجمل ، فعاد
ورى نفسه ثانيا ، فَرَدَّ وشدَّ وأسرع به إلى المنظر ، فسُلخ وحُشى جلده تبنا . ونصبت جثته
وجلده على الخشب عند المنظر .

وأقام أبو محمود بدمشق وهي مضطربة قد كثر فيها الفوضىَّة وحُمال السلاح ، وعظم النهب
في القرى ، وأخذت القوافل ، فلم يقدر أبو محمود على ضبط أصحابه لقلة ماله ، فلم يكونوا
يفكرون فيه ولا يرجعون عن شيء ينهزم عنه ، وأخلوا في النهب ، وظالم بن موهوب يأخذ
أموال السلطان من البلد ولا يدفع إلى أبي محمود شيئا منها ، ويحتج أنه أخذ البلد من أبي الهيجا
وسار إليه بمكاتبة الجيز له .

هذا وكل من الفريقين يخاف الآخر ، وقد علم ظالم أن أهل دمشق تكره المازبة ، فكان
يدارى الأمر ، وكثر قطع المغاربة للطريق ، فامتنع الناس من الذهاب والمجيء ، وهرب أهل القرى
إلى المدينة ، وأوحش ظاهر البلد ، فوقع بين المغاربة وبين أهل البلد الحرب [أياما] كثيرة ،
قام فيها ظالم مع أهل البلد وقاتل المغاربة ، فانهزم وسار إلى بعلبك ، ووقع الحريق في البلد ،
واشتد القتال ، فخرج وجوه أهل البلد إلى أبي محمود ولطفوا به ، فقال لهم :

« ما نزلت لقتالكم ، وإنما نزلت لأرد هؤلاء الكلاب عنكم » - يعنى أصحابه - .

ففرح الناس واستبشروا وجاءوا إلى خيمته ، واختلطت الرعية بأصحابه ، وزال عنهم
الخوف ، ودخل المغاربة فيما يحتاجون إليه ، فولى أبو محمود الشرطة لرجلين : أحدهما مغربي ،
والآخر من الإخشيدية ، فدخلوا في جمع عظيم إلى المدينة بالزمر ، فجلسوا في الشرطة ، وكان
يطوف لهم طُوف في الليل ، ومع ذلك فلم ينكسر حُمال السلاح من يطلب الفتنة ، فذهب
أبو محمود على مشايخ البلد وتهدهم ، فثار أهل الشر من الدماشقة ، ورأس الشُّطَّار فيهم
ابن الماورد بسبب منازعة أهل البلد مع مغربي بسبب صبي ، فأراد المغربي أخذه ، ففرق البلدي
السيف وقتل المغربي في السوق ، فعادت الفتنة ، وشهروا السلاح ، فاضطرب البلد ، وغلقت

الأسواق ، وثار العسكر من جهة المقتول ، وصاح الناس في البلد بالنفير ، وكُبروا على الأسطحة ، وخرج ابن الماورد في جماعة ، فاشتد القتال بين الفريقين ، وأتت المغاربة النار في الدور ، فخرج وجوه البلد ومشايعهم إلى أبي محمود ، وما زالوا به حتى بعث إلى العسكر - وقد كادوا يغلبون أهل البلد - فكفَّهم عن القتال ، وكان ذلك في آخر ذي الحجة ، فسكن الأمر ، وخرج الناس إلى أبي محمود ، ودخل صاحب الشرطة المغربي ، إلا أن أهل الغوطة كانوا قد أروا إلى البلد خوفاً من النهب ، وكان فيهم دُعار ، وفي المدينة قوم من أهل الشر ، فاجتمعوا يأخذون المستضعفين ، ويجبون مستغلات الأسواق ، ويكبسون المواضع وينتهبونها ، فصنعت أحوالهم ، وكانوا يكرهون تمكن السلطان ، فهلك لذلك كثير من الناس .
ومرَّ صاحب الشرطة في الليل - وهو يطوف البلد - برجل معه سيف ، فأخذه وقتله ، فأصبح أهل الشر وقد خشوا من تنديد (٩) السلطان لهم ، فثاروا بالسلاح إلى صاحب الشرطة ، ففرَّ منهم هو وأصحابه إلى مسكرهم ، وصعد العامة إلى المآذن ، فصيحوا :
« النفير إلى الجامع » .

فثار الناس بالسلاح ، وركب عسكر أبي محمود وطرحوا النار فيما بقى ، واشتد القتال ، وكثر القتل والحريق ، وعظم الخوف على البلد ، وعلا الضجيج ، وذلك لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وستين .

فبات الناس على ذلك ، وأصبحوا وقد اشتدت الحرب وقويت اللماشة ونشأ فيهم من أهل الشر غلام يقال له ابن شرارة (٣٦ ب) وقد ترأس ، وآخر يقال له ابن بوشرات وابن المغنية ، وقسم لكل واحد منهم حزب بأعلام وأبراق ، فأظهرت المغاربة قوتها وبلداوا سيوفهم في كل من قدروا عليه من الرعية بمن وجلوه بظاهر البلد .

واستمر القتال أكثر المحرم ، فخرج قوم المستورين إلى أبي محمود وما زالوا به حتى أجابهم إلى الصلح ، وصرف صاحبي شرطته ، وولى أبا الثريا - من بانياس - أميراً كان على الأكراد ، فعبر البلد أول صفر وقد أكنن له عدة من أهل الشر ، فثاروا به ، ووضعوا السلاح في أصحابه ، فقتل من أصحابه ، وانهمز إلى أبي محمود ، فركب العسكر وأخذوا كثيراً من

الناس ، ووقع النفيير في البلد ، واستمر القتال بين الفريقين صفر وربيع الأول ، ثم وقع الصلح في أثناء ربيع الآخر .

وولى محمود جَيْشَ بَنِ الصمصامةِ البلدَ ، فأقام أياماً ، ثم إن الناس ثاروا وقتلوا عدة من المغاربة ، وساروا يريدون جيشاً ، ففرّ منهم ، ونهبوا ما كان له ، فعادت الحرب وطرح الثار في الموضع .

وأمر أبو محمود بأن تقصد أهل الشر دون غيرهم من الناس ، خير أن الرعية كانت تقاتل معهم ، فاشتد القتال إلى أول جمادى الأولى ، ونصبوا الحرب يوماً بعد يوم من بكرة النهار إلى آخره ، والبلد تمتنع في جميع هذه الحروب ، والقتال من ظاهره ، ومعظمه على باب كيسان إلى باب شرقي ، وباب الصغير إلى باب الجابية .

وكان عسكر أبي محمود من المغاربة عشرة آلاف سوى من تبعهم من غيرهم ومن حضروا من الساحل ، فكانت الحرب مستمرة ، تارة تظهر المغاربة على الماشقة ، وتارة تهزم الماشقة المغاربة ، وكانت المغاربة لا تظهر بأحد إلا قطعوا رأسه ، فقتلوا خلقاً كثيراً .

وخلت الفوضىّة بحيث لم يبقَ فيها أحد ، وانحصر البلد فلم يقوَ واحد يدخل إليه بشيء البتة ، فغلت الأسعار ، وبطل البيع والشراء ، وقطع الماء عن البلد ، فعدم الناس القن والحمامات ، فكانت الأسواق مقلقة ، والنساء جلوس على الطرق ، والرجال تصيح : « النفيير » ، فساعت حال كثير من الناس في هذه الفتنة ، وماتوا على الطرق من القُر والبرد ، وهم مع ذلك مجتهدون في القتال ، ونصبوا العرّادات على أبواب البلد ، فلم تبطل الحرب يوماً من الأيام ، وفي الليل تُضرب الأبواق فيشور الناس من قرشهم ، ويسيرون بالمشاهل فيقيمون إلى الصباح .

فلما تفاقم الأمر ، واشتد البلاء ، وقوى أهل الشر من أهل البلد ، وأكلوا أموال الناس ، كتب مشايخ البلد إلى محمود في الصلح ، وأحضروا ابن الماورد وابن شرادة وزجروهم ، وانصرفوا على أن أحداً لا يعارض السلطان في البلد ، وقد فتح المسلمون المصاحف ، والنصارى الإنجيل ، واليهود التوراة ، واجتمعوا بالجامع ، وضجوا بالدعاء ، وداروا المدينة - وهي منشورة على رؤوسهم - .

وبلغ المعز ما وقع بدمشق من الحروب ، وما صارت إليه من الخراب ، فكتب إلى ريان الخادم - وهو بطرابلس - أن يسير إلى دمشق ، وينظر في أمر الرعية ، ويصرف أبا محمود عن البلد ؛ فقدم ريان إلى دمشق ، وأمر أبا محمود بالرحيل ، فسار في عدد قليل من عسكره ، وتأخر أكثرهم مع ريان ، ونزل أبو محمود في الرملة ، وورد عليه كتاب المعز يوبخه ، وكان صرف أبي محمود عن دمشق في شعبان سنة أربع وستين .

هذا ما كان من غير دمشق .

وأما القاهرة فإنه طيف [فيها] في ذي القعدة سنة ثلاث وستين بنيف وأربعين رأساً جىء بها من الصعيد .

وفي ذي الحجة نودي أن لا تلبس امرأة سراويل كبار^(١) ، ووجد سراويل فيه خمس شقائق ، وآخر قطع من ثماني شقائق ديبقي^(٢) .

وفيه هلك رسول ملك الروم ، فسيّر المعز في تابوت إلى بلد الروم .
وركب المعز لكسر الخليج .

وفيه منع المعز من وقود النيران ليلة النيروز في السكك [و] من صب الماء يوم النيروز^(٣) .
وكثر الإرجاف بمسير الروم إلى أنطاكية .
وفي يوم عرفة نصبت الشمسة في القصر .

(١) الأصل : « كبيراً » .

(٢) نسبة إلى ديبقي إحدى المدن المشهورة بصناعة النسيج في مصر في العصر الاسلامي ، راجع المخطط للمقريزي .

(٣) نقل المقريزي بهذا النص بكلماته في كتابه (المخطط ، ج ٢ ، ص ٣١) ونسبه إلى الحسن ابن زولاق ، والنوروز أو النيروز كلمة فارسية معناها اليوم الجديد ، وعيد النوروز هو عيد أول السنة القبطية ، وكان الاقباط يحتفلون به قديماً ، وظلوا يحتفلون به في العصر الاسلامي في أول يوم من شهر توت وهو أول شهور السنة القبطية ، وكان من عادة الاقباط في الاحتفال بهذا العيد ان يشربوا الخمر ويتراشوا بالماء وبالخير في الطرقات ، انظر تفصيل الحديث عن عيد النوروز في نفس المرجع ، ص ٣٠ - ٣٣ ، وانظر كذلك مايلي هنا في حوادث سنة ٣٦٤ هـ .

وصلى للمز صلاة العيد ، وخطب على الرسم الذى تقدم ذكره ، وانصرف إلى (٣٧)
القصر ، فأطعم على الناس .

وانتهت زيادة ماء النيل إلى سبع عشرة فراساً ، وجرى الرسم فى الجائزة والخلع والحملان
لابن أبى الرّداد^(١) على العادة .

وفيهما حدث وباء بمصر فمات خلق كثير .

ومات القاضي أبو حنيفة النعمان^(٢) بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون .

(١) كان المتفق عليه فى تاريخ مصر الاسلامية أن يحتفل بوفاء النيل اذا بلغ الفيضان ستة
عشر أو سبعة عشر ذراعاً ، ويعتبر النيل مقصراً اذا قل عن الرقم الأول .
ويعتبر الفيضان خطراً اذا زاد عن الرقم الثانى .

واختار رجلاً مسلماً صالحاً يسمى عبد الله بن عبد السلام بن أبى الرّداد المزدب ، وأجرى عليه
سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنائير فى كل شهر ، وبقيت هذه الوظيفة فى
نسل هذا الرجل « ابن أبى الرّداد » حتى القرن التاسع الهجرى ، كما يقر ذلك السيوطى فى
حسن المحاضرة ، والمقرئزى فى الخطط ، والقلقشندي فى صبح الاعشى . انظر كذلك
(الاحتفال بوفاء النيل فى مصر الاسلامية) فصل من كتاب (دراسات فى التاريخ الإسلامى
للدكتور جمال الدين الشيال ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٧٨ - ٨٤)

(٢) فى الاصل : « القاضي أبو حنيفة محمد بن النعمان بن محمد . الخ » وهو غير صحيح ،
فهو القاضي أبو حنيفة النعمان ، ولم يكن محمد بن اسمائه ، بل محمد ابنه ، وقد اختلفت
المراجع فى ذكر سنة ولادته ، والمرجح أنه ولد فى العشر الاخير من القرن الثالث وتوفى سنة
٣٦٣ بالقاهرة . ويعرف فى تاريخ الدعوة الفاطمية باسم القاضي النعمان تمييزاً له عن سميه أبى
حنيفة النعمان صاحب المذهب السنى المعروف ، وكان فقيهاً كبيراً واتصل بخلفاء الفاطميين منذ
قيام الدولة ، واتى الى مصر صحبة للمز وولى بها القضاء مشاركة مع أبى الطاهر الذهلى الذى كان
يلى القضاء قبل الفتح الفاطمى ، وكان النعمان فقيه الشيعة الأكبر وهو الذى دون الفقه الشيعى
ألسماعيل فى كتب كثيرة أهمها كتاب « دعائم الاسلام » الذى نشره أخيراً فى القاهرة أصف
على فيضى ، ولازال هذا الكتاب عمدة طائفة البهرة بالهند .

وقد نبغ من أسرة بنى النعمان عدد كبير من العلماء والفقهاء تولوا جميعاً القضاء ، وتولى
بعضهم الدعوة بالقاهرة وتركوا أثراً كبيراً فى الحياة العقلية بمصر فى العصر الفاطمى قرابة
قرن من الزمان ، وللاستيفاء ترجمة القاضي النعمان وأسرته راجع : (مقدمة أصف على فيضى
لكتاب دعائم الاسلام ، القاهرة ١٩٥١) و (محمد كامل حسين : فى ادب مصر الفاطمية ، القاهرة
١٩٥٠) و (A. A. Fyzee : Qidī an-Nu'mān, The Fatimid Judge and author, J.R.A.S. 1934. P. I-32) .

و (ديوان المؤيد فى الدين داعى البعثة ، نشر محمد كامل حستين) و (الكنتندى : الولاية
والقضاء) و (مقدمة الدكتور محمد كامل حسين لكتاب الهمة فى آداب أتباع الأئمة) و (ابن
خلكان : وفيات الأعيان) و (ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤) و (ابن حجر : رفع الأمر
عن قضاء مصر ، النسخة الخطية بدار الكتب) و (Ivanow : Guide to Ismaili Literature) .

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

والخليفة أمير المؤمنين للمز لدين الله معد .

والخراج ووجوه الأموال إلى يعقوب بن كلّس وعُشْلُوج .

والقاضي أبو طاهر محمد بن أحمد .

والشرطة السفلى إلى جبر بن القاسم .

والشرطة العليا إلى جبر السالمى .

وصاحب المظلة شفيع الخادم الصقلّى .

والطبيب موسى بن العازار .

وإمام الجمعة عبد السميع بن عمر العباسى .

وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهلب .

وإمام الخمس الحسن بن موسى الخياط .

والمحاسب عبد الله بن ذلال .

ولى المحرم قدم أفلح الناشب من برقة ، فخرج إليه بالجيزة وجُوه الدولة والقاضى والرعية وأنزل بمكان .

وورد الخبر بخلع نفسه وببيعة ابنه الطائع .

وأطلق أبو الهيجاء بن منجا الترمطى وابنته ، وخلع عليه وحمل ، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة .

ولست بقيت من وبيع الآخر توفيت أم المز .

ولى جمادى الأولى أطلق للمز الجائزة لوفد الحجاز من الأشراف وغيرهم ، ومبلغها أربعمائة ألف درهم .

وَقَدْ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْحُسَيْنِيِّ الْكَرْفِيِّ لِقَاءَ الشَّامَاتِ ،
وَدَارِ الْفَرْبِ ، وَالْحِسْبَةِ ، وَحُمِّلَ عَلَى بَغْلَةٍ وَبَرْفُونَ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ تَخْتُ ، وَسِتَّةُ آلَافٍ دُرْهَمٍ ،
وَكُتِبَ لَهُ سَجَلٌ .

وَضُمِّنَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الرَّسِّيَّ ، وَأَبُو طَاهِرٍ سَهْلُ بْنُ قَمَامَةَ خِرَاجَ الْأَشْمُونِيِّينَ
وَحَرَبَهَا ، وَخُتِلَعَ عَلَيْهِمَا ، وَسَارَا بِالْيَنُودِ وَالطَّبُولِ .

وَضُمِّنَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْرٍ الْعَدَّاسُ كُرُورَةَ بُوَصَيْرٍ وَأَعْمَالَهَا ، وَخُتِلَعَ عَلَيْهِ وَحُمِّلَ ،
وَسَارَ بِالْيَنُودِ وَالطَّبُولِ .

وَأَحْتَلَّ الْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْمَعْزِ ، وَمَاتَ لِسَبِيحٍ بَقِيَّتَيْنِ مِنْهُ - بَعْدَ جَدَّتِهِ بِتِسْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا -
فَجَلَسَ الْمَعْزُ لِلْعَزَاءِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ بِغَيْرِ عَمَائِمٍ ، وَفِيهِمْ مَنْ شَوَّهَ نَفْسَهُ وَأَظْهَرَ الْجَزْعَ الشَّدِيدَ ،
فَكَانَ الْمَعْزُ يَسْكُنُهُمْ وَيَقُولُ :

« اتَّقُوا اللَّهَ ، وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ » .

وَعُلُقَتِ الْأَمْوَاقُ ، ثُمَّ جَلَسَ النَّاسُ بِزِيَجِهِمْ ، وَمِنْهُمْ قِيَامٌ ، فَأَمَرَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ
بِفَسْلِهِ ، وَالْمَعْزُ يَتَحَدَّثُ ، وَيَسْأَلُ عَنْ آيٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَعَنْ مَعَالِيهَا ، لِأَنَّ الْقُرَاءَةَ كَانُوا
يَقْرَعُونَ ، وَوُصِفَ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْفَضْلِ وَالْبِرِّ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مَسْلَمٌ :

« أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فَقْدِ الْوَلَدِ الْبَارِ »

فَقَالَ لَهُ الْمَعْزُ :

« عَمَّا تَقُولُ فِي الْوَلَدِ الْعَاقِ وَالْأَخِ الْعَاقِ ؟ » - يَعْزُضُ لَهُ بِإِبْنِهِ جَعْفَرٍ وَيَأْتِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ،
وَكُونَهُمَا مَعَ الْقَرَامِطَةِ - .

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مَسْلَمٌ :

« إِذَا بَلِيْتُ بِالْوَلَدِ الْعَاقِ وَالْأَخِ الْعَاقِ كَانَ فِي اللَّهِ وَفِي بَقَاءِ مَوْلَاتِنَا مِنْهُمَا عِرْضٌ » .

فَقَالَ لَهُ الْمَعْزُ : « لَا صَانَ اللَّهُ مِنْ لَا يَصُونُكَ ، وَلَا أَكْرَمَ مِنْ لَا يَكْرِمُكَ ، وَلَا أَحَزَّ مِنْ
لَا يَعْزُكَ ، وَلَا أَجَلَ مِنْ لَا يَجْلُكَ » .

فقام أبو جعفر وقبّل الأرض هو وجماعة من في المجلس ، وشكروه على قوله .
ثم خرج تابوت عبد الله ، وحوله أهل الدولة بالصراخ والبكاء ، فصلى عليه العز ، ودخل
معه حتى وراه في القصر .

وفي جمادى الآخرة ورد الخبر بموت عبد الله أخى مسلم بظاهر البصرة - كما تقدّم - ،
وبموت المطيع ببغداد ، وأن موته كان في المحرم ، وأن ابنه الطائع سمّه ، وأن فتنة وقعت
ببغداد بين الترك والديلم ، وبين الرعية والشيعية ، وغلا السعر ، ونهبت الأسواق والدور ،
وأن أبا تغلب بن حمدان رحل إلى بغداد متوسطاً بين الطائع وبختيار .

وفيه سار نصير الخادم الصقلّي - عبد العز - إلى الشام في عسكر كبير ، ودخل بيروت .
وفي أول رجب أصلح جسر القسطنطين ، ومنع الناس من ركوبه ، وقد كان أقام
سنتين^(١) معطلاً .

وركب العز إلى القدس ، وسار على شط النيل ، ومعه أبو طاهر القاضي يحلّله ، حتى
صبر الجسر إلى الجزيرة ، فمضى إلى المختار .

وفيه وردت رؤوس من المغرب عدتها ثلاثة آلاف ، فطيف بها ، وذلك أن خلف بن جبر صعد
في بنى هواس (٣٧ ب) إلى قلعه منيعة ، فاجتمع عليه كثير من البربر ، فزحف إليه يوسف
ابن زبيري ، فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة قُتل فيها خلائق كثيرة حتى أخذ القلعة
في عاشر شعبان ، ففرّ خلف ، وقتل بها آلافاً كثيرة ، بعث منها سبعة آلاف رأس إلى
القيروان ، فطيف بها ، ثم حُمِلَ منها إلى مصر لمّا ذكر .

وفيه وقع الجندى في كثير من الناس ، وأقام شهوراً .

وكانت وقعة مع الروم بطرابلس .

وفي شعبان وصل أفتكين بعسكر من الأتراك إلى دمشق ، وورد كتابه على العز وهو يستأذن
في المسير ، فشاور العز أبا جعفر مسلم ، فقال :

(١) الأصل : سنتين .

و هم قوم غدر ، فإن تأذن لهم غلبوا على دمشق .
فشرع الغز في تعبئة المساكر وإنفاذها لقتاله .

وكان من خير أفتكين أن الديلم والأتراك اختلقوا ببغداد ، فإراد عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بُوَيْه الديلمي سلطان العراق أن يقبض على سُبُكْتِكِينَ التركي ، وكانت الأتراك تنعصب ممة وهم في أربعة آلاف هو أميرهم ، فغلبوا بختيار وخرج عن بغداد ، وغلب سبكتكين التركي عليها ، وكان في قوة من المال والسلاح والرجال ، فلم تطل مدته بعد غلبته على بغداد وهلك ، فاستخلف من بعده على الأتراك أفتكين الشراي مولى معز الدولة بن بُوَيْه ، وكان شجاعاً ثابتاً في الحرب ، فسار بالأتراك من بغداد لحرب الديلم ، فجری بينهم قتال عظيم .

وقاتل أفتكين حتى تفرق مَنْ حوله إلا يسيراً ، وانهمز صاحب رايته ، فلقحه وضربه بالثَّوْدِ (١) وأخذها من يده ، وحمل على الديلم فقتل منهم كثيراً بالثوث ، ثم حمل عليهم الديلم فانهمزوا وأفتكين في نحو الأربعمئة من الأتراك ، فأخذ على الفرات حتى نزل الرجة ، ثم أخذ في البر وقد أظهر من المهابة ما لم يتجاسر العرب على نهيه ، فنزل جوشية من قرى الشام ، فجمع له ظالم بن موهوب العقيلي - وهو حينئذ على بعلبك - مَنْ قدر عليه من العرب ، وأنفذ إلى أبي محمود قبل أن يسير عن دمشق يطلب منه عسكرياً ، فأنفذ إليه جماعة ، وخرج يريد أفتكين - وهو في ألفين - فسار يريد جوشية .

وبعث أبو المعالى ابن حمدان بشارة الخادم من حمص في ثلاثمائة رجل إلى جوشية مدداً لأفتكين على ظالم ، فبعث بشارة إلى ظالم فصرفه عن محاربة أفتكين وعاد إلى بعلبك ، وسار بشارة بأفتكين ، فنزل بأفتكين بظاهر حمص ، ووعدته عن مولاه أبي المعالى بكل جميل ، وحمل إليه أبو المعالى وأكرمه ، فسار إلى أبي المعالى ، فلجلسه على كرسى .

وسأله أفتكين أن يوليه كَفَر طاب ويكون تبعاً له ، فما هو إلا أن ورد عليه رسول بن المناورد الشاطر من دمشق بأن يسير إلى دمشق ، وأنه يخرج إليه بأهل البلد ، ويقاتلوا عسكرياً .
المغاربة : وملكوه عليهم ، فوقع ذلك منه بموقع ، فبعث إلى أبي حمدان يقول :

(١) اللث (والجمع لثود) : ثوب فارسي معناه القدم أو العباس الكبيرة .

« إلى نظرت في الذي وليتني فإذا هو لا يقوم بمن معي من القلمان ، وإني أريد أن أرجع

إلى بغداد » .

فقال :

« الفعل ما تراه » .

فسار كأنه يريد أن يأخذ طريق البرية إلى بغداد ، وأخذ نحو دمشق ، وقد نزل ريان عليها ، وجاءته أخبار طرابلس : بأن العدو قد خرج ، ونحن نخاف على البلد أن يؤخذ ، فانزعج وخاف على طرابلس ، وإذا بالخبر ورد عليه بأن أفتكين قد توجه نحوه بموافقة أهل البلد ، فعرض حساكوه ، وبرز يريد عقبة كمر .

وأصبح أفتكين على ثنية العقاب ، ولم يعلم بأن ريان الخادم قد ارتحل عن البلد بنجم أصحابه حتى لم يبقَ منهم أحد ، فوصل إلى البلد وقد أجهده وأصحابه التعب لأيام بقيت من شعبان . ونزل بظاهر البلد ، فخرج الناس إليه ، واستبشروا به ، وسألوه أن يملكهم ويزيل المصريين ويكف عن الأحداث^(١) ، فأجابهم ، واستحلفهم على الطاعة والمساعدة ، وحلف لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره .

وقطع خطبة المعز وخطب للطائفة ، وقمع أهل العبث ، فهابته الكافة ، وصلح به كثير من أمر البلد ، وأقام أياماً ، وشاع خبر العدو أنه قد أقبل في جيش عظيم ، فاستعدوا لقتاله ، ونزل العدو على حمص ، (ص ١٣٨) فلم يعرض لأحد بأرض حمص ، لهدنة كانت بينه وبين أبي الملال ابن حمدان .

وسار أفتكين إلى بعلبك في طلب ظالم ، ففر منه ، فنزل أفتكين بعلبك ، وكانت العرب قد استولت على ما خرج عن سور دمشق ، فأوقع بهم أفتكين ، وقتل كثيراً منهم ، وظهر منه حسن تدبير وقوة نفس وشجاعة ، فأذعن الناس له ، وأقطع البلاد ، فكثر جمعه ، وتوفرت أمواله ، وثبت قدمه ، وملك بعلبك من ظالم بن موهوب ، فقصده الروم وعليهم الدمستق ، فقاتلهم أشد قتال ، ثم كثروا عليه فانهمز .

(١) هذا نص آخر عن « الأحداث » ، راجع مايلي هنا ص ٢٣٩ ، هامش ٣ .

ودخل الروم بعلبك ، فأنخلوها منها ومما حولها سلباً كثيراً ، وأحرقوا ، وذلك في شهر رمضان ، وانتشرت خيلهم وسراياهم في أعمال بعلبك والبقاع تحرق وتسبي ، وامتدوا إلى الزبداني ، فأنطد الناس عليهم المضايق ، ومنعهم من الدخول إلى الوادي .

وخرج من دمشق قوم فحاطبوا كبير الروم في الهدنة ، فطلب منهم مالا لينصرف عن البلد ، فخرج إليه أفتكين ليخاطبه عن البلد ، وأهدى إليه من كل ما كان معه من بغداد ، فأكرمه وقربه ، فحاطبه أفتكين في أمر البلد ، وأعلمه بأنه خراب ليس فيه غير حُمال السلاح ولا مال فيه ، فقال له :

« ما جئنا لنأخذ مالا ، وإنما جئنا لنأخذ الديار بأسياقنا ، وقد جئتنا بهدية ، وقد أجبتك إلى ما طلبت ، وغرضنا فيما نأخذه من المال أن يقال بلد ملكناه فأخذنا هديته » .

فقال أفتكين :

« هذا بلد ليس لي فيه إلا أيام يسيرة ، ولم آمر فيه ولم أنه ، وقد خرج معي إليك رجل له يد في البلد ، يخفي من كل ما أفعله » .

وقد كان خرج معه علاء بن الماورد ، فقال :

« ومن يدفعك عما تريد ؟ »

قال :

« هذا وأصحابه » .

فأمر بالقبض على بن الماورد ، فقبض وقيد ، وجرت الموافقة مع أفتكين على أنه يجي المال ويكون على سبيل الهدنة ، ويكف عن دمشق وأعمالها ، فعاهده ملك الروم على ذلك ، وعاد أفتكين إلى دمشق ، افتار أصحاب ابن الماورد بالسلاح يريدون أفتكين ، فمنعهم الناس . وكان أبو محمود إبراهيم بن جعفر حينئذ بطبرية ، فبلغه خروج أفتكين إلى الروم ، فسير جيش بن الصمصامة في نحو الألفين ليأخذ دمشق ، فسرى من طبرية ، وكان شبل بن معروف العقيلي على شينيه وليس لجيش به علم ، فركب إليه شبل في جمع من العرب فواقوه فانهزم ، وأتى الخبر إلى أفتكين وقد خرج من عند ملك الروم ، فخرج الأتراك وأدركوهم فقتلوا منهم

كثيراً ، وأخذ جيش أميراً ، فبعث به أفتكين إلى الروم وهو مقيم على عين الجر ينتظر المد .
وجي له أفتكين من دمشق ثلاثين ألف دينار بالعنف ، ورحل فنزل على بيروت - وبها نصير
الخدام من قبل المعز - ، فلم يزل الروى يرأسل أهل بيروت :

« إلى لا أريد خراب بلدكم ، وإنما أريد أن تسلموا إلى هذا الخادم ومن معه ، وأجعل
عندكم من قبلي من يلطع عن بلدكم » .
حتى خرج إليه نصير الخادم ومن معه ، فأخذهم ، وولى على بيروت من قبله شخصاً في
مائة رجل .

وسار فنزل على طرابلس - وفيها ريان الخادم الذي كان على دمشق في خلق من المغاربة - ،
فقاتلوه أشد قتال .

ونزل بالروى مرض فرحل إلى بلده ، وهلك في الطريق .
ومعكن أفتكين من دمشق ، فأنفذ شبل بن معروف العقيلي إلى طبرية ، ففر عنها أبو محمود
بمن معه إلى الرملة .

وقدمت جيوش المعز ، وفيها كثر مخافتهم العرب ، واقتتلوا بجوار بيت المقدس مع
العرب ، فظهر العرب عليهم وهزمهم ، وقتلوا كثيراً منهم ، وسيروا عدة منهم إلى دمشق ،
فطيف بهم في الأسواق على الجمال ، وملأوا بهم الحبوس ، فأقاموا في ضر ، ثم ضربوا أعناقهم ؛
وكان - مع ذلك - أفتكين - طوال مقامه بدمشق - يكتاب القرامطة ويكاتبونهم .

وركب المعز يوم عيد الفطر ، فصلى وخطب على رسمه المعتاد ، وورد عليه الخبر بوقعة
ريان بالروى وهزيمة الروم - وقد أسر ريان منهم وقتل وغنم - فسر المعز بذلك وتصدق ،
ودخل الناس عليه فهنأوه ، وقال الشعراء في ذلك ، وفي خلق المطيع شعراً كثيراً .
وبعث إلى الحجاز بالأموال والنفقة وكسوة الكعبة .

ووردت رؤوس من المغرب (٣٨ ب) فطيف بها .
وقدم إليه من المغرب ماء للشرب من العين التي أجراها .
وأنفذ رسولا إلى القرامطة برسالة إلى الأحساء .

وفيه ثارت فتنة بين المصريين والمغاربة ، فقبض على جماعة وضربوا .

وفى ذى القعدة نودى لخمس خلون منه فى الجامع العتيق : « الحج فى البر » .
وكان قد انقطع منذ سنين .

وفيه مات عبد الله بن أبي ثوبان ، وكان قد نصبه المعز للنظر فى مظالم المغاربة ، فتبسط .
فى الأحكام بين المصريين ، وقال فى كتبه : « قاضى مصر والإسكندرية » ، وشهدت عنده شهود
مصر من المدلين .

وفيه خاطب المعز على بن النعمان بالقبضاء ، وأذن له فى النظر فى الأحكام ، فجلس فى
داره ومسجده ونظر فى الأحكام .

وطيف برؤوس من الأعراب والروم وردت من الشام ومن الصعيد .
وقدم للنصف منه جواب القرامطة من الأحساء ، فخلع على الرسول وعلى جماعة معه ،
وحملوا .

وفيه طلع نجم الذنب عند الفجر وله شعاع كبير ، فأقام أياماً ، واضطرب الناس ، ولما رآه
المعز استعاذ منه .

وطلبت العبيد الصقالية من جميع الناس ، وأخذوا بالثمن .

وانفرد عسلوج بن الحسن بالديوان والنظر فى أبواب المال كلها .

وفى مستهل ذى الحجة طيف برؤوس على رماح يقال عنها إنا عشر ألف رأس ، وردت من
المغرب ، فيها رأس خلف بن جبر ، وقد ثار بالمغرب واجتمع عليه البربر ، فظفر به يوسف
ابن زيرى ، وقتل لخمس خلون من رمضان هو وجماعة من أهله .

واعتقل جماعة من الإخشيدية والكافورية وطولبوا ببيع عقارهم ورد ما باعوا منه .

ووردت هدية أبى محمود من الشام ، وهى مائة فارس ، وأحمال مال .

وبرز ركب المعز يوم عيد النحر على رسمه ، فصلى وخطب ، وأطعم الناس بالقصر .
وكسر الخليج ، ولم يركب إليه المعز .

وفي يوم النوروز^(١) زاد اللعب بالماء ووقود النيران ، وطاف أهل الأسواق وعملوا فيلة^(٢) ، وخرجوا إلى القاهرة بلبهم ، فقاموا على ذلك ثلاثة أيام ، وأظهروا السماجات في اللعب بالأسواق ،^(٣) فأمر بالنداء أن يُكفَّ عن اللعب ، وأخذ قوم قطيف بهم وحبسوا^(٤) . وأمر أن يكون في الشرطة السفلى فقيهان يجلسان ، ثم صُرفا . وورد الخبر بوقعة كانت لأبي محمود مع ابن الجراح الطائي بناحية طبرية . وأمر المز بتغيير المكاييل والموازين ، وجعلت الأبطال من رصاص . وأمر المز القاضي أبا طاهر وشهوده أن يرفعوا إليه أخبار البلد ولا يكتموه شيئاً ، ونصبوا لذلك رجلاً فامتنع . وبلغ النيل بزيادة الجليد سبع عشرة ذراعاً وتسعة عشر إصباعاً ، فأمر لابن أبي الرداد بالجائزة والمخلع والحملان على عاقته .

ومات في هذه السنة :

أبو جعفر أحمد بن القاضي النعمان بن محمد بمصر يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول . وحسن بن سعيد الأفرنجي بالقاهرة ، فصلى عليه المز ودفن بها . وإسماعيل بن لبون النشأجي ، وصلى عليه المز . وعلى بن الحرسي صاحب الخراج . ومات حسن بن رستق النشأجي . ومات أيضاً أبو الفرج محمد بن إبراهيم بن سكرة في ربيع الآخر .

(١) انظر ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب عن النوروز في حوادث سنة ٣٦٣ . وقد نقل هذا النص المقرئ في كتابه الخطط ، ج ٢ ص ٣٦ وص ٢٨٩ منسوباً إلى الحسن بن زولاق .
(٢) في الأصل : « قبلة » والتصحيح عن : (الخطط ، ج ٢ ص ٢٨٩)
(٣) النص في الخطط مختلف قليلاً عما ورد هنا ، وهو هناك : « ثم أمر المز بالنداء بالكف وان لا توقد نار ولا يصب ماء ، وأخذ قسوم فحبسوا ، وأخذ قوم قطيف بهم على الجمال » .

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة والأمر على حاله .

إلا أن القضاء بيد أبي طاهر محمد بن أحمد ، واشترك معه القاضي على بن النعمان ، فكان كلُّ منهما ينظر في داره .

وتناقل يعقوب بن كُلس عن حضور الديوان ، وانفرد بالنظر في أمور المزم في قصره .
وفي المحرم عُمرت كتيسة بقصر الشمع .

وورد سابق الحاج فأنخبر بإقامة الدعوة بمكة ومسجد إبراهيم يوم عرفة ومدينة الرسول ، وسائر أعمال مكة ، وبتمام الحج .

وكان هذا أول موسم دُعي فيه للمزم بمكة ومدينة رسول الله (١) - صلى الله عليه وسلم - فسر للمزم بذلك ، وتصدق شكرًا لله .

وورد كتاب أمير مكة جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكتاب أخيه الحسن بن محمد الحسيني - وهو أخو صفية امرأة عبد الله بن عبيد الله أخى مسلم - يسأل الإحسان إلى أخيه صفية - وكانت مستترة - فأمر برد ضياعها وريعها وتسليم ذلك إليها ، فأخضر (١٣٩) يعقوب بن كُلس القاضي أبا طاهر وشهوده ، وأشهلهم في كتاب عن المزم أنه أمره برد ضياعها ورياعها (٢) إليها ، فظهرت وأمنت .

وكتب جعفر بن محمد الحسيني أمير مكة يسأله في بنى جُمَح أن يُردَّ جِسمهم إليهم الذى بمصر ، وفي ولد عمر وبنى العاص أن يُردَّ جِسمهم بمصر إليهم ، فأطلق المزم ذلك لبنى جُمَح .
وورد رسول ملك الروم ، فطلقت الحوانيت ، وخرج الناس تنظر إليه .

(١) لهذه الإشارة أهميتها فنعناها أن الحجاز أصبح يدين بالولاء للفاطميين في مصر منذ تلك السنة .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها « ورياعها » أى ما لها من عقار .

قال ابن الأثير .

« وكان سبب موت المعز أن ملك الروم بالقسطنطينية أرسل إليه رسولاً كان يتردد إليه بإفريقية ، فخلا به المعز بعض الأيام ، وقال له :

« أتذكر إذ أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية ، فقلت لك : « لتدخلن عليّ وأنا بمصر مالكا لها ؟ »

قال :

« نعم »

قال :

« وأنا أقول لك لتدخلن عليّ ببغداد وأنا خليفة » .

فقال له الرسول :

« إن أمنتني ولم تغضب ، قلت لك ما عندي » .

فقال له المعز :

« قل وأنت آمن » .

فقال :

« بعثني إليك الملك ذلك العام ، فرأيتُ من عظمتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدتُ أموت منه ، ووصلت إلى قصرِكَ فرأيت عليه نوراً غطى بصرى ، ثم دخلتُ عليك فرأيتك على سريرِكَ فظننتك خالقاً ، فلو قلتُ لى إنك تخرج إلى السماء لتحقق ذلك ، ثم جئتُ إليك الآن فما رأيتُ من ذلك شيئاً ، أشرفتُ على مدينتك فرأيتها في عيني سوداء مظلمة ، ثم دخلتُ عليك فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام ، فقلتُ إن ذلك كان أمراً مقبلاً ، وإنه الآن بضد ما كان عليه » .

فأطرق المعز ، وخرج الرسول من عنده ، وأخذت المعز الحمى لشدة ما وجد ، وانصل مرضه حتى مات .

وقال ابن سعيد في كتاب المغرب :

إن المزم أنفذ إلى ابن السوادكي فقال : « من لك بالحجاز من التجار تكاتبه . اكتب إلى من تراه منهم بأن يكتب إلى عدن بحمل ما يقدر عليه من خشب الأبنوس الحسن التلميع التام الطول ، الغليظ . ٢٠ لا غاية وراكه » .

فكتب إلى تاجر بمكة ، وأكد عليه ، فما كان إلا نحو شهرين حتى عاد جوابه أنه وجد منه ما ليس له في الدنيا نظير ، وحمله في مركب ، فسرَّ بذلك : وبكر إلى المزم فأخبره الخبر ، وأنه في القلزم ، فأتروا وتغير لونه ، فقال له :

« يا مولانا هذا يوم فرح وسرور بأن تطلب أمراً يكون بعد مدة فيسهله الله في أقرب وقت » .

فقال :

« يا محمد ليس يلزم إلى حيث خرجت » .

ثم سار خارجاً إلى ظاهر القاهرة وهو يقرأ سورة الفتح إلى آخرها ، ويردها كلما فرغ منها ، ورجع فاعتلَّ بعد جمعة ، وتردَّدت به العلة ، فمات في الشهر الخامس ، وما طلبه ، مني . ولا أذكرته به ، وكان قد تناول أن أجله نُهي إليه حين رأى الأشياء منقاداً له .

قال ابن زولاق :

ولأربع خلون من صفر ورد حاج البرِّ ، وقد كان البر أقام سنين^(١) لم يُسلك .

وفيه حضر على بن النعمان القاضي جامع القاهرة^(٢) ، وأبلى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر « بالاختصار » ، وكان جمعاً عظيماً .

وفي ربيع الآخر وردت رسالة القرامطة بأنهم في الطاعة .

وفيه أذن المزم لجماعة المصريين فدخلوا عليه وخاطبهم - وهو على سرير الملك - ، فصباح به

رجل منهم :

(١) الأصل : « ستيناً » .

(٢) لاحظ أن ابن زولاق يسمي الجامع الذي بنى في القاهرة « جامع القاهرة » ولم يسمه « الجامع

الأزهر » .

« يا أمير المؤمنين » ، قال الله - عز وجل - : « وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » (١) . يا أمير المؤمنين لننظر كيف تعملون .
وقال : « صدق الله ، كذا قال عز وجل ، ونسأل الله التوفيق » .

واعتلَّ المعزُّ لثانٍ خطون من ربيع الأول ، فأقام ثمانياً وثلاثين يوماً ، ووصف له البطيخ البرُّكسي يؤخذ مأوه ، فطُلب بمصر فلم يوجد سوى واحدة اشترت بخمسة دنانير ، ثم وجد منها ثمانى عشرة بطيخة اشترت بثمانية عشر ديناراً ، وكان الناس يغدون إلى القصر ويروحون ، والذي يمرضه طبيبه موسى بن العازار وعبيده جوهر .

فلما كان لأربع عشرة بقيت من ربيع الآخر اشتدَّت العلة . وعُرفَ باجتماع الناس وكثرة الرقاق في الظلمات والحوائح ، وسئل فيمن ينظر في ذلك ، فأمر أن ينظر فيه وليُّ عهده نزار فاستخلفه ، وخرج السلام إلى الناس فانصرفوا .

وخرج القائد جوهر وموسى بن العازار الطبيب بالعزير فأجلسوه ، وخرج إليه إخوته وعمومته وسائر أهله (ص ٣٩ ب) فبايعوه ، ثم أدخل إليه أكثر الأولياء فبايعوه وسلموا عليه بالإمرة وولاية العهد ، فابتهج الناس بذلك .

ودخل عليه من الغد القاضي أبو طاهر وجماعة الشهود والفقهاء فسلموا عليه بولاية العهد ، وقبلوا له الأرض ، فردَّ عليهم أحسن رد ، وأخبرهم بأن المعز بخير ، قال :
« مولانا - صلوات الله عليه - في كل عافية وسلامة في أحواله ، وفي رأيه لكم ، وانصرفوا .

وكان يوم الجمعة ، فدعا له عبد العزيز بن عمر العباسي على منبر الجامع العتيق (٢) بعد أن دعا للمعز ، فقال :

« اللهم صلِّ على عبدك ووليِّك ، ثمة النبوة ، ومعدن الفضل والإمامة ، عبد الله معدَّ أبي نجم الإمام المعز لدين الله ، كما صليت على آباءه الطاهرين ، وأسلافه المنتخبين من قبله .

(١) الآيتان ١٣ و ١٤ ، السورة ١٠ (يونس)

(٢) يقصد جامع عمرو بن العاص بالفسطاط

اللهم اعنه على ما وليته ، وأنجز له ما وعدته ، ومكّنه مشارق الأرض ومغاربها .
 واشدّد - اللهم - أزرّه ، وأعزّ نصره بالأمير نزار أبي المنصور ولّي عهد المسلمين ، ابن أمير
 المؤمنين ، الذى جعلته القائم بدعوته ، والقائم بجيئته .
 اللهم أصلح به العباد ، ومهد لديّ البلاد ، وأنجز له به ما وعدته ، إنك لا تخلف الميعاد .
 وتوفى المعز لدين الله عشية هذا اليوم ليلة السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر ،
 وقيل يوم الجمعة حادى عشر ، وقيل ثالث عشر ، ولم يظهر ذلك ولا نطق به أحد مدة ثمانية
 أشهر .

وقيل إن السيدة - لما اشتدت علّة المعز - أحضرت القائد جوهر وهو ملتفّ في برد من ... (١)
 وحضر يعقوب بن يوسف بن كلّس وعُسْلُوج القائد وأفلح الناشب (٢) ، وطارق الصقلبي ،
 فقالوا للمعز :

« نريد أن تبصرونا رشدنا وتعلمنا لمن الأمر » .

فلم يجبههم ، فقال له جوهر :

« قد كنتُ سمعتُ منك قولاً في هذا استغفيت به عن إعادة السؤال ، غير أنهم أكرهوني
 على الدخول » .

وقال لهم :

« قابلتموني بما لا يجب » وبكى .

فخرجوا ، فلما كان اليوم الثالث مات ، فصار العزيز إذا رفعت إليه الأمور يدخل كأنه
 يشاوره ويخرج بالأمر .

قال ابن زولاق :

وكان - يعنى المعز - في غاية الفضل والاستحقاق للإمامة ، وحسن السياسة .

(١) مكان هذه النقطة كلمة غير مقروعة .

(٢) كذا بالأصل .

وكان مولده سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، أدرك من أيام المهدي جَدَّ أبيه أربع سنين ، وتوفي القائم وللمعز ست عشرة سنة .

واجتمع للمعز بمصر ما لا يجتمع لآبائه ، وذلك أنه حصل له بالمغرب أربعة وعشرون بيتاً من المال : منها أربعة عشر خلَّفها المهدي ، ولم يخلِّف القائم عليها شيئاً ، وطلَّف المنصور بيتاً واحداً وكسوة ، وأضاف إليها المعز تسعة ، فصارت أربعة وعشرين بيتاً ، أنفق أكثرها على مصر إلى أن قُتحت ودخلها ، وحصل له من مال مصر أربعة بيوت سوى ما أنفقه وسوى ما قدم به معه .

واجتمع له أن خلفاءه بمصر استخرجوا له ما لم يستخرج لأحد بمصر ، فاستخرج له في يوم واحد مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار . وهزمت القرامطة في أيامه أربع مرار : مرتين في البر على باب مصر ، ومرتين في البحر ، وما تم عليهم هذا قط . منذ ظهر أمرهم .

وأقيمت له الدعوة يوم عرفة في مسجد إبراهيم عليه السلام وبمكة والمدينة وسائر أعمال الحرمين ، ولم تُؤدَّ له راية .

وسار ابن السمينق ملك الروم إلى رِيَّان عبد المعز - وهو بطرابلس - فانهزم وأخذت غنائمه وأسر رجاله .

وكتب اسمه على الطُرُز بتنيس ودمياط . والقيس والبهنسي قبل أن يملك مصر^(١) . وتتابعت له الفتوح .

ودُعِيَ لفاطمة ولعل - عليهما السلام - في أيامه على المنابر في سائر أعماله وفي كثير من أعمال العراق .

ونُصبت الستائر على الكعبة وعليها اسمه .

ونُصبت له المحاريب الذهب والفضة داخل الكعبة وعليها اسمه .

(١) يقصد في المدة التي مضت منذ تم لجوهر فتح مصر إلى أن انتقل إليها المعز واتخذها مقراً لخلافته .

وكانه أهل العراق وأهل اليمن وأهل خراسان وأهل الحرمين والترك بالخلافة .
وكان على التجهز للمسير للحج ثم إلى قسطنطينية للجهاد .
وكان مقامه بمصر سنتين وسبعة أشهر وعشرة أيام .

قال ابن الأثير :

وأمه أم ولد .

وولد بالمهلية من إفريقية حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة .
ومات وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً .
وكانت ولايته الأمر ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أيام .
(١٤٠) وهو أول الخلفاء الطوليين ، ملك مصر وخرج إليها .

وكان مُعَرِّى بالنجوم ، ويعمل بالقول المنجمين ، قال له منجم إن عليه قطعاً فى وقت
كذا ، وأشار عليه بعمل سرداب يخفى فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت ، ففعل ما أمره ، وأحضر
قواده وقال لهم : « إن بينى وبين الله عهداً أنا ماضٍ إليه ، وقد استخلفت عليكم ابنى نزار ،
فاسمعوا له وأطيعوا » .

ونزل السرداب ، فكان أحد المغاربة إذا رأى سحاباً ، نزل وأوى إليه بالسلام ظناً منه
أن المزع فيه ، فغاب سنة ثم ظهر ، وبقي مدة ومرض وتوفى ، فستر ابنه نزار العزيز موته إلى
عيد النحر من السنة ، فصلى بالناس وخطبهم ، ودعا لنفسه ، وعزى بآبيه .

وذكر القاضي عبد الجبار بن عبد الجبار البصرى فى كتاب « تثبيت نبوة نبينا صلى

الله عليه وسلم » المزع لدين الله ، وقال :

« واحتجب عن الناس مدة ، ثم ظهر وجلس فى حرير فائق أخضر مذهب ، وعلى وجهه
الجواهر والياقوت ، وأوهم أنه كان غائباً ، وأن الله رفعه إليه ، وكان يتحدث بما يأتيه
أهل الأخبار فى حال غيبته ، وتوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب » .
وتعرض بالجميل دون التفصيل .

قال مصنفه - رحمة الله عليه - :

« ليس الأمر كما قال ابن الأثير ، فقد حكى الفاضل المؤرخ أبو الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصري في كتاب سيرة المعز - وقد وقفت عليها بخطه - رحمه الله -

أخبار المعز منذ دخل مصر إلى أن مات يوماً يوماً ، وأن المعز إنما عهد لابنه يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر قبل موته بيومين ، وذكر أن سبب العهد إليه اجتماع الناس بباب القصر وكثرة الرقاق ، وأنه مثل فيمن ينظر في ذلك ، فأمر ابنه نزار العزيز أن ينظر فيه فاستخلفه ؛ وقد ذكرت ملخص هذه السيرة فيما مر من أخبار المعز ، وأن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير خصوصاً المعز ، فإنه كان حاضراً ذلك ومشاهداً له ، ومن يدخل إليه ويسلم مع الفقهاء عليه ، ويروى في هذه السيرة أشياء بالمشاهدة ، وأشياء مدته بها ثقات الدولة وأكابرها ، كما هو مذكور فيها ؛ إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخي العراق والشام فيما نقلوه ، وغير خافٍ على من تبحر في علم الأخبار كثرة تحاملهم على الخلفاء الفاطميين وشيخ قولهم فيهم ، ومع ذلك فمعرفتهم بأحوال مصر قاصرة عن الرتبة العالية ، فكثيراً ما رأيتهم يحكون في تواريخهم من أخبار مصر ما لا يرتضيه جهالة العلماء ، ويردّه الحذاق العالمون بأخبار مصر ؛ وأهل كل قطر أعرف بأخباره ، ومؤرخو مصر أدري بما جربته (١) ، وفوق كل ذي علم علم عليم .

قال ابن الأثير :

« وكان المعز عالماً فاضلاً جواداً جاريّاً على منهاج أبيه ، حسن السيرة وإنصاف الرعية ، وسر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة ، ثم أظهره ، وأمر الدعاة بإظهاره ؛ إلا أنه لم يخرج فيه إلى حدّ يندم به . »

وقال ابن سعيد في كتاب المغرب :

« إن جوهر القائد لما كان على عسقلان ، وهجم عليه العدو ، وأحرقوا خيمته وما قتلوا عليه ، وقاتل الناس إلى أن كشفوا العدو وعادوا إلى مكانهم ، ترجل جوهر وقبّل الأرض وقال :

(١) هذه نظرة نقدية هامة للمؤلف - المقرئ - للمراجع التي أرخت للفاطميين .

« حذرني مولانا المعز بالمغرب ، وقال لي : احذر النار في عسكريك ببرقة » فلما جرت بها تحفظت من النار ، فلما صرت في مصر : قلت الحق ما يقول مولانا ، وما هو إلا أن أعود إلى المغرب ، فيكون ذلك فيها ، فلما نزلت هذا المنزل عرفت أنه يقال له برقة ، وكنت - والله - خائفاً من قول مولانا حتى رأيته عياناً .

قال :

« ولما بلغ المعز أن يوسف بن زبيري خليفته على المغرب قبض على صاحب خراجه بالمغرب غضب واستدعى إسماعيل بن اسباط . ودفع إليه كتاباً مخنوماً ، وقال له :

« أنت عندى موثوق به ، غير مستراب بك ، قل لى يا يوسف ، تغير ما أمرتك به ، وتنسب ما فعلته لى ؟ والله لئن هممت بالعود إليك لأتيناك ، ولئن أتيتك لا تركت من آل منادٍ أحداً ، بل من بُلُكَّانه ، لا بل من صنهاجة ، أخرج ابن الأديم فاردده إلى النظر في الخراج على رسمه ، وامثل جميع ما أمرتك به ، ولا تخالف شيئاً منه » .

قال : « فسرْتُ بأحسن حال حتى دخلت القيروان فلم أجده ، فسرْتُ إليه ، فلما رآني نزل وقبِّل الأرض لما ترجلت له ، وقبِّل بين عيني » وقال :

« هذه العين اللتى رأت مولانا » .

وأوصلت إليه السجل ، فقرأه سرّاً مع كاتبه وترجمانه ، وأدبت إليه الرسالة بينى وبينه ، فعهدى به يرتعد وينتفخ ويسود ، ويقول : نملع والله ، وكتب بردّ زيادة الله بن الأديم إلى نظره ، وأقمنا مدة .

قال ابن اسباط : « فأتانا راكبٌ معه ذات يوم إذ ورد إليه نجاب بكتاب لطيف ، فقرأه عليه راكبا الترجمان ، فرأيناه ضرب القرمس وحركه فأقامه وأقمعه ، وهزّ رمحه في وجهه وجاله عينا وشالا ، وجعل يقول : « أبلكين » ، أملح اسم أمه ؟ أزيرى ، أملح اسم أبيه ؟ أمناد ، أملح اسم جده ؟ » .

قال : « فقلت في نفسى : خبرٌ ورد إليه سرّه ، وأدركت فكرى لموقف في أن مولانا المعز مات » .

فنظر إلى وجهي متغيرا ، فأتخلق ونزل إلى دار إمارته ، فأدار إليّ وجهه ، وقال :

« مالك تغير وجهك ؟ » .

فقلتُ له :

« مات مولانا المعز ، فأحسب الله عزاك عنه » .

فقال :

« من أخبرك ؟ » .

قلت :

« أنت أخبرني » .

قال :

« وكيف ؟ » .

قلتُ :

« رأيته قد حملت بعد قراءة الكتاب عليك مالا أعرفه منك » .

فقال :

« قد صدقت ، قد مات مولانا المعز » .

قلتُ له :

« فيقدر أن أحدا لا يقوى من بعده في مجلسه » .

فقال :

« لا بد من ذلك » .

فقلتُ له :

« ينبغي أن تنتظر كتاب ولده الذي أتى من بعده ، فسيأتيك ماتمعب » .

قال :

« صدقت ، واكنم ماجرى ، ولكن يا ابن اسباط. بعدت مصر من المغرب ، وقد صار المغرب

والله في أيدينا إلى دهر طويل » .

وأقمتُ ، فورد كتاب العزيز إليه يعزبه ويوليه ، فُسِّرَ وخلع عليّ ، وسيرني .

قال ابن سعيد عن كتاب « سيرة الأئمة » لابن العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن

حسين بن مهذب .

وأورد ليوسف بن زيري خطبة كتب بها إلى العزيز بن المعز جوابا عن كتابه يقول فيها :
« وأعوذ بالله أن أقول ما شئتُه أهل الزور والجهود ، بل أنا عبدٌ من عبيده ، أئدني بنور
هدايته ، وألبسني قميص حكمته ، وتوجني بهزّ سلطانه ، وحملني أنقال علم ربوبيته ، واختصني
بنفس كلّيته ، وذكر أنّ ولي عهده بعد ابنه الشاعر تميا ثم عزله ، وولى ابنه عبد الله
إفريقية ، ثم ولى ابنه بمصر العزيز الذي صحت له الخلافة بعده » .

قال ابن سعيد :

« وهذا أعجب ما سمعته في تولية العهد ، لا أعلم لهذه الكائنة نظيرا » .

وقال ابن الطوير :

« لما دخل المعز قرأ أحد القراء عند دخوله - وكان منجما - :

« وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » .

فقال المعز : « العاقبة » .

فقال « حميلة » .

قال المعز : « الحمد لله » .

ومن أحسن ما مدح به المعز قول الحسن بن هانيّ فيه :

إذا أنت لم تعلم حقيقة فضله فسائل عليه الوحي المنزّل تعلّم
فأقيم لو لم يأخذ الناس فضله عن الله ، لم يعلم ولم يتوهم
وأى قوائ الشر فيك أجولها وهل ترك القرآن من يتوهم

وكان نقش خاتمه : « بنصر العزيز العلم ينتصر الإمام أبو تميم » .

وكان يُسمّيه في بني العباس بـ « النّابون » في سفره من القيروان .

العزیز بالله أبو المنصور

ابن المعز لدين الله أبي تميم معد

ابن المنصور ينصر الله أبي الطاهر إسماعيل

ابن القرائم بأمر الله أبي القاسم محمد

ابن المهدي عبيد الله

أمه أم ولد ، واسمها درزان^(١) .

وُلد بالمهلية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

وولى العهد بمصر وبويع لسبع بقين من ربيع الآخر^(٢) سنة خمس وستين وثلاثمائة .

ومن كتاب ابن مهذب :

سمعت مولانا العزیز يقول :

« خرج مولانا المعز يوماً بمصر يمشی فی قصره ، ولأنا ، وأخى تميم ، وعبدُ الله ، وعقيل ، نمشی خلفه ، فخطر ببالي أن قلتُ :

« تُرى يصير هذا الأمرُ لى ، أو لى أخى عبد الله ، أو لى أخى تميم ، وإن صار^(٣) لى ، تُرى أمشى هكذا وهؤلاء حولي ؟ » .

قال :

« وانتهى مولانا المعز لى حيث أراد ، ووقفنا بين يديه ، وانصرفت الجماعة ، وأراد

(١) كذا فى الأصل ، وقد ذكرها نفس المؤلف فى (الخطط) ج ٤ ، ص ٦٧ (باسم درزارة » .

(٢) عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٤٧) : « الحادى عشر من ربيع الآخر » .

(٣) الأصل : « صارت » والتصحيح عن المرجع السابق .

لأنصرف ، فقال : « لا تبرح يا نزار » ، فوفقتُ حتى إذا لم يبقَ (١٤١) أحدٌ بين يديه
غيري استدنانى وقال :

« بخيأتى يا نزار إذا سألتك عن شيء تصدقنى ؟ » .

قلت : « نعم يا مولانا » .

قال : « التفتُ إليك [فرأيتك] ^(١) وقد أعجبك نفسك ، وأنت تنظر إلى وإلى نفسك
وإلى أخوتك ، وأنا أسارك النظر - وأنت لا تعلم - ، فقلتَ فى نفسك : ترى هذا الأمر
يصير إلى وإخوتى حولي ؟ » .

قال : « فاحمرَّ وجهى ، ودنوتُ منه فقبلتُ بين يديه ^(٢) ، وقلتُ - وقد غلبنى البكاء :
« يجعل الله جميعنا فداك » .

فقال : « دَعْ عنك هذا ، كان كذا ؟ » .

قلت : « نعم يا مولانا ، فكيف عرفته ؟ » .

قال : « حررتُه عليك ، ثم لم أجد نفسى تسامحنى فى إعجابك بنفسك على شيء سوى
هذا الأمر ، فهو صائر إليك ، فأتيتُ إلى إخوتك وأهلك ، خار الله لك وولئك » .
وقد تقدّم أن المعز لما مات كُتِبَ موته إلى يوم النحر فأظهرت وفاته ، فركب العزيز بالمظلة ،
وخطبَ بنفسه ، وعزى نفسه ، والناسُ تسلم عليه بالخلافة ، وركب إلى قصره فسلم عليه
عمّاه : حنبرة وهاشم ، وعمّ أبيه : أبو الفرات ، وعمّ جدّه : « أحمد بن عبيد الله » .

وقال ابن الأثير :

« لما استقرَّ العزيز فى الملك أطاعه المسكر واجتمعوا عليه ، وكان هو يدبّر الأمر منذ مات
والده إلى أن أظهره ، ثم سبّر إلى المغرب دنائير عليها اسمه فرقت فى الناس ، وأقر يوسف
ابن بُلْكِين على ولاية إفريقية ، وأضاف إليه ما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف ، وهى

(١) ما بين الحاصرتين عن (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٨)

(٢) النص عند ابن ميسر : « فقبلت يديه »

طرابلس وغيرها^(١) ، فاستعمل عليها يوسفُ عمَّاله ، وعظم أمره ، وأمن ناحية العزيز ، واستبدَّ بالملك ، وكان يُظهر الطاعة مجاملةً لا طائل تحتها .

وخطب للعزيز بمكة بعد أن أرسل إليها جيشًا فحصرها ، وضيّقوا على أهلها ومنعهم الميرة ، فغارت الأسعار بها ، ولقي أهلها شدةً شديدة .

وأما أخبار الشام : فإن أفتكين^(٢) لم يزل طول مقامه بدمشق يكتب القرامطة ويكاتبونه بأنهم سائرون إلى الشام ، إلى أن وافوا دمشق بعد موت المعز في هذه السنة ، وكان الذي وافى منهم : إسحاق ، وكسرى^(٣) ، وجعفر ، فنزلوا على ظاهر دمشق ، ومعهم كثير من العجم أصحاب أفتكين الذين تشتتوا في البلاد وقت وقعته مع الدَّيْلَمِ ، لقوم بالكوفة في الموقعات ، فأركبهم الإبل ، وساروا بهم إلى دمشق ، فكساهم أفتكين وأركبهم الجبل ، فقوى عسكرهم بهم وتلقا^(٤) أفتكين القرامطة وحمل إليهم وأكرمهم وفرح بهم ، وأمن من الخوف ، فأقاموا على دمشق أياما ثم ساروا إلى الرملة - وبها أبو محمود إبراهيم بن جعفر - فالتجأ إلى يافا ، ونزل القرامطة الرملة ، ونصبوا القتال على يافا حتى ملَّ كُلُّ من الفريقين القتال ، وصار يحدث بعضهم بعضًا .

وجي القرامطة المال فأمّن أفتكين من مصر ، وظنَّ أن القرامطة قد كفه ذلك الوجه ، وعمل على أخذ الساحل ، فصار بمن اجتمع إليه ، ونزل على صيدا ، وبها ابن الشيخ ، ورؤساء المغاربة^(٥) ، ومعهم ظالم بن موهوب المقيلى ، فقاتلوه قتالا شديداً ، فانهزم عنهم أميالا ،

(١) عند (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٦٤) : « وهى طرابلس وسرت واجد ابيه » .

(٢) كذا في الأصل ، وهو عند (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق) و (ابن الأثير : الكامل) : « أفتكين » .

(٣) أضيف في هامش الأصل امام هذا الاسم تطبيق هذا نصه :

« كسرى بن أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنائى ، طالب أصحابه بتسليم الأمر للبعز لدين الله ، لما كان يسمعه من أبيه وعموته أنه الإمام وصاحب الأمر والقائم والمهدى وصاحب الزمان ، فاجتمع عمومته ودعوه للمناظرة في هذا فلما حضر معهم في الدار خبطوه بسيوفهم حتى قتلوه » .

(٤) الأصل : (وتلقا » .

(٥) المؤلف ينقل هنا عن (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق) مع بعض التصرف ، ونفس هذه الجملة عند ابن القلانسي : « فكان بها ابن الشيخ واليا ومعه رؤوس من المناربة ومعهم ظالم .. الخ » .

فخرجوا إليه ، فواقهم وهزمهم وقتل منهم . وصار ظالم إلى صور ؛ فيقال إنه قُتل يومئذ أربعة آلاف من [عساكر] (١) المغاربة ؛ قُطعت أَعَانُهُمْ وحملت إلى دمشق ، فطيف بها .

ونزل أفتكين على عكا ، وبها جَمْعٌ من المغاربة ، فقاتلوه . فسير العزيز القائد جوهر بخزائن السلاح والأموال إلى بلاد الشام في عسكر عظيم لم يخرج قَبْلَهُ مثله إلى الشام من كثرة الكُراع (٢) والسلاح والمال والرجال ، بلغت عِدَّتُهُم عشرين ألفاً بين فارسٍ وراجل ، قبل ذلك أفتكين وهو على عكا . والقرامطة بالرَّمْلَة ، فسار أفتكين من عكا ونزل طَبْرِية ، وخرج القرامطة من الرَّمْلَة ، ونزلها جوهر .

وسار إسحق وكسرى من القرامطة بمن معهم إلى الأحساء ، لقلة مَنْ معهم من الرجال الذين يلقون بها جوهر ، وتأخر جعفر من القرامطة فلحق بأفتكين وهو بطبرية ، وقد بحث فجمع في حوران والبثنية ؛ وصار جوهر من الرملة يريد طبرية ، فرحل أفتكين ، واستحث الناس في حمل القلعة من حوران والبثنية إلى دمشق ، وصار أفتكين إلى دمشق ، ومعه جعفر القَرْمَطِي ، فنزل جوهر على دمشق لثلاثين بقين من ذي القعدة فيما بين داريا والشَّامِيسِ ، فجمع أفتكين أحداث (٣) البلد ، وأمن من كان قد فرغ منه . فاجتمع حُمَاك السلاح والدُّعَار إليه ، (٤١ ب) ورئيسهم قَسَام .

(١) هذا اللفظ وارد في الهامش بالأصل ، وفي المتن علامة تشير إليه .

(٢) الكراع السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (اللسان) .

(٣) الأحداث جمع حدث ، ومعناها هنا الشبان الصغار ، وقد كان الأحداث يكونون نوعا من الحرس الوطني ، ولعبوا دورا هاما في مدن سوريا وبلاد الجزيرة في المدة مابين القرنين الرابع والسادس الهجريين ، وخاصة في مدينتي حلب ودمشق ، وكان عملهم الرسمي يشبه في كثير عمل رجال الشرطة فقد كانوا مكلفين بحفظ النظام وإطفاء الحريق وما أشبه ذلك من أعمال ، وعند الضرورة كانوا يسهون في أعمال الدفاع الحربي كأمداد لفرق الجيش الصاملة . وكان الحدث يمنع رابا من حصيلة بعض المكوس المدنية ، والفارق الوحيد بين « الأحداث » ورجال الشرطة هو طريقة تجنيدهم المحلية غير الرسمية التي جعلت لهم أثرا فعالا في سير الحوادث ، فقد كانوا يكونون - كرجال مسلحين من أهل البلد - قوة مدنية فعالة لمواجهة السلطات السياسية - التي كانت في معظم الأحوال تمثل أجاناب عن البلد - أو لمواجهة أى عدو خارجي بصفة عامة . وكان يتولى قيادتهم في الاوقات الحرجة (وعلى سبيل المثال في دمشق بعد الفتح الفاطمي) عناصر وطنية من أهل البلد ، وكانوا في غالب الأحوال يتقادون لزعامة الطبقة البورجوازية ، =

وأخذ جوهر في حضر خندق عظيم على عسكره ، وجعل له أبواباً ، وكان ظالم بن موهوب معه ، فأنزله بمسكره خارج الخندق ، وصار أفتيكن فيمن جَمَعَ من الدُّعار ، وأجرى لكبيرهم قسام رزقاً .

ووقع النفيير على قبة الجامع والمنابر ، وساروا فجرى بينهم وبين جوهر وقائع وحروب شديدة وقتال عظيم ، وقتل بينهم خلق كثير من يوم عَرَقة ، فجرى بينهم اثنتا عشرة وقعة إلى سلخ ذى الحجة .

ولم يزل إلى الحادى عشر من ربيع الأول سنة ست وستين فكانت بين الفريقين وقعة عظيمة ، انهزم فيها أفتيكن بن معه ، وهم بالهرب إلى أنطاكية ، ثم إنه استظهر .
ورأى جوهر أن الأموال قد تلفت ، والرجال قد قتلوا والشتاء قد هجم ، فأرسل في الصلح ، فلم يُجِبْ أفتيكن ، وذلك أن الحسين بن أحمد الأعصم القرمطي بعث إلى ابن عمه جعفر القيم عند أفتيكن بدمشق : « إني سائر إلى الشام » ، وبلغ ذلك جوهر ، فترددت الرسلُ بينه وبين أفتيكن حتى تقرر الأمر أن جوهر يرحل ، ولا يتبع عسكره أحد ، فُسِرَ أفتيكن بذلك ، وبعث إلى جوهر بجمال ليحمل عليها ثقله لقلة الظهر عنده ؛ وبقى من السلاح والخزائن ما لم يقدر جوهر على حمله فأحرقه ، ورحل عن دمشق في ثالث جمادى الأولى .

وقدم البشير من الحسن بن أحمد القرمطي إلى عمه جعفر بجميعة ، وبلغ ذلك جوهر ، فجدد في السير ، وكان قد هلك من عسكره ناس كثير من الثلج ، فأسرع بالمسير من طبرية ،

« ويكونون من أنفسهم هيئة من المؤيدين لأسرة أو أسرته من كبار الأسرى في المدينة ، ومنها يختار قائدهم الذي كان يلقب بلقب « الرئيس » ، وكان هذا الرئيس يفرض على السلطات الرسمية أن تعترف به « كرئيس للبلد » وهو نوع من العمدة أو المحافظ ، وكان نفوذه يماثل أو يفوق أحياناً نفوذ القاضي وقد اضمحل نظام الأحداث وانتهى عندما أسس السلاجقة وخلفائهم من الأتابكة نظام الشحنة أو الشحنة ، وعينوا لكل مدينة شحنة تعاونوه حامية من جنود الجيش النظاميين . هذا وقد وردت نصوص كثيرة تشير إلى « الأحداث » في : (ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ، نشر أمدروز ، وانظر المقدمة التي كتبها جب للترجمة الانجليزية لهذا الكتاب) و (ابن العديم زيادة الطلب في تاريخ حلب ، نشر سامي الدمان) و (ابن الأثير : الكامل) و (سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان) .. الخ وانظر كذلك :

(C. Cahen: art: Ahdath. in Enc. Isl. 2nd edition).

ووافى^(١) الحسن بن أحمد من البرية إلى طبرية ، فوجد جوهر قد سار عنها ، فبعث خلفه سرية أدركته ، فقابلهم جوهر ، وقتل منهم جماعة ، وسار فتزل ظاهر الرملة ، وتبعه القرمطي ، وقد لحقه أفتكين ، فسار إلى الرملة ، ودخل جوهر زيتون الرملة ، فتحصن به ، فلما نزل الحسن بن أحمد القرمطي الرملة هلك فيها ، وقام من بعده بأمر القرامطة ابن عمه أبو جعفر ، فكانت بينه وبين جوهر حروب كثيرة .

ثم إن أفتكين فسد ما بينه وبين أبي جعفر القرمطي ، فرجع عنه إلى الأحساء ، وكان حسان ابن علي بن مفرج بن دَعْقَل بن الجراح الطائي أيضا مع أفتكين على محاربة جوهر ، فلم يَز منه ما يحب ، وراسله العزيز فأنصرف عن أفتكين ، وقدم القاهرة على العزيز ، واشتد الأمر على جوهر . وخاف على رجاله ، فسار يريد عسقلان ، فتبعه أفتكين .

واستولى قسّام على دمشق وخطب للعزيز ، فسار أبو تغلب بن حمدان إلى دمشق ، فقاتله قسّام ومنعه ، فسار إلى طبرية .

وأدرك أفتكين جوهر ، فكانت بينهما وقعة امتدت ثلاثة أيام انهزم في آخرها جوهر ، وأخذ أصحابه السيوف ، فجلوا عما معهم ، والتحقوا بعسقلان ، فظفر أفتكين من عسكر جوهر بما يعظم قدره ، واستخفى به ناس كثير .

ونزل أفتكين على عسقلان ، فجدّ جوهر حتى بلغ من الضر والجهد مبلغا عظيما ، وغلت عنده الأسعار ، فبلغ قفيز القمح أربعين دينارا ، وأخذت كثافة نسب جوهر وتنتقصه ، وكانوا قد كابدوه في قتالهم ، فراسل أفتكين يسأله : ماذا يريد من هذا الحصار ، فبعث إليه : « لايزول هذا الحصار إلا بماك تؤديه لي عن أنفسكم » .

فأجاب به إلى ذلك ، وكان المال قد بقى منه شيء يسير ، فجمع من كان معه من كثافة ، وجمع منهم مالا ، وبعث إليه أفتكين يقول :

« إذا أمنتكم لا بد أن تخرجوا من هذا الحصن من تحت السيوف »
وأمنتهم ، وعلّق السيوف على باب عسقلان ، فخرجوا من تحته .

(١) الأصل : ووافى .

وسار جواهر إلى مصر ، فكان مدة قتالهم على الزيتون وقتلتهم إلى عسقلان حتى خرجوا منها نحواً من سبعة عشر شهراً - بقيّة سنة ست إلى أن دنا خروج سنة سبع وستين - .

وقدم جواهر على العزيز ، فأخبره بتخاذل كتامة ، فغضب غضباً شديداً ، وعزل جواهر في باطنه ، وأظهر التنكير له ، وعزله عن الوزارة ، ووكل يعقوب بن كلس عوّضه في المحرم سنة ثمان وستين .

ونخرج العزيز فضربت له خيمة ديباج رومي عليها صُفْرِيَّة^(١) فضة ، فخرج إليه أهل البلد كلهم حتى غُلقت الأبواب ، وسألوه في التوقف عن السفر ، فقال :
« إنما أخرج للذب عنكم ، وما أريد ازدياداً^(٢) في مال ولا رجال » .

وصرفهم .

ومنح العزيز في هذه السنة - وهي سنة سبع وستين - النصارى من إظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس^(٣) : من الاجتماع ، ونزول الماء ، وإظهار الملامى ، وحلّ من ذلك .
وسار [٤٢] العزيز ، وعلى مقدمته حسّان بن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ، فتنحى^(٤) أفتكين عن الرملة ، ونزلوا طبرية .

واتفق أن عقد الدولة أبا شجاع فَنَاحُشِرُو بن ركن الدين أبي يحيى الحسن بن بُويّه أخذ بغداد من ابن عمه بختيار بن أحمد بن بُويّه ، فسار بختيار إلى الموصل ، واتفق مع أبي تغلب الغنمشر بن ناصر الدولة ابن حمدان على قتال فَنَاحُشِرُو ، فسار إليهم فَنَاحُشِرُو وأوقع بهم ، فانهزموا ، وأمر بختيار بقتله ، وفرّ حينئذ من أولاد بختيار إعرّاز الدولة الرّزْزِيّان ، وأبو كاليجار وعمّاه^(٥) : عمدة الدولة أبو إسحاق ، وأبو طاهر محمد ، ابنا معز الدولة أحمد بن بويه ، وساروا

(١) الصفريّة اناء من النحاس الأصفر ؛ قدر أو دسْت ، ويبدو أن معناها هنا كرة من النحاس الأصفر تعلو الخيمة * انظر (Dozy ; Supp. Dict. Arab.)

(٢) الأصل : « ازدياد » .

(٣) ليلة الغطاس هي الليلة الحادية عشرة من طوبة ، انظر الكلام عن الاحتفال بالغطاس في مصر الإسلامية في : (المسعودي : مروج الذهب) و (المقرئ : الخطط ، ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٢) .

(٤) الأصل : « فتنحى » .

(٥) الأصل : « وعمّاه » وما أثبتناه تصحيح يقتضيه السياق .

إلى دمشق في عسكر ، فأكرمهم خليفة أفتكين ، وأنفق فيهم ، وحملهم وصبرهم إلى أفتكين بطبرية ، فقوى بهم ، وصار في اثني عشر ألفا ، فسار بهم إلى الرملة ، ووافي^(١) بها طليعة العزيز ، فحمل عليها أفتكين مراراً ، وقتل منها نحو مائة رجل ، فأقبل عسكرُ العزيز في زهاء سبعين ألفاً ، فلم يكن غير ساعة حتى أحيط بعسكر أفتكين ، وأخلوا رجاله ، فصاح الدَّبَلَم الذين كانوا معه :

« زَنهار ، زَنهار^(٢) » ، يريدون : « الأمان ، الأمان » .

واستأمن إليه أبو إسحق إبراهيم بن ميمر الدولة ، وابن أخيه إعزاز الدولة ، والمَرْزُبَان بن بختيار ، وقتل أبو طاهر محمد بن ميمر الدولة ، وأخذ أكثرهم أسرى ، ولم يكن فيهم كبير قتل ، وأخذ هفتكين^(٣) نحو القدس ، فأخذ وجيء به إلى [حسان بن علي بن]^(٤) مفرج ابن دغفل بن الجراح ، فشدَّ عمامته في عنقه ، وساقه إلى العزيز ، فشهَّر في العسكر ، وأُسْنِيت الجائزة لابن الجراح .

(١) الأصل : « ووافا » .

(٢) زَنهار كلمة فارسية بمعنى الدفاع أو الحماية أو الأمان . راجع أيضا : (Dozy : Supp. Diet Arab.)

(٣) هكذا ورد الاسم في الأصل ، مرة « أفتكين » وأخرى « هفتكين » .

(٤) أخذنا ما بين الحاصرتين لتصحيح الاسم .

وكانت هذه الواقعة لسبعين من المحرم سنة ثمانٍ وستين .

نورد كتاب العزيز إلى مصر بنصرته على أفتكين ، وقتل علة من أصحابه وأشره ،
فقرئ على أهل مصر فاستبشروا وفرحوا .

وكتب أبو إسماعيل الرضى إلى العزيز يقول :

« يامولانا : لقد استحق هذا الكافر كلَّ عذاب ، والعجب من الإحسان إليه » .
فلم يرد عليه جواباً .

وسار العزيز - ومعه أفتكين - مكرماً من الرملة ، وبقيّة الأسرى إلى مصر .

قال المُسَبِّحُ :

فخرج الناس إلى لقاءه وفيهم أبو إسماعيل الرضى ، فلما رآه العزيز قال :

« يا إبراهيم : قرأت كتابك في أمر أفتكين ، وفيما ذكرته ، وأنا أخبرك : أعلم أنا وعدناه
الإحسان والولاية^(١) فما قيل ، وجاء إلينا فنصب فازاته ونخيامه حذاءنا ، وأردنا منه الانصراف
فلجّ وقاتل ، فلما ولى منهزماً وسرتُ إلى فازاته^(٢) ودخلتها مسجدةً لله الكريم شكراً ، وسألته
أن يفتح لي بالظفر به ، فجاء به بعد ساعة أسيراً ، تُرى يليق في غير الوفاء ١٩ » .
فقبل أبو إسماعيل رجله .

ودخل العزيز إلى القاهرة ومعه أفتكين والأسرى ، وعليه تاج مرصع بالجوهر ، فأنزل
أفتكين في دار ، وأوصله بالطعام والخَلْع حتى قال :

« لقد احتشمتُ من ركوبى مع مولانا العزيز بالله ونظرى إليه بما غمرنى من فضله وإحسانه » .
فلما بلغ العزيز ذلك ، قال لعمه حَيَّرة :

(١) الأصل : « الولاء » وقد صححت بعد مراجعة (المتريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٦٦) .

(٢) الفائزة بنامة من خرق وغيرها ، تبنى في المسكرات ؛ والجمع « فاز » و « فازات » وقال
الجوهري : « والفائزة مظلة تمتد بعمود ، عربى فيمّا أرى » (اللسان) .

« يا عُمُ : أحب أن أرى النَّمَّ عند الناس ظاهرة ، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهرات ولهم الخيل واللباس والضياع والقار ، وأن يكون ذلك كله من عندي » .

وبلغ العزيز أن الناس من العامة يقولون :

« ما هذا التركي ؟ »

فأمر به فشهّر في أجمل حال ، فلما رجع من تطوافه وهب له مالا جزيلا ، وخلع عليه . وأمر الأولياء بأن يدعوه إلى دورهم ، فما منهم إلا من أضافه ، وقاد إليه ، وقاد : يدينه دوابا .

ثم سأله العزيز بعد ذلك :

« كيف آتت دعوات أصحابنا »

فقال :

« يا مولاي : حسنة في الغاية ، وما فيهم إلا من أنعم وأكرم » .

وكان الذي أنفق العزيز على مفتيحين حتى أسره ألف دينار .

وقال العزيز عند خروجه إلى حريه لحسين الرابض :

« كم عدد ما تحت يديك من النواب ؟ »

فقال :

« عشرة آلاف رأس » .

فقال العزيز :

« لقد أوجلتني يا حسين » .

وفيها نالق حمزة بن معله^(١) الكتاني - متولى أسوان - ، لخرج إليه جعفر بن محمد

(١) هكذا في الأصل دون نقط ، ولم أجد في المراجع التي بين يدي ما يمين على منسبط

الاسم .

ابن أبي الحسين الصدّقى ، وأخذه وأتى به وبأهـواله ، فأتعـم بها العزيز على هـفـتـيـكين ، ودفعه إليه فقتله شرّ قتلة .

وفيهـا قـدـم حـسـان بن عـلى بن مـفـرج بن دغـفل بن الجـراح الطائى على العزيز ، فخلع عليه ، وحمل على خمسة أروس (٤٢ ب) من الخيل ، وقاد إليه - بين يديه - خمسة أحمال مال ، وأنزله داراً .

وفيهـا جـهـز الفضـل بن صالح على جيش إلى الشام ، وقُـلـد الشـام كلّه ، ولُقـب بالقائد ، وشُـلـع عليه ثوبٌ مذهب ، ومثـدـيلٌ مذهب ، وقُـلـد بسيف محـل^(١) بذهب ، وحمل على فرس ، وبين يديه أربعة أفراس بمراكبها ، ومائة ألف درهم ، وخمسون قطعة من الثياب الملونة ، فركب بالغبول والبنود ، وصار .

وخرجت قافلة الحاج في ذى القعدة ، وفيها صلات الأشراف ، والقمع والشعير والذيق والزيت ، ومائر الحبوب والزيت ، ومحراب من ذهب^(٢) للكعبة .

وفيهـا كان عـصـر وياة عظيم ، مات فيه خلائق ، فحكى بعض من سمع نواب السلطان يقول :

« الذى قُـبـر من الديوان^(٣) سبعة آلاف وسبعمئة وستون^(٤) ، سوى من لم يُـعـلـم بموته ، أما من دُفـن بلا كفن فكثير » .

(١) الأصل : « محلا » .

(٢) هذا المحراب من الذهب الذى أرسله العزيز للكعبة يستريحى الانتباه ، وهذا النص يدل على مبلغ عناية الخلفاء الفاطميين بالكعبة وبالحج وقافلته ، مع ملاحظة أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يخرج لأداء فريضة الحج ، راجع المقدمة التى كتبها لكتاب (المريزى : الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة : ١٩٥٥) .

(٣) لاحظ استعمال « الديوان » هنا بمعنى موظفى الدواوين .

(٤) الأصل : « وستين » .

وكان الماء في المقياس خمسة^(١) أذرع وثلاثا وعشرين إصبعاً ، وبلغ خمسة عشر ذراعاً^(٢) وتسعة عشر^(٣) إصبعاً .

وأما بلاد المغرب فإن الأمير أبا الفتوح يوسف بن زيري كتب إلى العزيز في سنة سبع وستين يسأله في طرابلس وسرت وأجدابيه ، وكان عليها عبد الله بن خلف ، فأنعم له بها ، فرحل عنها عبد الله ، وتسلمها^(٤) أبو الفتوح .

وفي سنة ثمان كتب أبو طالب أحمد بن أبي القاسم محمد بن أبي المنهال - قاضي المنصورية - إلى العزيز يسأله في القندوم ، فأجابه إلى ذلك ، فسار بأهله وأولاده في آخر شوال ، وقدم القاهرة ، فأجرى له العزيز في كل سنة ألف دينار .

وكتب أبو الفتوح إلى العزيز يشاوره من يولي القضاء ؟ فكتب إليه :
« قد رددتُ هذا الأمر إليك ، فولِّ من شئت » .

فاختار محمد بن إسحق الكوفي ، وولاه آخر ذى الحجة سنة ثمان وستين ، وكتب إلى العزيز يخبره بذلك ، فأجاز فعله ، وبعث إليه سيجلاً بالقضاء^(٥) .

وفي يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة خمس وستين سبر الأمير أبو الفتوح الهدية من رقاداة ، ومعه المال مع محمد بن صالح - صاحب بيت المال - ، وصحى بن خلف المرصدي ، وقائد المهدي زروال بن نصر ، فقدموا إلى القاهرة والعزيز أخذ في حركة السير لحرب هفتيكن ، فأمر برد المال الذي أحضره الأمير زيري مع الهدية ، وذلك أن عبد الله بن محمد الكاتب لما وصل إليه السجل من العزيز بموت أبيه المعز وقيامه بعده في الخلافة ، قرأه على الناس بالمنصورية من القيروان ، وفرق ما بعثه العزيز من الننانير والدرهم التي ضربت باسمه على رجال الدولة ، ثم بسط رداه ، وأتى فيه دنانير ، وقال :

(١) الأصل : « خمس » و « ثلاث » .

(٢) الأصل : « خمس عشرة » .

(٣) الأصل : « تسع عشرة » .

(٤) الأصل : « وسلمها » .

(٥) لاحظ أن الخليفة الفاطمي كان يصدر السجلات من القاهرة بتعيين القضاء في المغرب

« لَيْتَنِي كُلُّ وَاحِدٍ فِيهِ مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ التَّقَرُّبِ » .

ثم جمع أهل القيروان وصادروهم ، فأخذ من عشرة آلاف دينار إلى دينار واحد ، حتى عمَّ أكثر أهل البلد وسائر أعمال إفريقية ، فجاء^(١) زيادة على أربعمئة ألف دينار عَيْناً .

فلما بلغ ذلك العزيز كتب يرد المال لأربابه ، فرأى عبد الله بن محمد يردُّ المال نقضاً^(٢) عليه وحمله إلى العزيز مع الهدية ، وجعل مال الهدية خاصة في صُورٍ ، وكتب على كل صُرة اسمَ صاحبها ، فردَّ العزيزُ صُوراً نفيسة إلى أصحابها ، وهم يومئذٍ بمصر ، وأمر يردُّ باقي المال إلى المغرب ليُفَرَّقَ على أربابه ، فقال له الوزير يعقوبُ بن كِلَس :
« هذه أموال عظيمة ، ونحن محتاجون إليها للنفقة على هذه الحساكر ، وإن رجعتُ أمرت بردها إليهم من بيت المال » .

فقبل منه ، وأنفقها على العسكر .

(١) الأصل : « فجاء » .

(٢) كذا في الأصل ، والتعبير ركيك ، والمقصود أن عبد الله رأى أن رد المال يعتبر نقضاً لما فعل .

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

في أول (١)

وفيها استحضر أخويه وعبيه وجماعة من أهله ، ورسم لهم الأكل معه على مائدته .

وفيها أرسل أفلح - أمير برقة - للعزيز هدية ، فيها مائتا فرس مجللة^(٢) ، ومائة بغل مجللة ، ومائة وخمسون بغلا بأكف ، وخمسةائة جمل ، ومائة نجيب ، ومائة صندوق فيها المال .
وفيها سار ناصر الدولة أبو تغلب من طبرية إلى الرملة - في المحرم - وبها الفضل بن صالح ، وقد انضم إليه دُعفل بن مُعرج بن الجراح ، فقاتلا أبا تغلب قتالاً كثيراً حتى لم يبق معه إلا نحو سبعائة من غلمانهم وغلمان أبيه ، فولى منهمزما ، وأتبعوه ، فأخذ وقتل ، وبعث الفضل ابن صالح برأس أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، وعدة أسارى ، فلما العزيز بإطلاق الأسرى ، وقدم هديته - وهى :

أحمال محزومة ، ومائتا فرس ، وخمسون بختيا ، ومائة بغل ، ومائة ناقة ، فخلع عليه ، [١٤٣] وأركب على فرس ، وقيد بين يديه خمسة أفراس ، ومائة قطعة من الثياب ، وعشرون ألف دينار .

وكان من خبر الفضل بن صالح أن العزيز لما سار من الرملة بالفيكين إلى مصر جعل بلد فلسطين لمُعرج بن دُعفل بن الجراح الطائي ، فأنفذ إلى دمشق واليا من المغرب ، يقال له حميدان بن جواس الثقفي في نحو مائتي رجل ، وقد غلب عليها قسم التراب السقاط . عندما وردت عليه كتب العزيز عند مسيره إلى حاربة أفتكين (٣) من ورائه فأظهر

(١) يبايخ بالأصل مقدار ثلاث كلمات .

(٢) جاء فى (اللسان) : « جل الدابة - وجلها - (بفتح الجيم وضمها) الذى تلبسه لتصان به ، والجمع جلال واجلال » ، ثم قال « وجمع الجلال أجلة ؛ وجلال كل شئ غطاؤه ، وتجليل الفرس أن تلبسه الجل » .

(٣) هنا نحو ثلاث كلمات معوجة بالأصل .

سَامُ الْكِتَابِ وَقَرَأَهَا فِي الْجَامِعِ ، وَوَعَدَ الرِّعْيَةَ بِالْإِحْسَانِ ، وَبَتَرَكَ الْخِرَاجَ لَهُمْ إِنْ مَنَعُوا أَفْتِكِينَ
 مِنْ دُخُولِ الْبَلَدِ فَقَصَدَتْ يَدُ الرِّيَاضِيِّ نَائِبَ أَفْتِكِينَ عَنْهُ ، لِقْوَةَ قَسَامَ ، وَكَثَرَةُ أَصْحَابِهِ ، وَدَالَتْهُمْ
 بِأَسْنَمِهِمْ قَاتَلُوا جَوْهَرًا الْقَائِدَ وَمَنَعُوهُ مِنَ الْبَلَدِ ، فَأَخَذَ الْخِزَارَةُ مِنَ الْقُرَى وَأَنْفَقَ سَوَاقِ الرِّيَاضِيِّ ،
 فَتَمَكَّنَ وَأَمَّنَ ، وَكَثُرَ الطَّاعِمُ فِي الْبَلَدِ ، فَوَلَّى أَفْتِكِينَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ « تِكِينَ » مِنَ الْأَثَرَاكِ ،
 فَلَمْ تَنْبَسِطْ . يَدُهُ لَكثْرَةِ مَنْ خَلَبَ عَلَى دِمَشْقَ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ ، فَلَمَّا نَزَلَ أَخُو^(١) بِخْتِيَارِ دِمَشْقَ
 قَوِي تِكِينَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَقَهْرَ قَسَامًا ، فَأَوْقَعَ بِطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْفُوطَةِ ، ثُمَّ اصْطَلَحَا .

وَكَانَ مِنْ مَجِيئِ الْقِرَامِطَةِ مَا ذُكِرَ ، فَنَزَلُوا عَلَى دِمَشْقَ ، فَمَنَعَهُمْ قَسَامُ مِنَ الْبَلَدِ ، وَعَمِلَ عَلَى
 قِتَالِهِمْ ، فَصَارَ لَهُ بِذَلِكَ يَدٌ عِنْدَ الْعَزِيزِ ، فَلَمَّا رَحَلُوا إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَتَمَكَّنَ ابْنُ الْجِرَّاحِ مِنْ فِلَسْطِينَ
 إِلَى طَبْرِيقِ ، اسْتَوْلَتْ فِزَارَةُ وَمَرَّةٌ عَلَى حَوْرَانَ وَالْبَيْثِيَّةِ وَغَرِبَتْهَا حَقٌّ بِطَالِ الزَّرْعِ مِنْهَا ، وَجَلَا
 أَهْلُهَا ، فَهَلَكُوا مِنَ الْغُرِّ ، وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى جَنْبِ وَحْمَةِ وَشَيْرَزَرِ وَأَعْمَالِ خَلَبَ ، فَغَمِرَتْ
 بِهِمُ الْهَلَالُ .

ثُمَّ إِنْ قَسَامًا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُمَيْدَانَ الْعُقَيْلِيِّ ، فَتَارَ بِهِ وَنَبِهَ ، فَقَرَّ مِنْهُ ، وَقَوَى قَسَامَ ،
 وَكَثُرَتْ رَجَالُهُ ، وَزَادَ مَالُهُ ، فَوَلَّى دِمَشْقَ بَعْدَ حُمَيْدَانَ أَبُو مَحْمُودٍ فِي نَفَرٍ يَسِيرُ ، فَكَانَ تَحْتَ
 يَدِ قَسَامَ ، لَا أَمْرَ لَهُ وَلَا نَهْيَ .

وَاتَّفَقَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنْ وَلَّى دِمَشْقَ ظَالِمُ بْنُ مُوَهَّبِ الْعُقَيْلِيِّ ، وَالْقَرَمَطِيُّ ، وَوَشَّاحُ ،
 وَحُمَيْدَانَ ، وَأَبُو مَحْمُودٍ .

وَكَانَتْ وَاقِعَةً فَنَاقَسُوا مَعَ بِخْتِيَارِ بِالْعِرَاقِ ، فَكَانَ مِنْ انْهَزَمِ أَبُو تَغْلِبَ فَضَلُ اللَّهِ بْنُ نَاصِرِ
 الدَّوْلَةِ ابْنِ حَمْدَانَ ، فَسَارَتْ خَلْفَهُ عَسَاكِرُ فَنَاقَسُوا ، وَكُتِبَ فِيهِ إِلَى الْأَكْرَادِ وَالرُّومِ أَنْ لَا يَجِيرَهُ
 أَحَدٌ ، فَقَرَّ أَبُو تَغْلِبَ إِلَى أَيْدٍ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى الرَّحْبَةِ ، وَكُتِبَ إِلَى الْعَزِيزِ أَنْ يَقِيمَ فِي عَمَلِهِ ،
 وَسَارَ فِي الْبَرِّ إِلَى حَوْرَانَ ، فَنَزَلَ عَلَى دِمَشْقَ ، وَكُتِبَ الْعَزِيزُ إِلَى قَسَامَ يَمْنَعُهُ مِنَ الْبَلَدِ ، فَمَنَعَهُ ،
 ثُمَّ أَدْنَى أَنْ يَتَسَوَّقَ أَصْحَابُهُ مِنَ الْمَلِيعَةِ .

وَطَمَعَ أَبُو تَغْلِبَ فِي وِلَايَةِ دِمَشْقَ مِنْ قِبَلِ الْعَزِيزِ ، فَخَالَه قَسَامُ ، وَأَشِيرَ عَلَى الْعَزِيزِ فِي مِصْرَ

(١) الْأَصْلُ : « أَخُو » .

أَنْ لَا يُمَكِّنَ ابْنُ حَمْدَانَ مِنْ دِمَشْقَ ، فَإِنَّهُ إِنْ مُكِّنَ عَظُمَ شَرُّهُ ، فَكُتِبَ بِكُلِّ مَا يَحِبُّ ، وَكُتِبَ إِلَى قَسَامٍ بِأَنْ لَا يُمَكِّنَهُ .

هَذَا وَأَبُو تَغْلِبِ بْنِ حَمْدَانَ نَازِلٌ بِظَاهِرِ الْمُرَّةِ ، فَأَقَامَ شَهْرًا ، وَثَقُلَ عَلَى قَسَامٍ مَقَامُهُ ، وَخَافَ أَنْ يَكِلَى الْبِلَدَ ، فَأَتَمَمَ لِأَصْحَابِهِ فِي الْبِلَدِ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ ، وَقَتَلَ جَمَاعَةً ، وَسَلَبَ الْبَاقِي ، فَلَحَقُوا بِأَبِي تَغْلِبِ ، فَلَمْ يُعَاقِبْ فِعْلَ شَيْءٍ ، وَكُتِبَ إِلَى الْعَزِيزِ ، وَكُتِبَ قَسَامٍ أَيْضًا : « بَأَنَّ أَبَا تَغْلِبٍ قَدْ حَاصَرَ الْبِلَدَ ، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْقُوَّةِ ، وَقَتَلَ رَجُلًا ، وَنَحَنَ عَلَى الْحَرْبِ مَعَهُ » ، فَخَرَجَ الْفَضْلُ بْنُ صَالِحٍ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَنَزَلَ الرَّمْلَةَ ، وَبُعِثَ إِلَى ابْنِ الْجُرَّاحِ مِنْ مِصْرَ بِسَجَلٍ فِيهِ وَلايَتُهُ عَلَى الرَّمْلَةِ .

وَكَانَ أَبُو تَغْلِبٍ قَدْ سَارَ مِنْ دِمَشْقَ ، وَسَارَ الْفَضْلُ ، فَنَزَلَ طَبْرِيَّةَ ، وَاجْتَمَعَ بِهِ أَبُو تَغْلِبٍ بِمَكَاتِبَةٍ ، وَفَرَّرَ مَعَهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الرَّمْلَةِ ، وَقَدِمَ الْفَضْلُ دِمَشْقَ .

فَجِي (١) الْخُرَاجُ ، وَزَادَ فِي الْعَطَاءِ ، وَاسْتَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَخَرَجَ عَنْهَا ، فَأَخَذَ طَرِيقَ السَّاحِلِ . وَكَانَ أَبُو تَغْلِبٍ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى أَهْرَافِ (٢) كَانَتْ بِحَوْرَانَ وَالبِشْنَةَ ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ ، فِيهِمْ شَيْبُلُ بْنُ مَعْرُوفِ الْعُقَيْلِيِّ ، فَسَارَ بِهِمْ إِلَى الرَّمْلَةِ فَخَرَجَ مِنْهَا ابْنُ الْجُرَّاحِ ، وَأَخَذَ فِي جَمْعِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنَّ الْفَضْلَ مَعَهُ عَلَى أَبِي تَغْلِبِ ، وَفِي ذَهْنٍ أَنْ تَغْلِبَ أَنْ الْفَضْلَ مَعَهُ عَلَى ابْنِ الْجُرَّاحِ ، وَنَزَلَ الْفَضْلُ عَسْكَارًا ، فَوَاقَعَ ابْنُ الْجُرَّاحِ بِجَمُوعِهِ أَبَا تَغْلِبِ ، وَأَدْرَكَهُ الْفَضْلُ ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْكِرَانِ ، وَفَرَّ مَنْ كَانَ مَعَ أَبِي تَغْلِبِ ، فَلَحَقُوا بِالْفَضْلِ ، وَوَقَعَ الْقِتَالُ ، فَانْهَزَمَ أَبُو تَغْلِبِ ، وَأَدْرَكَهُ الْقَوْمُ ، فَأَخَذَ وَحُمِلَ إِلَى ابْنِ الْجُرَّاحِ ، فَأَرْكَبَهُ جَمَلًا ، وَشَهَّرَ بِالرَّمْلَةِ ، وَنَزَعَ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ حَتَّى بَقِيَ بِشُوبِ رَقِيقٍ ، وَحَبَسَهُ ، فَطَلَبَ شَيْئًا يَتَوَسَّدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُ الْجُرَّاحِ :

(١) الْأَصْلُ : « فَجِي » .

(٢) عَرَفَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ الْهَرَوِيُّ (ج : أَهْرَاءُ) بِأَنَّهُ بَيْتٌ كَبِيرٌ يَجْمَعُ فِيهِ طَعَامُ السُّلْطَانِ وَالَّذِي جَرَى عَلَيْهِ مُصْطَلَحُ السُّدُولِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنَّ الْأَهْرَاءَ هِيَ الْإِمَاكُنُ الَّتِي تَخْرُجُ بِهَا الْفُلَالُ وَالْأَتْبَانُ الْخَاصَّةُ بِالْخَلِيفَةِ أَوْ السُّلْطَانِ احْتِيَاطًا لِلطَّوَارِيءِ وَكَانَتْ لَا تَفْتَحُ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ : وَالْأَهْرَاءُ شِبْرُ الشُّوْنِ (مُفْرَدٌ : شُونَةٌ) الَّتِي كَانَ يَخْزَنُ بِهَا مَا يَسْتَهْلِكُ طَوْلَ السَّنَةِ مِنْ غُلَالٍ وَأَحْطَابٍ وَأَتْبَانٍ انْظُرْ : (الْمُتَرَيِّزِيُّ : إِغَاثَةُ الْأَمَةِ ، ص ٢٨ ، حَاشِيَةٌ ٤) .

اجعلوا تحته شوكة يتوسده :

نحمل إليه ، وقالوا له :

توسد بهذا .

فأغلظ في القول ، وشتم ابن الجراح ، فبلغه ذلك ، فغضب ، وأمر بقتله ، فقتل ، وأحرق ليومين بقيا من صفر سنة [٤٣ ب] تسع وستين . ويُعث برأسه إلى العزيز مع الفضل ، وخلة الديار لابن الجراح ، فأنت طي عليها فتعطلت الزروع من القرى .

وكان فئاحسرو البوئهي قد هزم على إرسال العساكر إلى مصر ، فخالف عليه أخ له ، واستنجد بصاحب خراسان ، فأمدّه بعساكر عظيمة ، فمير إليه فئاحسرو العساكر من بغداد ، فشغل بذلك عن مصر .

وفيها ولد للوزير يعقوب بن كلثوم ولد ذكر فأرسل إليه العزيز مهداً من صندل مرصعاً^(١) وفلائحة ثوب ، وعشرة آلاف دينار عزيزية ، وخمسة عشر فرسا بسرورها ولجئها ، منها اثنان ذهب ، وطيب كثير ، فكان مقدار ذلك مائة ألف دينار .

وعقد العزيز على امرأة فاصداها مائتي ألف دينار ، وأعطى الذي كتب الكتاب ألف دينار ، وخلع على القاضي والشهود ، وحملهم على الهغال ، فطافوا البلد بالطبوز والبهوقات .

وبعث متولى برقة هدية ، وهي : أربعون فرسا بتجافيف^(٢) ، وأربعون بغلا بسرورها ولجئها ، وستة عشر حملا من المال ، ومائة بغلة ، وأربعمائة جمل .

وجهُر الحاج وكسوة الكعبة^(٣) ، وصلات الأشراف ، والطيب والشمع والزيت فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار

(١) الأصل : « مرصع » .

(٢) التجفاف - والجمع تجافيف - ماجل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح - وفرس مجفف عليه تجفاف (اللسان) .

(٣) لاحظ أن الكسوة كانت ترسل إلى الكعبة من مصر منذ أوائل العصر الفاطمي ، راجع : (المقرئى : الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر وتحقيق جمال الدين الشيبان ، القاهرة ، ١٩٥٥) .

وكثر حلف الناس برأس أمير المؤمنين ، فنودي :

« برئت الامة من أحدٍ قال هذا ، وحلت به العقوبة ، فلا يحلفن إلا بالله وحده » .

فانتهى الناس .

وفيها قدم كتابٌ ومغنين^(١) ابنا زَيْرَى بن مُثَاوِلٍ إلى القاهرة فأرسل من سجن أخيهما الأمير
أبى الفتح يوسف بن زَيْرَى ، فأكرمهما العزيز ، وخلع عليهما ، ووصلهما .

وفيها أخرج العزيزُ باديسَ بن زَيْرَى من القاهرة في خيل كثيرة إلى مكة مع الحاج ، فلما
وصل إلى مكة أتاه الطُّرَّارون^(٢) فقالوا :

« نتقبل هذا الموسم بِخمسين ألف درهم » .

فقال لهم :

« اجتمعوا أصحابكم حتى أعقد هذا على جميعهم » .

فلما اجتمعوا أمر بقطع أليسيهم ، وكانوا نيفا وثلاثين رجلا ، فقطعوا أجمعين .

وأما الشام فلما العزيز بعث سُلَمانَ بن جعفر بن فَلَاح في أربعة آلاف ، فنزل الرملة - وبها
ابنُ الجِرَّاح - فتنباعد ، وقد استوحش كلُّ منهما من صاحبه ، فأقام أيامًا ، ورحل إلى دمشق ،
فوجد قَسَّامًا قد غلب عليها ، فنزل بظاهر البلد ، وقد ثقل على قَسَّام ، وأراد سُلَمانُ يأمر وينهى
في البلد فلم يقدر على ذلك ، وطال مقامه في غير شيء ، وقلَّ المالُ عنده ، وأراد إقامة الحُرمة .
فأمر قَسَّامًا ألا يحمل أحدَ السلاح ، فأبوا عليه ، وبعث إلى الغوطة ينتهاهم عن حمل السلاح :
« وأن لا يعارضوا السلطان في بلده ، ومن وجدهنا بعد هذا يحمل السلاح ويأخذ الخفارة
نسرِبنا عنقه » .

فقال لهم قَسَّام : « لا نفكر فيه ، كونوا على ما أنتم عليه » ، وطاق المسكر الغوطة ،
فوجدوا قوما يحملون السلاح ، ويأخذون الخفارة ، فقطعوا رموسهم ، فثار قَسَّامُ ومن معه إلى

(١) كذا في الأصل ، وليس في المراجع ما يبين على ضبط الاسم .

(٢) هكذا في الأصل ، ولم أجد لهذا اللفظ معنى في المعاجم ، ولعلها « الطوافون » .

الجامع ، وثار الفوغاء ، وأخرج إلى سلمان قوما فقاتلوه ، وأقام بالجامع ومعه شيوخ البلد ، وكتب محضرا أشهد فيه على نفسه أنه متى جاء عسكريا من قبل فتناخسرو^(١) ، وأغلق البلد وقتلهم ، وكتب بما جرى ، وسير ذلك إلى العزيز ، فبعث إلى سلمان أن يرسل عن دمشق ، فرحل بعد ما أقام شهورا .

وقدم أبو محمود من طبرية بعد مسير ابن فلاح في نفر ، وخرج الفضل بن صالح من عند العزيز ليحتال على ابن الجراح وعلى قسام ، وأظهر أنه يريد حمص وحلب ، ليأخذ تلك البلاد ، فنزل على دمشق ، وفضل ابن الجراح لما يريده ، فلأخذ حلقه ، وسار عن الفضل ، فرحل في طلبه ، ومعه شبل بن معروف ، فكانت بينه وبين ابن الجراح وقعة في صفر سنة سبعين ، فأوقع ببني سنيس ، فقتل شبل بن معروف ، طعنه بعض بني سنيس ، فمات .

وبعث ابن الجراح إلى العزيز يتلطف به ، ويسأله العفو ، فأرسل إلى الفضل يأمره بالكف عن ابن الجراح ، وأن لا يعرض له ، فوافاه ذلك وهو يجهز المساكن خلف ابن الجراح ، فكف عن قتاله ، وعاد إلى مصر .

ورجع ابن الجراح إلى بلاد فلسطين على ما كان ، فأهلك العمل حتى كان الإنسان يدخل الرملة لطلب شيء يأكله فلا يجد له وهلك الفلاحون وغيرهم من الضر ، ومات أكثرهم .

هنا ودمشق تثار من حمص ، وكان عليها بكجور من قتل أبي المعالي شريف بن سيف الدولة ابن حمدان ، وقد عمر حمص بعد خرابها من الروم لما دخلوها في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . واتفق [٤٤] خراب دمشق كما تقدم ، فرحل أهل القوافل من حمص إلى دمشق ، ودمشق قد طمع في عملها العرب حتى كانت مواشيهم تدخل القوطة ، وأبو محمود إبراهيم بن

(١) كذا بالأصل ، والجملة ناقصة غير مفهومة والنص عند (ابن القلائس) ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٣ - ولعله المرجع الذي يأخذ عنه القريزي هنا لتشابه النصين - واضح ، ولهذا آثرنا نقله هنا للمقارنة والايضاح : « وثار قسام ومعه إلى الجامع ! ولم يشهد الحرب مع أصحابه ، وقد حضر المشايخ وكتب بما جرى إلى مصر : وعمل محضرا على نفسه أنه « متى جاء للملك عضد الدولة عسكر أغلق الأبواب وقتاله ليكون لك معونة على ما يريده » فلما وقف عليه العزيز وافق غرضه وأنفذ رسله وكتابه إلى سليمان بن فلاح يأمره بالرحيل من دمشق » الخ » .

جعفر واليا عليها تحت ملالة قسام ، فهلك في صفر سنة سبعين ، فكتب بكجور العزيز ،
فوعده بولاية دمشق ، فورد الخبر بموت فتأخسرو ، فأمن العزيز لما كان يخاف ، وجهاز عسكرياً
عليه رشيق المصطنع .

وكان إشارة الخادم الإخشيدى قد فسد أمره مع أبي المعلى بحلب ، ففر منه في مائة رجل
إلى مصر ، فأكرمه العزيز ، وولاه طبرية ، فاستمال رجالاً من أهل حلب ، وضبط البلد وعمره .
فقوى أمره ، وابن الجراح بفلسطين يخرّب ويأخذ الأموال .
وقدم أيضاً على العزيز رخا الصقل في ثلاثمائة غلام من الحمدانية ، فولاه حكا ، وقدم
رخا في عدة منهم ، فولاه أيضاً قيسارية .

فلما كان في سنة اثنتين وسبعين

خرج عسكرٌ من مصر إلى الشام عليه بلتيكين التركي أحد اصحاب أفتيكين ليكون على دمشق بلدي رشيق ، وكوتب بشارة بمعاونة العسكر على حرب ابن الجراح ، ونزل العسكر الرملة ، وسار بشارة من طبرية ، واجتمعت العرب من قيس إليهم ، فكانت الحرب بينهم وبين ابن الجراح ، فانهزم ، وقتل كثير من أصحابه ، وصار إلى أنطاكية مستجيرا بصاحبها .

وكان الروم قد خرجوا من القسطنطينية في عسكر عظيم يريدون أرض الشام ، فخاف ابن الجراح ، فكانت بكجور ، وسار بلتيكين فنزل على دمشق في ذى الحجة ، فجمع قسام الرجال من الفوطه وغيرها ، ورم شعث السور وضبط الأبواب بالرجال ، ونصب . . . (١)

وكان مع قسام في البلد منشأ اليهودي على عطاء العسكر وتدبيره ، وجيش بن الصمصامة شبهة والي في طائفة من المغاربة ، قد ولي بعد خاله أبي محمود ، فخرج إلى بلتيكين بمن معه ، وقد صار معه أيضا بشارة بعسكره ، فبعث إلى قسام أن يسلم البلد ، ويكون آمنا هو ومن معه ، فأبى .

(١) يبيض بالأصل مقدار كلمة . ولعلها المجانيق .

فلما كان التاسع عشر من المحرم سنة ثلاث وسبعين .

ابتدأ القتال مع قسّام ، ووقع النفيّر في البلد ، فلم يخرج مع قسّام إلا حزبه من النصارى ، وقوم من أهل القرى كانوا يأخذون الخفارة ، ويطلبون الباطل ، وقد كره جمهور الناس قسّاماً وأصحابه ، فلما تقاصر عنه أهل البلد انكسر قلبه ، وأصحابه ثابتون على القتال ، وقتلوا جماعة من الجند ، وكثر فيهم الجراح من شباب أصحاب بلتكين ، وتبيّن الانكسار على قسّام لتقصير الرعيّة عن معاونته ومقتهم إياه ، وقوة أمر السلطان ، وكان قد كثر عليه العلب من أصحابه للمال وقت الحرب ، فأمسك عنهم ، وشجّ بماله ، فقالوا : « على أى شيء نقتل أنفسنا ؟ » ففترقوا عنه إلا وجوه أصحابه وخاصته .

واستمر القتال أياماً ، فاجتمع الخلق إلى قسّام في أن يخرج إلى بلتكين ويصلحوا الأمر معه ، فلان ودلّ بعد تجربته ، وقال : « افعلوا ما شئتم » .

وكان المسكر قد قارب أن يأخذ البلد فخرجوا إلى بلتكين وكلموه في ذلك ، فأمر بكث المسكر عن القتال ، وأمر قسّاماً وأصحابه فماد القوم إليه وأخبروه وهو ساكت حائر قد تبيّن اللد في وجهه ، واجتمع أكثر الناس ، فصاح من كان قد احترقت داره - وهم كثير - بقسّام :

« انتقم الله من أذلّنا وأحرق دورنا ، وشتتنا ، وتركنا مطرحين على الطرق » .

فعجب قلبه من سماع صياحهم ، وقال : « أسلم البلد » .

فولى بلتكين حاجباً يقال له خطّليخ ، فدخل المدينة في خيل ورجل ، فلم يعرض لقسّام ولا لمن معه ، ففترق عن قسّام أصحابه ، فمنهم من استسلم ، ومنهم من هرب ، ومنهم من أخذ ، واختفى^(١) قسّام بعد يومين ، فأصبح القوم أول صفر وقد علموا باختفائه ، فأحاطوا

١٢ الأصل : « واختفا » .

بداره ، وأخذوا مافيها ، ونزلوها وما حولها من دور أصحابه ، وبعثوا الخيل في طلبه فلم يوفف له على خير ، وتودى في البلد .

« مَنْ دَلَّ عَلَى قَسَامٍ فَلَهُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَمَنْ دَلَّ عَلَى أَوْلَادِهِ فَلَهُ عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . »
وكان له من الأولاد : أحمد ، ومحمد ، ويشت .

لفظفروا بأمراته وابن لها معها ، فحسبا .
فلما مضى لقَسَامٍ جُمُعَةٌ وهو مختفٍ قَلِيْقٌ وجاء في الليل إلى نَشْشَا بن الرِّقَارِ اليهودى ، فأوصله إلى بلتكين ، فقيده وحمله إلى مصر ، فعفا^(١) عنه العزيز .

وكان قَسَامٍ من بطن من العرب يقال لهم « الحارثيون » ، من قُرَى الشام ، فنشأ بدمشق وكان يعمل على [٤٤ ب] الدواب في التراب ، ثم إنه صحب رجلا يقال له « ابن الجسطار » ، ممن يطلب الباطل^(٢) ويحمل السلاح ، فصار من حزبه ، وترقى إلى ماتقدم ذكره .

وكتب بكجور إلى العزيز يسأله في إرسال جيش ليأخذ به حلب ، فأنفذ إليه عسكريا من دمشق ، وجمع بنى كلاب فصار بهم إلى حلب وحاصرها ، فقدم دُمِسْتِيقُ^(٣) الروم إلى أنطاكية ، وقصد أن يكبس بكجور ، فكتب إليه ابن الجراح يحذره ، فارتحل عن حلب ، فصار عسكريا الروم خلفه ، ونزلت حمص ، وبعث بأمواله إلى بعلبك ، وارتحل إلى جوسية .

(١) الأصل : « فعفى » .

(٢) لاحظ هذا الوصف ، و (ابن القلانسي ص ٢٧) يصف ابن الجسطار بأنه كان « من مقدمي الأحداث وحملات السبلح وطالبي الشر »

(٣) الدمستقي هو أكبر البطارقة ، ورئيسهم هو خليفة الملك (الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ١٢٩) ، ويقابل هذا اللفظ Domesticus ويطلق عادة على قائد قوات اللواء ، وتطلق عبارة Domestic of the Grand Scholae أو Grand Domestic على القائد الأعلى للجيش . أنظر (Camb. Med. Hist. vol. IV. PP. 731-739) و « والسيد الباز العريني : ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨ ، ص ٢٧٥ » .

ودخل ملك الروم إلى جنس فلم يعرض لأحد ، ورحل يريد طرابلس ، وسير يريد مالا
من جنس ، فامتنع أهلها ، فرجع ونهب ، وسبا ، وأحرق الجامع وغيره ، فاحترق كثير من
الناس ، وذلك في تاسع عشر جمادى الأولى ، وهى دخلة الروم الثانية جنس .

ويقال إن أبا المعالي بن حمدان لخوفه من بكجور سير إلى برديس ملك الروم أن يخرب
جنس ، وفارق أصحابه بلكين بكجور ، وصاروا إلى دمشق ، فبعث بكجور إلى العزيز يسأله
ولاية دمشق ، فورد جوابه : « إنا قد وليناك » ، فبعث إلى بعلبك واليا ، وإلى بعلبك غلامه
وصيف ، فأبى عليه بلكين ، لكتاب ورد عليه من الوزير يعقوب بن كلّس ، فتشيع بكجور ،
وما زال بإشارة والى طبرية يتوسط . لبكجور في ولاية دمشق حتى أمسك عنه الوزير ، فصار إلى
القابون ، ثم تسلم البلد بعد أمور .

ورحل بلكين أول رجب وفى نفسه حقد على الوزير يعقوب بن كلّس لمعارضته له في
ولاية دمشق ، فعمل على كاتبه ابن أبي العود اليهودى حتى قتله بعض الأحداث^(١) الذين كانوا
مع قسام في غيبته عن دمشق ببلاذ حوران ، فعظم ذلك على الوزير ، وأخذ بكجور في ظلم الناس ،
وجمع الأموال ، ومخالفة ما يأمر به من مصر ، وبعث غلامه وصيف فأخذ الرقة في سنة ست
وسبعين ، فمضى عليه بها .

وأخذ الوزير في قتل بكجور فبعث إلى دمشق فهموا به ، فلم يتم لهم ، وظفر بهم بكجور ،
ونقبض على من أراد ذلك ، وقتلهم في شهر رمضان سنة سبع وسبعين ، فإزداد حق الوزير ،
وعلم بكجور بما دبره الوزير ، فأخذ يعارضه في ضياعه ، ويبين عماله ، وتحرق بابن أبي العود
الصغير ، وكان قد ولى بعد قتل أخيه .

واشتد جور بكجور وكثر قتله وصلبه للناس والبناء عليهم ، وكثرت مخالفته لما يرد
عليه من العزيز ، فخرج إليه منير الخادم من مصر في سنة ثمان وسبعين بمسكر كبير ،
وكتب إلى أهل الأعمال بالمسير معه إلى دمشق لحرب ابن الجراح ، فنزل الرملة وقد اختلف
بكجور مع إشارة والى طبرية ، وأنزل ابن الجراح السواد وأطمعه في فيضاع الوزير ، وجعله
ضد الإشارة ، وكاشف بالعصيان

(١) عن « الأحداث » انظر ما فات هنا ص ٢٣٩ هامش ٣

فجمع منير العرب من قيس وعقيل وفزارة ، وسار إلى عَمَّان ، فسار إليه منير ، وصاروا جميعاً إلى عمل دمشق ، فجمع بكجور بنى كلاب ، وبعث منير سرية إلى ابن الجراح وهو في طرف عمل دمشق ، فلوقعوا بقمومه ، وغنموم ، فانهزم .

وكتب منير إلى بكجور :

« إنا لم نجئ لقتالك ، وإنما جئنا لنخرج ابن الجراح من العمل ، لأنه أفسد وعصى ، فتكون معيناً لنا في هذا الأمر ، لنسير إلى حلب وأنطاكية » .

فعلم أن هذا خداع ، وقد اشتد خوفه وقلقه من أهل البلد لكثرة إساءته لهم ، وجوره وتعديه لثلاثا يثوروا به ، فجمع عسكره وبعثهم إلى قتال منير ، وأقام بالبلد ، فكانت بينهم وقعة انهزموا فيها ، فخاف وبعث إلى منير : « ألى أسلم البلد وأرحل عنه » ، فأجيب إلى ذلك .

ورحل للنصف من رجب ومعه ابن الجراح يريد الرقة ، وتسلم منير دمشق ، وسير إلى مصر بذلك ، وبثلاثمائة من أصحاب بكجور استأمنوا ، فبعث العزيز إلى بكجور على لسان الوزير يقول :

« ما أردنا أن تبرح عن البلد ، وإنما بعثنا إلى ابن الجراح من يخرج من العمل لما أفسد فيه ، وما كان لك من الغلات والضبياع فهو على رسمه ، أفعل فيه ما أحببت ، فما لنا فيه من حاجة » .

فأقام بكجور على ما كان له بدمشق من الضبياع والأهراء من يتولى أمرها ، وبنى بالرقة يقيم الدعوة للعزيز ويراسله ، ويراسل كُرْدِيّاً قد غلب على ميافارقين يقال له « باد » ، ويكاتب أبا المعالي سعد الدولة ، واسمه شريف بن سيف الدولة على بن حَندان يحلب أن يرده إلى حِمص ، فوَلَّاه حِمص ، فبعث من يتسلمها ، فقلق لذلك [٥٤١] الوزير يعقوب بن كلث ، فبعث إلى ناصح الطباخ وهو بعمَّان أن يسير إلى حِمص ويأخذ من بها من أصحاب بكجور ، فأُسرى إليها وقد حلّروا منه ، وخرجوا قادمين بأموالهم ، فأُخذهم وسار إلى دمشق ، فبعث بكجور إلى صاحب بغداد فلم يَر منه ما يحب ، ووقع بينه وبين أبي المعالي .

سنة سبعين وثلاثمائة .

فيها تمكنت حالُ يعقوب بن كلّس مع العزيز ، فأذلّ كرامة وقهرهم ، وقنم الأتراك ، عزّل القائدَ جوهر عن الوزارة ، وكان العزيز يستشيرهُ في الباطن .

سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة :

فيها تقدّم العزيزُ إلى بعض مَنْ فيه جرأة وشهامة بالتوجه إلى بغداد ، ليمسّق السبع الفضة الذي على صلبهِ^(١) زَبَرْبَ عضد الدولة فسار إلى بغداد وسرقه ، فعجب الناسُ من ذلك .

(١) الأصل : « صور » والتصحيح عن (متز) : الحضارة الانشائية في القرن الرابع ؛ ترجمة محمد عبد الهادي أبو دينة ، ج ٦ ؛ ص ٤ - حيث قال :
« وكان على صدر زبَرْب السلطان عضد الدولة صورة لسبع من فضة » والزبَرْب - والجمع زبازب - سغينة صغيرة تسير في نهري دجلة والفرات - انظر أيضا (اللسان) ، و (شفاء الغليل) ، وجاء في (ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة - ج ٤ - ص ١٥٩) : « وحمل - الخليفة الطائع - في زبَرْب في الدجلة وأصعد إلى دار الملك » .

مبنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

في يوم الاثنين لثلاث خلت من شوال قبض العزيز بالله على الوزير يعقوب بن كُلس وعلى الفضل بن صالح وأخوته ، وحمل مافي دورهم إلى القصر ، فكان ماحُمَل من دار الوزير يعقوب مائة ألف دينار ، وأُعتقل كلُّ واحد بمفرده ، فارتجبت المدينة ، ونُهبَت الأسواق ، وكانت الدواوين^(١) تجلس في دار الوزير ، فنقلوا إلى القصر .

وعُملت أوراق ما كان للوزير من أنواع البرِّ فبلفت ألف دينار كل شهر ، فأمر العزيز باجرائها على أربابها ، ثم أفرج عنهم بعد شهرين ، وأُعيد موجودهم ، وأُعيد الوزير إلى وزارته ، ورد إليه المائة ألف دينار التي أخذت له ، وأُعيد اسمه إلى الطراز^(٢) بعد مامحي .

وفيها كان غلاء عظيم حم بلاد الشام والعراق .

وفيها مات هَفْيَكِين ، فاتهم الوزير يعقوب بأنه سَمَهُ ، فقُبِض عليه .

ومات القاضي محمد بن الحسن بن أبي الرهب^(٣) .

ومات أبو العباس بن سبك من الإخشيدية .

(١) الدواوين هنا بمعنى موظفي الدواوين .

(٢) هذا تقليد جديد أن يثبت اسم الوزير مع اسم الخليفة على الطراز ، أي على المنسوجات التي تنسج في دار الطراز الخاصة ، وقد بدأ هذا التقليد كما نرى منذ أوائل العصر الفاطمي .
و « الطراز كلمة إيرانية معربة كانت تعني المديح (البرودري) : ثم أطلقت على الرداء المحل بالمديح إذا كانت تلك الجلبية إشرطة من الكتانية ، وإخيرا صارت تطلق على المصنع الذي تطرز فيه هذه الإشرطة ؛ ولقد كان من عادة ملوك إيران قبل الإسلام أن يزينوا ملابسهم بصور الملوك وبأشكال معينة ، تميزها لها عن غيرها وأشعارا بما للابسةا من السلطان، ويتخذون ذلك شجعارا لهم يختصون به دون سواهم ، ولقد ورث المسلمون عنهم هذه العادة ولكنهم اعتاضوا عن الصور والرسوم بكتابة أسماء خلفائهم مصحوبة بصيغه خاصة من صيغ الدعاء أو المدح ؛ وقد كانت هذه الكتابة تنسج في لحمة الثوب وسداه ؛ أو تطرز بصد نسيجه بخيوط من الذهب أو الفضة أو الحرير الذي يختلف لونه عن لون الثوب المزركشة عليه، وقد اتخذ الخلفاء ذلك حقا لهم وحدهم اختصوا به أنفسهم دون غيرهم ، واعتبروه من علامات سلطانهم كذكر اسمهم في خطبة الجمعة والميدين ، أو نقشه على السكة سواء بسواء ، واعتنوا به عناية خاصة ، فانتشأوا مناسج حكوميه كانوا يعمدون اليها بعمل تلك الثياب ؛ وأطلقوا عليها اسم « دور الطراز » .

(مرزوق: الزخرفة المنسوجة ، ص ٢١ وما بعدها ؛ وما به من مراجع) .

(٣) كذا في الأصل دون نقط .

(هـ) وأما المغرب فإنَّ العزيزَ باللهُ بحث في سنة ست وسبعين أبا الفهم حسن - الداعي
الخراساني - إلى القيروان ، فأكرم إكراما كثيرا ، ثم توجَّه إلى بلاد كتامة ، فدعاهم ، وعظم
عندهم ، حتى ضرب السيكة ، وركب في عساكر عظيمة .

ثم بحث العزيز في سنة سبع وسبعين أبا العزم ومحمد بن ميعون الرزَّان ، فلقيا الأميرَ
أبا الفتح منصور بن يوسف بن زيري ، فسبَّهما وأهانهما لسبب ما فعله أبو الفهم ، ووكل
بهما ، ثم خرج وهما معه في طلب أبي الفهم ، حتى أخذه وقتله سُرَّ قتلته ، وأخلده العبيد فشرَّحوا
لحمه وأكلوه كُلَّهُ ، وأمر أبا العزم ورفيقه أن يغيثيا إلى مصر ، ويخيرا العزيز بما شاهداه ،
فقلعما عليه وقالوا : « رأينا شيئا (١) . . . (٢) » .

ومن خطه ابن الصيرفي^(٣) : كان رجل من التجار الغرباء ينزل في قيسارية الإخشيد التي

(هـ) هذا النص والنص الذي يليه وردا في المخطوطة بميدا عن المتن ، وقد اثبتناها هنا في
المتن لأنهما يحتويان على بعض حوادث سنتي ٣٧٦ و ٣٧٧ ، وقد اثبت النص الأول للمتضمن
حوادث سنة ٣٧٦ على هامش ص ١٤٥ ، أما النص الثاني المتضمن حوادث سنة ٣٧٧ فحذف
اثبت في ورقة منفصلة بين صفحتي ٤٤ ب و ٤٥ ا وقدم النسخ للنص الأول بقوله : « وورد بخطه
في هذا المحل » ، وقدم للنص الثاني بقوله : « في الأصل المنقول منه بخطه » - أي بخط
المؤلف -

(١) تنمة الجملة غير مقروءة في الأصل .

(٢) الى هنا ينتهي النص الأول .

(٣) ابن الصيرفي هو تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان
الشهير بابن الصيرفي ، كان أبوه صيرفيا ، واشتهى هو الكتابة فمهر فيها ، واشتغل بكتابة
الجيش والخراج مدة ، ثم استخدمه الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمال في ديوان المكاتبات في
سنة ٤٩٥ هـ في عهد الخليفة الأمر ، وظل يعمل في هذا الديوان نحو نصف قرن من الزمان الى
أن توفي في سنة ٥٤٢ هـ في أوامر عهد الخليفة الحافظ ، وقد ترجم له المقرئ في كتابه هذا
(انماط الحنفاء ص ١٤١ ا) في حوادث سنة ٥٤٢ هـ ، وفيها مات الشيخ تاج الرئاسة =

يسكنها البرّازون خلف الجامع العتيق^(١) ؛ فقتل في منزله ، وأخذ ماله ، فأصبح رشيقي

أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي الكاتب في يوم الأحد لعشر بقين من صفر ، ومولده يوم السبت الثاني والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، وكان أبوه صيرفيا ، وجده كاتبا ، وأخذ صناعة الترسل عن ثقة الملك أبي العلا صاعد بن مفرج ، وتنقل حتى صار صاحب ديوان الجيش ، ثم انتقل منه الى ديوان الانشاء ، ومات الشريف سنة الملك أبو محمد الزيدى الحسيني ، ثم تفرد (أى ابن الصيرفي) بالديوان ، فصار فيه بمفرده وله الانشاء البديع والشعر الرائع والتصانيف المفيدة في التاريخ والأدب .
ومعظم الرسائل والسجلات التي وصلتنا عن العصر الفاطمي هي من انشاء ابن الصيرفي ، ومؤلفاته كثيرة ، منها :

ـ رسائله ، وقد ذكر (ابن سعيد : عنوان المرقصات ، ص ١١١) أنه رأى مجموعة من رسائل ابن الصيرفي في ٢٠ مجلدا ، ولا يزال عدد كبير منها منتثرا في الكتب التاريخية والادبية التي بين أيدينا .

ـ قانون ديوان الرسائل ، نشره علي بهجت في القاهرة ، ١٩٠٥ ، غير أنه ذكر في مقدمته أن ابن الصيرفي ألف هذا الكتاب وقدمه للوزير الأفضل شاهنشاه ، وقد أثبتنا نحن في كتابنا (مجموعة الوثائق الفاطمية ، الوثيقة رقم ٦) أنه ألفه للوزير أبي علي كنيقات ابن الأفضل شاهنشاه ، وقد ترجم « ماسيه Mascé » هذا الكتاب الى الفرنسية :

(Mascé. Le Code de la Chancellerie. B.I.F.A.O. Le Caire. 1914).

ـ الاشارة الى من نال الوزارة ، نشره عبد الله مخلص في (B.I.F.A. Le Caire 1924)

ـ الافاضيات ، مجموعة من سبع رسائل قدمها للأفضل شاهنشاه .

انظر أيضا : (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٣٥ و ٤٠ و ٨٧) و (ياقوت : معجم الأدباء ،

ج ١٥ : ص ٧٩) و (المريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٠) و (الزركلي : الاعلام) و (سركيس :

معجم المطبوعات المصرية) و (محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ، ص ٣٣ -

٣٣٨) و (Brockelmann: G A. L. supp. I-P. 489-490)

و (Stern: The Epistle of the Fatimid Caliph al Amir...etc P. 30).

و (فهرس المخطوطات العربية المصودة بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ١٤٦) .

(١) هو جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وقد سمي أيضا في عهد ازدهاره (تاج الجوامع) ثم لما تقدم به العهد وكثرت الى جانبه جوامع الفسطاط وألقاطان والقاهرة ، سمي « الجامع العتيق » وسميت الفسطاط كذلك ولا زالت تسمى « مصر العتيقة » ؛ انظر : (محمود أحمد باشا : جامع عمرو بن العاص)

— غلام ميمون دبة صاحب الشرطة السفلى^(١) — فاعتقل جماعة من أولاد النجار ومن كان ساكناً حول قيسارية الإخشيد ، فشنع الناس عن رشيق أنه دس على الرجل من قتلته وأخذ ماله ، ورفع إلى الوزير ذلك ، وأنه اعتقل أبرياء مستورين ، فوقع على ظهر الرقعة إلى الوزير يعقوب بن يوسف في ذي الحجة سنة سبع ومبشرين وثلاثمائة :

« سلم الله الوزير ، وأبقى نعمته عليه .

هذه رقعة رفعت إلينا بالأمس ، الوزير — سلمه الله — [يطلع] عليها ويتدبرها ، والأمر والله فطيع ، يسوء الأولياء ، ويسر الأعداء ، وبالأمر كنا نضجك من فتناسرو ، واليوم ألجنا بعار منى علينا في بلد نحن ساكنوه ، والأخبار تسمير به في البلدان ، وحسبك يقتل الأنفس في مواضع الأمن والطمأنينة في وسط عمارة المسلمين وتؤخذ الأموال ، وقد وكل الأمر إلى رجلين لا يخافان الله — عز وجل — ولا يتقيانه ، والدنيا فانية ، والآجال متقاربة ، وإن أصبح الناس فما يدرى أنه يمى الله — عز وجل — هذه الجرائم . . . عليه منها يحرم أجره . . . في . . . (٢) المتغافل عنه ، فوالله لو جرى مثل هذا في بلد يبعد عنا لوجب الاحتساب لله فيه ، فكيف تحت كنفنا وفي بلدنا ؟ ! فليستقص الوزير — سلمه الله — عن هذه القصة ، ويوترن الله ويوترنا ، ويغسل هذا العار عن الدولة ولا يغمها به . فوالله الذي لا إله إلا هو ، وحق جدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما كتبت إلى الوزير — سلمه الله — هذه الرقعة إلا وأنا خائف من ثقم الله — جل اسمه — ، لكثرة تغافلنا وإهمالنا ، إلى أن صارت المعاملة في سفك الدماء وقتل الأنفس ، فليس على هذا صبر ، ولا بد لك من

(١) الشرطة هم الجنود الذين يحافظون على الأمن ، وقد كان للفسطاط شرطة منذ الفتح العربي ، وكان صاحبها في المكان الثاني بعد الوالي ، فلما أسست المعسكر أنشئت فيها دار أخرى للشرطة سميت الشرطة العليا — لملكو المعسكر عن الفسطاط — كما سميت شرطة الفسطاط بالشرطة السفلى منذ ذلك الحين ، ولما فتح جوهر مصر وأنشأ القاهرة نقل إليها الشرطة العليا ، وقد ظلت بها طول عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك . انظر : (صبح الاعشى) ج ٤ ، ص ٢٣ ، حيث يذكر أنه كانت هناك شرطة نالقة بالقرافة ، وأنها ضمت في العصر المملوكي إلى شرطة الفسطاط أى السفلى .

(٢) مكان هذه النقط في الاصل كلمات محوطة استحال على الناشر قراءتها .

الاستقصاء على هذه القصة ، فأوثق الناس إلى أن تنكشف ، فينتقم من فاعلها ، وتبرأ إلى الله تعالى منه .

فليحمل الوزير - سلمه الله - في ذلك عملاً يأجره الله عليها ونشكره ، ولا يتوانى عنه ، ليس ما نخسره عن أنفسنا بانكشاف هذه القصة قليلاً عند الله - جلّ وعلا - ، وعند عبده من بعد .

وأنا أقسم على الوزير بحياتي ألا يتوانى عن هذا الأمر ، وليسرع بالفراغ منه ، وبخلاص هؤلاء الرجال المساكين من مَدِّ يَدٍ مَنْ يَطْلُبُ أموالهم وأنفسهم ظلماً وعدواناً ، والشرط والولاية قد صارت إرثاً ، فلينظر الوزير - سلمه الله - أن يولي الشرطتين إنسانين يخالان الله - عزّ وجلّ - ويتقيانه ، فلا جمع الله ما لهما ، ولا مايجي منهما بتقلد ، فقدم ما أمرناك به في الوجوه ، وأظهره في الناس لتطيب أنفسهم ، وليعلموا أنا لا نخفل عن شيء يبلغنا الله فيه رضى ، ولهم فيه صيانة .

والله حسبي ، وعليه توكل .

« والسلام على الوزير ورحمة الله » ؛

قال [ابن الصيرفي] : « فنسخ أهل مصر كافة هذا التوقيع ، وصار الصبيان في المكاتب يُعلّمونه كما يُعلّمون الحمد » .

وصرف الوزير (١) ورشيها عن الشرطتين .

(١) بياض بالأصل .

سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة :

في سابع عشر ذى الحجة حدث بالقاهرة ومصر رعد شديد ورياح عاصفة ، فاشتدت الظلمة حتى شنت ، وظهر في السماء عمود نار ، ثم احترت السماء والأرض حُمرة زائلة ، وظهرت الشمس متغيرة إلى يوم الثلاثاء ثاني المحرم سنة تسع وسبعين ، وظهر كوكب له ذؤابة فلما قام اثنين وعشرين يوماً .
وفيها مات أبو الحسين أحمد أخو طُغُيع في المحرم .

وفي رجب سنة ثمانين :

خرج الناس في لياليه على رسمهم في الليل ، ليالي الجمعة وليالي النصف إلى جامع^(١) القاهرة عوضاً عن القرافة ، فزيد في الوقيد .
وفي يوم الجمعة عشرة شهر رمضان ركب العزيز إلى جامع القاهرة بالظلمة فخطب وصل .
وفيه خطب أساس الجامع الجديد مما يلي باب الفتوح وبدئ بالبناء فيه ، وتحلق الفقهاء الذين يتحلّقون بجامع القاهرة فيه ، وخطب به العزيز وصل يوم الجمعة النصف منه ، وحمل يانوس الصقلي صاحب الشرطة السفلى السباط . وبينت مصاطب ما بين القصر والمصلى ظاهر باب النصر يكون عليها المؤذنون والفقهاء ، حتى يتصل التكبير من المصلى إلى القصر ، وتقدّم أمر القاضي محمد بن النعمان بإحضار المتفقهة والمؤمنين ، وأمرهم بالجلوس يوم العيد عليها ، وركب العزيز فصل وخطب .
وفي ذى القعدة ورد من دمشق مال الموسم وهو ستون ديناراً .
وفي النصف منه سارت قافلة الحاج في البر بالكسوة للكعبة والطيب والمصليات ، فجلس العزيز للنظر إليهم ، وكانت قافلة عظيمة .

(١) المقصود « جامع الازهر » ، ولاحظ أنه كان يسمى حتى عصر العزيز بجامع القاهرة .

وفيهما مات الوزير يعقوب بن كلس^(١) يوم الخامس من ذى الحجة ، فُكِّنَ في خمسين ثوبا ما بين وثى ، وثَقُلَ^(٢) ، وشُربَ دَبِيقٌ مُدْهَبٌ ، وجُفَّتْ كافور ، وقارورتين من مسك ، وخمسين مثاقيل ماء ورد ، وصلى عليه العزيز ، فكان ما كُنَّ به وحُطِّبَ به عشرة آلاف دينار .

(١) أورد (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢) ترجمة واقية يعقوب بن كلس ، نجعلها فيما يلي تبيانا لكيفية هذا الوزير وللدور الخطير الذي لعبه ، قال « وكان الوزير ابن كلس يهوديا من أهل بغداد خبيثا ذا مكر وحيلة ودهاء وذكاء وقطنة وكان في قديم أمره خرج إلى الشام فنزل بالرملة فجلس وكبلا للتجار ، فلما اجتمعت الأموال التي للتجار كسرها وهرب إلى مصر في أيام كافور الأخصيذي صاحب مصر ؛ فتاجر به وحمل إليه متاعا كثيرا ؛ وبجالت بإله على ضياع مصر ، وكان إذا دخل ضيعة عرف غلتها وارتفاعها وظاهر أمرها وباطناتها ، وكان ماهرًا في إشغاله لا يسأل عن شيء من أمورها إلا أخبر به عن صنعة ، فكبرت حاله ، وخبر كافور بخبره وما فيه من الفطنة والسياسة ، فقال : « لو كان هذا مسلما لصلح أن يكون وزيرًا » ؛ فبلغه ما قال كافور ، فطعم في الوزارة ؛ فدخل جامع مصر في يوم الجمعة ، وقال : « أنا أسلم على يد كافور » ، فبلغ الوزير ابن حنظلة - وزير كافور - ما هو وما طبع فيه ، فقصده ، وخاف منه ، فهرب إلى المغرب ؛ وقصد يهودا كانوا هناك مع أبي تميم المزمز لدين الله - أصحاب أمره - فصارت له عندهم حرمة ، فلم يزل معهم إلى أن أخذ المزمز مصر ؛ فسارعه إليها .

فلما توفي المزمز وأصحابه اليهود ، وولى العزيز بالله استوزره في سنة ٣٦٥ ، وكان هذا الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس كبير الهبة قوى النفس والمنة ؛ عظيم الهبة ، فاستولى على أمر العزيز ، وقام به ، واستصعبه ؛ فعول عليه وفوض أمره إليه ، وكانت أموره مستقيمة بتدبيره فلما اعتزل علة الوفاة ركب إليه العزيز عائدا ، فشاهده على حال اليأس ، فغصه أمره وقال له : « وددت بأنك تباع فابتاعك بملكى ؛ أو تفتدى وإفديك بولدى ، فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب ؟ » فبكى وقيل يده وتركها على عينه ، وقال :

« أما ما يخصني يا أمير المؤمنين فلا ، لأنك أدعى بحقي من أن استعريك أيام ، وأرأف علي من أخلفه من أن أوصيك به ، لكنني أتصالح فيما يتعلق بدولتك »

قال : « قل يا يعقوب ، فقولك مسموع ؛ ورايك مقبول » .

قال : « سألما يا أمير المؤمنين الروم ما سألوك ؛ واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تلبق على المخرج بن دغفل بن الجراح متى عرضت لك فيه فرصة » .

وتوفي في ذى الحجة سنة ٣٨٠ ، فأمر العزيز أن يدفن في داره بالقاهرة في قبة كان بناها لنفسه ، وحضر جنازته وصلى عليه والحمد لله في قبره ، وانصرف عنه حزينا بلقده ؛ وأغلق الدواوين ، وعطل الأعمال أياما ، واستوزر أبا عبد الله الموصل بمدة مديدة ؛ ثم صرفه ، وقلد عيسى ابن نسطوروس وكان نصرانيا من أقباط مصر . الخ . انظر كذلك : (ابن قنبري يردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ؛ ص ١٥٨) .

(٢) الثقل من الثياب ما كان متسوجا بالذهب .

وحزنٌ عليه العزيز حزناً شديداً ، ولم يأكل ذلك اليوم على مائدة ، ولا حضر أحد للخدمة وأقام كذلك ثلاثاً ، وأقيم العزاء على قبره مدة شهر ، وأوى العزيز عنه دَيْتُهُ ، وهو ستة عشر ألف دينار .

وكان إقطاعه في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، سوى الرباع . واشتملت تركته على أربعة آلاف ألف دينار ، سوى ما سُويَ لابنته ، وهو مائتا ألف دينار . وفي يوم عَرَفَةَ حمل ياتسُ [ص ٤٥ ب] السهاط . وصلى العزيز ، وخطب يوم النحر ، ونحر التوقَ بيده ، ومضى إلى القصر ، وتُصِب له السهاط . والموائد ، وفرق الضحايا على أهل الدولة .

وطمع بكجور في أخذ حلب ، فسار ، وجمع له أبو المعالى ابن حمدان ، وواقعه أول صفر ، فانهمز بكجور ، فُبُعث إليه وسبق له ، فضرب عنقه ثانياً صفر وصلبه ، وسار فملك الرقة ، وأخذ ما كان فيها ، وملك الرحبة وعاد .

وبلغ العزيز أن منير يكتب صاحب بغداد ، فجهز عسكرياً عليه منجوتكين فيمن اصطلمه من الأتراك ، وأعطاه مالا وسلاحاً ، وولاه الشام ، فبرز إلى منية الأصبح^(١) في صفر سنة إحدى وثمانين ، وخلع عليه ، وحمل إليه مائة ألف دينار ومائة قطعة من الثياب الملونة ، وعشر قباب بأغشية ، ومناطق مثقلة ، وأهلة وفرش ، وخمسين بَنداً ، وعشر منجوقات^(٢) ، وعشرة أفراس ، فأقام بمنية الأصبح شهرين وسبعة عشر يوماً يخرج إليه العزيز في كل غدوة وعشية ، وينفذ إليه في كل يوم الجوائز والخلع ، ورفع من منية الأصبح في رابع عشرين جمادى الأولى ، وخلع على ابن الجراح وحمل ، وسار مع منجوتكين فلم يزل بالتقصير إلى ثالث شعبان ، فسار وودعه العزيز ، وجد في السير ، وكان ما أنفق عليه العزيز ألف ألف دينار ونيف ، وقدم قبل مسير ابن أبي العود الصغير ، وكان على الخراج بدمشق ، وكاشف بالعصيان ، فسار العسكر إلى الرملة ، ولقيه بشارة والى طبرية ، وكتب إلى والى طرابلس نزال ، وجمع منير رجاله ،

(١) عرفها بإقوت بأنها في شرقي مصر ، وانها تنسب إلى الأصبح بن عبد العزيز بن مروان أخى

عمر بن عبد العزيز بن مروان .

(٢) المنجوقات نوع من الاعلام والبندود : (Dozy; Supp. Dict. Arab.) والمفرد « منجوق » .

واعتدَّ للحرب ، وسار إليه ، فالتقى مع منير بمرج عذرا ، وكانت الحرب ، فانهزم منير في تاسع عشر رمضان ، وأخذ فحمل إلى منجوتكين ، فشهره على جمل ومعه قرد يصفقه في مائة من أصحابه ، وقائلٌ ينادى :

« هذا منير لعنه الله ، أصيبت دياره خالية ، وكلابه عاوية ، ونساؤه صائحة ، طاعنته الرماة ، ونازلته الحماة ، هذا جزاء من نافق على الله عز وجل ، وعلى مولانا العزيز بالله » .

وأقام منجوتكين في دمشق ومعه ثلاثة عشر ألفا فسادت سيرتهم في الناس .

ومات أبو المعالى بن حمدان في رمضان ، فسار منجوتكين يريد أخذ حلب من الحمدانية ، ونزل عليها وبها أبو الفضل بن أبي المعالى ، فقاتله أشدَّ قتال ، وأقام نحو الشهرين ، ثم عاد إلى دمشق ، وترك معضاد على حمص .

وفي سنة ثمانين وثلاثمائة طمع باد صاحب ديار بكر في أبي طاهر إبراهيم وأبي عبد الله الحميين ابني ناصر الدولة بن حمدان ، وقاتلها ، فقتل باذ ، فسار بن أخيه أبو على بن مروان إلى حصن كَيْفَا ، وبه امرأة خاله باد وأهله ، فخذعها حتى صعد إليها ، وملك الحصن وغيره من بلاد خاله ، وجرت بينه وبين ابني ناصر الدولة عدَّة حروب ، وقدم القاهرة على العزيز بالله ، فقلَّده تلك النواحي ، وعاد إليها حتى ثار به عبد البر شيخُ أيد ، وقتله عند خروجه بالسكاكين شخصٌ يقال له ابن دِمْنَة ، واستولى عبد البر على ما بيده ، وزوج ابن دِمْنَة بابنته ، فوثب ابن دِمْنَة على عبد البر وقتله ، وملك أيد .

وكان ممهد الدولة أخو أبي على بن مروان لما قُتل أخوه أبو على صار إلى مَيَّا فارقين وملكها في عدة من بلاد أخيه ، فثار عليه سروة أحد أكابر أصحابه وقتله ، وقتل غالب بن مروان ، وذلك في سنة اثنتين وأربعمائة .

ودخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة :

فورد سابق الحاج أول مُحَرَّم ، فأخير بتمام الحج ، وإقامة الدعوة للعزيز ، فخلع عليه ،
وطيف به المدينة .

ووصل مُفَرَّج بن دُقْلُ بن الجراح ، فخلع عليه .
وأمر [العزيز] بإزالة المنكرات ، وهدم مواضعها ، فكسر لرجل واحد خمسون ألف جرة
وردت من الصعيد .

وولد لأبي القاسم علي بن المقائد الفضل بن صالح ولد ، فبعث إليه العزيز ثلاثين ثوباً
فاخرة ، وعشرة أردية ، وعشر عمام ، وثوباً مثقلاً ، ومنديلاً طوله مائة ذراع [٤٦] ،
ومنديلاً دونه ، وخمسمائة دينار ، وحملت إليه السيدة العزيزية مائة ثوب صحاحاً من كل
فن ، وثلاثمائة دينار ، ومهدين ، أحدهما أبنوس محلى بذهب ، والآخر صندل محلى بنقضة
مخرقة ، ولهما أغشية ومخاد(١) وثياب وفرش مثقلة .
وركب العزيز لفتح الخليج .

وفي جمادى الآخرة زُفَّت أخت كاتب(٢) السيدة العزيزية إلى زوجها بُلْتُكَيْن(٣) التركي ،
ومعها جهاز بمائة ألف دينار ، سوى صناديق(٤) محملة على ثلاثين بغلاً ، وعُمل له صنيعٌ ذُبَحَ
فيه عشرون ألف حيوان(٥) ، ما بين كبشٍ وخروفٍ وجدى وأوزة ودجاجة [وفروج] (٦) ،
ونزلت إليه في عشرين قبة ، وخلع عليه وحمل ، وأقامت عنده خمسة أشهر وأحد عشر
يوماً ، ومات .

(١) الاصل : «ومخد» .

(٢) عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٩) : « كاتبه » .

(٣) كما في الاصل ، وفي المرجع السابق : « بكتكين » .

(٤) عند ابن ميسر « صناديق لم تفتح يحملها ثلاثون بغلاً » .

(٥) في المرجع السابق « رأس » .

(٦) ما بين الحاصرتين زيادة عن المزعج السابق .

وفي رجب كان عيد الصليب^(١) ، فمنع العزيز من الخروج إلى بنى وائل ، وضبط الطرقات والدروب ، فإنه كان يظهر فيه من المنكرات والفسوق ما يتجاوز الوصف .

وبعث العزيز إلى منجوتكين إنعاماً بمائة ألف دينار ، وكان المهرجان ، فسير إليه أيضاً هدايا ، وأهدى خواص الدولة إلى العزيز في المهرجان .

وفي ليلة النصف من شعبان كان الاجتماع بجامع القاهرة .

وفي رمضان صلى العزيز الجمعة وخطب بجامعه ، وعليه طيلسان وبهده القضيبي ، وفي رجليه الحذاء ، وصلى أيضاً بجامع القاهرة وخطب .

واعتل منصور بن العزيز ، فتصدق العزيز على الفقراء بعشرة آلاف دينار ، وحمل المطاط للميد على العادة .

وصلى العزيز صلاة عيد الفطر ، وخطب على رسمه .

وأهدت إليه امرأة من البلدة سبعمائة قد ربته ، فكانت ترضعه ولا يصرعها ، وهو في قدر الكباش الكبير .

وسارت قافلة الحاج في رابع عشر ذي القعدة بكسوة الكعبة والصلوات .

واعتل القائد جوهر ، فركب العزيز إليه ، وبعث له خمسة آلاف دينار ، ومزينة بمثقل ، وبعث إليه منصور بن العزيز خمسة آلاف دينار ، وتوفى لسبع بقين من ذي القعدة ، فكفن في سبعين ثوباً ما بين مثقل ووشى مذهب ، وصلى عليه العزيز ، وخلع على ابنه الحسين ، وجعله في رتبة أبيه ، ولقبه القائد ابن القائد ، ولم يعرض لشيء مما تركه .

ومن يديع توقيعات القائد جوهر ما حكاها أبو حيان التوحيدي في كتاب « بصائر

القدماء » قال :

« كتب جوهر عبد الفاطمي بمصر موقفاً في قبة^(٢) ورفعها أهلها إليه :

(١) كان يحتفل به عادة في اليوم السابع عشر من شهر توت . انظر حديثنا مفصلاً عنه

في : « المقرئى : الخطط » ج ٢ ، ص ٢٨-٣٠ .

(٢) القصة هي الشكوى ، وهذا مثل طيب للتواقيع في العصر الفاطمي .

« سوء الاجترام ، أوقع بكم حلول الانتقام ، وكفر الإنعام ، أخرجكم من حفظ الذمام ، فاللزام فيكم ترك الإنجاب (؟) واللازم لكم ملازمة الاجتناب ، لأنكم بدأنتم فأسأتم ، وعدتم فتعد بتم ، فابتدأوكم ملوم ، وعودكم منموم ، وليس بينهما فرجة تفتننى إلا التبرم بكم ، والإعراض عنكم ، ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم » .
وَحُمِلَتْ أَسْطُةُ عِيدِ النَحْرِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَصَلَّى الْفَرِيزُ بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْعِيدِ ، وَخَطَبَ ، ثُمَّ نَحَرَ بِالْقَصْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَفَرَّقَ الْمُصْحَايَا .

وفى غد يوم النحر وصل منير الخادم من دمشق ، فشهر على جمل بطرطور طويل ، فخرجت الكافة للنظر إليه ، ومعه سبعمائة رأس على رماح فطيف به ، ثم خلع عليه وعنى عنه .
وَعَمِلَ عِيدُ الْفَدِيرِ^(١) عَلَى رِسْمِهِ .

وَضُرِبَ رَجُلٌ وَطِيفَ بِهِ الْمَدِينَةُ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَجِدَ عِنْدَهُ مَوْطَأً مَالِكٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .
وَلِى تَاسِعَ عَشْرِهِ جُلَسَ عَلَى بَنِ عَمْرِ الْعَدَّاسِ بِالْقَصْرِ ، فَأَمَرَ وَهْبَى ، وَنَظَرَ فِي الْأَمْوَالِ ، وَرَتَّبَ الْعَمَالَ ، وَتَقَدَّمَ أَنْ لَا يُطْلَقَ لِأَحَدٍ شَيْءٌ إِلَّا بِتَوْقِيعِهِ ، وَلَا يَنْفَذَ إِلَّا مَا قَدَّرَهُ وَأَمَرَ بِهِ أَلَّا يَرْتَفِقَ وَلَا يَرْتَزِقَ وَلَا تَقْبِلَ هَدِيَّةً وَلَا يَفْضِيعَ دِينَارًا وَلَا دَرَاهِمَ .

وفيها كان بدمشق زلزلة عظيمة سقط منها ألف دار ، وهلك خلق كثير ، وشُحِفَ بِقَرِيَّةٍ مِنْ قَرَى بِجَلْبَكِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى الصَّحَارَى ، وَكَانَ ابْتِدَاؤُهَا فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ سَابِعِ عَشْرِ الْمَحْرَمِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، وَلَمْ تَزَلِ الزَّلَازِلُ تَتَابِعُ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعِ عَشْرِ صَفَرٍ بِلَا .

(١) المقصود بالفدير « غدير خم » وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة وحوله شجر كثير ، ويقال ان الرسول عليه السلام لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠ هـ نزل بفدير خم وأخى على بن أبى طالب ثم قال : « على منى كهرون من موسى ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ، « ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى ، اذ يعتبرونه بشابة مياحية علنية من الرسول قبيل وفاته . لعلى بن أبى طالب . انظر : (دندلسن : عقيدة الشيعة ، الترجمة العربية ، ص ٢٣ - ٢٦) ، ويذكر (المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣) ان هذا العيد لم يكن مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة بالقتدى بهم ، وأول ما عرف فى الاسلام بالعراق أيام معز الدولة ابن بويه ، فانه أحدثه فى سنة ٣٥٢ هـ فاتخذته الشيعة من حينئذ عيدا .. وهو أبدأ الثامن عشر من ذى الحجة » ، وفى خطط المقرئى تفاصيل ممتعة عن مراسم الاحتفال بهذا العيد فى مصر فى العصر الفاطمى . انظر أيضا : (مجمع البلدان لياقوت) .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة :

فورد سابق الحاج بتمام الحج ، وإقامة الدعوة للعزیز بالموصل واليمن ، وضربت السكة باسمه في هذه البلاد .

وقدم رسول القرامطة بأنهم في دعوة العزیز ونُصرتَه .

وفي صفر سُرَّ إلى منجوتكين خمسون^(١) حِمْلًا من المال ، [٤٦ ب] وأربعون حِمْلًا من ثياب محزومة ، ونيزانة سلاح ، وخمسةائة فارس .

وقدمت قافلة الحجاج في سابع عشره .

وجرى في الأسعار ما يُعْجَبُ منه ، وهو أن اللحم أُبيع في أول ربيع الأول رطل ونصف بدرهم ، ثم [أُبيع في سادسه عشر]^(١) أواق بدرهم ، ثم أُبيع أربعة أرطال بدرهم^(٢) ، ولحم البقر ستة أرطال بدرهم ، والخيز السميل اثنا عشر رطلا بدرهم ، وما دونه^(٣) سبعة عشر رطلا بدرهم ، والدراهم^(٤) كل خمسة عشر درهما ونصف بدینار ، وبلغت القطع الدراهم^(٥) سبعة وسبعين درهما بدینار ، ثم وصلت كل مائة درهم منها بدینار ، واضطربت الأسعار والصرف ، فضربت دراهم [جدد]^(٦) ، وبيعت القطع المسبك^(٧) كل خمسة دراهم منها بدرهم جديد ، وكان على الدرهم الجديد :

« الواحد الله الغفور » .

(١) مكان هذه الكلمات بياض بالأصل ، وقد أضيفت عن (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٩) .

(٢) النص عند (ابن ميسر ، ص ٤٩) : « وهو أن اللحم بيع في الخامس منه رطل ونصف بدرهم ، وبيع في سادسه عشر أواق بدرهم ، وبيع في سابعه أربعة أرطال بدرهم » .

(٣) عند ابن ميسر : « وغيره » .

(٤) النص عند ابن ميسر : « وكانت الدراهم القروية خمسة عشر درهما ٠٠ الخ » .

(٥) في المرجع السابق « الدراهم : القطع » .

(٦) أضيف ما بين الحاصرتين عن المرجع السابق .

(٧) عند ابن ميسر : « أبيعتم القطع من الصيارف لسبك كل خمسة ٠٠ الخ » .

وفي الوجه الآخر :

« الإمام أبو المنصور ^(١) » .

وفي ربيع الآخر ورد الخبر بفتح منجوتكين جنس وحماة وشيزر ، وأنه محاصر لحلب ، فجعل الطائر الذي قدم بالخبر في قفص عليه ثوب ديباج وطيف به القاهرة ومصر .
وسمى ^(٢) بعض النصارى بالكتاب إلى العزيز فانكف عليه وهدد ، فقبل إنه جائع ، فرتب له في كل شهر عشرون ديناراً ، ونهى عن العود لمثل ذلك ، فخاف السعاة وانكفوا ^(٣) .
وخلع القاضي محمد بن النعمان على مالك بن سعيد الفارقي ، وقلده قضاء القاهرة ، فركب بالخلع وشق الشارع إلى القاهرة .

وفي جمادى الأولى ورد الخبر على جناح الطائر بأن سعد الدولة شريف بن سيف الدولة على بن حمدان بذل لمنجوتكين ألف ألف درهم ، وألف ثوب ديباج ، ومائة فرس مُسرَّجة ، ليرحل عنه ، فامتنع ، وقدم الروم فواقعهم منجوتكين ، وقد استخلف على قتال حلب عسكرياً ، وكان منجوتكين في خمسة وثلاثين ألفاً ، والروم في سبعين ألفاً ، وانهم الروم عند جسر الجديد ، وأخذ سوادهم ، وقتل منهم وأمر كثير ، فقرأ العزيز الكتاب بنفسه على الناس ، ونزل القاضي محمد بن النعمان فقرأه على الكافة فوق المنبر بالجامع العتيق ، وقال في كلامه :
« فاحمدوا الله أيها الناس ، فإن الله تعالى قد صانكم وصان أموالكم بمولانا وميسدنا الإمام العزيز بالله - عليه السلام - ، فما بالعراق تاجرٌ معه عشرة دنائير أو أكثر إلا تؤخذ منه » .

وسقط الطائر بعده بأن منجوتكين غنم غنيمة عظيمة من الأموال والرجال والدواب ، وأنه ظفر بعشرة آلاف أسير فأخذهم ، وأنهم قاتلوا معه وهو محاصر للروم في أنطاكية ، فقرأ القاضي الكتاب على المنبر ، وتصلق العزيز بصلاقات كثيرة .

وسقط الطائر بوصول منجوتكين إلى رَعَش ، وعاد إلى حلب .

وركب العزيز لفتح الخليج بالمظلة ، وعليه قميص ديباج مثقل ، وتاج مُرَّص بالجواهر .

(١) عند ابن ميسر : « أبو منصور » .

(٢) هذه الجملة غير واضحة المعنى ، ويبدو أنه ينقصها بعض الفقرات أو الالفاظ ولم أجد في المراجع الاخرى ما يبيِّن على اكمالها او توضيحها .

ولأربع عشرة خلت من رجب كان عيد الصليب^(١) ، فجرى الناس في الاحتجاج فيه للهو على ما كانوا عليه .

وسقط الطائر بمؤد منجوتكين من حلب إلى دمشق ليشتى بها .
ورُدَّت الحنْبة إلى حميد بن الملح ، وخُلِع عليه ، فطاف البلد بالطبول والبنود ، وصمِن ضياعا يبلغ ثلاثمائة ألف دينار ليقوم بالملف .

وخطب العزيز في رمضان في جامع القاهرة ، وصلى ، وركب يوم الفطر فصلى بالناس ، وخطب على الرسم .

وسارت قافلة الحاج للنصف من ذى القعدة^(٢) .
ونودي في السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال كي لا يندسوا ثياب الناس .
وعُمل بياض عيد النحر ، وركب العزيز فصلى بالناس صلاة عيد النحر ، وخطب على رسمه ، ونحر ، وفرق الضحايا .
وعُمل عيد الغدير^(٣) على العادة .

وفيها سار بكجور من الرقة إلى قتال سعد الدولة أبي المعالي شريف بن سيف الدولة على بن حنيدان بحلب ، فاقتتلا ، وانهمز بكجور ، ثم قبض عليه ، وحمل إلى سعد الدولة أسيرا فقتله .
وفيها كتب العزيز سجلا بولاية العهد بالمغرب لأبي مناد باديس بن منصور بن زبيري بعد أبيه ، فُسِر بذلك أبوه .

(١) كان يحتفل بهذا العيد في اليوم السابع عشر من شهر توت كل عام؛ وقد أسهب (المحرزي: الخطط؛ ج ٢ ، ص ٢٨ - ٣٠) في الحديث عن تاريخ هذا العيد ورسوم الاحتفال به في مصر، ويعيننا أن ننقل هنا ما قاله عن الاحتفال بهذا العيد في مصر الفاطمي بصفة خاصة ، قال :
« وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه إلى بنى وائل ينظرون فسطاط مصر ، ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمنكرات من أنواع المحرمات ، ويمر لهم فيه ما يتجاوز الحد ؛ فلما قدمت الدولة الفاطمية إلى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة - وهو يوم الصليب - فمنع الناس من الخروج إلى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ... الخ » .

(٢) أضاف (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٩) بعد هذه الكلمة مايلي : « ومبلغ ما أنفقه العزيز على الكسوة والصلوات وغيره عينا وورقا ثلاثمائة ألف دينار » .
(٣) للتعريف بعيد الغدير انظر ما فات هنا ص ٢٧٣ ، هامش أ .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة :

في المحرم رُدَّتْ الحسبة إلى الوبرة النصراني ضاننا مع السواجل ، فأمر أبو محمد الحسن ابن عمار بالنظر في الظلمات وحوائج الناس ، وتدبير الأموال ، ومحاسبة [٤٧ أ] أرباب الدواوين ، فجلس لذلك ، ثم أبقى منه ، وأمر القائد الفضل بن صالح بالجلوس لذلك ، فجلس بالقصر ومعه القاضي محمد بن النعمان .

وقدم صابق الحاج فخلع عليه ، وطيف به .

وهرج العزيز إلى الجيزة لصيد سمح ، وعاد وهو بين يديه على بغل .

وظهر بمصر جرأ لم يُعهد مثله ، فبيع بالأسواق منه شيء بجل من الوصف ، وكان يباع أربعة أروطال بدينهم .

ووصلت قافلة الحاج لأربع بقين من صفر .

وعرض على العزيز عمل الخراج ووجوه الأعمال وتقدير ذلك ، وابتدئ فيه بمصرف مؤنثه ومطابخه وموائده فحلغه ، ولعن من عمله ، وقال :

« أشيع أنا وتجوع الناس ، أطلقوا أرزاق الناس على الأدوار ، فقد كدت أن أعطل المائدة »

وفي أول ربيع الأول أمر العزيز الكتّاب كلهم أن يمتثلوا ما يأمرهم به أبو الفضل جعفر ابن القرات ، فركبوا إليه ، وأمر ونهى ، وتكلم في الدواوين .

وكانت وقعة في البحر مع الروم بنواحي الإسكندرية ، وأسر فيها من الروم سبعون .

وأمر بنصب أزيار الماء على الحوانيت مملوءة ماء ، ووقود المصابيح على الدور وفي الأسواق .

وقرى سجل بئلا يؤخذ على الموازين والأرطال حق طنن ، وألا يأخذ أعوان المحتسب من

أحد شيئا .

ووردت «راكب الروم إلى الإسكندرية ، فصار إليها العسكر في البر ، والأسطول في البحر ، فولوا من غير حرب إلى الشام ، فصار الأسطول إليهم ، وزيد فيه ثمانية عشر مركبا ، مشحون^(٢) بالسلح والمقاتلة .

وذكر عند العزيز كتاب العين في اللغة ، فأخرج منه نيفا وثلاثين نسخة من خزائنه ، منها واحدة بخط الخليل بن أحمد مؤلفها .

وحملت إليه نسخة من تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار ، فأمر الخزان فأخرجوا من خزائنه عشرين نسخة ، منها نسخة بخط محمد بن جرير جامعه .

وذكرت عنده جمهرة ابن دُرَيْد فأخرج منها مائة نسخة وفيها ركب العزيز^(١) لفتح الخليج بزيه .

وظهر رجل من الرميميين يقال له القاسم بن علي يطلب الخلافة بأعمال الحجاز .

ولى جمادى وردت هدية منصور بن يوسف بن زيري من المغرب ، وهى :

مائة وخمسون فرسا^(٢) .

وخمس عشرة بغلة مسرجة .

ومائة وثمانون فرسا ذكورا .

وخمسون حجرة .

وخمسون بغلة بلجلة^(٣) .

وثلاثمائة بغل بكف ، منها مائة بغل تحمل صناديق المال .

وخمسمائة وخمسة وثلاثون جملا تحمل البر^(٤) (٥) وغيره ، ١٠٠٠ مائة علما أحدا

المال .

(١) الاصل : « المز » وهو خطأ واضح .

(٢) الاصل : « فرسنا » وهو خطأ واضح .

(٣) انظر ما فات هنا ص ٢٤٩ هامش ٢ .

(٤) هذه الكلمة شبه ممحوة في الاصل ، وما اثبتناه قراءة ترجيحية ، ومن المحتمل ان

تقرأ « التبر » .

وكلاب الحميد .

وخمسة أفراس بمسروجها لولد العزيز ، وعشرون قرسا يتجمله .

وخمسة عشر خادما صقالبة .

وجلس العزيزُ عند المصلى وعلى رأسه المظلة ، وسارت العساكر بين يديه قبيلة قبيلة ، وعُرضت عليه الخيول والرجال على الرسم في كل سنة .

وحضر الفقهاء وغيرهم في رجب بجامعة القاهرة في ليالي الجمع ، وفي ليلة النصف على العادة .
وفي تاسع عشر شعبان ركب العزيز فوقف على فرسه تحت شرعٍ نُصب له ، ومرّت العساكر بالخيول والبجاشين والخوذ ، فمروا قائداً قائداً ، كل واحدٍ بعسكره في حُجَّابِه وشاكِرتِه^(١) وبنوده ، وكانوا مائة وستين قائداً ، فيهم من عسكره ثلاثة آلاف إلى ألفين ، وكان العرض بهذا العرض أن يرى رسولُ منصور بن زُيْرَى العساكر .

واستغنى جعفر بن القرات من النظر في الأموال ، فأعفى وحوسب ، وضمن عدة من الكتاب القيام بوجوه الأموال ، وألزم ابن القرات بمال .

وخطب العزيز في رمضان بجامعة ، وصلى بالناس صلاة الجمعة ، ومعه ابنه منصور ، فحُجَّات المظلة على الأمير منصور بن العزيز ، وصار العزيز بغير مظلة ، وصلى أيضاً صلاة عيد الفطر ، ومعه ابنه على الرسم .

وسارت قافلة الحاج للنصف من ذي القعدة بالكسوة للكعبة والصَّلَات ، فخرج حاجٌ كبير ، وخرج معهم ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل ، وباغت النفقة على الكسوة والصلوات ثلاثمائة ألف دينار .

ووصل البقطة^(٢) من النوبة على العادة ، ومعهم فيلٌ وزرافة .

(١) الشاكِرى معناها الساعى أو الرسول ، ومن معانيها كذلك السيف العريض المنحني ذو الحدين . راجع (Dozy: Supp. Dict. Arab.)

(٢) البقطة اسم أطلق على الهدنة التي عقدت بين عبد الله بن سعد بن أبي السرح وملك النوبة بعد غزوه لها سنة ٣١ هـ ، وكانت بمثابة معاهدة سياسية وتجارية بين مصر ومملكة النوبة المسيحية ، ومن شروطها ألا يعتدى أحدهما على الآخر ، وأن تؤدى النوبة إلى مصر عدداً معيناً من الرقيق كل سنة ، وأن ترسل مصر إلى النوبة قدراً معيناً من القمح والفضة وغيرهما من محاصيل مصر كل سنة . أما اللفظ من الناحية اللغوية فيقال إنه مأخوذ من الكلمة اللاتينية Pactum ، ومعناها عقد أو اتفاق ، ويقال كذلك أنها مأخوذة عن الكلمة المصرية القديمة Bakt بمعنى عبد . انظر (Enc. Isl. art. Bakt)

وفيها كثر بخس الباعة في البيع من المكاييل والموازين ، فكتب سجل في الأسواق بالنهي عن ذلك ، وخوفوا بأن من وجدت عنده صنجة أو كيل أو ميزان بعد ثلاث وفيها عيب حلت به العقوبة ، كائنًا من كان من ساكني في عقار الدواوين الخاصة والأملاك أو في رباع أحد (٤٧ ب) من خواص الدولة ، أو ظهر عليه بأنه بخس الناس أو غش .

وحمل سباط العيد ، وخطب العزيز بالمصل بعد ما صلى صلاة عيد النحر بزيه ، وفرق الضحايا ونحر .

وخرج على جعفر بن القرات خراج ضياعه بالشام مبلغ خمسة وخمسون ألف دينار ، فألزم بذلك ، وتسلمت ضياعه المذكورة حتى استولى ذلك منها ، فأصابه عنت عظيم .
وعمل عيد القدير على العادة .

وفي هذه السنة كسفت الشمس بأجمعها في سلخ جمادى الآخرة ، فأظلمت الدنيا وظهرت النجوم حتى لم ير الإنسان كفه ، ثم اتجلى الكسوف آخر النهار .

وفيها حمل من تينيس صبي يعرف بحسين بن عمر إلى القاهرة لم يبطل قط ، فاعتبر حاله بها فكان كذلك ، وسقى أدوية مديدة للبول فلم يبطل ، فأحسن إليه ، وأعيد إلى تينيس ، وأقام بها مدة حتى مات .

سنة أربع وثمانين وثلاثمائة :

في المحرم قدم عيسى بن جعفر الحمصي أمير مكة بالقامم بن علي الرضى النائر بالحجاز ، فأكرمهما العزيز ، وأحسن إليهما .

ووصلت قافلة الحاج لست عشرة خلت من صفر .

ونزل منصور بن مقشّر طبيبُ العزيز لئمهده وبين يديه الجنائب ، وعلى الصبي شاشية مرصعة ، وبين يديه أسطال فضة ، وثلاثون شمعة موكبية ، وشمع منبر ، فشق الشارع نهراً إلى الكتيمة .

وفي ربيع الأول جلس منصور بن العزيز في المكتب .

وورد صندل حامل برقة بالهدية من المال والخيول والبغال والأحمال المحزومة ، والجمال ، فخلع عليه وجمل .

وفيه حُدل إلى القصر بستناناً من فضة فيه أنواع الأشجار المثمرة وجميع الأزهار ، كل ذلك من فضة .

وفي ربيع الآخر سار منجوتكين من دمشق في ثلاثين ألفاً لقتال ابن حَمْدان بحلب ، وقد اجتمعت عساكر الروم بأنطاكية ، فأقام بغامية ، وسير إلى ماحول أنطاكية من القرى فأنحربها .

ثم رحل عنها لكثرة الحرّ والذهاب إلى جبّة ، فأخذها وما حولها ، فنال منها شيئاً كثيراً .

وسار إلى حلب ، فحاصرها نحواً من شهرين ، فعزم الروم على نجدة ابن حَمْدان بحلب ، وقد أُنْهَم أمدادهم وجدّوع كثيرة وساروا يريدون حلب ، فبرز إليهم منجوتكين ، وواقمهم فهزمهم ، وقتل منهم نحو خمسة آلاف ، ومضى من بقى منهم إلى إنطاكية ، وذلك في شعبان .

فلما انقضى أمر الوقعة عاد منجونيكيين ، فنزل على حاب ، وضابق أهلها بالحصار والقتال :
حتى أكلوا الميتة من الجوع ، وخرج منها خلقٌ كثيرٌ إلى منجونيكيين ، وأقام على حصارها
بقية السنة .

وفى جمادى الأولى وصل غُرَاقُ البحر إلى القاهرة بمائة أسير ، فزُيِّنَت القاهرة ومصر أعظم
زينة ، وركب العزيز وابنه منصور ، وشقَّ الشوارع ، ثم ركب في عَشَارِي^(١) ، ومعه المشاريات
سائرة إلى المقدس ، ثم ركب من المقدس إلى القصر فكان يوما عظيما لم يُرَ بمصر مثله ، وقال
فيه الشعراء .

وفى جمادى الآخرة سار عيسى بن جعفر أمير مكة بالجواز والخلع ومعه القادم الثالث .
واشتدت المطالبة على ابن الفرات ، وأحيل عليه بمالٍ ، فأعنته المحتالون عليه ، ولحقه منهم
كبروه ، وألقوه عن فرسه فكسرت لإصبعه ، وامتدت أيديهم إليه ، فالتجأ إلى دار القائد
إلى عبد الله الحسين بن البازيار ، فأصلح قضيته .
وجُهِزَت هدية إلى ابن زيري بالمغرب ، وهى :
فيل .
ومائة فرس مسرجة ملجمة .

(١) العشارى - ويقال العشيري - نوع من السفن العربية القديمة ، وقد وصفه (عبد
اللطيف البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ٥٤) وصفا دقيقا ، قال : « وأما سفنهم (أى المصريين)
فكثيرة الاصناف والاشكال ، وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمى « العشيري » شكله شكل
شبارة داخلية (وهى سفينة عراقية) الا أنه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداما وشكلا ؛
قد سطع بالواح من خشب ثخينة محكمة ، وأخرج منها أفاريز كالرواشن نحو ذراعين ، وبني فوق
هذا السطح بيت من خشب ، وعقد عليه قبة ، وفتح له طاقات ورواژن بأبواب الى البحر من
سائر جهاته ، ثم تعمل فى هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ، ثم يزوق بأصناف الاصباغ ،
ويدهن بأحسن دهان ، وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا في وسادته
وخواصه حوله ، والفلمان والماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن ، وأطعمتهم
وحوائجهم فى قعر المركب ، والملاحون تحت السطح أيضا وفى باقى المركب يتذفون به ، ولا
يملكون شيئا من أحوال الركاب ، ولا الركاب تشتغل بخواطرهم بهم ، بل كل فريق يميز عن
الآخر ، ومشتغل بما هو بصدد ، وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن أصحابه دخل المخدع ؛
وإذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض . الخ »

وبغال .

ونوق ، وبخاق .

وثلاثون قبة مثقلة .

وأحمال محزومة ، فيها بز وكسوة من عمل تينيس ودمياط وغيره .

وبلور ، وصينى ، وغرائب .

وعشر شلح مدعبة بمناديلها .

وعشرة أفراس من خاص العزيز بمراكب ذهب .

وركب العزيز يابنه لفتح الخليج وأمر ألا تباع دار بما فوق مائتي دينار إلا بعد عرضها على من يلى ديوان الأملاك .

وورد مبيجكين من صقلية ، فخلع عليه ، ووردت هدية متولى صقلية ، وهى : خيل ، وجمال ، وصناديق مال .

وصلى العزيز بالناس الجمعة بعد ماخطب بجامع القاهرة وجامعه ، ومعه ابنه فى أيام الجمع من شهر رمضان ، وعمل فى آخره سماعاً للعيد ، وصلى العزيز بالناس صلاة عيد الفطر ، وخطب على الرسم .

وتسلم عيسى بن نسطورس سائر الدواوين ، ونظر فى جميعها ، وأمر ونهى ، وخطب سائر الكتاب عن العزيز ، وخطابه سائر الأولياء وكافة الناس فى مهماتهم وتوقيعاتهم .

وقدم يحيى بن النعمان [٤٨] من تينيس ودمياط والقرما بأسقاط وتخوت وصناديق مال ، وخيل وبغال وحمير ، وثلاث مظلات وكسوتين للكعبة (١) .

ولانثنى عشرة خلت من ذى القعدة عرض العزيز العساكر بظاهر القاهرة ، فنصب له مضرب ديباج روى فيه ألف ثوب بصُفْرِيَّة فضة (٢) ، وفازة (٣) مثقل ، وقبة مثقل بالجواهر ،

(١) هذا نص هام آخر يؤكد أن كسوة الكعبة كانت تصنع فى العصر الفاطمى فى دور الطراز بتينيس ودمياط .

(٢) انظر مافات هنا ص ٢٤٢ ، هامش ١

(٣) انظر مافات هنا ص ٢٤٤ ، هامش ٢

وَضُرِبَ لَابْنُهُ مَنْصُورٌ مَضْرُوبٌ آخَرُ ، وَفُرضَتِ العِساكِرُ ، فَكَانَتْ مِائَةَ عَسْكَرٍ ، وَأَحْضُرَتْ أَسَارَى
الرُّومِ ، وَهَمَّ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ ، مِنْهُمْ ثَمَانِي بِطَارِقَةٍ ، وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ حَمْدَانَ :
وَطِيفَ بِهِمْ ، وَخُطِّعَ عَلَى الْحَمْدَانِيَّةِ ، فَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا .

وَسَارَتْ قَافِلَةُ الْحَاجِّ لِأَرْبَعِ عَشْرَةٍ بَقِيَتْ مِنْهُ بِالْكِسْوَةِ وَالصَّلَامَتِ .

وَصَلَّى الْعَزِيزُ صَلَاةَ عِيدِ النُّحْرِ وَخَطَبَ بِالْمَصَلِيِّ عَلَى رِسْمِهِ ، وَنَحَرَ وَفَرَّقَ الضَّحَايَا .

وَجَرَى الرِّسْمُ فِي عِيدِ الْغَدِيرِ عَلَى الْعَادَةِ .

سنة خمس. وثمانين وثلاثمائة :

في المحرم ورد سابق الحاج ، وأخبر أنه لم يحج سوى أهل مصر واليمن .

وحضر العزيز لمجنوتكين مائة ألف دينار وعسكرا يتبع مضه بعضا .

وورد البقط من النوبة .

ووصل الحاج في ثامن صفر .

وجلس في ربيع الأول القاضي محمد بن النعمان على كرسى بالعصر لقراءة علوم آل البيت ،

وحضره الناس ، فمات في الزحاح أحد عشر رجلا .

ووردت من منجوتكين أسرى من الروم والحمدانية ، وعدة رموس ، فعفا^(١) عن الحمدانية ،

وطيف بن عداهم .

وورد من برقة أربعة وأربعون صندوقا على اثنين وعشرين جملا فيها المال .

وبعث مفرج بن دقفل الجراح برجل من أعمال الشام ، زعم أنه السفيفي ، فشهّر عن

جملته وهو يصفح .

وفي ربيع الآخر ورد الخبر بوصول الروم إلى أنطاكية ، فلخرجت مضارب العزيز إلى منية

الأصبع ، وذلك أن منجوتكين لم يزل محاصرا لابن حمدان بحلب من شعبان سنة أربع إلى

ربيع الأول من هذه السنة ، حتى أشرف على أخذ البلد ، وواصل ابن حمدان يرد على ملك

الروم بما هو فيه .

وكانت في هذنة الروم وبني حمدان أنه إن جاء إلى حلب عدو يلغمه ملك الروم ، فبخاف

بسيل ملك الروم من العزيز أن يتمكن عساكره من حلب ، فيأخذ أنطاكية من الروم ، فجمع

نحو أربعين ألفا ، وسار من قسطنطينية ، فكث أصحابه في السير ، والجنائب واليخال تتقطع ،

حتى وصل إلى أحرار في سبعة عشر يوما ، وهي مسافة شهرين لسير الاتصال ، وقد تقطع

(١) الأصل : « فعفى » .

أصحابه حتى بقى في سبعة عشر ألفا ، فأتفد إلى ابن حمدان يعلمه بنزوله أعزاز ، وكان قد وكل بالدروب والمضائق ، ومنع أن يخرج أحد من بلاده حتى يخفى خبر مسيره على منجوتكين ، فيأخذ على غفلة ، فلما بعث إلى ابن حمدان يعلمه بأنه قد نزل بنفسه أعزاز فأقيموا الحروب مع منجوتكين من الفد حتى . . . (١) وهو في الحرب .

وكانت هذه الرسالة مع رجلين من قبيلة ، فلقبهما رجل من أصحاب منجوتكين في الليل فسالهما :

« من أين جشتم ؟ » .

فظناه من الحمدانية ، فلأخبراه ، فقبض عليهما ، وأتى بهما إلى منجوتكين ، فأخبراه أن بسيل ملك الروم على أعزاز ، فلما أصبح طرَح النار في خزائن السلاح ، وفي بيوت وحوالي كان قد بناها عسكريه ، فاحترقت ؛ ورحل في آخر ربيع الأول إلى دمشق ، ووقع الصارخ في الناس بأن منجوتكين قد لتهزم عن حلب ، وأن عسكر الروم يطلبه ، فهرب الناس من المدن والقرى ، من دمشق إلى حلب ، وغلَّت الأسعار ، وكانت أيام الحصاد ، فترك الناس غلالهم ودورهم .

وسار ملك الروم ، فنزل إلى حلب ، واجتمع بابن حمدان ، ثم سار عنها إلى فامية ، وبها طائفة من عسكر منجوتكين ، فقاتلهم يوما واحدا ، ثم سار فنزل على طرابلس ، وراسل أهلها ، ووعدهم بالإحسان إن يثبتوا على ما يكون بينهم وبينه من العهد ، فخرج إليه ابن نزال والى البلد ليوافقه على أمر ، فاجتمع أهل البلد على أن ينصبوا أخاه مكانه ، ويمنعونه من الدخول ، ولا يسلموا البلد إلى الروم ، فلما رجع منعوه من الدخول ، فصار إلى ملك الروم .

وصار ملك الروم عن طرابلس ، فنزل على انطرسوس وهى خراب ، فعمر حصنها ، وجعل فيه أربعة آلاف ، وسار إلى انطاكية ، فكثرت فيه الاعلال ، فسار بمن معه إلى القسطنطينية .

(١) بياض بالأصل .

وخرج منجوتكين من دمشق في شوال ، فنزل على انطرسوس ، فقام يقاتل من فيها [٤٨ ب] نحو من شهر ، ثم عاد إلى دمشق .

وأخذ العزيز لما بلغه مسير ملك الروم إلى بلاد الشام في التأهب للمسير ، وأطلق خمسين ألف دينار لابتياح ما يحتاج إليه (١) ، وأخرج للكتاميين أربعة آلاف فرس ، وأمر أن يشتري لهم ألف فرس أخرى ، وأخرج (٢) الفائزة الكبيرة وهي بعمود واحد طوله أربعة وأربعون ذراعاً ، وقُتِحَ الفلَكة التي على الرأس (٣) سبعة عشر شيراً ، وطول ثيابها خمسون ذراعاً ، وفي رأسها صُفْرِيَّة (٤) فضة زنتها سبعة عشر ألف درهم ، ويحمل هذه الفائزة سبعون نُخْباً (٥) .

وقرئ سجل في الأسواق بالتغدير فاضطربت البلد .

ووصلت هدية من الهند فيها شجرة عود دلب .

وظهر بمصر من الوطواط شيء كثير .

واجتمع من الرعية وطوائف الناس بالسلاح للسفر مع العزيز ألوف كثيرة ، وخرج جيّش ابن الصمصامة (٦) في عسكري كبير إلى الشام ، وسير لابن الجراح خمسون ألف دينار ، ولمنجوتكين مائة ألف وخمسون ألف دينار .

وخرج العزيز بسائر العساكر إلى منية الأصبغ في عاشر رجب ، فقام (٧) شهراً ثم رجع إلى منا جعفر ، وقتل هناك الذي زعم أنه السُفْيَالِي .

وأحصيت الخيول التي سارت مع العزيز في أسطبلاته فكانت اثني عشر ألفاً ، والجمال

(١) النص عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٤٩) : « لايتباع كراع يسبب المسير » .
(٢) النص في المرجع السابق : « أخرى ، وسار جمع كثير من الاتراك والعزيرية والعبيد في سلاح كثيرة ومال جزيل ، ونصبت الفائزة الكبيرة للعزيز وهي بعمود ٥٠ الخ »
(٣) الاصل : « الفلَكة على التمام رأسه » ، والتصحيح عن (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٥٠) .

(٤) انظر ما فات هنا ص ٢٤٢ ، هامش ١ .

(٥) عند ابن ميسر : « جلا من البخاتي » .

(٦) في المرجع السابق : « ابن صمصامة » .

(٧) في المرجع السابق : « فقام في الفائزة » .

المحملة للعزيز ولوجوه خاصته فكانت ثلاثين ألفاً ، سوى ما هو مع وجوه الدولة ، وحُمِلت الخزانة السائرة على -عشرين جملاً^(١) سوى خرائن الوجوه والخاصة ، وكان معه من المال خمسة آلاف جَمَل ، على كل جَمَل صندوقان كبيران مملوءان مالا ، وألف وثمانمائة بختية وبخفى ، على كل واحد صندوقان في كل منهما مثل ما في الصندوقين المحمولين على الجمل .

وخرج خَلَقٌ من التجار ووجوه الرعية مرتين إلى العزيز يسألونه المقام ، وأن لا يخرج من مصر ويُسيروا العساكر ، فشكرهم ، وقال :

« إنما أسير لنصرة الإسلام والذب عن بلادنا ، وصيانة أهله » .

فقدم رسولُ ملك الروم يخبر بوصوله إلى بلده ، ويمتدح عن مسيره ، ويسأل الهدنة ، فأجيب إلى الصلح .

وورد كتاب ابن حمدان يسأل فيه العفو وأن يُقرَّ على عمله ، فأجيب بالعفو عنه ، وتُعلم على رسوله ، وحُمِل .

ونودى في رمضان بالقاهرة ومصر :

« من كان من أهل السلاح فليخرج ليأخذ الرزق الكثير » .

وأنفذت العساكر لحفظ الأطراف .

وسير إلى الإسكندرية والصعيد بالعساكر .

وصلى منصورُ بن العزيز بالناس صلاة عيد الفطر ، وخطب بمناجعفر على رسم أبيه وزيه ، وعليه المظلة والجوهر .

وفي نصف شوال ماتت أم ولد العزيز وزوجته بمناجعفر^(٢) فحُمِلت إلى القصر ، وصلى عليها العزيز ، وكفنها بما يبلغه عشرة آلاف دينار ، وأخذت الفاسلة ما كان تحتها من الفرش وعليها

(١) الأصل : « عشرين ألف جمل » وهو غير معقول ، والتصحيح عن المرجع السابق .

(٢) كذا في الأصل ، وعند (ابن ميسر ، ص ٥٠) : « بالمنجم في منى جعفر » .

من الثياب ، فكان مبلغ ما نالها ستة آلاف دينار ، ودُفع إلى الفقراء ألفا دينار ، وللقرءاء المدين قرأوا على قبرها ثلاثة آلاف دينار .

ورثاها جماعة من الشعراء فأجيزوا ، ففهم من كانت جائزته خمسمائة دينار .

ورجع العزيز إلى مضاريه ، وأقامت ابنتها على قبرها شهراً نقيم الزاء ، والعزيز يأتياها كل يوم ، والناس تُعلم كل ليلة أصناف الأطعمة والحلوى ، وفرق في الشعراء ألفي دينار .

وسارت قافلة الحاج بالكسوة والصلوات في سادس عشر ذى القعدة .

وتوفيت أم العزيز ، فرجع العزيز إلى القاهرة ، وصلى عليها ، وأمر بالصدقة ، ورجع إلى مضاريه .

وصلى العزيز بالناس صلاة عيد النحر وعطى في مضاريه ونحر

سنة ست وثمانين وثلاثمائة :

في محرم ورد سابق الحاج ، فخلع عليه بالمُعَيَّم ، وقدم الحاج لثان بقين من صفر .

وفي ربيع الأول جُهِزَت المراكب الحربية ، وأشحنت بالمقاتلة .

وفي العشرين منه رفع العزيز إلى غيفة فنزل بالعقارية بعد أن أقام في مناخه أربعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، فأقام بها ليلة ، ورفع إلى بلبيس^(١) فنزل بظاهرها .

ونودي في البلد لا يتأخر أحد عن المسير في الأسطول ، ف وقعت في الأسطول نار ، فاحترق وقت صلاة الجمعة لست بقين من ربيع الآخر ، فأتت على ما فيه من حدة وسلاح ، حتى لم يبقَ منه غير ست مراكب ، لاشيء فيها ، فأنهم بذلك الروم الأسارى ، وكانوا في دار بجوار الصناعة^(٢) بالقدس ، فنهبتهم العامة ، وقتلوا منهم مائة وسبعة أنفس .

وحضر عيسى بن نسطورس ويانس الصقلي [٤٩] متولى الشرطة إلى الروم ، فاعترفوا بأنهم أحرقوا الأسطول^(٣) ، فكان ماذهب في التهب نحو تسعين ألف دينار ، فتودي برد التهب ، وتوعد عليه .

وشرع عيسى بن نسطورس في إنتقاء أسطول جديد . وظفر بعدة من النهاية ، فقتل بعضهم ، وحبس بعضهم بعد الضرب الشديد ، فأحضر كثير مما نُهب .

ووردت غزاة البحر بمائتي أسير وعشرين أسيراً طيف بهم البلد .

ووصل من برقة ستون فرسا ، منها عشرة بمسروجها ولجمها ، وعشرون بغلة عليها صناديق المال ، وخمسمائة جمل عليها قطران وغيره ، وعدة من صبيان وعلوج من السبر^(٤) .

(١) عند (ابن ميسر ، ص ٥٠) : « تنيس » ، وهو خطأ ، وما يلتزم هو الصحيح .

(٢) المقصود دار صناعة السفن .

(٣) فصل (المقرئى : الخطط : ج ٣ ، ص ٣١٧ - ٣١٩) الحديث عن حرق الأسطول والفتنة التي أعقبته إلى أن انتهت بقتل عيسى بن نسطورس في أوائل عهد الحاكم بأمر الله ، فراجع هناك .

ونزع السم ، فَمُنْع من بيع القمح لغير الطحانين

ولخمس يمين من رجب ابتداءً بالعزیز المرض ، فأقام به إلى ثامن عشرین رمضان ، فاستدعى القاضي محمد بن النعمان والحسين بن عمار لليتين بقيتا منه ، وخاطبهما في أمر ولده ، ثم استدعى ولده وخاطبه .

ثم توفي من يومه بين صلاتي الظهر والعصر من مرض القَوَكْنَج والحصاة في مسلخ الحمام ببليس^(١) ، فلم يكتم موته .

ورحلت سيدة الملك ابنة العزيز في الليل ، وسار بمسيرها القيصرية لأنهم كانوا يرسمها ، ومعهم القاضي محمد بن النعمان ، وزيدان صاحب المظلة ، وأبو سعيد ميمون دبة ، فوافوا القاهرة ، وأقيم المأثم والصباح بالقصر ، وضبط الناس أحسن ضبط ، فلم يتحرك أحد ، ولم يبق شارع ولا زقاق إلا وفيه صراخ وتحيب .

وبادر برَجْوَان إلى أبي على منصور بن العزيز فلما هو على شجرة جميز يلعب في دار ببليس^(٢) ، فقال له : « بسك تلعب ؟ انزل » .

فقال له : « ما أنزل والله الساعة » .

فقال له : « انزل ، ويحك ! الله فينا وفيك » ، وأنزله ، ووضع على رأسه العمامة بالجرهر وقبل له الأرض ، وقال :

« السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » .

وأخرج به إلى الناس ، فقبل جميعهم له الأرض ، وسلموا عليه بالخلافة .

وأخرج الناس من الغد للاقائه ، فدخل إلى القاهرة ، وبين يديه البنود والبوقات بالمظلة^(٣) يحملها زيدان ، والساكر كلُّها معه ، والعزیز بين يديه على عارية ، وقد خرج قدماه منها ونودي في البلد :

(١) عند (ابن ميسر ، ص ٥٠) : « دنيس » ، وما بالمتن هو الصحيح .

(٢) عند (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٥١) : « وعلى رأسه المظلة » .

« لا مونة ولا كلفة ، وقد أمنكم الله على أنفسكم ، فمن عارضكم أو خاطبكم فقد حلّ دمه وماله » .

وتولى القاضي ابن النعمان غسل العزيز ، ودُفن مع آبائه في تربة القصر بعد عشاء الأخيرة . وأصبح الناس والأحوال مستقيمة .

وقد لُقّب أبو علي المنصور « الحاكم بأمر الله » . فاتفق كل المغاربة واشترطوا أن لا ينظر في أموالهم إلا ابن عمّار .

وباتوا ليلة العيد وأصبحوا يوم الفطر ، فصلّى بالناس القاضي محمد بن النعمان ، وهو متقلد للسيف ، فعندما صعد المنبر قبل موضع جلوس العزيز ويكّى ، فضجّ الناس بالبكاء والتحيب ، وخطب فندب العزيز وبكاه ، ودعا للمحاكم ، وعاد إلى القصر ، والعساكر صفين من المصلّى إلى باب القصر ، فحضر الحاكم السباط .

وكانت مدة العزيز في الخلافة بعد أبيه المزمّل إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف ، ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة ، وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً . وكان نقش خاتمه :

« ينصر العزيز الجبار ، ينتصر الإمام قِزار » .

وخلف من الولد : ابنه منصور ، وسيدة الملك - وولدت بالمغرب في ذى القعدة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة - .

وكان أسمر طويلاً ، أزهَبَ الشعر ، أعْيَن ، أشْهَل ، حريص المتكبتين ، شجاعاً ، حسن العفو والقدرة ، لا يعرف منك الدماء ، حسن الخلق ، قريباً من الناس ، بصيراً بالخيال وجوارح الطير ، محباً للصيد ، مفرّج به ، حريصاً على صيد السباع خاصة . ووزر له :

يعقوبُ بن كِلْسَ الثنّى (١) عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوماً .

(١) الاصل : « اثنتا » .

ثم أبو الحسن علي بن عمر العداس بعد ابن كيلس سنة واحدة
 ثم أبو الفضل جعفر بن القرات سنة .
 ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيار سنة وثلاثة أشهر .
 ثم أبو محمد بن عمار شهرين .
 ثم الفضل بن صالح أياما .
 ثم عيسى بن نسطورس سنة وعشرة أشهر .
 وكانت قضائه :

أبو طاهر محمد بن أحمد .

ثم أبو الحسن علي بن النعمان .

ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان .

وكانت خرجاته [٤٩ ب] إلى السفر :

أولها ثامن صفر سنة سبع وستين ، ثم عاد من العباسية .

والثانية سار إلى الرملة ، وظفر بأفقيكين التركي .

والثالثة سار إلى مضربه بعين شمس في صفر سنة اثنتين وسبعين ، ورجع منه بعد شهر

والرابعة نزل منية الأصبغ^(١) في ربيع الأول سنة أربع وسبعين ، ثم عاد بعد ثمانية أشهر

وإثني عشر يوما .

والخامسة برز في عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، فأقام مبرزا أربعة عشر شهرا

وعشرين يوما ، وفيه مات .

وهو أول من اتخذ من أهل بيته وزيراً أثبت اسمه على الطارز^(٢) ، وقرنه باسمه

وأول من لبس منهم الخفتان والمنطقة .

(١) ابن ميسر ، ص ٥٢ : « منية مطر » .

(٢) انظر ما فات هنا ص ٣٦٢ ، هامش ٢

وأول من اتخذ منهم الأثرak ، واصطنعهم ، وجعل منهم القواد .

وأول من رمى منهم بالنشاب^(١) .

وأول من ركب منهم بالذؤابة الطويلة والحك^(٢) ، وضرب بالصوالة ، ولعب بالرمح .

وأول من عمل مائدة في الشرطة السفلى في شهر رمضان ، يفتقر عليها أهل الجامع العتيق .

وأقام طعاما في جامع القاهرة لمن يحضر في رجب وشعبان ورمضان

واتخذ الحمير لركوبه إياها^(٣) .

وتجدد في أيامه من الممايز :

قصر الذهب^(٤) بالقاهرة .

وجامع القرافة .

وجامع القاهرة . المعروف بجامع الحاكم^(٥)

وبستان سردوس .

والقوارة بالجامع العتيق .

(١) النشاب : السهام *

(٢) الذؤابة : العذبة ؛ وقال صاحب صبح الأعشى (ج ٣ ، ص ٤٧٧) في تعريفه للاستاذين المحتكين : « وهم الذين يدورون عمالتهم على أحنالكهم كما تفعل العرب والمغاربة » *
(٣) كذا في الاصل ، وفي (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٥٢) : « لركوبه إياما مفردة من غيره » *

(٤) قصر الذهب هو أحد قاعات القصر الكبير الذي بناه المعز ، والميز هو الذي بنى قصر الذهب وكان يدخل اليه من باب الذهب الذي هو اليوم المارستان المنصوري ، ومن باب البحر الذي كان تجاه المدرسة الكاملية ، وجدد هذا القصر فيما بعد المستنصر بالله في سنة ٤٢٨ هـ ، وبه كان يجلس الخلفاء في الموكب يومي الاثنين والخميس ؛ وكان يعمل سمساط شهر رمضان للاسراء وسمساط العيدين ، وبها كان سرير الملك أي العرش * راجع : (المقرئ : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٦ - ٢١٧) *

(٥) بدي . بتأسيس هذا الجامع في عهد العزيز في رمضان سنة ٣٨٠ هـ ، ثم اكمل بناه ابنه الحاكم بأمر الله ؛ وبه عرف ، انظر تفصيل الحديث عنه في : (المقرئ : الخطط ، ج ٤ ، ص ٥٥ - ٦١) *

والقصور بعين شمس^(١) .
 والمصلّى الجديد بالقاهرة .
 وحصن الرسيين .
 والمنظرة على الخليج .
 وقنطرة الخليج القديمة - التي منها عيد العزيز بن مروان -
 وقنطرة بنى والى .
 والحمامات التي بالقاهرة .
 ودار الصناعة التي بالمقس^(٢) .
 والمراكب مما لم يَر مثله قبله كبرا ووثاقة وحسنا .
 وهو أول من ركب في الجمع شهر رمضان وصلى بالناس .
 وأول من بنى دار الفطرة^(٣) ، وقرّر فيها ما يحمل إلى الناس في العيد .
 وبلغت عدة جواريه عشرة آلاف جارية^(٤) .
 وبلغ راتب مطبخه ومائدته في كل يوم مالا يحصاه ، فلم يكن أحد من الأتراك والعبيد إلا
 وله وظيفة راتبه كل يوم .

(١) ذكر (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٥٣ ؟ - نقلا عن المسيحي - المنشآت التي بناها العزيز ؛ وهي لا تختلف عما ورد هنا ، وإنما اضاف إليها قوله : « وفي أيامه بنى قصر البحر بالقاهرة الذي لم يَب مثله في شرق ولا غرب » . ولعله يقصد « قصر الذهب » فقد كان يدخل إليه من باب البحر^١ .
 (٢) انظر تفصيل الحديث عن دار صناعة المقس في (المقرئى : الخطط ، ج ٣ ص ٣١٧ - ٣١٩) .

(٣) انظر تفصيل الحديث عن دار الفطرة في (المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٣) .
 (٤) جاء في (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ - ٤٥) : « وكان في القصر عشرة آلاف جارية وخادم ، فيبيع منهم من اختار البيع ، واعتق من سأل المتق ، ووهب من الجوارى لمن أحب وأثر .. الخ »

وكان يعلف له من الخيل في كل يوم والبغال والحمير والجمال عشرون ألف رأس ،
منها لركوبه ألف فرس ، سوى البغال .

وقال ابن سعيد عن « كتاب سيرة الأئمة لابن مهذب » : قال : كتب أبو جعفر محمد
ابن حسين بن مهذب صاحب بيت المال إلى العزيز :

« يا مولانا - صلى الله عليك - : ربما سألتني أهلي وكتابي وبعض الكتاب المتصرفين من عبيد
الدولة الموثوق بهم في قرض مال ، ومالي لا يَحتمل ذلك ، ومال مولانا فلا تُبسط فيه يدى إلا
بإفنه ، وقد كتبت هذه الرقعة إلى مولانا أستاذته فيما أعول عليه » .
فوقع العزيز عليها :

« يا محمد : سلمك الله ، من أتاك من أهلك وكتابك وخزانك والمتصرفين مَعك ، ومن سائر
عبيدنا والمتمسكين بأذيالنا يطلب منك سلفا ، ورأيت منه ما يدل على صحة ماشكاه من
ضرورته ، وعلمت صدقه في ديانتَه ، فادفع إليه ما رأيتَه ، وخذ منه حَظَّه ، ولا تطلب منه ،
فإن ردَّه إليك عفا من ذات نفسه ، فخذ منه ، وإن لم يردَّه إليك ، وعلمت أن يده لا تصل
إلى ردِّه ، فاعذره في تأخير ما قبضه ، وإن طلب زيادة زدتَه على شرطه ، واسكت عن طلبه ،
ومن عرفت أنه قادر على ردِّ ما قبضه ، ولم يُعده إليك ، فأَسك عن طلبه ، وامتنع من مثله » .
وأنفذ العزيز إلى أبي عبد الله حسين بن البازيار ببلييس - وقد اشتدَّ به الوجع - ، فبكى
رأه ، فقال له العزيز :

تبكى يا حسين ؟ لا تبك على الساعة ، ولكن إذا ضرب مولاك الأميرُ ابني بيده على لحيته
فابك البكاء الطويل إن قلت » .

فلما كان في سنة أربع وتسعين قتل الحاكمُ ابنَ البازيار عند خروج لحيته :
وكان رشيح الحمداني يقول عن الحاكم :

« هذا يقتلي » .

فسئل عن ذلك ، فقال :

« دخلتُ على العزيز - وهو مطروق - كأنه يخاطب نفسه ، فبعد وقت رفيع رأسه ، وقال :
« أيُّ وقت جئت ؟ »

« فقلت : من ساعة . »

فقال : كنتُ مفكراً في قوم أشجوا صدرى ، وملأوا بالغيظ قلبي ، ولا أدري ما أعمل ..
فقلت : « يامولانا ابعث إليهم فاقتلهم » .

فقال : « ما هذا يكون بيدي ، ولكنه والله سوف يجيء من يقتلهم ويقتلك معهم .
وأرى الحاكم قد قتل جماعة ولا بد له مني » . وكذا كان .

وقال القرطبي :

« كان المثل يضرب بأيام العزيز في مصر ، (١٥٠) لأنها كانت كلها أعياداً وأعراساً .
وقال ابن الأثير (١) :

« قيل إنه ولي عيسى بن نسطورس النصراني كتابته ، واستناب بالشام يهودياً اسمه ينشأ
إبراهيم بن القزاز (٢) ، فاعتز بهما النصراني واليهود ، وآذوا المسلمين ، فعمد أهل مصر وكتبوا
قصة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس ، فيها :

« بالذي أعز اليهود بنشأ ، والنصارى بعيسى بن نسطورس ، وأذل المسلمين بك ، إلا
كشفت ظلامتي » .

وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز ، والرقعة بيدها ، فلما رآها أمر بأخذها ، فإذا
الصورة من قراطيس ، فلم يما أريد بذلك ، فقبض عليهما ، وأخذ من عيسى بن نسطورس
ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليهودي شيئاً كثيراً » .

وكان يحب الحق ويستحمله ، فمن حمله :

(١) الكامل لابن الأثير ٩ : ٤٠

(٢) كذا في الأصل ، وهو عند (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٨ - ٣٣ و ٤٠) : « ابن
الغزار » .

أنه كان يحضر شاعرُ اسمه الحسن بن بشر الدمشقي ، وكان كثير الهجاء ، فهجا يعقوب بن
كلس وزير العزيز ، وكتب الإنشاء من جهته - أبا نصر عبد الله بن الحسين القيرواني - ، فقال :
قل لأبي نصر كاتبِ القصرِ والمتأني لنقصِ ذلك الأمرِ
انقصْ عُرَى الملكِ الوزيرِ تفز منه بحسنِ الثنا والذكرِ
واعطِ وامنح ، ولا تخفْ آحناً ، فصاحبُ القصرِ ليس في القصرِ
وليس يدري ماذا يُراد به ، وهو إذا جرى فما يدري
فشكاه ابن كلس إلى العزيز ، وأنشده الشعر ، فقال : « هذا شيء اشتركنا فيه في الهجاء
فشاركني في العفو عنه » .

ثم قال هذا الشاعر أيضا وعرض بالفضل القائد :
تنصّر ، فالتنصّر دينٌ حقٌّ ، عليه زماننا هذا يدُلُّ
وقل بثلاثة عزوا وجلوا ، وعطّل ما سواهم فهو عطّلُ
فيعقوبُ الوزيرُ أبٌ ، وهذا العزيزُ ابنٌ ، وروحُ القدس ففضلُ
فشكاه الوزير إلى العزيز ، فامتنع منه ، إلا أنه قال :

« اعفُ عنه » .

فعفا عنه .

ثم دخل الوزير على العزيز ، فقال :
« لم يبقَ للعفو عن هذا معنى ، وفيه غشٌّ من السيامة ، ونقص لهيبة الملك ، فإنه قد
ذكرك وذكرني وذكر ابن دباح نديمك ، وسبك بقوله :
زبارجى نديمٌ ، وكُلَيْمى وزيرٌ نعم ، على قدر الكلب يصلح الساجور
مغضب الوزير ، وأمر بالقبض عليه ، فقبض عليه لوقته ، ثم بدا للعزيز إطلاقه ، فأرسل
إليه يستدعيه ، وكان للوزير عين في القصر فأخبره بذلك ، فأمر بقتله فقتل ، فلما وصا
رسول العزيز في طلبه أراه رأسه مقطوعا ، فعاد إليه وأخبره ، فاغتم له .

وقال ابن الأثير^(١) :

« أبو الفتيان محمد بن حيوس » :

« لما مات العزيز وحضر الناس للتعزية بالقصر ، واجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم أفحم الناس بأجمعهم عن أن يوردوا في ذلك المقام شيئا مما يليق بالوقت ، ومكثوا مطربين ، فقام صبي من أولاد الأمراء الكتامييين . وأنشد :

انظر إلى العلياء كيف تُضام ، وماتم الأحساب كيف تُقام

خبرتنى ركب الركاب ولم يدع للمسفر : وَجْهَ تَوَحُّلٍ فاقاموا

فاستحسن الناس من إيراد الصبي لذلك ، وطرق الناس إلى إيراد المراثي ، ونهض الشعراء والخطباء فعزوا ، وأنشد كل إنسان ماعمل في التعزية .

وكان الصبي هو الذريعة إلى إيراد ما أورده ، وكشف ما نزل بهم من المهابة والمخافة^(٢) .

(١) كذا في الاصل : ولعله سقط بعد اسم ابن الأثير كلمة (قال) أي : قال أبو الفتيان محمد بن حيوس .

(٢) إلى هنا ينتهي الكلام عن عهد العزيز ؛ وسنبدا الجزء الثاني بإذن الله بم عهد الحاكم بامر الله .

الملاحق

- ١ - الملحق الأول : زوجات علي بن أبي طالب وأبنائه منهم .
 - ٢ - الملحق الثاني : بنات علي .
 - ٣ - الملحق الثالث : نسل الحسين .
 - ٤ - الملحق الرابع : نسل الحسين .
 - ٥ - الملحق الخامس : الخلفاء الفاطميون .
 - ٦ - الملحق السادس : الخلفاء الفاطميون وأولادهم .
- (لبيان صلة القرى بين كل خليفة والآخر)

الملحق الأول

زوجات علي بن أبي طالب

وأبنائهم من كل منهن

علي بن أبي طالب

الحسن •	}	- فاطمة بنت محمد (عليه السلام)
الحسين •		- خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي
محمد الأكبر بن الحنفية (أبو القاسم) •		- أم البنين بنت المجل بن النسيان
قتلوا مع الحسين في وقعة الطف {	العباس الأكبر •	ابن حرام الكلبي
	عبد الله	
	عثمان الأكبر	
	جعفر الأكبر	
عمر الأصغر •		- أم حبيبة بنت ربيعة التغلي
عبد الرحمن (أبو بكر)	}	- ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي
عبيد الله		
يحيى	}	- أمهات بنت عميس الخثعمية
عون		
محمد الأصغر	}	- أمانة بنت أبي العاص
		(أمها زينب بنت الرسول عليه السلام)
جعفر الأصغر		- أم ولد
محمد الأوسط	}	- أم ولد
عباس الأصغر		
عمر الأصغر		
عثمان الأصغر		
		- ؟

❖ هذه العلامة وضعت أمام الإبناء الذين أعقبوا ، أما الباقيون من ولد علي فلم يعقبوا •

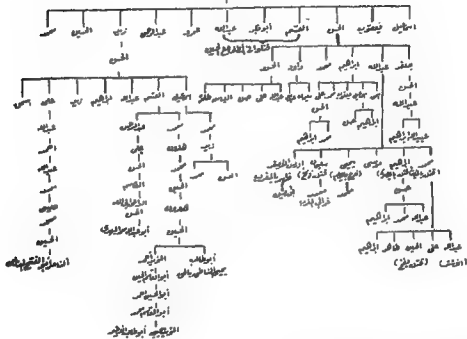
الملحق الثاني

بنات عل

أمها الصهباء ، أم حبيبة بنت ربيعة التخلي ، فهي أخت عمر الأصغر	رقية
من أم سعد ابنة عروة بن مسعود الثقفية	أم الحسن رملة الكبرى أم كلثوم
من أمهات أولاد	أم هاني ميمونة زينب الصغرى رملة الصغرى أم كلثوم الصغرى فاطمة أمامة خديجة أم الكرام أم سلمة أم جعفر جمانة نفيسة
: من مخيفة بنت امرئ القيس بن على الكلبية	بنت صغيرة (؟)

الملحق الثالث

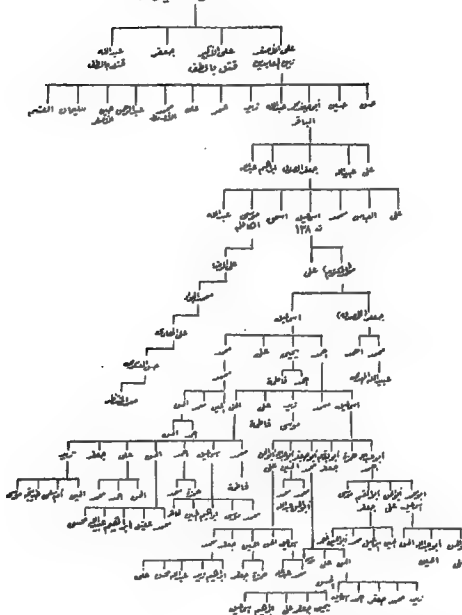
شجرة الحسن



(10) هذا الجدول منقول من نسخة المخطوطات في دار الكتب

الملاحق الرابع

فتمثل الحامين ★



(١٥) لهذا الجريدة متبوع عن الفصل الأول من هذا الكتاب

الملحق الخامس

الخلفاء القاطميون

(لبيان ترتيب وتاريخ توليهم الخلافة)

- ١ - ٤ ربيع الآخر ٢٩٧ (٩٠٩) المهدي أبو محمد عبيد الله ت ١٤ ربيع الأول ٣٢٢
 - ٢ - ١٤ ربيع الأول ٣٢٢ (٩٣٤) القائم أبو القاسم محمد ت ١٣ شوال ٣٣٤
 - ٣ - ١٣ شوال ٣٣٤ (٩٤٥) المنصور أبو طاهر إسماعيل ت ٢٩ شوال ٣٤١
 - ٤ - أول ذي القعدة ٣٤١ (٩٥٢) المعز أبو نجيم معد ت ٣ ربيع الآخر ٣٦٥
- (وفي شعبان ٣٥٨ فتحت مصر ، وفي رمضان ٣٩٢ دخل المعز القاهرة)
- ٥ - ٥ ربيع الآخر ٣٩٥ (٩٧٥) العزيز أبو منصور نزار ت ٢٨ رمضان ٣٨٦
 - ٦ - ٢٩ رمضان ٣٨٦ (٩٩٦) الحاكم أبو علي منصور اخفى في ٢٧ شوال ٤١١
 - ٧ - ١٠ ذو الحجة ٤١١ (١٠٢٠) الظاهر أبو الحسن علي ت ١٥ شعبان ٤٢٧
 - ٨ - ١٥ شعبان ٤٢٧ (١٠٣٥) المستنصر أبو نجيم معد ت ١٨ ذو الحجة ٤٨٧
 - ٩ - ١٠ ذو الحجة ٤٨٧ (١٠٩٤) المستعلي أبو القاسم أحمد ت ١٤ صفر ٤٩٥
 - ١٠ - ١٤ صفر ٤٩٥ (١١٠١) الآخر أبو علي المنصور قتل ٢ ذو القعدة ٥٢٤
 - ١١ - ١٥ المحرم ٥٢٥ (١١٣٠) الخافض أبو ميمون عبد المجيد ت ٥ جمادى الآخرة ٥٤٤
 - ١٢ - ٦ جمادى الآخرة ٥٤٤ (١١٤٩) الظاهر أبو منصور إسماعيل قتل ٣٠ المحرم ٥٤٩
 - ١٣ - أول صفر ٥٤٩ (١١٥٤) الفائز أبو القاسم عيسى ت ١٧ رجب ٥٥٥
 - ١٤ - ١٧ رجب ٥٥٥ (١١٦٠) العاضد أبو محمد عبد الله خلع ٣ المحرم ومات ١ المحرم ٥٦٧
- ١٥ - المحرم ٥٦٧ (١١٧٠) الأيوبيون

۱۔ عید اللہ المہدی



فهرس الموضوعات

الصفحات

٣ - ٥	تصدير ...
٧ - ٥٠	مقدمة الحقق ...
٥١ - ٦٢	مراجع التحقق ...
٣ - ٤	مقدمة المؤلف ...
٥ - ٢١	ذكر اولاد امير المؤمنين على بن ابي طالب - كرم الله وجهه - ...
٢٢ - ٣٤	ذكر ما قيل في انساق خلفاء الفاطميين ...
٣٥ - ٥٤	ذكر ابتداء الدولة العلوية بافريقية ...
٥٥ - ٥٩	ذكر ما كان من ابتداء الدولة الفاطمية الى أن بنيت القاهرة ...
٦٠ - ٦٤	ذكر خروج عبيد الله المهدي الى المغرب ...
٦٥ - ٦٦	ذكر ظهور عبيد الله المهدي من سجلماسة ...
٦٧ - ٧٣	ذكر قتل ابي عبد الله الشيعي ...
٧٤	القائم بأمر الله ابو القاسم محمد (وقيل عبد الرحمن) بن المهدي عبيد الله ...
٧٥ - ٨٧	ذكر ابي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي وحروبه ...
٨٨ - ٩٢	النصور بنصر الله ابو الطاهر اسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي ...
٩٣ - ٢٣٥	المز لدين الله ابو تميم معد بن المنصور ابو الطاهر بن القائم ابي القاسم محمد ...
١٠٢ - ١١٩	ذكر القاهرة ...
١٢٠ - ١٢٧	ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ...
١٢٨ - ١٢٩	ودخلت سنة ستين وثلاثمائة ...
١٣٠ - ١٣١	ودخلت سنة احدى وستين وثلاثمائة ...
١٣٢ - ١٣٣	ودخلت سنة اثنين وستين وثلاثمائة ...
	ذكر قدوم المعز لدين الله ابي تميم معد الى مصر، وحلوله بالقصر من القاهرة
١٣٤ - ١٤٣	المسزية ...
١٤٤ - ١٥٠	ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ...
١٥١ - ١٦٥	ذكر طرف من اخبار القرامطة ...
١٦٦ - ٢٠٧	الصناديق ...
٢٠٨ - ٢١٥	بقية اخبار المعز في مصر ...

الصفحات

٢٢٥ - ٢٣٥	ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة ...
٢٩٩ - ٢٣٦	العزيز بالله أبو المنصور بن المعز لدين الله إبي تميم معمد ...
٢٤٨ - ٢٤٤	الحرم سنة ثمان وستين ...
٢٥٥ - ٢٤٩	ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة ...
٢٥٦	فلما كان في سنة اثنتين وسبعين ...
٢٦٠ - ٢٥٧	الحرم سنة ثلاث وسبعين ...
٢٦٢	سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ...
٢٦٦ - ٢٦٣	سنة سبع وسبعين ...
٢٧٠ - ٢٦٧	سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ...
٢٧٣ - ٢٧١	ودخات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ...
٢٧٦ - ٢٧٤	ثم دخلت سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة ...
٢٨٠ - ٢٧٧	ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة ...
٢٨٤ - ٢٨١	سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ...
٢٨٩ - ٢٨٥	سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ...
٢٩١ - ٢٩٠	سنة ست وثمانين وثلاثمائة ...
٣٠١	اللاحق ...
٣٠٣	الملحق الاول : زوجات علي بن أبي طالب وإبنائه من كل منهن ...
٣٠٥	اللاحق الثاني : بنات علي ...
٣٠٧	الملحق الثالث : نسل الحسين ...
٣٠٩	الملحق الرابع : نسل الحسين ...
٣١١	الملحق الخامس : الخلفاء الفاطميون ...
٣١٣	الملحق السادس : الخلفاء الفاطميون وأولادهم ...
٣١٣	خليفة" والاخر (...
٣١٥ - ٣١٦	الفهرس الموضوعى ...
٣١٧ - ٣١٩	التصويبات ...

تصويبات

المبتدئة	السطر	خطا	صواب
٣	٢١	بالحمد له	بالحمدلة
١٢	١٣	Key ... Early	Kay ... Early
١٢	١٣	P.	PP.
١٢	٢٦, ١٨	Key	Kay
١٣	١٦	العاصي	العاصي
١٣	١٩	٢٨٧	(٢٨٧)
١٣	٢٧	P.	PP.
١٦	٢٢	Cit.	Cit. PP.
١٦	٢٥	P.	PP.
٢٣	٦	التنويري	للتنويري
٢٣	١٧, ١١	P.	PP.
٢٣	١٣	أربعا	أربعة
٢٤	٢٥, ٢٤	P.	PP.
٢٥	١٩	الأهواز	الأهواز
٢٦	٤	الأشعث	الأشعث
٢٦	١٧	« أقرمط. »	« أقرمط. »
٢٦	٢٨	P.	PP.
٢٦	٢٩	Mmour	Mamour
٢٧	٢٨	والخطط	المخطط
٢٨	٢٨	Lone- ... P.	Lane- ... PP.
٣٠	٣	العريز	العريز
٣٠	١٥	فناخسروا	فناخسرو
٣١	٢٦	سبط بن	سبط ابن
٣٢	٦	الضميم ، . كما	الضميم ، كما
٣٢	٧	ذلّ . غلام	ذلّ (م) غلام
٣٨	١١	أحس	أحسن
٣٨	٢٤	P.	PP.
٣٩	١١	ين	ين

الصفحة	السطر	خطا	موايد
٤٠	٩	ألف ألف	ألف ألف
٤٠	٣١, ١٩	P.	PP.
٤٢	١٠	(Laçy P.	De Lacy ... PP.
٤٥	٣١	P.	PP.
٤٦	١٢	يلسب	يلسب
٤٩	٨	المختص	المختص
٥٠	١	والباطل	والباطل
٥٠	٢٢	بكار	بكار
٥١	٢٣	P.	PP.
٦٠	٩	ابن المدير	ابن المدير
٦٤	٩	المواردى	المواردى
٦٦	١٣	وجبا	وجبا
٦٨	٢١	بنى الأعلى	بنى الأعلى
٦٩	٥	حزتم اللنب	حزتم اللنب
٧٠	٨	إلى	إلى
٧١	الأخير	Clt.	Clt.
٧٢	١٤	مثل	قتل
٧٨	٦	الخمس	الخمس
٨٢	١٧	أوالنجينى	أوالنجينى
٨٣	١٠	أبى زيد	أبى زيد
٨٤	٥	أن	إن
٨٦	٢	المهديلة	المهدية
٨٧	٦	الى . صى المصطفى	الوصى (م) المصطفى
٩٣	١٦	نبا	نبا
٩٥	٩	بجيث	بجيث
١٠١	الأخير	P.	PP.
١٠٣	٦	بشروجة	بشروجة
١١٦	١٣	جرهر	جرهر
١١٦	٢١	وهى	وى
١١٩	الأخير	التاسع عشر	التاسع العجى
١٢٠	٧	وى *	(*) وى
١٢١	٩	(*)	(*)
١٢٢	٣	بشيق	تبز

الصيغة	السطر	خطا	صواب
١٢٢	١٨	(١) كذا في الأصل ، وفي (ج) : « تبر »	(١) في الأصل « بشير » وأثبت لأننا بعد مراجعة مايلى من النص هنا : انظر ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
١٢٤	٤	وأمثلت	وأمثلت
١٢٥	٥	يتفزعون	يتفزعون
١٣٢	٢٠	فارسي	فارسي
١٤٠	٢٠	« الشمسية »	« الشمسية »
١٤٠	٢١	ذراع	ذراعا
١٤٤	١٤	ولست (*)	(*) ولست
١٤٤	١٩	١٤٤٧ ، ١٤٤٤	١٤٧ ، ١٤٤٧
١٤٥	٥	*	(*)
١٥٠	٩	ونجوا	نجوا
١٥٨	١٣	ظهور : السلاح	ظهور السلاح
١٨٨	٣	ابن	بن
١٨٩	٢	التواضعة	التواضعة
١٩٦	١٣	لله	الله
١٩٩	١٨	ولما منا بعد ؟ ولما فدى	ولما « منا بعد » ولما فداء «
٢٠١	١٠	ونتوفيتك	ونتوفيتك
٢٠١	١٣	القيامة	القيامة
٢٠٤	١٢	أخذت	أخذت
٢٠٨	٩	بارين	بارعين
٢١٦	١٥	بطلع	بطلع [المطيح]
٢١٩	١٧ ، ١٦ ، ١٣	جوشية	جوشية
٢٢٥	١٨	ففلقت	ففلقت
٢٣٣	١٣	وقبل	وقبل
٢٤٥	٦ - ٧	وقاد - يديه	وقاد بين يديه
٢٥٠	١	سام	قسام
٢٥٠	٢	قصدت	قصدت
٢٥٢	٥	وآ	وآلت
٢٥٢	١٧	والشمع ... مصرف	والشمع ... مصرف
٢٥٣	٧	أنا	أنا
٢٥٤	٢ بالمماش	اتشابه	اتشابه
٢٩٢	٩	للمحاكم	للمحاكم
٢٩٢	١١	وعشرون	وعشرين
٢٩٦	١٦	رأه	لما رآه

مطبع الأهرام التجارية - قنا



